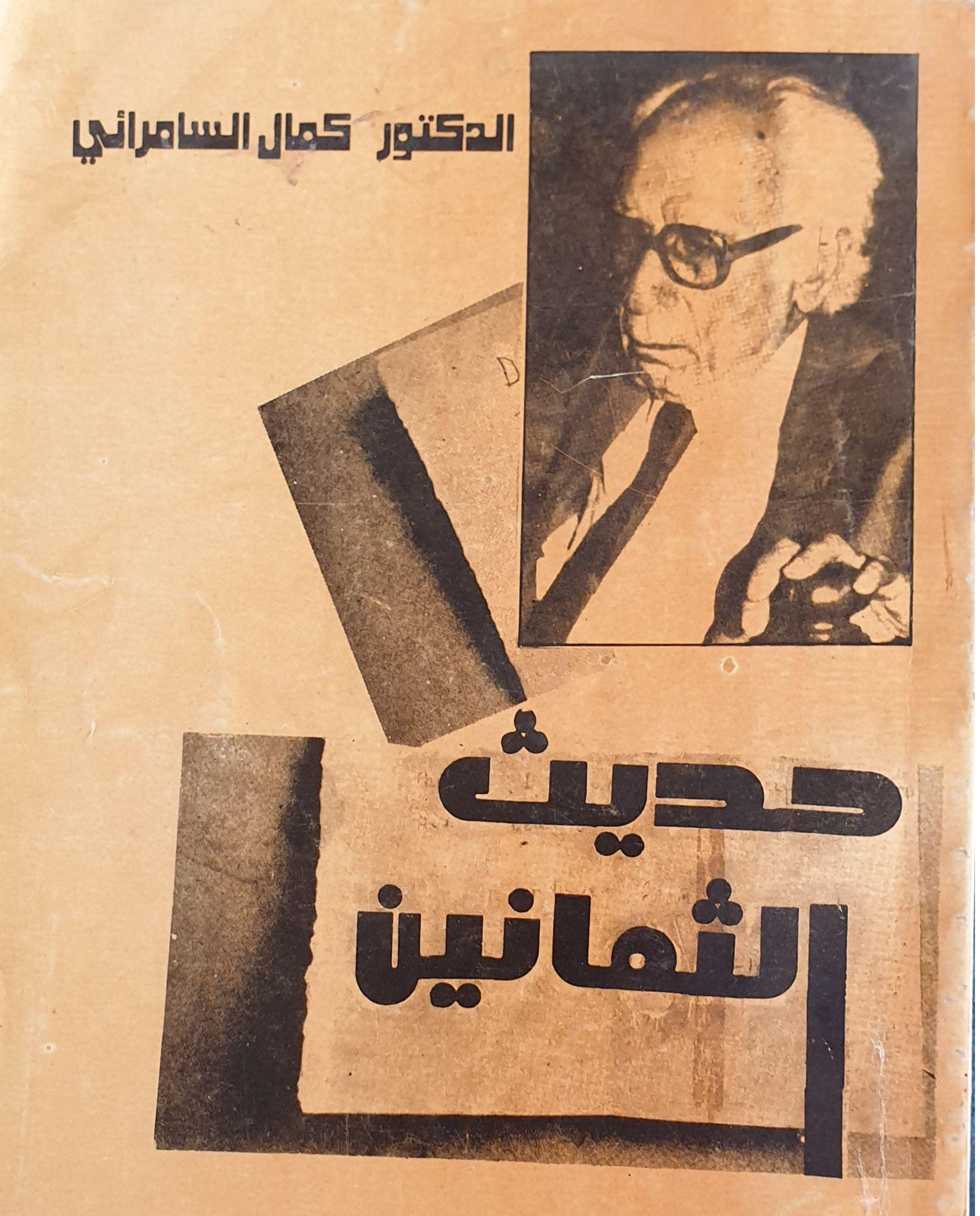
الدكتور كمال السامرائي



حديث الثمانين

الجزء الرابع



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات

العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤




وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد - ١٩٩٧

حديث الثمانين

سيرة وذكريات

د. كمال السامرائي

الطبعة الاولى - ١٩٩٧

طلب لتسليم مستشفى جرش الى حكومة الاردن / ١٩٧٠

استمرت جمعية صندوق فلسطين برئاستي تدير وتموّل مستشفى جرش في (دامية) بالاردن حتى أواخر سنة ١٩٦٩ ، ورأت الجمعية لاسباب معينة أن تقطع علاقتها بالمستشفى ، فرفعت الى وزارة الصحة العراقية الكتاب الآتي :

جمعية صندوق فلسطين

شارع أبي تمام ـ مقابل حديقة الأمة / بغداد

العدد ٤٢٤

التاريخ ٢٤ / ١ / ١٩٧٠

الى السيد وزير الصحة المحترم ..

الموضوع / المستشفى العراقي في جرش

استمرت جمعية صندوق فلسطين بالتعاون مع وزارة الصحة على ادارة وتمويل المستشفى (العراقي في جرش) منذ تأسيسه حتى هذا التاريخ ، فالجمعية تصرف على مخصصات الاطباء ونفقات سفر البعثات الطبية الشهرية وعلى العاملين في المستشفى واعاشة المرضى الراقدين فيه وما تتطلبه الاعمال في العيادة الخارجية وفي عيادات معسكرات اللاجئين ، تصرف الجمعية من أجل ذلك مبالغ كبيرة لا يمكن أن تستمر على تقديمها أكثر من عام واحد آخر على أكثر تقدير . ومن جهة اخرى ان التقارير التي تصلنا بتكرار من رؤساء البعثات ومن ممثلية الجمعية في عمان تشير الى ان بعثتنا الطبية اصبحت لا تستطيع أن تقدم للمستشفى الخدمات الطبية المطلوبة وخصوصاً في موضوع الجراحة والاطفال والنسائيات لافتقارها الى الاختصاصيين بهذه المواضيع الثلاثة . مما دعا المسؤولين في الاردن الشقيق والاهالي ايضاً الى التذمر من هذا العجز ، كما وصلتنا اخيراً اشارة صريحة الى ضرورة تسليم المستشفى الى وزارة الصحة الاردنية استجابة للضرورة الملحة على

استرجاعه ، وقد درست الجمعية هذا الموضوع وارتأت عرضه على سيادتكم للموافقة على ارجاع المستشفى الى وزارة الصحة الاردنية حفظاً لسمعة موقفنا من المساعدات الطبية وليتسنى لنا أيضاً تقديم المساعدات المالية وغير المالية الى جهات اخرى كالهلال الاحمر الفلسطيني أو اتحاد الاطباء العرب أو غير هذه مما يدخل في اهداف جمعيتنا ، يرجى التفضل بالاطلاع واعلامنا ما ترتأونه .

تفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس جمعية صندوق فلسطين

الدكتور كمال السامرائي

وفي يوم ١٥ / ٢ / ١٩٧٠ رفعنا الى وزارة الصحة كتاباً مختصراً طلبنا فيه جواباً لكتابنا رقم ٤٢٤ وتاريخ ٢٤ / ١ / ١٩٧٠ ولم يصلنا جواب منها .

مدينة الطب / فجر شهر تموز ١٩٧٠

أول من فكّر بانشاء مستشفى تعليمي متطوّر ومتكامل هو الاستاذ صائب شوكت . ومنذ عام ١٩٥٦ وهو يحاول بلا كلل أن يحصل من مجلس الاعمار على ارض ليقام عليها المستشفى ، على أن تكون تلك الارض قريبة من كلية الطب . وحين توفّر له في مجلس الاعمار مائة وخمسون الف دينار عدّ ذلك نواة لا بد أن يكون منها المستشفى الذي هو وراءه ، وصار الدكتور صائب يبدو كانه حصل على ذلك المبلغ لنفسه .

وقرأت في كتيب (تاريخ المعاهد الصحية في بغداد) للدكتور صائب شوكت عن مدينة الطب ما ياتي :

(في اواسط سني) الثلاثينات وضع المهندس الالماني (هركوب) تصاميم المستشفى النموذجي (نمونة خستخاني) باستانبول . وكذلك تصاميم مستشفى تعليمي في طهران . وكنت قد تعرفت على المهندس كوب في برلين بواسطة الاستاذ (زاور بروخ) الذي كان الجراح الخاص لهتلر ، فطلبت منه أن يزور بغداد ضيفاً عليّ ، ويضع لنا تصاميم مستشفى تعليمي عصري ، فقدم الى بغداد في طريقه الى طهران ليراقب العمل في انشاء المستشفى الذي وضع تصاميمه . واثناء مكوثه في بغداد فضّل أن يقام المستشفى في بستان (صابق بك) وهي المنطقة التي تحيط بكلية الطب من جهتها الشمالية والغربية ، ووضع خرائط المستشفى بعد عودته الى برلين ، ولم يطلب أجراً عن تلك التصاميم ، فخصص مجلس الاعمار ببغداد مبلغاً

قدره عشرون الف دينار اضافية . غير ان مدير الصحة العام اعترض على اقامة المستشفى في المكان الذي اقترحه المهندس كوب ، وارتأى أن يقام بعيداً عن المستشفى الملكي ، كالأرض المحاددة لقصر الرحاب ، (واستمر الدكتور صائب شوكت يقول) وهكذا توقف انشاء المستشفى حتى سنة كان فيها العميد طه الهاشمي رئيساً لمجلس الاعمار فأثار الدكتور صائب الموضوع في ايام وزير الصحة الدكتور محمد حسن سلمان (١٩٤١) بكلفة اولية قدرها مليونا دينار ، واقترح الدكتور محمد حسن سلمان أن يسمى المستشفى لضخامته (مدينة الطب) . وهذا ما حصل . وهنا اعترض احد اعضاء مجلس الاعمار على ضرورة دراسة المعاهد الصحية الكبرى في عواصم اوربا ومدن امريكا (لتلافي النقوص والاخطاء التي يحتمل أن تكون في المخطط) ، فقام الدكتور صائب بزيارة ثمانية عشر مدينة للاطلاع على ما في مستشفياتها من التطويرات العصرية ، وقدم تقريراً عن زياراته الى المؤسسات الصحية العالمية ، وقد احيل الدكتور صائب اثر ذلك على التقاعد ، واحيلت التصاميم للمناقصة على شركات عالمية وشرع بالعمل بتنفيذه في اليوم العاشر من سنة ١٩٦١ وتم العمل فيه في مطلع شهر تموز سنة ١٩٧٠ ، وكتب على مدخله : مدينة الطب .

أول دخولي الى (مدينة الطب) / ١٩٧٠

افتتحت (مدينة الطب) وأنا في لندن . وفي يوم ١٢ / ١٠ / ١٩٧٠ كنت على متن الطائرة العراقية عائداً الى بغداد ، فقصدت (المدينة) في اليوم الثاني وأنا في شوق لأرى مكان (شعبة النسائيات) فيها بعد أن بقيت أكثر من تسع سنوات أتطلع يومياً الى بنائها يعلو طابقاً بعد طابق دون أن أحرز مكان (الشعبة) من بين تلك الطوابق الاثني عشر . ولم يكن دخولي اليها لأول مرة يختلف عن دخول أي مريض يفتش عن السرير في الطابق الذي احيل اليه من العيادة الخارجية ، هذا يبحث عن سريره في الطوابق ، وأنا أبحث عن شعبة النسائيات .

وكان رواق مدخل المستشفى المطل على نهر دجلة غنياً بالنور ، وهذا ما أعجبني ، غير انني ما كدت التفت الى يمين هذا المدخل حتى اصطدم ناظري بتماثيل نصفية منحوتة على صفحات رخام يغلّف جدار ذلك الجانب من الرواق ، فاذا هي بسمات وملامح خلو من أي طابع عربي ، وبخاصة في معالم الوجوه وأغطية الرؤوس .

وسألت من كان في استعلامات (المدينة) عن ردهتي الولادة والامراض النسائية فعرفت انهما في الطابق الرابع ، وقصدت المصعد الذي كتب على ناحيته عبارة (خاص بالاساتذة) وهو أحد المصاعد الاربعة في ركن متصل بالمدخل ، فاعترضني الرجل الذي يعمل فيه ، ولكنه حين ناداه موظف الاستعلامات القريب من المصاعد أن يسمح لي بدخول المصعد ، فسح لي الطريق فدخلته ونظرات ذلك الرجل تلاحقني دون انفكاك ، ولا بد انه اغتاظ من تدخّل موظف الاستعلامات في شؤونه . وفي الطابق الرابع دلّني الدكتور (قيس كُبة) الذي كان أول من قابلته في كريدور هذا الطابق ، على الغرفة التي خصصت لي . ولم تكن هذه الغرفة فسيحة غير ان موقعها الذي يشرف على نهر دجلة يعوض عن صغرها ويفضله كثيراً . في مقدمة هذه الغرفة حيّز متكامل الاثاث والادوات تشغله سكرتيرة القسم الآنسة (منهل قدوري) .

وفي غرفتي اجتذبني حالًا منظر نهر دجلة وشاطئيها في جانبي الرصافة والكرخ أكثر مما شغلني النظر الى ما في هذه الغرفة من محتويات .. ومنذ اللحظات الاولى صار تطلّعي من خلال النافذة الوسيعة الى النهر وما يدور على شاطئيه كثيراً ما يلهيني من تصريف شؤون القسم التعليمية والادارية ، فكل ما يقع عليه ناظري يغري بمزيد من التطلع والتفكير . فقد عهدت قبل أن يشيد هذا المستشفى أن يكون على شاطىء النهر تلال من الاوساخ والنفايات التي ترميها الشاحنات دون تقيّد فاختفت هذه وغرست في مكانها أشجار الزينة والظل وشجيرات الورود والزهور الموسمية ، كما عبّدت طرق فيما بينها وثبت على حافاتها مصطبات دهنت باللون القرميدي الزاهي . ورأيت السابلة على هذه الممرات يعبرونها بتمهل وهم يرمقون هذه المزروعات الطرية ، وربما يتخيلونها قد نمت وارتفعت واورقت وازهرت وجلبت لهم الظل الوفير ، في يوم من الأيام القريبة . كما ارى مستوى نهر دجلة قد انخفض بدرجة كبيرة فكشف في كثير من شواطئه عن الجرف الواطىء الذي يكسوه الطمى والطحالب . كذلك ارى على الضفة الاخرى عبر النهر ثمة (دُوَبْ) وهي سفن بدائية مصنوعة من الحديد ترسو على الشاطىء وفي بعض بطونها ما تحمله من الخضراوات وغيرها من المحاصيل الزراعية التي يؤتى بها من سامراء وتكريت لتباع بالجملة وهي في بطون تلك الدوب .

زيارة السيد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر لكلية الطب / ١٩٧٠

في صباح يوم ٢٤ / ١١ / ١٩٧٠ كانت ساحة كلية الطب تزدحم على رحبها بطلاب الكلية بعد أن علموا بزيارة السيد رئيس الجمهورية هذا الصباح .. وشققت طريقي بين منتظري قدوم الرئيس لاصل الى دائرة العمادة ، وفي لحظات وقفت سيارة الرئيس عند مدخل ساحة الكلية فهرعت أسراب الطلبة اليها ، ولما ترجّل سيادته شرع الطلاب يصفقون له بحماس وهو يرد لهم التحية بيمناه ، واستقبل عميد كلية الطب السيد الرئيس ثم سارا جنباً الى جنب ودخلا دائرة العمادة ، وأخذ الرئيس مكاناً على طرف اريكة فيها .

وكنت في هذا اللقاء متلهفاً أن أسمع الرئيس يتكلم في موضوع يخص كلية الطب ، إذ كان في ظني انه كعسكري لا يعرف الكثير عن شؤون التعليم في هذه الكلية ، غير انه سرعان ما قال ليفتح باب التحدث بين من كان في هذه الغرفة من الاعضاء التدريسيين :

ـ يا اخوان أنا عسكري وليس لي معلومات في الامور الطبية ، واريد أن أسمع منكم لاجد منفذاً للمشاركة في ما تتكلمون . فبدأ العميد الحديث يقول :

ـ الامر الذي يشغل بال أعضاء هيئة التدريس في هذه الايام هو التفرغ الجامعي . ولا نزال نبحث فيه دون أن نصل الى نتيجة .

وسمعت أفكاراً في هذا الموضوع غير انها غير منسقة .

وتطرق أحد المتكلمين الى المواضيع الاساسية في الطب ، وقال :

ـ ان هذا الجانب لا يلقى الاهتمام من المسؤولين .

وقال آخر :

ـ حبذا لو تحدد صلاحية وزارة الصحة التي تخص اعضاء هيئة التدريس .

وقال آخر في موضوع جديد :

ـ العيادات الخارجية مهمة لتعليم الطلاب ، وأرى أن يعمل فيها الاساتذة لا مساعدو الاساتذة وحدهم .

وفجأة وجّه الرئيس سؤالاً اليّ :

ـ دكتور كمال : ما عندك ؟

وكان الذين تكلموا متبرعين لابداء آرائهم ، ولم يعرضوها بطلب من السيد الرئيس ، فعددت ما طلبه مني ذا معنى خاص ، فقلت له :

ـ حبذا لو تحدد ما نعرضه في موضوع واحد ، واعد ما قيل ما هو إلا مؤشرات ، وعسى أن تكثر زياراتك لتسمع منا التفاصيل .

فقال السيد الرئيس لينهي هذا اللقاء :

ـ لن تكون هذه الزيارة الاولى والاخيرة ، بل سانتهز الفرصة لاكررها وأستمع منكم الى ما يجد في افكاركم . (واضاف) وأرجو منكم كاساتذة ومربين أن تهتموا بالجانب الاخلاقي والالتزامات التي تتطلبها المصلحة العامة ، والالتزام بالواجبات الحزبية هو مطلب نريده منكم على أن لا يتعارض مع التعليم واحترام المعلمين .

ولم يدخل الطلاب في ذلك اليوم قاعات الدروس ، كما لم يدخلوا القاعات في اليوم الثاني بمناسبة الفوز الساحق الذي حققه الاتحاد الوطني للطلبة في الانتخابات . حدث ذلك ولم يمض على نصائح السيد الرئيس أكثر من نهار ونصف نهار .

علاج حالات الولادة في محافظات القطر / ١٩٧٠

ان المستشفى الجمهوري ببغداد ، ومن قبله المستشفى الملكي هما المرجع الاخير لمعالجة حالات الولادة غير الطبيعية الصعبة ، فتحال اليه مرضى من مختلف المحافظات كان يجب أن تعالج محلياً لأن نقلها الى بغداد قد يسبب خطورة يمكن تلافيها لو عولجت باية طريقة وهي في مكانها . واعتدت في هذه الحالات أن أكتب الى الطبيب الذي أحال المريضة الى المستشفى الجمهوري وأذكر له تصحيح العلاجات التي اتبعها خطأً في معالجتها قبل احالتها الينا .. وفي ما يلي مثل من تلك الكتب :

قسم الأمراض النسائية والتوليد ـ المستشفى الجمهوري

بغداد ١١ / ٥ / ١٩٧٠

حضرة الزميل

السيد رئيس صحة محافظة الانبار

في الساعة العاشرة بعد ظهر يوم ١٠ / ٥ / ١٩٧٠ ادخلت المريضة (بدرية وفيق) بحالة تعسر الى جناح التوليد في هذه المستشفى محولة من مستشفى الرمادي بسيارة اسعاف رقم (١٦ ص) ومزودة بمكتوب (خال من التوقيع) يتضمن احتمال وجود تمزق في الرحم في هذه المريضة ، وعند دخولها الجناح اجريت لها العملية اللازمة ووجد الرحم متمزقاً فعلاً . ويؤسفني أن اخبركم ان

حالة المريضة في الوقت الحاضر غير مطمئنة . ولاننا دأبنا على توجيه الزملاء والزميلات الذين يقعون في اخطاء علمية كما حدث في هذه الحالة الطبية وعلى تقديم النصائح والتعليمات على اعمالهم بالذات كجزء مكمل للتعليم الذي نقوم به في كلية الطب لذلك ارجو منكم مناقشة هذا الموضوع مع الطبيب الذي أشرف على هذه المريضة على الوجه الآتي :

١ ـ ان المذكرة التي ارسلت الينا بصحبة المريضة عدا كونها خالية من التوقيع فانها لم تكن مكتوبة على ورق حكومي بل على ورقة اعتيادية ممزقة الاطراف وليست أكبر من سعة الكف مما يجعلها لا تليق بالمكاتبات الرسمية ولا بكرامة المهنة .

٢ ـ علمنا من المريضة نفسها انها أمضت يوماً وليلة في مستشفى الرمادي قبل ارسالها الى بغداد . من هذا استدل ان التمزق قد حدث في المستشفى لا في الطريق الى بغداد .

٣ ـ لا بد ان علامات التعسير الانسدادي كارتفاع نبض الأم وارتفاع حلقة (باندل) على بطنها قد ظهرت على المريضة قبل حدوث تمزق الرحم بساعات كثيرة خاصة وان هذه المريضة هي من نوع الولود الكبيرة . فاذا كان قد ظهرت هذه العلامات المنذرة بالتمزق ولم تتوفر مقومات اجراء العملية في الرمادي وجب ارسال المريضة حينذاك الى اقرب مستشفى تتوفر فيه امكانات العملية اللازمة قبل حدوث التمزق .

٤ ـ القاعدة الطبية في التوليد أن لا تنقل المريضة المصابة بتمزق الرحم من مكان الى مكان بعيد لأن ذلك يعرضها الى خطر مؤكد . بل يجب أن تجرى عليها العملية اللازمة في مكانها مهما كانت الظروف والامكانات الطبية سيئة ولا اعتقد ان مركز أي محافظة مثل الرمادي يخلو من صالة عمليات لهذا الغرض .

ارجو أن لا تعتبروا ما في هذا الكتاب شكوى على الطبيب الذي اشرف على هذه المريضة بل جزء متمم للتعليم الذي تلقاه من قبلنا في كلية الطب ولا نبغي من ذلك إلا رفع المستويات العلمية في فن التوليد . وتقبلوا رجائي وتقديري لكم .

الدكتور كمال السامرائي

ملاحظة / ازعجتكم بهذا المكتوب لانني لا أعرف اسم الزميل الذي بعث لنا هذه المريضة .

هكذا قال شكسبير ـ ٥ / ٧ / ١٩٧٠

يزدحم السائحون في (كوبنهاجن) عاصمة الدنمارك ، وخصوصاً في فصل الصيف ، يأتونها من مختلف الاقطار ، ومن كل الاجناس والمشارب ، وقد وصلت هذه

المدينة المرحة الصاخبة قبيل منتصف الليل ، والليل في كوبنهاجن لا يحده إنسدال الظلام ، فنور الشمس لا يختفي إلا في منتصف الساعة العاشرة ، وهي أولى ساعات الليل الساهرة في تلك المدينة . فابلغني مدير الفندق ـ وهو يعتذر ـ ان الحجرة التي حجزها لي ـ ما زال يشغلها نزيل آخر ، وانه على وشك الرحيل ، وأرشدني بأدب جم الى بهو الفندق لارتاح فيه الى أن تكون حجرتي جاهزة . ودخلت البهو الكبير الذي تطل نوافذه العالية الرحبة على ساحة (البلدية) . وبدا لي البهو لاول نظرة خالياً من الناس ، ثم ظهر لي بعد أن خطوت الى داخله قليلًا ان في ركن منه ثمة رجل في نحـو الاربعيـن من عمره يحتضـن طاولة عامرة بالاقداح والنقل ، وفيما أنا اقترب منه في طريقي الى أحد المقاعد التفت هذا الرجل نحوي مبتسماً ، وأوقف الكاس التي كانت في طريقها الى فمه ، وأخذ يتطلع اليَّ باهتمام ، ولما مررت به حاول أن ينهض عن كرسيه ، وخلت انه اراد أن يستقبلني ثم عدل عن رأيه ، وتخطيته الى مكان لا يبعد عنه كثيراً ، بينه وبين النافذة ، وارتميت على كرسي وثير ، وشرعت اتلفت متطلعاً الى الشارع ثم الى البهو وما فيه ، ولما وقع نظري على الرجل ثانية رأيته ما زال يلاحقني بنظراته ، وقلت في ذاتي انه يخلط بيني وبين شخص آخر تقاربت بيننا الملامح ، أما أنا فلا أذكر انني رأيت هذا الرجل في حياتي ، وعلى هذا أدرت رأسي عنه حتى لا أفسح مجالًا يتقرب منه اليَّ ، فلم تكن عندي آنئذ رغبة في التحدث الى أي أحد ، وخصوصاً الى رجل مخمور . وجاءني النادل المؤدب يعرض عليَّ خدمته ، وطلبت منه كوباً من الشاي بالليمون ، إذ كنت في الواقع تعباً ومقروراً واحتاج الى ما ينعشني ويدفيء بطني في ذلك الجو المطير الرطب ، وتناهى الى سمعي من طاولة ذلك الرجل ، وأنا أتحدث الى النادل ، اندلاق الخمر في كاسه مرتين في مدة قصيرة ، كما سمعته يتمتم بضع كلمات يعيدها متقطعة ويجهد أن تكون مقاطعها واضحة ، غير انني لم اتبينها تماماً ، وتجاهلت الرجل في المدة التي ذهب بها النادل لياتيني بكوب الشاب ، فلما عاد اليَّ عاد الرجل يردد ما كان يقول أو مثله ، وقد وصلني هذه المرة واضحاً مفهوماً ، قال لنفسه :

ـ كوب شاي بالليمون ، شاي ، السيد المبجّل يطلب الشاي .

وأعاد هذه العبارة مرة ومرة اخرى كانه يمليه املاءً بطريقة لا تخلو من التهكم . فالرجل اذن لا يزال مهتماً بامري ، بل انه يتحرش بي ، وقد أربكني ذلك ايما ارباك . وفيما كان النادل يعود الى مكانه عند مدخل البهو ، أوقفه الرجل وسأله :

ـ هل تعرف ماذا قال شكسبير ؟

فأجابه النادل بعد تردد :

ـ لا أعرف يا سيدي

فقال الرجل :

ـ شكسبير قال : الخمر للملوك والماء للابقار ، فقل لذلك السيد (واشار باصبعه اليّ) : هذا ما قاله شكسبير .

حينذاك تعيّن لي أن التفت الى الرجل ، إذ انني الآن موضع الحوار الذي دار بينه وبين النادل ، وحين وقع نظري عليهما رأيته يرفع يده ويضم اصابعها ويبسط سبابتها نحوي وهو يقول للنادل :

ـ اذهب وقل لذلك السيد ما قاله شكبير .

ورأيت النادل يبتسم للرجل بارتباك ، ثم رأيته ينحني عليه ويهمس في اذنه ، ورأيته بعد ذلك يعتدل ، كما اعتدل الرجل المخمور في جلسته وأمسك عن غمزه وتحرشه ، فدلّني ذلك على ان بين الرجل والنادل معرفة سابقة ، أو ان النادل دارى الموقف باسلوبه وعلى تجربته مع المخمورين أمثال هذا الرجل ، وتلى ذلك هدوء الرجل وانكماشه في مكانه . وطال السكون في البهو إلا من صوت الخمر يندلق في الكاس بين حين وحين . وخطر لي أن اسأل نفسي كيف استطاع النادل أن يسكت ذلك الرجل الثرثار ؟ هل أمره ؟، أم سحره ؟ واردت أن استطلع هذا الامر ، فنظرت الى الرجل من زاوية عيني ، وشد ما كان عجبي حين رأيته يستقبلني بابتسامة عريضة فيها شيء من التودد والاعتذار ارتحت اليها ولكنني سرعان ما اعرضت عنها ورددتها اليه في سري سباً وتقريعاً ، كما صممت أن اغادر البهو ولما أنته من احتساء الشاي ، بالرغم من حاجتي اليه ورغبتي فيه ، وفيما أنا اصمم خطتي لاتجنب المرور به في طريقي الى باب البهو دخل النادل يتقدم سيدة شابة ، نضرة ، انيقة ، وأوصلها الى طاولة الرجل الثمل ، ثم انسحب راجعاً الى مكانه عند باب البهو ، وقلت بين نفسي وبيني ان هذه الحورية كفيلة أن تشغل الرجل عني ولن يجدني بعد ذلك لهواً ممتعاً له ، فلا خوف منه بعد الآن .

كان الثمل حين دخلت هذه السيدة يحني ظهره على الطاولة باسطاً ذراعيه وممسكاً الكاس باصابعه العشرة يفحص ثمالتها . وحين صارت السيدة الى جانبه رفع رأسه اليها من غير اكتراث ملحوظ ، أو انه التفت الى وجودها الى جانبه أكثر مما أراد النظر اليها ، إلا انه سرعان ما اعتدل وبدا عليه الاهتمام ، ومن ثم وقف لها مترنحاً وهو يصطنع الاحتشام ، ثم ابتسم لها مثل الابتسامة الفاترة التي خصّني بها عندما دخلت البهو ، لولا ان هذه الابتسامة صارت شيئاً فشيئاً تزداد توددا وتبسطاً ، وكان واضحاً ان هذا الرجل في أشد حالات السكر ، فلا يفتح عينيه إلا

ليتبين الكاس في طريقها الى فمه ، ثم يعود فيغمضهما حتى لا يدور المكان برأسه ، ومع ذلك فقد اتخذ موقف الاحترام من هذه السيدة ، ودعاها بأدب وتحفظ الى طاولته ، فاقتعدت السيدة كرسياً قبالته ، بينما عاد الرجل وتكوّم في مكانه وهو لا يحيد ببصره عنها ، ثم أفرغ في فمه ما كان باقياً في كاسه ، وعاد يتفحص وجهها وشعرها ، ثم خفض رأسه ينظر الى صدرها وملبسها ، وبعد ذلك اعتدل قليلًا وظهر عليه انه انتهى من هذا الفحص بالاعجاب أو بالرضا التام ، وقال :

- أهلًا بفتاتي الجميلة ، أنتِ الآن ما يتطلبه الموقف ، خمر وامرأة وليل في أوله .

ولم أسمع السيدة تقول شيئاً ، وحاول الرجل أن يمد اليها يده ، ولكنه اختصر الحركة واكتفى بتناول كاسه وافراغ ما فيها من الخمر في فمه ، وهو يقول :

- لقد اخفتني أول الأمر ، فظننتك زوجتي ، فأنتِ تشبهينها بقدر كبير ، ولو كنتِ هي لفسد عندي كل شيء ، وصاح صارخاً ينادي النادل . ثم قال كمن يشرح لها موضوعاً :

- أنا أشرب الوسكي بالصودا ، والسيد ذاك (وأشار باصبعه اليَّ) يشرب الشاي بالليمون ، وأنتِ يا صديقتي ماذا تريدين أن تشربي ؟

ولم تجبه السيدة بل ظلت ترنو اليه ببرود ، ولما جاءها النادل ردته باشارة من رأسها ، وعادت صامتة ترنو الى الرجل .

فقلت لنفسي : اظن انها لا تعرف اللغة الانكليزية التي يتكلمها كل من الرجل والنادل ، فان كانت من هذه البلاد فاغلب الاحتمال انها لا تعرف هذه اللغة وإلا لاجابته ، وفيما عدا ذلك فهي امرأة فاتنة بالرغم مما يظهر على وجهها من العبوس والغضب .

ثم فجأة ورد الى ذهني هذا السؤال : لماذا تعبس هذه المرأة ؟ وهي انما جاءت لتعطي الرجل أكثر بكثير مما تبخل به من تظاهر بالمرح ؟ ولكنها الآن بدأت تتكلم ، قالت للرجل بجفاء وحزم :

- لا أريد أن أشرب شيئاً .

اذن هي تتكلم الانكليزية ، فهل لم يعجبها هذا الرجل ؟ وتساءلت مع نفسي : ماذا ينقص هذه المرأة حتى تكون بغياً ، فهي في ربيع العمر وزهاء وردة الربيع وكل ما فيها يبدو فاتناً ، وحتى الصرامة في وجهها لم تكن تخفي روح الانثى التي يموت في سبيلها الرجل ، فلماذا اختارت هذه الحياة الشقية ، أما وقد انتهت الى هذا المصير فاي فرق لها بعد ذلك أن يكون صيدها من الرجال تقياً أو سكيراً فاجراً ، واذا

استكانت روحها للرذيلة ، فاي شيء عزيز بقي منها لتحافظ عليه ؟ وفجاة سمعت الرجل يقول لها :

ـ حسناً ، مثلكِ تسهر الى منتصف الليل ولا تشرب ! هذا ما لا اصدقه ، ولا يصدقه المنطق .

وسكت الرجل قليلًا شان من يتوقف ليستدرك هفوة ثم قال :

ـ لعلك تعتقدين ان عملك يفترض عليكِ أن لا تشربي ، فانت على خطا ، واني لارى انك تجيدين العمل لو انك شربت مع الزبون على أن تشربي بقدر حتى لا يفوتك تدبير الموقف ، والا فسدت بضاعتك وساء كل شيء معها . وهنا قلت لنفسي : ماذا يدفع هذا الرجل الى مثل هذه البذاءة في الكلام ، وهل هو يلتذ بالسفه الفاحش حقيقة ؟ وهو وراء متعة لا توائم هذا التصرف ! وان البهجة التي تطغى على هذا المتهتك ليست أهلًا أن يطفئها عطف امرأة ، بل هي أجدى أن تخنق صاحبها كما تخنق رقاب الحيوانات القذرة ، ثم لماذا لا تحاول هذه المرأة أن تسكته ، فان عبودية الجسد أهون بكثير من بذاءة هذا الوحش ، والعهر في هذا الموقف ليس في ما يتبعه . وبمثل هذا صرت افكر في أمر هذه المرأة المسكينة .

وتململت السيدة بضجر ونفاذ صبر ، وقالت :

ـ أنت شربت كثيراً فلماذا لا تذهب الى فراشك .

وردّ عليها الرجل وهو يضرب بكفه اليمنى على صدره باعتداد :

ـ لا تتعجلي فانا كفوء لكليهما على السواء ، للكاس وللفراش ، وسوف اريك ما عندي من ذخيرة القوى .

ومد الرجل يده الى الكاس فاخطاها فسفح ما فيها على الطاولة .. فقالت السيدة تخاطبه :

ـ أنت لا تستطيع أن تفتح عينيك ، ألا يجدر بك أن تكف عن الشرب ؟

فقال لها الرجل مفسراً ، وقد فطن الى اشارتها :

ـ نعم ، أنا لا أريد متعمداً أن أرى شيئاً ، فما في داخلي يغنيني عن كل شيء اخر ، وأراه كما أريده لا كما يراه غيري ، ومد ذراعه الى الكاس وتناولها وهو يقول :

ـ هذه الكاس تزيد في بصيرتي ولست احتاج الى بصر .

وحاولت السيدة أن تبعد الكاس عن فمه ، فمنعها بغضب مفتعل ، فقالت :

ـ أنت لا تطاق يا رجل ، وخير لي أن أتركك .

فقال لها :

ـ هذه هي لغة الزوجات .. أنتِ الآن مثل زوجتي ، تتصرفين مثلها تماماً ، فهي

لا تعطني إلا حينما أكون ثملاً ، وهي تعرف انني لا أشرب الخمر إلا لاثمل ، كما تعرف أيضاً انني لا الجأ الى ذلك إلا لسبب ، ورغم ذلك تعتلي منبرها لتنعق بالحِكم والنصائح ، انها تريدني أن افيق لاسلم روحي الى غرورها ، فاقول لها : اتركيني يا امرأة ثملاً لا يحس ولا يعي ، والموعظة الحسنة على ما أعرف لا يستحقها إلا التقاة وفي مكانات التقوى ، وإلا لكانت في الكنائس براميل الخمر أكثر من مقاعد للمصلّين .

ورأيت السيدة تزمّ شفتيها وتقول بغضب :

ـ يكفي أقول لك يكفي .

ـ حسن ، هذا آخر كاس .

قال ذلك وشربها دفعة واحدة ، وحاول أن يقوم من مكانه غير انه تهاوى فيه كسروال عتيق ، وقامت السيدة ودفعت يدها تحت ابطه لتساعده ولكنّه قاومها بإباء واستخلص ذراعه من يدها وهو يقول :

ـ هيا ، فان الفراش يجدد قوتي ، فهيا اليه كما تريدين ، (ثم قال) ولكن لا ، ابقي أنتِ هنا الآن حتى اذا ما صعدت الى حجرتي ، فاتبعيني ، وسوف اترك بابها مفتوحاً ، وإلا اذا جئتِ بصحبتي ورآك الناس هكذا الى جانبي ، قالوا انني التقطتكِ من الشارع وانكِ من بنات الليل ، وهذا ما لا يليق بي ولا يليق بكِ يا فتاتي ، مع ان امهاتهم هن الاخريات عواهر ولسن أفضل منك ، ولكنهن عواهر مرخّصات زفوا الى فرش الرجال بتصريح حكومي في مثل هذا الوقت ، وعلى ملأ من الناس دون حياء ، أما التي تذهب الى الفراش من غير تشهير فهي عاهر غير مرخّصة تحاسب على تسترها وتحفظها حساباً عسيراً . وأنتِ الآن على حسابهم عاهر غير مرخّصة ، وأنا مثلك عاهر غير مرخص .

وتخطى الرجل متارجحاً الى باب البهو ثم التفت الى السيدة يقول ، وقد خفض من صوته حتى جاء في مستوى الهمس :

ـ تعالي سراً الى مخدعي ، فالناس الشرفاء لا يحلّون صراحة الاعمال ، وسوف تكتشفين بنفسك رياءهم وعفتهم الكاذبة حين تعرفين في صباح غد انهم سيكونون وراء الباب في استعداد لخدمتنا .

واستدار الرجل خارجاً من البهو ، ثم تبعته السيدة . وجاء النادل لينظف طاولة الرجل ويرفع عنها الكؤوس . فقلت له وأنا وراء معرفة المشهد الغريب الذي مثّله ذلك الرجل والمرأة التي تبعته (على ما اعتقدت) الى حجرته . فقلت للنادل :

ـ ان الرجل مخمور ..

فاجابني النادل :

ـ انه اليوم في حالة سكر شديد لم أره في مثله قبل اليوم .

ولم يكفني جواب هذا النادل ، والمعروف عن هذا الفندق ان ينهض أحد مستخدميه باحضار إمرأة لترفه عن أحد نزلائه ، هذا ببساطة ، كما يذهب ويشتري له علبة سكاير أو جريدة من كشك على الطريق ، ثم ان الرجل تصرف بجفوة ، ونهر المرأة وأهانها دون مبرر ، والمسكينة رضخت له وتبعته كانها مربوطة اليه بحبل . هكذا قلت لذاتي بصيغة التساؤل ، واضفت هل ذهبت هذه السيدة الى حجرته فعلاً ؟ فقد تكون نفرت منه فذهبت الى حال سبيلها ، أو الى صيد آخر ، فسألت النادل :

ـ هل ذهبت تلك المرأة اليه ؟

واجابني النادل ، باقتضاب :

ـ لا بد .

وازددت تحرقاً الى الاستطلاع عن أمر الرجل والمرأة ، فلماذا (لابد) أن تذهب اليه ، وكيف استدرج النادل الى أن يوضح لي هذا الأمر . والساقي باحتمال كبير يعرف الكثير عن الرجل وربما عن المرأة أيضاً ، ألم يجيء بها هو بنفسه الى الرجل ؟ ألم يغلق فم الرجل بكلمة سرّها في اذنه ، فكيف اسأل النادل ، أقصد كيف اضع سؤالي حتى لا يهرب من جواب ما أريد معرفته ؟ كيف جئت اليه بهذه المرأة ؟ هذا سؤال فيه الكثير من الإهانة للسيد النادل . ثم يجوز انها جاءت اليه بنفسها على موعد سابق معه ، وان النادل لم يكن إلا الدليل ليوصلها الى مكان الرجل في البهو ، لا أكثر من ذلك .

هل أقول للنادل : ما كان للرجل أن يكلم المرأة بذلك الاسلوب غير اللائق ؟ هل سيدفع هذا السؤال النادل الى الادلاء بكثير من المعلومات التي احب استطلاعها ، ربما يهز النادل كتفه ويكتفي ، ولما تذكرت ان الرجل لم يذكر لتلك المرأة رقم حجرته في الفندق ، والفندق طوابق وحجرات بالمئات ، تساءلت كيف ستصل اليه ؟ وهل سيقوم النادل بهذه الخدمة أيضاً ؟ وقررت أن ألقي على النادل هذا السؤال :

ـ كيف ستعرف تلك المرأة حجرة ذلك الرجل من دون الحجرات الكثيرة ؟

ورأيت آنياً ان هذا السؤال لا يخلو أيضاً من إحراج للسيد النادل ، وحرت في ايجاد سؤال مناسب ، واردت أن اطرح الفكرة عموماً ، فمالي ولهذا الرجل ولهذه المرأة وأمرهما لا يعنيني . غير اني كنت موضع الحديث الذي دار بين النادل والرجل الثمل ، أفلا يبرر ذلك اهتمامي بمعرفة أمر الرجل ، وتمسكت بهذه الحجة وسألت النادل :

ـ ليس من اللياقة أن يتحرش ذلك الرجل بي .

وردّ عليّ النادل :

- انه فاقد وعيه يا سيدي ، واني لآسف على ذلك .
فقلت له وقد ركبني حب الاستطلاع :
- وهذه المرأة المسكينة ما ذنبها ؟
فاجابني النادل ببرودة المهني :
- لقد التبس عليه الأمر من فرط ما شرب يا سيدي .
وسألته :
- أي أمر التبس عليه ؟
فقال :
- هي زوجته يا سيدي ، وقد حسبها من فتيات الليل .

لجنة تنشيط البحث العلمي بكلية الطب / ١٩٧٠

شكّلت لجنة لتنشيط البحث العلمي في كلية الطب برئاسة الدكتور (كمال السامرائي) وعضوية كل من الدكتور محمد الدباغ ، والدكتور فرحان باقر ، والدكتورة سعاد القصاب والدكتور عبدالرحمن عبدالغني ، ودرست حسب طلب عمادة الكلية موضوع البحث العلمي في كلية الطب وطرق تنشيطه ، ورفعت الى العمادة تقريرها الآتي :

السيد عميد كلية الطب ..

اشارة الى الأمر الاداري من دائرتكم رقم ١٣٤٣ وتاريخ ١٧ / ١١ / ١٩٧٠ .

اجتمعت اللجنة التي ورد ذكرها بكتابكم اعلاه وأقرت ما يلي :

١ - البحث في العلوم الطبية ضرورة علمية على الجامعة دعمه وتحقيقه بكل الوسائل وبأي كلفة .

٢ - لا يمكن تنشيط البحث العلمي في الطب ما لم يتوفر له ما يأتي :

(أ) توفير الوقت الكافي للبحث ، ويكون ذلك بتخفيض نصاب الباحث من المحاضرات أو بتفرغه للبحث . والحل الاخير هو الامثل على أن يكون ذلك في مدد معينة .

(ب) توفير الامكانات المالية والآلية والايدي المساعدة والدوائر المكتبية .

(ج) جعل البحث العلمي واجباً جامعياً ليس أقل ضرورة من واجبات التعليم .

(د) حصر التمتع بالامتيازات الجامعية بالباحثين ، والحفاظ على مراكزهم في الكادر التعليمي .

(هـ) ضرورة استحداث لجنة تسمى (لجنة البحث الطبي) يمثل اعضاؤها عموم اقسام الكلية ، وتكون لها اختصاصات توصية يستجيب لها المسؤولون بالتنفيذ في كل ما يخص البحث العلمي وما له علاقة بأعمال الباحثين في محيط أعمالهم ، وليس للعمادة علاقة بهذه اللجنة إلا لمجرد العلم والاطلاع على سير العمل فيها ، وتكون اختصاصات هذه اللجنة كما يأتي :

١. دراسة موضوع البحث الذي يتقدم به عضو الهيئة التدريسية لاقرار درجة أهميته ، وتعيين المحيط والزمن الذي يتطلبه العمل لاتمامه .

٢. تتبع خطوات الباحثين لتقديم المساعدات الفكرية والعلمية والمالية التي يحتاجونها .

٣. مساعدة الباحثين على كتابة نتائج بحوثهم من حيث الصياغة والطبع وأمثال ذلك .

٤. تكون هذه اللجنة المرجع الوحيد لتقييم البحوث الطبية لغرض الترقية الجامعية الى ما قبل مرتبة الاستاذية . ويجوز للجنة أن تشرك معها عضواً أو أكثر من ذوي الاختصاص .

٥. تقديم التوصية الى مجلة الكلية الطبية لنشر ما يتم من البحوث .

٦. رفع التوصية الى المسؤولين لاشراك الباحث في المؤتمرات العالمية حين يكون في بحثه اصالة علمية أو زيادة في المعرفة الطبية .

٧. تشجيع المؤتمرات المحلية والعربية والحلقات العلمية داخل القطر أو خارجه ، وذلك بالمشاركة الفعلية أو بتزويدها بالابحاث .

٨. استزارة علماء اجانب من المعروفين بباعهم الطويل في البحث وتنظيم فعالياته .

٩. تشجيع وتوجيه طلاب الكلية أو اشراكهم فعلًا في بعض عمليات البحث ، ويشمل ذلك طلاب الدبلوم .

١٠. طلب المعونات المادية والمالية من رئاسة الجامعة لدعم اعمال الباحثين وتشجيعهم .

١١. تبويب وخزن مستلات البحوث المنشورة واصدار نشرات خاصة للتعريف بفعاليات هذه اللجنة .

اسلوب العمل في البحث العلمي

(١) يتقدم من يرغب في البحث بطلب على استمارة خاصة الى لجنة البحث العلمي الطبي لتسجيل الموضوع الذي يرغب البحث فيه مصدقة من رئيس القسم الذي ينتمي اليه .

(٢) يذكر الباحث في طلبه ، الفكرة وخطة العمل في البحث ، كما يذكر الايدي التي تشاركه في البحث ، وميدان عمله وبداية العمل فيه واحتياجاته لغرض بحثه .

(٣) تفضل اللجنة العمل المشترك بين عضوين وتعتبر حصيلة البحث انتاجاً كاملًا لكل من الباحثين عند تطبيق شروط الترقية العلمية .

(٤) لا يعتبر البحث قد وقع فعلًا ما لم يؤيد ذلك من قبل لجنة البحث الطبي ، كما على مجلة الكلية الطبية عدم نشره إلا بالشرط المذكور .

رئيس لجنة البحث العلمي

الاستاذ كمال السامرائي

ولم تحظ هذه اللجنة بدعم من العمادة ، كما لم تجتمع مرة اخرى لأي غرض .

في مكتبة منجستر بانكلترا / ١٩٧٠

في شهر آب من سنة ١٩٧٠ كنت في (منجستر) بضيافة ولدي محمد الذي كان يومئذ يدرس فيها لتقديم امتحان عضوية الكلية الملكية للمولدين والجراحين النسائيين ، ورأيت كعادتي حين أكون في أحد مدن انكلترا ان أزور مكتبة جامعة منجستر ، وكان في خاطري أن أطّلع على كتاب (الإفادة والاعتبار) لعبداللطيف البغدادي ، ان وجدته في هذه المكتبة . وقادني ولدي الى مديرة المكتبة ، فاذا هي سيدة في العقد الخامس من عمرها ، مترهلة البدن غير انها نشطة في تحدثها معي وفي حركاتها ، وقد رحبت بي بعد أن أطّلعت على هويتي ، وسألتني :

- هلّا تفضلت بالجلوس .

- أنا من بغداد ولي ولع بدراسة تاريخ الطب ، كما اني ادرّسه بكلية طب بغداد .

قالت :

- نعم اعرف ان في بغداد كلية لتعليم الطب ، وفي جامعة منجستر عدد من

طلابكم يدرسون لشهادات أعلى في اختصاصهم .
وسألتني :
ـ كم عمر كلية بغداد ؟
فاجبتها :
ـ تاسست سنة ١٩٢٧ .
ـ والتدريس فيها باللغة العربية ؟
ـ كلا باللغة الانكليزية منذ تاسيسها حتى الوقت الحاضر .
كانت هذه السيدة تريد أن تعرف كثيراً عن العراق والثقافة العربية ، فسألتها :
ـ هل سبق أن زرتِ العراق ؟
فاجابتني :
ـ كلا مع الاسف .
واضافت تقول : هي امنيتي ، فلا بد أن يكون فيه ما لا نالفه في انكلترا ، أليس كذلك ؟ فانت تعرف بلدك وعرفت انكلترا وتسهل عليك المقارنة بينهما .
وسألتني :
ـ بالمناسبة كم مضى عليك وأنت تهوى دراسة التراث الانساني في الطب ؟
فاجبتها :
ـ في الحقيقة منذ تخرجي في كلية الطب سنة ١٩٣٨ .
فقالت :
ـ عظيم ، ولا بد لديك مراجع وفيرة في هذا الاختصاص ..
ـ عندي في ذلك مكتبة لا باس بها .
ـ مراجعك من المؤلفات الانكليزية أم العربية ؟
ـ من كليهما ، الاكثر من الكتب العربية ، وهي في الحقيقة مصادر لم تنشر باللغة الانكليزية .
وسألتني :
ـ تعرف لغة اخرى غير الانكليزية ؟
ـ كلا مع الاسف .
فقالت :
ـ في الفرنسية والالمانية بحوث وكتب لا يستغنى عنها في كتابة أي بحث في تاريخ العلوم ... وقالت وهي تقطع حديثها معي :
ـ سرّني الحديث معك ، وقد تكون زرتني لغرض خاص ؟

فاجبتها :
- أريد أن أرى كتاب المشاهدة والاعتبار لعبداللطيف البغدادي ، ان كان هذا الكتاب في مكتبتكم !
فقالت :
- هيا لنر اذا كان هذا الكتاب في حوزتنا .
وفي كريدور طويل على جانبه عدد من خزانات الكتب ، وقفنا أمام خزانة كتب عليها (التراثيات الشرقية) وسحبت من درجها حرف .AB رمزاً لاسم (عبداللطيف) . وبينما كانت تقلّب بطاقات اسماء المؤلفين في هذا الدرج ، قرأت اسم عبداللطيف بكنية (اللبودي) فقالت :
- هذا هو الكتاب الذي تطلب رؤيته ، على ما أظن ، وأرجو ذلك .
فقلت لها :
- نعم انه هو الكتاب الذي اريد الاطلاع عليه ، غير ان كنية عبداللطيف هي (ابن اللبّاد) لا إبن اللبودي .
فبان عليها الاندهاش ، ونظرت اليّ باستغراب واستفهام وسألتني :
- هل أنت واثق مما تقوله ؟
فاجبتها :
- بكل تاكيد .
- لا بد انك أعرف مني ، فالمؤلف عربي ، وأنا الآن لا أعرف الفرق بين ابن اللباد وابن اللبودي .
كانت هذه السيدة كثيرة المجاملة والادب ، وقالت لي مستعلمة : تريد ان تستعيره لمدة اسبوع ، هل تريد ذلك ؟
وشكرتها وأخرجت الكتاب من مكانه في خزانة كبيرة وأخذته معي الى البيت لاقرأه على مهل .
وفي نهاية الاسبوع أعدت الكتاب الى تلك السيدة التي استقبلتني باشة وهي تقول :
- الدكتور روبرت يرغب في مقابلتك .
فقلت لها .
- يسرني ذلك ، ولكن من هو الدكتور روبرت ؟
- انه مدير قسم التراثيات الشرقية .
وقادتني الى مكتبه ، فاذا هو في مكتبة مصغرة فيها عدد لا يحصى من

المجلات والكتب على الرفوف والمناضد وعلى الارض أيضاً ، واستقبلني بترحاب قائلًا :

ـ أهلًا بك يا دكتور سامرائي ، تفضل لنتكلم قليلًا (ثم أردف) يسألني : هل أنت الذي أبديت ملاحظتك على كنية عبداللطيف البغدادي ؟

فاجبته :

ـ نعم ، فان كنيته (ابن اللباد) لا ابن اللبودي .

ففاجاني بقوله : هذا صحيح ولو عدت الى بطاقات فهارس الكتب مرة اخرى ، لرأيت اننا قد أصلحنا الخطأ ، فشكراً لك يا دكتور سامرائي .

وارد‌ف :

ـ ولكن هل يمكن أن نقول ان كنيته (ابن اللبان) بالنون لا بالدال ؟

فاذهلني هذا السؤال . فسالته :

ـ هل تعرف العربية .

ـ أعرفها بما يكفيني لتحقيق المتون العربية .

وسألته :

ـ هل قرأت هذا الاسم في مخطوطة ، اعني اللبّان ؟

فاجابني :

ـ نعم ، والمخطوطة لدينا ، كما يرد على البال احتمال هذا الاسم لتقارب رسم حرفي الدال والنون في المخطوطات القديمة .

وفعلًا ان ذلك يرد على البال للباحث الأريب .

فاعجبت بملاحظة هذا الرجل وودعته بعد قليل بعد أن تعلمت منه ضرورة الانتباه الى احتمال التصحيف في المخطوطات العربية .

أنا والدكتور نصرت عبدالحميد بلندن / ١٩٧١

شكا صديقي الحميم الدكتور نصرت عبدالحميد من ورم صغير في مغبنيه . فعرض أمره على الدكتور (عزيز محمود شكري) فرأى الدكتور عزيز أن ياخذ عيّنة من ذلك الورم لفحصها مختبرياً ، وفي اليوم الثاني ، ظهر ان الدكتور عزيز كان مصيباً حين اشتبه أن يكون الورم خبيثاً وطلب مني تلفونياً أن أحمل هذا الخبر السيء الى صديقي نصرت ، فآلمني أن أفعل ذلك لواحد من أعز أصدقائي ، فحفظته سراً طيلة ذلك اليوم مع علمي ان لا فائدة من هذا التاخير إن لم يكن فيه ضرر ، غير انني

تحايلت بذلك أملاً أن تصله نتيجة الفحص المختبري قبل أن أنقله اليه بنفسي ، وأخيراً نقلته اليه بنفسي . فقد جاء اليَّ بعد أن عجز عن الاتصال بي تلفونياً ليعرف مني نتيجة الفحص النسيجي ، وبادرني يقول والدمعة تلتمع في عينيه :

- عرفت النتيجة من هروبك مني ، انه ذلك المرض أليس كذلك ؟

ولما لم أجبه على سؤاله دفن رأسه بين ركبتيه وانخرط يبكي بحرقة ، وتبعته أبكي معه وكانه قد مات لتوه وجثته مسجاة أمامي . وتوقف نصرت عن البكاء ، ثم ذهب الى الحمام وغسل وجهه وعاد اليَّ وعلى وجهه كثير من علامات الاستسلام والاستكانة وهو يقول :

- هذا أمر الله يا كمال ، ولنفكر فيما يجب أن نعمله .

وطلب مني أن أستعلم الدكتور عزيز عن مركز خاص بلندن لمعالجة مرضه . وعلمت من الدكتور عزيز تلفونياً ان مصدر مرضه من غدة (البروستات) وان من أحسن المراكز في لندن لمعالجة هذا المرض هو الذي يعمل في مستشفى (ويست منستر) . وسالت نصرت فيما اذا كان يشكو من أعراض بولية لاعزو شكواه الى البروستات فنفى ذلك نفياً قاطعاً ، وأضاف : ان أباه قد توفي بهذا المرض في البروستات .

وشرد نصرت بفكره عني ، وفجأة قال لي :

- أنت تسافر معي الى لندن !

وفي مساء يوم ٢٤ / ٥ / ١٩٧١ كنت أنا والدكتور نصرت ، وقد حطت الطائرة العراقية ونحن على متنها ، في مطار (هيثرو) بلندن ، وبعد ساعتين تقريباً صرنا في شقة (رقم ٦) في (كوينزكيت) بلندن .

وحين فتحت عيني في صباح اليوم التالي وجدت نفسي مستلقياً على ظهري وكان ضوء النهار الذي يتسلل من خلال ستائر النافذة باهتاً ، فاستطييت الدفء في فراشي الوثير الناعم ، وتململت وأنا في مكاني ثم انقلبت على جنبي قبالة نصرت الذي كان يشاركني غرفة الشقة ، فرأيته قاعداً في فراشه ويداه ممدودتين وهو يقبض بكفيهما على ركبتيه . واستطعت في تلك اللحظة أن أتصوره يحدق بعينيه الى أبعد ما تطل عليه النافذة ، وانه يفكر بابنته الوحيدة (بشرى) وبمستقبلها وهو يعرف مستقبله القريب بمرضه ، فانا أعرف نصرت أكثر مما يعرفه أهله في بعض نواحي تفكيره وآماله ، وأعرف كم هو يحب ابنته الوحيدة (بشرى) ، فلا بد انه كان يقول فيما بينه وبين نفسه حينذاك (ان بشرى تخطو الى التخرج في كلية الطب ، وانها في هذه الساعة ما تزال في البيت تقرأ في كتبها) . وربما تذكّر انه ترك لها سيارته

لتستعملها كما تريد ، وانه يعتمد عليها في سياقتها بمهارة ، فلا خوف عليها من الاحداث الطارئة . وربما قال لنفسه انه أوصاها حين يقع لها حادث في الطريق أن تضبط أعصابها وأن تلتزم الهدوء بانتظار شرطي المرور ، وأن تكلمه بتؤدة وأدب ، وأن تقول له الصدق حتى لو كان الخطأ من فعلها .

ثم قال نصرت لنفسه (كما تخيلت) :

ـ طلبت بشرى مني أن أشتري لها حذاء وحقيبة وفستان أسود .. سوف أطلب من (جهان) أن تشتري لها هذه الاشياء ، وهي تعرف ذوق بشرى .. ان البنات يعرفن بعضهن بعضاً . كان كل ذلك من تخيلاتي ولم أسمعه منه .

واستدار وهو في فراشه نحوي وسألني :

ـ ماذا يعني الحلم الذي رأيته ليلًا ؟ (كانت بشرى تسوق السيارة ، وكنت أجلس الى جانبها لتحملني الى مطار بغداد ، وفيما كنت أقبّلها قبل دخولي الى دائرة المطار خذلتني اعصابي فانحدرت الدمعة من عيني ، فدفعتها عني لكي لا ترى عيني وأنا لم اكمـــل بعـــد تقبيلها كما اريد . كم آلمها مرضي ، وكم ستؤلمها وفاتي !) .

كنت أتطلع الى قفا نصرت الواسع المحدودب حين كان غارقاً في تأملاته ، وانقلبت على جنبي فلم تلفت حركتي انتباهه . وبقيت هادئاً أقرأ أفكاره . ثم التفت نحوي وألقى عليَّ نظرة عابرة لا تأمليّة ، ثم عاد يتطلّع الى بعيد من خلال النافذة ، وسمعته يقول لي :

ـ صباح الخير يا طير .

وهي تحيته معي في مثل هذا الموقف . وقال :

ـ حلم غريب

ـ خير ان شاء الله ، حلم آخر ؟

ـ رأيت بشرى في منامي وهي تودعني على رصيف مرفأ وقد يكون ذلك في بيروت ، وبقيت في مكانها وهي تنظر اليّ والباخرة تبتعد شيئاً فشيئاً حتى فقدت رؤية بشرى بين ازدحام المودعين .

فقلت له :

ـ هذه رؤيا حسنة يا نصرت .

فقال وهو يعلم ان ليس لي معرفة بتفسير الاحلام :

ـ نعم حسنة .

وبعد لحظات سألني بصوت خفيض كما لو انه يسأل نفسه :

ـ هل يحتمل أن أشفى من هذا المرض ؟
واردت أن أقول له شيئاً يطمئنه ، فعاجلني بالقول :
ـ اريد أن أرى بشرى طبيبة ، ثم الموت حق .
ـ سوف تراها عما قريب طبيبة ، وسوف تراها أماً باذن الله ورحمته .
ـ اذا لم يكن من حظي أن أراها طبيبة فارجو من الله أن يجنّبني العذاب والالام .
واردت أن أبعده عن هذه الهواجس فقلت له :
ـ ساعة تسعة ، هيا انهض يا كسلان .
ورفع معصمه الى مستوى عينيه ليتاكد من الوقت في ساعة يده ، ونهض وخطا وئيداً الى النافذة ، وأزاح الستارة عنها ، ومدّ عنقه ينظر الى الشارع . وسألته :
ـ تمطر ؟
فاجابني :
ـ الأرض مرطوبة وتلتمع ، يجوز انها أمطرت في الليل .
واتجه نحو الحمام وهو يسعل بصوت جهير ، وهذه هي عادته اذا تنحنح أو سعل ، ووصل الى الحمام ودخله واغلق بابه وراءه ، وفي لحظات سمعته ينشج بكبت . وقمت أنا وخطوت نحو المطبخ ، وملات ابريق الشاي ماءً ، ووضعته على الموقد الكهربائي . ثم جهزت الاكواب على مائدة الافطار الصغيرة المركونة في زاوية الى جانب موقد المطبخ . وما كدت اذيب الزبدة في (الطاوة) حتى انفتح باب الحمام وخرج منه نصرت واتجه نحوي بحماس مفتعل وهو يقول لي مشيراً الى تحضير الفطور :
ـ هذا مو شغلك (واضاف) ولنتفق من الآن ، فانا اجهز الشاي والبيض المقلي ، وأنت تستحضر الاكواب على المائدة ، ثم تغسلها بعد أن ننتهي من تناول الفطور وتعيدها الى أماكنها على رفوف المطبخ ، اتفقنا ؟
فاجبته :
ـ اتفقنا .
ثم ضحك واضاف :
ـ وأنت تدفع ثمن المكاسير لصاحب الشقة .
ورن جرس باب الشقة ، فقلت هذه هي ابنتي جهان .
فقال نصرت بتهكم ، وهو ينظر الى ساعة يده :
ـ الساعة العاشرة بالضبط (واضاف) بنت كمال السامرائي صايرة انكليزية

في ضبط مواعيدها ، فقم أنت وافتح الباب لبنتك .

وقمت الى باب الشقة ، فلما فتحته لم أر جهان عند الباب ، بل كان طارقاً لا نعرفه وقد ضغط على زر جرس شقتنا خطأ .

وعدت الى نصرت حين كان يستحضر علبة من حلوى (من السما) حملها معه من بغداد هدية للطبيب الذي سيتولى علاجه ، وسألني :

- مَن في الباب ، جهان ؟

فاجبته :

- لم تكن جهان بل رجل أخطا في الضغط على جرس شقتنا .

فقال لي :

- مدحتها ، عبالي صايرة انكليزية، انها مثل أبيها تبقى سامرلية .

وفي لحظات دق جرس الشقة مرة اخرى ، فاذا هي جهان .

وغادرنا الشقة سوية ، واستقللنا قطار تحت الأرض الى مستشفى ويست منستر وهو يحمل بيده علبة (من السما) . وترجلنا من هذا القطار واتجهنا نحو المستشفى ، وفجاة تسمّر نصرت في مكانه وهو يقول بفزع :

- (من السما) ؟، نسيته في القطار . (ثم قال) لم يبق عندي عقل ! (وسكت برهة) ثم قال : هذه بداية سيئة .

لقد كان في داخل نصرت آلاماً أنسته كل شيء إلا مرضه الخبيث .

وبعد اسبوعين عدنا الى بغداد ، وفي ظهر يوم ٢٠ / ٨ / ١٩٧١ توفي صديقي العزيز نصرت .

تكريم الاستاذ الدكتور صائب شوكت من قبل قسم الجراحة بمدينة الطب ٤ / ٩ / ١٩٧١

لم يُدعَ الدكتور صائب شوكت الى يوم افتتاح (مدينة الطب) مع انه كان أول من فكر بانشاء هذا المستشفى ، وهو وحده الذي ناضل بكل الوسائل لتحقيقه ، وهو الذي جاء به من الخيال الى الواقع . وارتأى قسم الجراحة في هذه المدينة أن يكرم الدكتور صائب بوصفه أول جراح عراقي في كادر كلية الطب والمستشفى الملحق بها ، وكتعويض لما فات على لجنة افتتاح المستشفى أن تدعوه لحضور يوم افتتاحه .

واجتمع جراحو مدينة الطب ورؤساء اقسام الكلية الطبية في قاعة المحاضرات

اليسرى من الطابق الثالث في انتظار مؤسس الطب الجراحي في العراق ، وصاحب فكرة انشاء مدينة الطب الاستاذ صائب شوكت ، وحضر في الوقت المحدد ، وقد استحضر له قسم الجراحة مخططاً لمدينة الطب تعلوه صورة فوتوغرافية للدكتور صائب . وتقدم منه الدكتور يوسف النعمان وخاطبه قائلًا :

ـ (قرر قسم الجراحة في مدينة الطب أن يبدي لك امتناننا واعترافنا بفضلك في تأسيس هذا المستشفى ، ونحن جميعاً ، الجراحون وغير الجراحين انما وصلنا الى ما وصلنا اليه في اختصاصاتنا بدروسك العلمية والاخلاقية التي تلقيناها منك . وليس أعمق معنى ولا أكثر اعترافاً منا بأفضالك علينا من أن نقدم لك مقصاً طبياً رمزاً لفن الجراحة التي تعلمناها منك) وأخرج الدكتور يوسف من حقيبته مقصاً ما زال مغلفاً بورق المعمل الذي صنعه ، وتناوله الاستاذ صائب وهو يبتسم . وقال واحد ممن حضر هذا الاحتفال المتواضع يخاطب الدكتور صائب :

ـ كلمة يا استاذنا

والدكتور صائب لا يجيد الخطابة ، فلم يقل أكثر مما يلي :

ـ انني أشكر كل من فكر في تكريمي وأتمنى لهذه المؤسسة دوام الازدهار ولكم دوام التقدم .

تعليمات منح لقب استاذ متمرس

عممت عمادة كلية الطب على اقسام الكلية الكتاب الآتي :

أولًا : قرر مجلس جامعة بغداد بجلسته الاولى لعام ١٩٧٠ / ١٩٧١ المنعقدة بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٧٠ ما يلي :

١ ـ يقترح مجلس القسم المختص على مجلس الكلية المعنية منح لقب « استاذ متمرس » الى عضو القسم ممن هو بمرتبة « استاذ » والذي احيل على التقاعد مع نبذة من حياته وخدمته وانتاجه العلمي .

٢ ـ يوصي مجلس الكلية المعنية مجلس الجامعة بمنح اللقب الى العضو المذكور .

٣ ـ لمجلس الجامعة بناءً على توصية مجلس الكلية منح لقب « استاذ متمرس » الى العضو المذكور ، مع جميع الحقوق والامتيازات التي يخولها هذا اللقب ، والمدرجة أدناه .

٤ ـ يحضر العضو في الجلسة التالية لمنحه اللقب ، جلسة مجلس الجامعة ، ويبلغ بالقرار من قبل رئيس الجامعة ، ويمنح معه وسام جامعة بغداد .

٥ ـ يعلن قرار مجلس الجامعة بمنحه اللقب في الصحف المحلية .

الحقوق والامتيازات :

يخول هذا اللقب الشخص الممنوح له الامتيازات الآتية :

١ ـ الاحتفاظ بمكتب في القسم أو الكلية التي كان يعمل فيها ، وعنوانه لاستلام الرسائل الموجهة اليه .

٢ ـ الاستفادة من باقي مؤسسات الجامعة كالمكتبة العامة ، وصحة الجامعة والمختبرات وغيرها وكانه استاذ فعلي .

٣ ـ تزويده بصورة من التعليمات الصادرة من الكلية أو الجامعة .

٤ ـ تكليفه بالقاء بعض المحاضرات المنهجية أو غير المنهجية ، والاشراف على رسائل الدراسات العليا ، ان رغب في ذلك .

٥ ـ تكليفه بالاشتراك في بعض اللجان ، ان رغب في ذلك .

٦ ـ التمتع بكامل حقوق الاستاذ ، فيما يخص البحث العلمي والتاليف والترجمة والنشر وغير ذلك من مجالات الانتاج العلمي .

٧ ـ الاشتراك في الفعاليات الاخرى في القسم أو الكلية أو الجامعة كالسفرات الجماعية والحفلات وحفلات التخرج وغيرها من الفعاليات .

٨ ـ تعمل الجامعة على نقل رواتبه التقاعدية الى الكلية أو المعهد أو المؤسسة التي كان يعمل فيها قبل تقاعده .

ثانياً : قرار مجلس جامعة بغداد بجلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٧١ .

أولاً : اعادة صياغة الفقرة الاولى من تعليمات منح اللقب المذكور بالشكل التالي :

يقترح مجلس القسم المختص الى مجلس الكلية المعنية منح لقب (استاذ متمرس) الى عضو القسم الذي هو بمرتبة استاذ والذي احيل على التقاعد ممن كان مبرزاً في اختصاصه ببحوثه ومؤلفاته مستمراً على البحث والتقصي وقد ساهم مساهمة فعلية في تطوير القسم أو الكلية أو الجامعة مع نبذة من حياته وخدمته وانتاجه العلمي .

ثانياً : اضافة الحقوق والامتيازات التالية الى ما ورد فيها في التعليمات السابقة والتي تتطلب اصدار تشريع خاص بها :

أ ـ التمتع بحق الايفاد الى المؤتمرات والزيارات وغيرها على نفقة الجامعة وبشروط عضو الهيئة التدريسية نفسها .

ب ـ التمتع بحقوق السلفة الممنوحة الى اعضاء الهيئة التدريسية .

جـ ـ التمتع بحقوق المعالجة الطبية داخل العراق أو خارجه الممنوحة لاعضاء الهيئة التدريسية .

ثالثاً : قرار مجلس جامعة بغداد بجلسته الخامسة عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٧ / ٦ و ١ / ٧ / ١٩٧٩ .

١ ـ أن يكون الهدف من ارتباط الاستاذ المتمرس بالجامعة تحقق استمراره في عمله ومسؤولياته التي كان يمارسها قبل احالته على التقاعد .

٢ ـ وأن يعامل معاملة الاستاذ الاقدم في الخدمة الجامعية في كل ما له علاقة بذلك ، وفي جميع النشاطات التعليمية النظرية منها والعملية في الكليات والاقسام التي ينتمي اليها سواء في نشاطها الداخلي أو في علاقتها الثقافية والعملية في القطر العراقي وغيره من اقطار الوطن العربي والبلدان الاجنبية الصديقة ، وذلك بتيسير حضوره الندوات والمؤتمرات واللقاءات القطرية والعالمية وتبادل الاساتذة والباحثين والزائرين وتقديم ما يطلب اليه من مهمات استشارية في مجال اختصاصه وخبرته اسوة بالاساتذة الاقدمين في الجامعة سواء من حيث الحقوق والواجبات والخدمات الصحية والادارية والانسانية ومخصصات الخدمة الجامعية التي يتقاضاها الاساتذة الاقدمون في الخدمة الجامعية ويعتبر قيامه بذلك بمثابة تفرغ .

٣ ـ مفاتحة وزارة الخارجية العراقية بمنح الاستاذ المتمرس جواز خدمة واهتمام المستشارين الثقافيين أو من يقوم مقامهم عند وجودهم في بلد اجنبي لغرض من الاغراض التي يشملها التعليمات الخاصة بهذه المرتبة الجامعية ، لما في ذلك من تيسير للتعاون الثقافي والعلمي والاطلاع على التقدم العلمي والمناهج ورفع سمعة العراق .

٤ ـ العمل على اشتراك الاستاذ المتمرس في صندوق الضمان الصحي بجامعة بغداد .

٥ ـ ادراج اسماء الاساتذة المتمرسين في دليل الجامعة والكلية التي ينتسبون اليها .

مقترحـــات الجامعـــات

● **جامعة الموصل**

ترتأي الجامعة المذكورة اضافة المقترحات والتعديلات التالية على تعليمات منح لقب استاذ متمرس التي سبق لمجلس جامعة بغداد أن أصدرها :

١ - يقترح مجلس القسم المختص الى مجلس الكلية المعنية منح لقب (استاذ متمرس) الى عضو القسم الذي هو بمرتبة استاذ والذي احيل على التقاعد ممن كان قد ساهم مساهمة فعلية في تطوير القسم أو الكلية أو الجامعة ثم يوصي مجلس الكلية المعنية الى مجلس الجامعة بمنح اللقب الى العضو المذكور .

٢ - عند منح لقب (استاذ متمرس) للعضو المذكور من قبل مجلس الجامعة يحضر المرشح في الجلسة التالية لمجلس الجامعة ويبلغ بالقرار من قبل رئيس الجامعة ويمنح مدالية الجامعة التي كان ينتمي اليها ثم يعلن قرار مجلس الجامعة بمنحه اللقب في الصحف المحلية .

٣ - نقترح أن تقرأ الفقرات التي سبق وأن أصدرها مجلس جامعة بغداد كالآتي :

أ - تقرأ الفقرة (٤) كالآتي :

« يطلب اليه القاء بعض المحاضرات المنهجية أو غير المنهجية والاشراف على رسائل الدراسات العليا إن رغب في ذلك ومنحه الاجور الاضافية وفق التعليمات وكمحاضر خارجي » .

ب - تقرأ الفقرة (٥) على النحو التالي :

« يطلب اليه الاشتراك في بعض اللجان إن رغب في ذلك » .

جـ - تقرأ الفقرة (٦) كالآتي :

« التمتع بكامل حقوق الاستاذ فيما يخص البحث العلمي والتأليف والترجمة والنشر والمشاركة بالمؤتمرات العلمية العالمية وغير ذلك من مجالات الانتاج العلمي » .

د - تقرأ الفقرة (٧) كالآتي :

« الاشتراك في الفعاليات الاخرى في القسم أو الكلية أو الجامعة كالسفرات الجامعية والحفلات وحفلات التخرج وغيرها من الفعاليات إن رغب في ذلك » .

٤ - كما تقترح اضافة فقرة جديدة الى امتيازات لقب استاذ متمرس وهي :

« السماح له بالبقاء في الدار الحكومي الذي يشغله بعد احالته على التقاعد قدر الامكان » .

● جامعة البصرة

أولاً : يقترح المجلس تعديل تعليمات منح لقب (استاذ متمرس) من قبل مجلس جامعة بغداد بجلسته الاولى المنعقدة في ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠ وجلسته الرابعة المنعقدة في ٢٨ / ١١ / ١٩٧١ كالاتي :

١ ـ تاييد الفقرات ١ ، ٢ ، ٣ .

٢ ـ تعديل الفقرة (٤) بحيث تصبح كالاتي :

(يبلغ العضو بالقرار في احدى المناسبات العامة للجامعة كحفل التخرج مثلاً ويمنح مدالية جامعية) .

٣ ـ تاييد الفقرة (٥) .

ثانياً : (حقوق وامتيازات لقب استاذ متمرس) ..

٤ ـ تاييد الفقرات من (١ ـ ٨) مع تعديل الفقرة (٤) بحيث تقرأ :

تكليفه بالقاء بعض المحاضرات المنهجية أو غير المنهجية والاشراف على رسائل الدراسات العليا واعداد الدراسات إن رغب في ذلك .

ثالثاً : (تعديلات جامعة بغداد)

٥ ـ حذف الفقرة (١) .

٦ ـ تعديل الفقرة (٢) بحيث تصبح كالاتي :

أ ـ تسهيل حضوره الندوات والمؤتمرات واللقاءات القطرية والعالمية وتبادل الاساتذة والباحثين طبقاً للأنظمة والتعليمات المرعية .

ب ـ الاستفادة من خبرته واختصاصه في مجال البحوث والدراسات والاستشارات لقاء صرف مكافآت مناسبة اسوة بالاساتذة الآخرين .

٧ ـ حذف الفقرة (٣) .

٨ ـ تعديل الفقرة (٤) بحيث تقرأ كالاتي :

العمل على اشتراك الاستاذ المتمرس في صندوق الضمان الصحي لجامعته والاستفادة من كافة الخدمات الصحية والانسانية التي تقدمها جامعته اسوة بالاساتذة الآخرين .

٩ ـ تاييد الفقرة (٥) .

● جامعة السليمانية

١ ـ تؤيد ما ورد في تعديلات تعليمات الاستاذ المتمرس .

٢ ـ اضافة (توفير محل خاص له في القسم العلمي المعني) .
٣ ـ تنظيم لوحة شرف في احد مرافق الجامعة تحتوي على صور السادة الاساتذة المتمرسين في الجامعة تقديراً لهم .

● الجامعة المستنصرية

أيدت ما جاء بمقترحات مجلس جامعة بغداد المشار اليها في الفقرة الثالثة من محضر الجلسة الخامسة عشرة المفتوحة المنعقدة بتاريخ ٢٧ / ٦ و ١ / ٧ / ١٩٧٩ والخاصة بتعديل تعليمات الاستاذ المتمرس .

● الجامعة التكنولوجية

١ ـ لا يؤيد المجلس ما ورد في الفقرتين (١ ، ٢) من قرار مجلس جامعة بغداد بهذا الخصوص وذلك لتعارضهما مع مبدأ احالة الاستاذ على التقاعد .
٢ ـ يؤيد المجلس ما ورد في الفقرات (٣ ، ٤ ، ٥) من المقترح المذكور .
٣ ـ يقترح المجلس أن تقدم له كافة التسهيلات لاستعمال المكتبة والمختبرات وتشجيعه على المساهمة في حملة التعريب للاستفادة من خبراته في الترجمة والاعداد والتأليف .

وسوف ترى فيما يلي حتى سنة ١٩٩١ ، موضوع لقب الاستاذ المتمرس يُبحث بتكرار ولم ينفذ لصالح الاستاذ المتمرس بند واحد منه .

لقب (متمرس) للاستاذ المتقاعد ١٠ / ٧ / ١٩٧٠

التفت الدكتور عبداللطيف البدري حين رأس جامعة بغداد الى تكريم بعض اساتذة الجامعة المتقاعدين بلقب (استاذ متمرس) معارضة لكلمة (أمريتوس) التي تمنحها الجامعات البريطانية لبعض الاساتذة المتقاعدين الذين يستحقون التكريم ، فكتبت اليه الرسالة الآتية :

عزيزي أبو رفل :

تباعدت مقابلاتنا فلا سبيل إلا أن نتخاطب بالمكاتبة ، ولديَّ الآن (دردشة) معك ، كانت تتم أمثالها مع المرحوم مصطفى جواد تلفونياً . ودردشتي معك فيما يخص لقب (استاذ متمرس) الذي استحدثتموه قبل أسابيع ، فابدأ بها بالكلمة الاصل (مرس) ..

ـ مَرسَ معناها دعك شيئاً بشيء ، ومنها (المريس) وهو الطعام المعروف .

ـ مارس : بمعنى زاول وعالج ومنها (الممارس) .
ـ مَرِسٌ : هو صاحب تجربة وخبرة في اختصاصه .
ـ تمرّس : معناها تدرب وقد تأتي بمعنى احتكّ .
ـ متمرس : وردت في (اساس البلاغة) بمعنى شجاع لا يناله العدو . ولم يرد هذا المصطلح في أي معجم آخر بهذا المعنى .. وعدا ذلك فان صيغة (متمرّس) للاستاذ الجامعي لا تضمن امتيازاً خاصاً في التجربة ينفرد به المتقاعد الذي يناله التكريم مما يتوفر في الاستاذ قبل التقاعد وإن كان حديث العهد بهذه المرتبة الجامعية . وعلى ما تقدم فثمة لقب تكريمي آخر غير ما ذكرتموه وهو (الاقدم) وفي اصول هذه الكلمة كما أوردته معاجم اللغة معنيان ، الاول بمعنى المكانة الامامية أو الأولى بين صفوف الزمرة الواحدة ، فيقال فلان (قَدِمَ) القوم ، أي كان أمامهم ، فهو أقدمهم ، أي أولهم . والمعنى الثاني هو الشرف القديم في (تكوين ما أو حدث ما) وهذا مأخوذ من القدم فيقال (فلان له قدم في هذا الأمر) أي له شرف فيه قديم . هذا فضلًا عن ان في كلمة (أقدم) معنى بالقدم في الخدمة من حيث المدة وهي صفة المتقاعد الأولى . والمعاني الثلاثة في كلمة (أقدم) هي بالفعل صفات الاستاذ المتقاعد الذي يستحق التكريم الجامعي لخدمته الطويلة وكفاءته العلمية وما قدمه من فائدة في وقت من الاوقات . ولو عدنا الى لقب الامريتوس الانكليزي كما تفسره القواميس وما يستلزم له من شروط لمنح هذا اللقب لوجدناه ينطبق تمام الانطباق على المعاني الثلاثة التي ذكرتها فيما تقدم . ودامت عافيتك يا أبو رفل ونحن مشتاقون .

المخلص

كمال السامرائي

الدكتور أرنولد كبسون ١٥ / ٧ / ١٩٧٠

كنت أشكو من بعض الاعراض المرضية العارضة . وفي يوم ١٥ / ٧ / ١٩٧٠ حين كنت في لندن طلبت من أحد الاصدقاء موعداً من الدكتور (أرنولد كبسون) . ولم أكن قد سمعت باسم هذا الطبيب إلا حين استقدم الى بغداد لفحص السيد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر ، فاكتسب من أهالي بغداد شهرة في الطب عند من علم بهذه الزيارة . وفي الوقت الذي حددته سكرتيرة هذا الطبيب ، كنت أمام هذه السكرتيرة في عيادة الدكتور أرنولد كبسون ، وهي فتاة جميلة لا تخلو

ملامحها من المعالم الصينية وبخاصة في عينيها الممطوطتين نحو صدغيها البضين ، وسألتني وهي تبتسم :

- الاستاذ السامرائي ؟

فلما قلت لها :

- نعم ، أنا السامرائي .

قالت :

- تفضل في غرفة الانتظار ، وسوف يستقبلك الاستاذ كبسون بعد دقائق ، فانه على وشك الانتهاء من فحص مريضه .

وفي غرفة الاستقبال جلست قبالة مدفاة كبيرة مشيدة بالحجر ، صفّت على رفها المرتفع بعض الصور الشخصية ، عرفت من بينها اثنين من شيوخ الكويت ، وعلى يسار المدفاة تلفزيون رأيته يعرض رجلًا يتكلم بالانكليزية في موضوع يخص اسرائيل وفلسطين ، وفيما صرت أندمج مع حديث هذا المتكلم انفتح باب الغرفة ومدت رأسها تلك السكرتيرة الفتية ، وهي تحمل دفتراً بيسراها وقلماً جافاً بيمناها ، وطلبت مني أن أملي عليها كامل اسمي ، وسني عمري ، ومحل اقامتي بلندن ، ومهنتي ، ثم طلبت مني أن اتبعها الى غرفة اخرى جانبية ، وفي هذه الغرفة طلبت مني أن أخلع جميع ملابسي وارتدي جلباباً واسعاً أخضر اللون كان معلقاً الى جانب منضدة فحص ، ثم قالت لي : اذا اتممت ذلك فاضغط على هذا الزر ، واشارت الى زر قريب من منضدة الفحص ، ثم عادت اليّ وربطت اطرافي بمشدات الى جهاز ECG ، كما الصقت مشدات على جانب صدري الايسر . وبعد نحو دقيقة والجهاز يعمل في تسجيل ضربات قلبي سحبت الشريط التي انطبعت عليه الامواج القلبية . وكان جو الغرفة حاراً ، فقلت لها :

- الجو حار ، أليس كذلك يا آنسة ؟

فقالت لي :

- هو رطب أكثر مما هو حار (ثم قالت) تفضل الآن الى الاستاذ وتبعتها الى غرفة الاستاذ كبسون .

بدا لي كبسون في العقد الخامس تقريباً ، طويل القامة ، معروق الوجه ، وكان يرتدي قميصاً من الحرير الشكري اللون بلا رباط . واستقبلني باشاً ، وعاد يجلس وراء منضدته الفخمة المعمولة من خشب الساج اللمّاع . أما أنا فجلست على كرسي قريب منه أوما اليه بيده ، وسألني :

- استاذ في الطب ؟

- في الامراض النسائية والتوليد .

- البارحة زارتني سيدة عراقية وقد ذكرت لي اسمك فيما قالت لي عن الاطباء الذين استشارتهم في بغداد (ثم سالني) هل أنت السامرائي الجراح النسائي أم اني اخلط بين الاسماء الذين قابلتهم في بغداد ؟

فقلت له باقتضاب :

- أنا السامرائي الذي يختص بالامراض النسائية ، (وسالته) :

- هل زرت بغداد يا استاذ كبسون ؟ وأنا أعرف انه زارها ولكني اردت أن أتكلم ، فسالت هذا السؤال ، فأجابني :

- زرتها مرتين .

ولم يذكر انه ذهب اليها بدعوة لفحص السيد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر ، وأطال الكلام في مواضيع ليس لها علاقة بالطب ، ومما قاله انه لا يستقبل مريضاً بعد الساعة الواحدة . واستطرد يتكلم عن جو بغداد المشمس . كما ذكر لي اسم طبيبين عراقيين عرفهما عند زيارته لبغداد . وبعد كل ذلك قال :

- لنعد الآن الى ما تشكو منه .

وبدأت أعرض عليه ما أشكو منه .

- دوخة طارئة ، وأحياناً احس بما يشبه الاغماء ، وقد حدث ذلك أول مرة في عام ١٩٦٢ ، وهي تتكرر مرة في الاسبوع أو نحو ذلك ، ولكنها تكررت أكثر من مرة في الاسبوع الماضي .

وشرع يفحص باللمس والتسمّع الى ضربات قلبي وحركة الرئتين ، كما قاس ضغط دمي مستلقياً وواقفاً . وبعد كل ذلك قال :

- لم أجد مرضاً في القلب ولا في الأوعية الدموية .. واعتقد ان شكواك مردّها استهلاك السكر في دمك ولا خوف من ذلك ، وقد يساعدك تناول الحلويات بين وقت وآخر .

(وختم كلامه وهو يقول) : ساراك في بغداد بلا شكوى باحتمال كبير .

وعدت الى الغرفة التي خلعت فيها ملابسي وارتديتها على مهل ، وتوجهت الى السكرتيرة لاسالها عما يجب أن أدفعه عن هذه الزيارة ، فوجدت كبسون واقفاً الى جانب منضدتها وبادرني يسال وأنا أخرج من جيب سترتي حافظة باوناتي :

- لا بد أن نتناول العشاء معاً يا استاذ سامرائي ، فمتى ؟

فاعتذرت منه بحجة احتمال مغادرتي انكلترا في يوم غد ، وفي هذه اللحظة سمعت السكرتيرة تقول لي :

ـ عشرون پاوناً من فضلك !

ودفعت لها هذا المبلغ وغادرت عيادة الدكتور كبسون وأنا أقول لنفسي : هذا الرجل غريب ، يدعوني الى تناول العشاء معه وهو يراني أدفع لسكرتيرته عشرين پاوناً . وأخذت طريقي عائداً الى شقتي برولاند هاوس وبعد نحو ساعة اتصل بي الصديق يسألني عما يراه الدكتور كبسون في شكواي . فقصصت عليه حكاية دعوته الى العشاء بينما سكرتيرته تطلب مني دفع أجر فحصه لي ، فقال لي :

ـ الانكليز اليوم ، اطباء وغير اطباء همهم الأول جمع المال .

مؤتمر تنظيم الاسرة في الرباط / ١٩٧١

في يوم ٤ / ١ / ١٩٧١ وصلتني دعوة من منظمة (تنظيم الوالدية) في بيروت لحضور مؤتمر (الاسلام وتنظيم الاسرة) . وفي هذه الدعوة يخولني مدير المنظمة الدكتور عصام الناظر أن أدعو باسمه شخصين لهما معلومات واهتمامات في موضوع تنظيم الاسرة . فدعوت كلًا من الاستاذ نورالدين الواعظ وهو محام ومشاور أمانة العاصمة ، والاستاذة لمعان زكي الاختصاصية بأمراض الأطفال ، وسافرنا معاً الى الرباط عن طريق بيروت .

وفي ما يأتي صورة دعوة المنظمة لحضور هذا المؤتمر :

الى الاستاذ الدكتور السامرائي

يقوم المكتب الاقليمي للشرق الأدنى للاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية بالترتيبات لعقد مؤتمر حول « الاسلام وتنظيم الوالدية » في مدينة الرباط بالمملكة المغربية في الفترة الواقعة بين ٢٦ و ٣١ كانون الاول سنة ١٩٧١ .

ان عدد المشتركين في هذا المؤتمر سيكون محدوداً ويقتصر على من توجه اليهم الدعوة من المسلمين من مختلف الدول الاسلامية وغيرها من الدول التي يوجد فيها عدد كبير من المسلمين . وسيضم المشتركون عدداً من علماء الدين الاسلامي والفقهاء في الشريعة الاسلامية والثقات في الطب والعلوم الاجتماعية والفلسفة وعلم الاجناس والدراسات السكانية والاقتصاد والنمو الاجتماعي .

ان الهدف الرئيسي من هذا المؤتمر هو استحداث وثيقة اصيلة ومعتمدة حول « الاسلام وتنظيم الوالدية » وذلك لاستعمالها كمرجع معتمد في العالم الاسلامي .

أما اللغات التي ستستعمل في المؤتمر فهي العربية والانكليزية والفرنسية مع

ترجمة آنية لكل منها .

وسيناقش المؤتمر نظرة الاسلام وتكيفه بما يتناسب وقضايا العصر في الموضوعات المتعلقة بصميم البحث الرئيسي « الاسلام وتنظيم الوالدية » وهي كالتالي :

١ ـ نظرة الاسلام الى الاسرة في مجتمع متطور

٢ ـ الاسلام وتنظيم الوالدية

٣ ـ موقف الدين الاسلامي من الاجهاض

٤ ـ موقف الدين الاسلامي من التعقيم

٥ ـ الاسلام والمجتمع والتطور

مدة المؤتمر خمسة أيام وفي كل يوم يدور البحث حول موضوع واحد من المواضيع الخمسة المذكورة حيث يقدم بحثين رئيسين يقدم أحدهما عالم من علماء الدين أو الفقه الاسلامي ويقدم الآخر أحد الثقات ذوي الاختصاص في الموضوعات الاخرى الوارد ذكرها ، وبالاضافة الى هذين البحثين الرئيسين تقدم بحوث تكميلية قصيرة حول النواحي المختلفة لذات الموضوع يقوم باعدادها بعض اعضاء المؤتمر المختصين بذلك الموضوع والمهتمون به . وتشكل جميع هذه البحوث المادة الاساسية للمناقشة في المؤتمر . هذا وستوزع البحوث الرئيسية والتكميلية على الاعضاء مسبقاً لدراستها .

أما برنامج العمل اليومي في المؤتمر فهو كالاتي :

صباحاً :

أ ـ عرض البحوث

ب ـ مناقشة مفتوحة

بعد الظهر :

ج ـ تجتمع لجنة منتخبة من قبل اعضاء المؤتمر في ذلك اليوم لكي تحضر ملخصاً للمناقشة المفتوحة وتعد التوصيات المتعلقة بها .

د ـ جلسة مفتوحة لمناقشة تقرير اللجنة والمصادقة عليه .

والوثيقة المرجو وضعها ونشرها في اللغات العربية والانكليزية والفرنسية تتالف من جميع البحوث المقدمة وكذلك التقارير التي تتم المصادقة عليها عن المناقشات اليومية للمؤتمر .

ان الحاجة الى مثل هذه الوثيقة ملحة للغاية ، ويؤمل أن يتمخض المؤتمر عن أول وثيقة اصيلة وموثوقة من نوعها تظهر الى الوجود على شكل مرجع مطبوع .

كضيف للاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية يتكفل الاتحاد بتذكرة سفر جوية ذهاباً واياباً ودفع مبلغ عشرة جنيهات استرلينية يومياً لتغطية النفقات اليومية والفندق .

الدكتور عصام الناظر

السفرة الى الرباط لحضور مؤتمر تنظيم الاسرة - ٢٢ / ١ / ١٩٧٠

وصلني الكتاب المقدم من منظمة تنظيم الاسرة . وسافرت ومعي الاستاذ نورالدين الواعظ والاستاذة لمعان أمين زكي بالطائرة العراقية الى روما في طريقنا الى الرباط .

وصلنا مطار (الرباط - سلا) في نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وكان في استقبالنا فتاة بين الثلاثين والاربعين من عمرها . قالت : انها من جمعية تنظيم الاسرة في الرباط وانها ترحب بنا في المغرب ، واقلتنا سيارة كتب على جانبها (طاكسي صغيرة) ، وكان الطريق فيما بين المطار والرباط بهيجاً ، تحف به الاشجار ، ومعبّداً باتقان .. وأردت أن أتكلم مع سائق هذه السيارة ، فقلت وأنا أوجه كلامي اليه :

- هذا الطريق مريح وبهيج .

ولم يرد عليَّ ، وعدت أقول له بلهجة لبنانية - مصرية لاثيره الى التكلم :

- هذا البلد جميل !

فابتسم ولم يرد عليَّ أيضاً .

فقالت لي تلك الفتاة بلهجة مغربية :

- ان هذا السائق يا دكتور أخرس .

فرأيت من المناسب أن أتكلم مع هذه الفتاة ، فقلت لها :

- على جانب السيارة عبارة (طاكسي) وأظنها تعني (تاكسي) ؟

فأيدت كلامي وقالت :

- نعم ، انها تعني سيارة للأجرة . (وقطعت كلامها عن التاكسي وقالت) :

- نحن الآن في (سلا) ، وهي الجانب الايمن من النهر واسم هذا النهر (أبو رقراق) ويصب في المحيط الاطلسي .

وسألت هذه الفتاة لامرح قليلاً :

- هذا أبو رقراق ، فاين أم رقراق يا عزيزتي ؟

وابتسمت ولم تجبني .

وحين انعطف الطريق ليتصالب مع مجرى النهر ، سار في محاذاته قليلاً ، فظهر لنا من بعيد بناء ضخم يعلو مرتفعاً من الارض فقالت الفتاة قبل أن استعلم منها عنه

ـ هذا ضريح (الملك محمد الخامس) ، ودارت السيارة حول (فلكة) واسعة ثم أخذت طريقاً صاعداً ثم استوت لتعبر جسراً على نهر أبي رقراق ، ومنه وصلنا الى سور ، فقالت الفتاة انه سور المدينة وفي داخله بعض الدور السكنية والقصر الملكي .

ثم مدت ذراعها نحو مكان فسيح وقالت :

ـ هنا في الهواء الطلق تقام صلاة العيد وفيها يؤم الملك المصلين .

واردت أن اسالها ، وماذا لو كان العيد في فصل الشتاء الممطر ؟ ولكنني لم اسالها عن ذلك .

وفجاة قالت :

ـ ها قد وصلنا الى فندق (هلتون الرباط) وفيه ستقيمون ، كما ستقام فيه الاجتماعات العلمية في تنظيم الاسرة .

فقلت لها :

ـ ألهانا الحديث عن معالم الطريق فلم نسال عن اسمك يا سيدتي .

فاجابتني :

ـ اسمي صباح ، وأنا لبنانية لا مغربية .

وفندق هلتون الرباط يختفي وراء أكمة خارج الرباط ، وهو فخم البناء ، وحسن الهندسة ، وفيه صالات واسعة مخصصة للمناسبات الاجتماعية والندوات العلمية ، وفيه مطعم مغربي ومطعم أوربي ومطعم شرقي ، كما فيه مقصف في الطابق الأعلى من الفندق ، يعرفه النزلاء والندل باسم (قبة السماء) .

وفي صباح اليوم التالي اطللت من خلال نافذة غرفتي الواسعة على حديقة الفندق التي تمتد مسافة تنتهي باشجار كثيفة لم يتبين لي ما خلفها ، أما قسم الحديقة القريب من الفندق فيشمل حوضاً للسباحة ، و (باربكيو) للشواء ، وسطيحية مبلطة بالرخام الوردي وعليها تتناثر طاولات مستديرة وكراسي بالوان زاهية تتناسق مع الاشجار الغنية بالخضرة والزهور . وكان الجو في ذلك اليوم رائعاً منعشاً كايام ربيع شمال العراق . وتناولت فطوري في غرفتي الى جانب تلك النافذة لاشبع من منظر الطبيعة في هذا البلد . وحين نزلت الى بهو الفندق وجدت نورالدين الواعظ في حديث مع شخص طويل القامة حسن القيافة والوجه والى جانبهما فتاتان تلفان رأسيهما بمنديل أبيض ويلبسان ما يشبه (الجبّة) المالوفة في

العراق . قال نورالدين يخاطبني :

ـ تعال أقدمك لصديقي الاستاذ عمر بهاءالدين الاميري .

فتبادلت معه التحيات ، ثم قال لي :

ـ وأنا اقدم لك ابنتي ، وستكون في خدمتكما لرؤية معالم المدينة ، فانا مضطر أن أبقى هنا في انتظار الرئيس علال الفاسي .

وتقدمتنا ابنة الاستاذ الاميري الى سيارة أبيها ، وكان يقعد وراء مقودها رجل يلبس الجلباب المغربي التقليدي المعمول من النسيج الخشن ، والتفت الفتاة الى هذه السائق وقالت له :

ـ سي محمد ، لنبدأ بزيارة المقبرة الملكية .

وكانت تكلم هذا السائق بلهجة مغربية خالصة تتصف بالتقطيع والإمالة ، ومرت في حديثها معه عبارات لم نفهم بعضها فسألتها عما سمعته من تلك العبارات فابتسمت وقالت : (وخي) بمعنى نعم ، و (مزيان) يعني جيد ، ثم قالت : بالمناسبة ، تستطيعون أن تدعون أي شخص باسم (سي محمد) واسم محمد مألوف في المغرب وكذلك اسم عائشة ، وتصدر في الرباط مجلة باسم (عائشة) كناية عن المرأة ، ثم قالت :

ـ نحن الآن في جانب الرباط ، وتلك التي نراها عبر نهر الرقراق هي (سلا) .

(وأضافت) ولأهل أي من الجانبين تقاليد يفاخرون بها ، ويكاد الرجل لا يتزوج إلا من نساء جانبه ، كما ترفض المرأة من سلا أن تتزوج رجلًا من جانب الرباط ، وكذلك سيارات التاكسي لا تعمل إلا في الجانب الذي سجلت فيه . وكل ذلك تعصب قبلي مفتعل لا مذهبي ، على انه ليس بين البربر والعرب تعصب عرقي ، (واضافت) ورابطة الاسلام بينهم قوية ، وجميعهم تقريباً يتبعون المذهب المالكي . ومررنا في طريقنا على اسراب من النسوة ، وكان الكثير منهن يرتدين الجلباب التقليدي الذي يغطي القامة حتى القدمين ، كما يسترن وجوههن بخمار أبيض يصل الى قصبة انوفهن . فقلت للفتاتين :

ـ عندكم المرأة محافظة على ما يبدو .

فقالت :

ـ محافظون على ارتداء الجلباب كونه لباساً وطنياً لا كونه يستر كشف اجزاء الجسم المحرمة ، فان وراء هذا الجلباب أحدث الأزياء ، وقد تستحم المرأة في سواحل البحر (بالبكيني) أو ترتدي (الماكسي) في الحفلات الخاصة . ولم أكن أعرف ما عنت بلباس الماكسي ولم أسأل الفتاتين عنه غير ان الاستاذة لمعان أمين

زكي فسرته لي بصوت خفيض ، ووصلنا الى ضريح الملك محمد الخامس ، وهو مبني بهندسة تجمع بين الفن القوطي والفن الاسلامي . وصعدنا اليه على درجات واسعة ربما كانت عشرين أو أكثر ، وعبرنا مدخل الضريح الذي يقف على جانبيه جنديان بلباس متميز بألوان زاهية يكثير فيها اللون البني والاخضر ، وعلى رأسيهما قلنسوة تعلوها (كفشة) من الريش الناعم ، ويمسكان بيديهما رمحين طويلين ينتهيان بشريط أخضر اللون ينسدل حتى منتصف الرمح وكان وجها الجنديين اسمرين قاسيين ليس فيها حركة إلا في مقلتيهما التي تدور بفظاظة في محجريهما . وصرنا بعد خطوات داخل قبة عالية السقف أما قاعدتها فتنفذ الى اسفل حيث قبر الملك محمد الخامس ، فكان علينا في هذه الحال أن نحني قامتنا ورؤوسنا لنشاهد القبر تحت مستوياتنا ، وبذلك نؤدي للملك المتوفى التحية الواجبة على من يزور هذا القبر .

ويتصل بقبر الملك محمد الخامس ممر يصل الى مسجد الملك . وفي كليهما يتجلى الفن المغربي في اعمال الخشب والنحاس والفسيفساء . وقد اشترك في عمل هذه التحف الحرفيين الذين يمثلون مدن هذا القطر . وحين خرجنا الى باحة القبر في جانبه الشمالي تقدم منا (حارس) يلبس الجلباب ، ونادانا بأمر ، وكدنا نعود أدراجنا لولا أن تقدم منه شاب مغربي وأفهمه اننا ثلاثتنا من المسلمين . والتفت ذلك الشاب الينا وقال (خالكم من المسيحيين ، فلا يدخل هذا المكان غير المسلمين) .

وفي صباح اليوم الثاني بدأت فعاليات المؤتمر العلمية . وقد اشترك فيها واحد وثمانون عضواً ، يمثلون أربع عشرة دولة اسلامية كان منها مصر العربية ، وليبيا ، والجزائر ، والمغرب ، وتونس ، وجاوا ، والفلبين ، وماليزيا ، والعراق ، وتشاد ، ولبنان ، والاردن ، وافغانستان ، وتركيا ، والسودان ، وسوريا ، والكويت ، ومالي ، وموريتانيا ، ونيجيريا .. وكان من بين المؤتمرين ست نساء وخمسة من رجال الدين المعممين . كما كان من بينهم جميع الطوائف والمذاهب الاسلامية . وجرى التحدث نظامياً وموضوعياً في أكثر الجلسات ، إلا في جلسة واحدة حيث حمي وطيس المناظرات حول بعض الشكليات إلا انه لم يطل كثيراً ثم خمد .

ونظمت سفرة في عصر ذلك اليوم الى مدينة فاس التي هم أقدم عاصمة في المغرب ، وفي فاس جامعة القرويين التي تقابل في نظر المغاربة جامعة الازهر الفاطمية ، وقد تخرج فيها رجال المغرب البارزين كعلال الفاسي ومحمد الطنجي . وفي الطريق الى فاس عرفنا من الشاب المغربي الذي كان يرافقنا أموراً كثيرة عن هذا القطر العربي المسلم . قال : ان أهل المغرب لا يفرقون بين العربي والبربري طالما

هما من المسلمين ، والمسيحيون قلة لا يحسب لهم حساب . وان الصحافة في المغرب حرة تكتب ما تشاء إلا ما يمس الامور الشخصية ، وخصوصاً الذات الملكية ، واوسع صحفهم انتشاراً هي جريدة (العَلَم) بفتح العين ، وهي لسان حال حزب الاستقلال الذي يرأسه علال الفاسي ، كما عرفنا من هذا الشاب ان الملك يؤم المصلين في صلاة الجمع ، ويخطب المصلين في صلاة العيدين ، وينحر الضحايا في العيد الاضحى ، وهو مالكي المذهب كابناء شعبه المغاربة .

في قصر القباج بالرباط

في اليوم الثاني بعد وصولنا الى الرباط ، أقامت لنا وزارة الصحة المغربية دعوة عشاء في قصر القباج ، وهو أحد قصور الحكام الادارسة في المغرب ، وقد سالت عن معنى اسمه وتاريخ تشييده فلم أحصل على أجوبة متقاربة ، فاكتفيت بحاضره وما يحفل من فن العمارة والزخرفة . على انه مغمور بين بيوت تكاد تكون شعبية ، والسبيل اليه من طرق متعرجة غير فسيحة . ومدخله يؤدي الى مجاز تزينه زخارف جصية لم تبد حافظة لقِدمها فعملت بها يد الصنّاع بمهارة فائقة واصلحوا ما أتلفه الزمان منها . ولو اني لم أعرف من زميل مغربي ان هذا الاصلاح قد ادخل في سنوات متاخرة لما اكتشفت تلك الاصلاحات إلا بتدقيق وتمحيص . والصانع المغربي مشهور بدقة أعماله اليدوية التي يدخلها في زخرفة العمارة .

والمدخل الى فناء هذا القصر ينفتح الى مجاز وسيع غير طويل ، زينت جدرانه وسقفه بزخارف ومزوقات جميلة ومتناسقة . وقادنا المجاز الى باحة القصر التي لم تبد وسيعة لولا الأواوين التي تنفرج اليه من جوانبه الثلاثة . وتتوسط الباحة (فسقية) ينبعث منها الماء الزلال برقة ، وقد نثرت حولها كراسي ذات طابع قديم غير ان صناعتها الحديثة تطغى عليها . وعلى يمين الباحة ايوان واسع تتوسطه مائدة مستطيلة سرعان ما صفت على سطحها صحون بمختلف الأطعمة بما فيها الطاجين والكسكسي ، بكمية تفيض على حافات أوعيتها . ولم يلهنا التهام هذه الاطعمة اللذيذة عن التحدث في شتى المواضيع مما له علاقة بما على هذه المائدة الكريمة . وأجاد سفيرنا العراقي وهو يلتهم اللقم في وصف الاطعمة المغربية وطرائق طهوها وتناولها . وما كدنا ننتهي من تناول هذا العشاء حتى دخلت باحة القصر (شلة) من الشباب بلباسهم التقليدي المغربي المكون من جلباب بني اللون خشن الحياكة ، وتتدلى من مؤخرته عند الرأس قلنسوة من ذات نسيجه ، وهم يحملون

بايديهم آلات الطرب من عود وكمان وطبلة ورق ، واتجهوا حالًا الى كراسي بعددهم وضعت قصية عن نافورة الماء ، وكانهم عرفوا مقدماً انها اعدت لهم وليس لغيرهم ممن كان من ضيوف هذه الوليمة ، وحينذاك خلعوا عنهم اللباس المغربي التقليدي ، فاذا هم يرتدون تحته اللباس المغربي المألوف . ثم شرعوا يؤدون مهمتهم بمقدمة موسيقية شارك فيها كل من الضارب على الطبلة والضارب على أوتار العود والضارب على أوتار الكمان ، كل منهما على حدة ، ويتتابع ، بطريقة وكان بعضهم يناجي بعضاً ، بتوادد وحيناً بعتاب . ثم صاروا ينشدون التواشيح الاندلسية الشجية باصوات وانغام بالغة النعومة ، وترتفع وتنخفض كما يفعل الطير في اعالي السماء . وعلمت من زميلي الدكتور عصام الناظر ان هذه الفرقة الموسيقية حكومية وقد انتهت لتوها من اداء واجبها في اذاعة المغرب بالرباط وجاءت لترحب بأعضاء المؤتمر في هذا القصر .

لقد كانت هذه الدعوة ممتعة حقاً تستحق الاستذكار والتسجيل .

في بيت السفير العراقي بالرباط السيد فاضل عساف ـ ١٢ / ١ / ١٩٧١

بيت السفير ملك للعراق ، وهو يقع في منطقة سكنية زاهية وراقية ، دحلته بدعوة من السيد السفير عشية يوم ١٢ / ١ / ١٩٧١ ، وكانت اشجار الحمضيات على جانبي المدخل مثقلة بحملها من البرتقال والنارنج وقد بدت على أضواء الكهرباء كانها كرات من الذهب ، ومن خلال جذوع هذه الاشجار رأيت من بعيد حديقة البيت الواسعة تنيرها مصابيح الزينة بمختلف الالوان ، أما الجانب الآخر من ممشى المدخل فلم أر أكثرها بوضوح لكثافة الاشجار التي فيها .. والدار نفسها مشيدة على الطراز الاندلسي ومطعمة بلمسات مغربية جميلة . وبهرتني الزخارف الجصّية التي تكسو سقف البهو وجدرانه . وبعد دقائق تقاطر المدعوون وكان من بينهم سفير الجزائر وسفير سوريا ، ورئيس وزراء المغرب السابق علال الفاسي وعدد من وجوه مدينة الرباط ، وبعض من العراقيين الذين يعملون في جامعة محمد الخامس . كانت هذه الدعوة حافلة .. وكان علي يميني فيها علال الفاسي ، وقد سمعت أكثر من كان في هذه الدعوة يخاطبونه بلقب (الرئيس) . فجاريت الاكثرية وصرت اخاطبه بمثل ما يخاطبونه . وكان يرتدي على رأسه شيئاً بين شكل (السدارة) و (الكلاو) ، ولم يكن يكثر من التحدث ، ونطقه لا يخلو من لثغة خفيفة بحرف الراء . وكانت جريدة حزبه (العَلَم) قد هاجمت الغاية من المؤتمر الذي تقيمه في الرباط مؤسسة تنظيم

الاسرة ، وعدت تحديد الكم العائلي بدعة عصرية مرفوضة . فسألت الرئيس الفاسي متعمداً :

ـ هل أقرأ اسم جريدتكم العَلم (بفتح العين) أم العِلم (بكسر العين) ؟

وأنا اغمز بذلك الى الهجوم الذي شنته جريدته على مؤتمر تنظيم الاسرة . ويبدو ان الرئيس الفاسي ادرك ما قصدته من هذا السؤال ، فقال باقتضاب لا يخلو من جفاف دون تعليل :

ـ العَلم لا العِلم .

فقلت لسيادته :

ـ يكون هذا المعنى أوضح لو يرسم (علم) بحبر خفيف وراء هذه الكلمة .

فضحك ولم يعلق على رأيي .

وبعد دقائق نهض الرئيس الفاسي وهو يقول :

ـ نتناول الغداء في بيتي يوم غد .

وكان يوم غد ، وحملتنا (أنا والدكتورة لمعان أمين زكي والاستاذ نورالدين) سيارة الرئيس علال الى داره عبر طرق ضيقة ملتوية ، ودخلنا باحة داره الوسيعة ، وكان الرئيس في استقبالنا في ايوان الى يسار باحة الدار ، ومن باب صغير يفضي الى بيت داخلي رأيت سيدتين تلبسان أحدث موديلات الالبسة النسائية . وفي الايوان أخذنا اماكننا على وسائد قطنية ، وسرعان ما نصبت (صينية) واسعة عليها صحون كثيرة بأنواع الاطعمة المغربية وكانت جميعها شهية منظراً وطعماً . وحين انتهينا من تناول الغداء قدمت أمامنا طسوت واباريق من الفضة وصار الخدم يسكبون منها الماء لنغسل أيدينا وأفواهنا وننشفها بمناديل كبيرة كان يحملها اولئك الخدم .

على العموم كان هذا اللقاء في دار الرئيس الفاسي حافلًا بالاحاديث العامة والخاصة ، وجميعها ممتعة ومفيدة .

عبدالكريم البغدادي

وكان المفروض أن نغادر الرباط في صباح اليوم التالي ، غير ان دعوة وجهت الينا لتناول الفطور في دار الدكتور عبدالكريم البغدادي ، ولم أكن أعرف من هو هذا الشخص ولا سمعت باسمه قبلًا ، فاستعلمت من سفيرنا فاضل العساف عن هويته فأفادني بمعلومات عنه اغرتني أن نؤجل مغادرتنا للرباط وقبول دعوة الدكتور

البغدادي لتناول فطور يوم غد في داره .

وحملتنا سيارة السفير فاضل عساف الى مسكن الدكتور البغدادي وهي دار تحف بها حديقة واسعة ومشيدة على الطراز المغربي ، بذوق وفخامة . وفي أحد قاعاته ركن خاص للتحفيات المغربية والعالمية ، وصالون زينت جدرانه وسقفه بالزخارف التي اشتهر العامل المغربي بصنعها . وقد علمت من الدكتور ان هذه القاعة قد شيدت على نفقة جلالة الملك محمد الخامس (أبو الملك الحسن) . وكانت على مائدة الافطار أنواع من المأكولات الشهية ، كما تناولنا في خلالها الاحاديث الشائقة . وخطر ببالي أن أسأل الدكتور عن أصل انتمائه الى بغداد العراق ، فأجابني : مهلًا يا دكتور ، ونهض الى خوان قريب من غرفة الطعام وأخرج منها جواز سفر عراقي ، وفتحه وطلب مني أن أقرأ ما في داخله ، وكان باسم الدكتور عبدالكريم البغدادي فعلًا .

فقلت له :

ـ اذن أنت عراقي الأصل يا دكتور؟

فأجابني قائلًا :

ـ كلا ، أنا لست عراقياً بل مغربي ومن الرباط بالذات ، غير انني في سنة ١٩٤٢ هربت من قبضة الفرنسيين الى العراق ، فأجارني نوري السعيد وزودني بهذا الجواز ، كما خصص لي اقامة مريحة في بغداد مع راتب شهري كان يكفيني وزيادة ، وعدت الى المغرب بعد أن استقر الحكم للملك محمد الخامس .

والدكتور عبدالكريم البغدادي ، كما اخبرني فاضل عساف ، كان من الجراحين البارزين في الرباط ، (وتورط) في السياسة فحكمت عليه المحاكم الفرنسية بالاعدام ، فهرب الى العراق أيام الحرب العالمية الثانية ، وحين عاد الى وطنه المغرب طلب منه الرئيس علال الفاسي أن يقلده وزارة الصحة ، فرفض طاعةً لأمر والدته التي ناوأت الرئيس الفاسي حين سمعت انه اتهم أباه بموالاته للفرنسيين ، فأقسمت أن تبقى تعارض سياسة الفاسي ما دام فيها نفس ، ومثل ذلك فعل ابنها الدكتور عبدالكريم ، كما لم يتزوج ليتفرغ لخدمة أمه ، ولا يزال عزباً وسيبقى عزباً كما يدّعي طالما أمه في الحياة .

وفي صباح اليوم التالي غادرنا الرباط بطائرة من خطوط (ايبريا) الى روما في طريقنا الى بغداد ، وكان في توديعنا السفير فاضل عساف ورئيس جمعية تنظيم الاسرة الدكتور عصام الناظر ، وحين وصلنا الى روما ، لم أجد حقيبتي بين حقائب المسافرين الذين كانوا معي في الطائرة ، فأخبرت بذلك ادارة شركة خطوط ايبريا ،

فعرضت عليَّ عدداً كبيراً من صور الحقائب لاشير على واحدة تشبه حقيبتي التي فقدتها ، وأعطتني ثلاثين دولاراً لاشتري بها بيجامة وماكنة حلاقة لاقامتي ليلة واحدة في روما ، كما طلبوا مني عنواني في بغداد .. ووصلت بغداد دون حقيبة ، وبعد نحو شهر وصلت إليَّ حقيبتي ، وقد سرق منها أغلى ما وضعته فيها وبخاصة الهدايا التي اشتريتها لأهلي وأصدقائي ، وكانت أثمانها يومئذ أكثر بكثير من الثلاثين دولاراً التي دفعتها لي شركة خطوط (ايبريا) .

الدكتور اسماعيل ناجي - ١٢ / ٢ / ١٩٧٠

مات اسماعيل ، الصديق الحبيب . مات وأنا في بيروت ، وكان مريضاً حين سافرت اليها ، ولكنه لم يكن بحالة تنذر بالخطر ، وقلت له حين ودعته وهو راقد في المستشفى الجمهوري :

- أنا مسافر غداً الى بيروت يا اسماعيل ، ولن يطول بقائي فيها أكثر من اسبوع ، وسأعود لأراك باذن الله قد برئت .

فقال لي :

- سافر ، وستراني عند عودتك قد اكتسبت العافية .

وقد اعتدت أن اسافر في مثل هذه الايام من كل عام الى بيروت لأستريح من عناء أعمالي في بغداد ، ومن مشاكلي وأفكاري . وانعزلت في نزل (مرحبا) الذي يشرف على سطح البحر الابيض المتوسط ، ورحت اقرأ ما يسليني ، وأنام متى شئت والى أي مدى ، وقلّما أزور أحداً من معارفي في هذه المدينة الجميلة ، وقد لا أرتاح أيضاً لزيارتهم لي فأنا أنشد الراحة ، وكم أجدها تسعفني حين انفرد بنفسي وحيداً .

وفي ليلة يوم ١٠ / ٢ / ١٩٧٠ رأيت في منامي صديقي طالب مشتاق مريضاً ، وقد نقل الى المستشفى بحالة سيئة ، فدفعني هذا الحلم أن أزوره في شقته التي لم تكن بعيدة عن شقتي في مرحبا . فتوجهت اليها ، وما كدت أقترب من بابها حتى رأيته عليها وجهاً لوجه . وكان يبدو وهو يرحب بي حزيناً ، ففسرت ذلك بسبب مرضه الذي رأيته في منامي ليلة البارحة ، واردت أن اشير الى ذلك اليوم والتوافق فيما بينها وما أراه على وجهه من الغم والكدر ، فقلت له :

- صدفة غريبة !

وسألني :

- أية صدفة ؟

فاجبته عن حلمي :

- رأيتك في منامي مريضاً وقد نقلت الى المستشفى للمعالجة .

ولم يلتفت طالب مشتاق على ما عددته في منامي مصادفة صادقة . وظل وجهه خلواً من التعابير المالوفة ، فسالته :

- ما بك يا أبا حازم ؟

فاجابني بحزن :

- بلغني البارحة ليلًا وفاة الدكتور اسماعيل .

فلطمت خدي دون ارادة مني .

اذن هذا هو تفسير حلمي ، أو ان الحلم جاء بتلك الصورة وفي ذلك الوقت لازور طالب مشتاق واعرف منه وفاة صديقي الغالي وحبيبي اسماعيل ، فلولا ذلك الحلم لما خطر ببالي أن أزوره ، فكاني وخبر وفاة اسماعيل على موعد في شقة طالب . واطلقت عيني لتذرف ما في مآقيها من دموع وان انشج كما تفعل الامهات المفجوعات ، فقد احسست مثلهن انني فقدت الى الابد عزيزاً عليّ لا يعوض . فقد عشت معه أكثر عمري في بغداد ، واختلطت حياتي بحياته ، وعرفته وألِفته بقدر ما عرفني وألِفني ، وانطبعت كثير من اخلاقه في اخلاقي وستبقى فيّ حتى يصلني الاجل لنلتقي في الدنيا الآخرة ونصفي الحساب وما اختلط منه في حياتينا .

كان حبيبي اسماعيل في مثل عمري تقريباً ، ومن بيت مثل البيت الذي عشت فيه ، ومن اسرة مثل اسرتي من وجوه كثيرة ، فعرفت أهله واحداً واحداً ، وأحببتهم كما أحببت افراد عائلتي ، واحترمت كبارهم كما احترم أبويّ ، ورُفعت ما بيني وبينه من كلف الاصول والتادب والمجاملة والعتاب .

رحمك الله يا اسماعيل رحمة واسعة واسكنك فسيح جناته .

مع صحفية في مدينة الطب ٥ / ٦ / ١٩٧١

هذه الصحفية (ن) مبتدئة في هذه المهنة ، وهي صغيرة العمر والجسم ، وناعمة الملامح ، والكلام ، وتطرب بابتسامة خفيفة للحديث الممتع دون اهتمام بما يهدف اليه المتكلم ، وقد زارتني مع مرشدتها في كلية الآداب الاستاذة (حميدة سميسم) ، وهي التي دلّتها الى الطريق اليّ في مدينة الطب . قالت لي هذه الصحفية :

ـ اريد ان آخذ منك حديثاً في مهنتك واعمالك فيها .
وشرعت اجيبها بسرعة كما يفلت النابض من مكانه .
ـ ولدت بسامراء عام ١٩١٤ وفيها درست بداية العلوم في مدرستها ، الابتدائية والمتوسطة في الحلة والثانوية والطبية في بغداد .
وقاطعتني تقول :
ـ على مهلك رجاءً ، لا أريد أن تفوتني كلمة دون أن أدوّنها .
(ثم أردفت تسأل) متى تخرجت في الكلية الطبية :
ـ سنة ١٩٣٨ .
ـ ألم تدرس خارج القطر ، انكلترا ؟ امريكا ؟
ـ لا دراسة نظامية بل على شكل دورات وزيارات لكليات ومستشفيات تلك البلاد .
ـ أنت تختص بالأمراض النسائية والتوليد ، فما الذي دفعك الى هذا الاختصاص ، حدثني رجاءً في هذا الخط ؟
ـ لم أختر هذا الاختصاص إلا مضطراً ، فلم أكن يوم حملت الشهادة الثانوية أعرف من الكليات إلا كلية الحقوق ، وأنا بطبيعتي أميل الى العلوم التطبيقية فتولدت فكرة الالتحاق بهذه الكلية ، أما مدرسة الهندسة فقد كانت قد استحدثت قبل بضع سنين ولا يعرف مستقبلها ، فاسقطتها من احتمال دخولي اليها ، ولم يبق لي خيار إلا الدخول الى كلية الطب مع اني كنت يومئذٍ أكره رؤية الدم وأخاف من رؤية الموتى . وحين درجت في الصفوف الثلاثة الأولى في كلية الطب صرت أميل الى موضوع الباثولوجي ، وأخيراً فضلت الفروع الجراحية ، ولما التحقت بالشعبة النسائية سحرني رئيسها الاستاذ كندي بشخصيته العلمية وحركات اصابعه في عمليات الجوف الحوضي حتى أوحى لي انه هو ولا غيره طبيب في الكلية ، كما اوحى لي ان اختصاصه في النسائيات أعلى مراتب الاختصاص في الطب . وهكذا غمرني ميل قاهر الى هذا الاختصاص ، وصرت أحلم أن أعمل ما كان يعمله استاذي كندي ، أو أن اقلّده بالاقل ..
ـ وما هي أغرب الحالات الطبية التي مارستها ؟
ـ في ممارسة الطب مفاجآت وغرائب لاتنقطع ، ويندر أن لا أرى حالة من هذه كل شهر تقريباً . أما أكثرها غرابة فقد تكون امرأة بثلاثة أثداء تدر الحليب وكانت ضنراً ماجورة . وامرأة اخرى ملتحية بشكل ومقدار كامل من الشعر الكثيف وقد احيلت اليّ لمعرفة جنسها لتكليفها بالجندية فتبين لي بعد الفحص انها انثى . كما شاهدت

ولادة طفلين ملتصقين ظهراً الى ظهر ، وقد مات أحدهما وتعفن الثاني ، وكان الفصل حار جداً فكنا ندفن هذا الطفل الميت بكسر الثلج ومع ذلك شمله الموت بعد اسبوع .

وسألتني هذه الشابة الصحفية اسئلة اخرى أكثرها في الطب وأقلها في غير الطب . وعلمت بعد نحو شهرين من السيدة حميدة ان هذه الشابة غادرت العراق لتدرس الصحافة في المملكة المتحدة وانقطت اخبارها . وبعد أشهر جاءتني سيدة تدّعي انها ابنة أحد أصدقائي القدماء يوم كان معاوناً لمتصرف البصرة ، وقالت ان لها الحق أن تعتب عليَّ لسكوتي على علاقة ابنتها (ن) بالشاب (هـ) وهو من غير دينها ، وقد تزوجا خارج العراق ولن يعودا الى بغداد .

وكان جوابي لها : ان ليس لي علم بما تعتبين عليَّ .

ثم لا بد انها قد قصدت غيري أيضاً في دورتها التعليمية كما قصدتني ، فلماذا العتب عليَّ وحدي . فغادرتني تلك السيدة وهي غير راضية .

كتاب تقدير من عمادة كلية الطب بجامعة البصرة / ١٩٧٢

في يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧٢ وصلني كتاب من عمادة كلية طب البصرة برقم ١٥٨٩ وهذا نصه :

كلية الطب / جامعة البصرة

السيد الاستاذ الدكتور كمال توفيق السامرائي المحترم ..

كان لطول خبرتكم ، وسداد حكمتكم ، والجهود الموفقة التي بذلتموها اثناء عضويتكم بمجلس كلية طب البصرة في العام السابق (أو بضعة الاعوام السابقة) ابلغ الأثر في ازدهار الحياة العلمية بهذه الكلية الناشئة ، ودفعها قدماً نحو غاياتها المنشودة ..

وباسم الكلية ، اساتذتها ، وطلابها ، ومجلس ادارتها الحالي ، اقدم لكم أسمى ايات الشكر والامتنان على هذه الجهود المثمرة ، راجياً ألا يكون انتهاء هذه الصلة الموقوتة بينكم وبين الكلية ، انتهاء لوشائج المودة والزمالة ، والعطف المتبادل ، التي نأمل أن تدعم وتقوى وتزداد على الايام . والله يثيبكم عنا خير الثواب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور مصطفى رجب النعمة

عميد كلية الطب

شكت زوجتي من أعراض اقتضى أن تُجرى لها عملية جراحية ، وكانت أيام عطلتي الصيفية قد قربت ، ففضلت أن أطلب من الاستاذ ايان دونالد بكلاسكو ليتولى أمرها ، لاجرائها في كلاسكو ، وكان الدكتور اسامة عبدالله يومئذ يعمل في دائرته وهو احد تلامذتي بكلية طب بغداد ومن الاطباء المقيمين في مستشفى السامرائي . ورحب بنا الدكتور أيان دونالد وهيأ لنا غرفة في احدى الفنادق المريحة ، كما أدخل زوجتي في احدى الغرف الخاصة بدائرته في المستشفى ، وعرّفني برئيسة الممرضات بهذا القسم ، وهي سيدة ممتلئة الجسم ولكنها نشطة وخفيفة الحركة ومرحة اسمها (مس روبنسون) . كما عرّفني على معاونيه من الاطباء واحداً واحداً ، وكان من بينهم شاب حالك السواد ، وقصير القامة وفي مشيته عرج يسير اسمه (جاك) وهو من اوغندا بأفريقيا . وكان كما عرفت من الدكتور اسامة ، ذا حظوة بالغة لدى الاستاذ إيان دونالد .

دونالد يعمل ما يشاء في دائرته بوصفه رئيس قسم النسائيات في المستشفى ، فكان الدكتور جاك المقدم منه ، حتى على الاطباء الانكليز الذين يعملون بمعيته .

وفي صباح يوم العمليات كنت أنتظر مجيء الاستاذ دونالد فجاءتني مس روبنسون وقالت لي ان الاستاذ دخل دائرته من الباب الخلفي ، وهو الآن يرتدي لباس العمليات ، وسألتني إن كنت أرغب في مقابلته ، ولما أجبتها برغبتي قادتني الى حيث كان ايان دونالد ، فكانت مفاجاة غريبة ، فقد رأيناه عارياً من كل لباس وهو يحاول أن يرتدي قميصاً كان أصغر من حجمه ، بينما لا يرتدي شيئاً يستر عورته .

وتقدمت منه مس روبنسون وخلعت عنه القميص ورمته على الأرض ، وناولته قميصاً أطول كان على منضدة مجاورة له وهو مستسلم لها ، بينما لم تبال هي بهيئته العارية . وكل ذلك حدث بمفاجاة لم تسمح ليَّ أن أدير وجهي ريثما يرتدي سروال العمليات . وذكرت ذلك للدكتور اسامة في مساء ذلك اليوم ، فقال لي : هذا شيء اعتيادي بين الاستاذ دونالد ومس روبنسون ، وليس عند غيرها من اعضاء هذا القسم .

وقادتني مس روبنسون الى غرفة الانتظار ، وهي ليست بعيدة عن صالة

العمليات ، وسالتني :

- أتريد شاياً ؟

فأجبتها :

- لا شكرا .

- خذ شاياً فسوف تكون وحدك في هذه الغرفة ، وكل انتظار مفروض ممل ومتعب . فاشغل نفسك بتناول الشاي واطمئن فزوجتك بيد أمينة ومقتدرة .

وبدت لي مس روبنسون وكانها تريد أن تتحدث معي أكثر لولا ان نداءً وصلها من قاعة العمليات فتركتني واختفت ثم عادت بعد قليل وهي تحمل بيدها كوباً من الشاي وفي صحنه قطعتين من البسكويت ، وأخذت كرسياً صغيراً وسحبته الى جانبي ، وشرعت تتكلم :

- الاستاذ دونالد يثني على أيامه معكم في بغداد ، ولكنه عاد متعباً يلهث كالكلب المدلل . (واضافت) عنده (قلاب) إن كنت لا تعلم ، فقلت لها أعلم ذلك ، وقد أخافني مساء وصوله الى بغداد ، غير انه كان قد وصل قبلي الى المستشفى الملكي في صباح اليوم الثاني . فقالت مس روبنسون : هذا هو الاستاذ دونالد ، كحصان السباق لكن لا يؤتمن الرهان عليه .

وغادرت زوجتي المستشفى بعد خمسة أيام بصحة جيدة .

واجبات وصلاحيات الاطباء المقيمين

في يوم ٢٥ / ٣ / ١٩٧٢ رفعت الى عمادة كلية الطب الكتاب الآتي نصه :

السيد عميد كلية الطب المحترم

لا أعلم اذا كانت لدينا تعليمات جامعية أو وزارية تخص واجبات أو صلاحيات الاطباء المقيمين في مختلف الفروع السريرية . وبالرغم من الاعمال الواسعة والخطيرة التي يضطلع بها المقيمون فان كل ذلك يتم بصلاحيات عرفية وبعضها مرتجلة مما يضيع تحديد المسؤولية عند حدوث ما يستوجب تحديدها . وتوزيع الواجبات واعطاء الصلاحيات للمقيمين من قبل رئيس الفرع يمكن أن تعتبره العمادة تنظيماً داخلياً ومن اختصاصات الفرع إلا ان موقف مؤسسة مدينة الطب - باعتبار تابعية المقيمين الى ملاكها - يمكن أن يكون شيئاً آخر . لذلك ارفع اليكم تنظيماً

سريعاً بهذا الموضوع وهو قابل للزيادة عليه أو الحذف منه حسبما ترتأيه رئاسات الفروع الاخرى .

مع التقدير

الاستاذ كمال السامرائي
رئيس قسم الامراض النسائية والتوليد

صورة منه الى :
رئاسة مؤسسة مدينة الطب حسب تابعية المقيمين الى الملاك الوزاري .

ولم يصلني تعليق على كتابي المقدم من عمادة كلية الطب ، فنظمت تلك الواجبات بالكتاب الآتي ورفعته الى العمادة :

واجبات وصلاحيات الاطباء الدوريين والدائميين والمقيم الاقدم
في وحدة الامراض النسائية والتوليد

(١) مراتب المسؤولية والتدريب بين الاطباء المقيمين هي : المقيم الاقدم أولًا ثم المقيم الدائمي وأخيراً المقيم الدوري . وعلى هذا فالطبيب الاقدم هو المسؤول المباشر عن المجموعة المذكورة وعليه واجب الاحاطة بدوامهم وأعمالهم وتدريبهم وبكل ما يحدث في الوحدة من الامور الطبية أو التي لها علاقة بالمرضى وأخبار الرئيس (رئيس الفرع) عنها اذا اقتضى الأمر . كما يعتبر كل من المقيم الاقدم والمقيم الدائم مشرفاً أو مدرباً للمقيم الذي يليه في المرتبة .

(٢) ينظم المقيم الاقدم جدولًا بأعمال المقيمين الدائميين والدوريين كل حسب تدريبه ـ يعين في هذا الجدول المسؤولين في العيادة الخارجية ، والعيادة في مدينة الطب ، وغرفة الفحص بالطابق الرابع ومن يقوم باجراء الفحوص الشعاعية ، والمعاونة في العمليات ، والاشراف على صالات التوليد ، والخفارات بعد الدوام على أن لا تخلو غرفة الفحص بالطابق الرابع من أحد المسؤولين في أي وقت من أوقات النهار أو الليل . وترفع هذه الجداول الى رئيس الوحدة قبل رفع صورة منها الى رئيس الاطباء المقيمين في المدينة أو ادارة المؤسسة .

ان التدريب على توزيع المسؤوليات ومراقبة تنفيذها يعتبر جزءاً من التعليم الطبي .

واجبات وصلاحيات المقيم الدوري

(١) املاء استمارة المريضة وضبط المعلومات والارقام التي فيها بصورة دقيقة فور دخول المريضة الى الردهة وأخبار الطبيب الاقدم عنها مع الاشارة عن

ما جاء في حالتها المرضية من امور ذات أهمية علمية خاصة أو كونها حالة نادرة وتصلح للدراسة الواسعة أو البحث أو التدريس .

(٢) يتناوب الاطباء الدوريون على أعمال العيادة الخارجية في الطابق الأرضي بالمدينة بموجب جدول ينظمه المقيم الاقدم في هذه الوحدة وذلك لتحويل المرضى الى الطابق الرابع حسب ترتيب اولوية حالاتهم المرضية واعطاء الوعود للآخرين .

(٣) يصاحب الدوري المقيم الدائمي في زياراته اليومية الى المرضي في الردهة للمشاهدة أو التدريب على طرق الفحص أو المعالجة ولمساعدة المقيم الدائمي في كل ما له علاقة بمراقبة المريضة وانتظام تزويدها بالعلاج أو متابعة النماذج المختبرية أو تحضيرها للعملية .

(٤) مراقبة الماخضات وخصوصاً اللاتي تحت زرق (البيتوسين) وتسجيل التطورات على استمارة المريضة .

(٥) يشارك أو ينجز بنفسه ولكن بحضور الطبيب المقيم الدائمي واشرافه لزوماً العمليات الآتية :

١ ـ قطع العجان وخياطته .

٢ ـ التوليد بالملقط أو بالملقط الشافط .

٣ ـ يكون المعاون الثاني في عمليات فتح البطن .

(٦) لا يجوز للطبيب الدوري بأية حالة من الحالات اعطاء أي علاج إلا بعد استشارة الطبيب الدائمي وموافقته ولا يجوز له اطلاقاً اخراج المريضة من الردهة .

(٧) لا يجوز له الفحص ولا التوقيع على حالات قضايا الشرطة .

واجبات وصلاحيات المقيم الدائمي

(١) يعتبر المقيم الدائمي مدرباً ومشرفاً على الطبيب الدوري .

(٢) يجري زيارة صباحية واخرى مسائية لعموم المرضى . ومع التفاتة خاصة على المريضات بعد يوم العملية حتى اليوم السابع ـ بالاضافة الى الزيارة الاساسية التي يقوم بها اعضاء هيئة الفرع .

(٣) يتناوب الاطباء الدائميون على العمل في عيادة مدينة الطب بالطابق الارضي وفي غرفة الفحص بالطابق الرابع حسب الجدول الذي ينظمه الطبيب الاقدم مع مراعاة الفقرة (٢) التي وردت في مقدمة هذا الكتاب .

(٤) معرفة كل ما يحدث في صالات التوليد والاشراف على تدريب الاطباء

الدوريين فيها .

(٥) مسؤول عن تحضير المرضى للعملية وأخذ تواقيعهم على قبول اجرائها . ويكون المعاون الاول عند اجراء وضبط خطوات العملية على استمارتها وأخذ التعليمات الخاصة من الجراح عما يلزم للمريضة بعد العملية وضمان ايصال النماذج التشريحية وغيرها الى المختبرات الخاصة ثم ضم تقارير المختبرات الى ملف المريضة .

(٦) يدرّب المقيم الدوري الجديد على توليد الاعتلانات غير الطبيعية وعلى التوليد بالملقط والملقط الشافط ويرخص بالوقت المناسب على اجراء العمليات المذكورة على أن يكون ذلك بعلم من رئيس الوحدة وبحضور المقيم الاقدم عند اجرائها .

(٧) يقوم بقطع العجان وخياطته وخياطة التمزقات فيه ما عدا التمزق من الدرجة الثالثة فيخبر عنه الجراح تحت الطلب ولا يجوز بأي حال من الاحوال ترخيص القابلة باجراء أي من العمليات المذكورة .

(٨) يجوز للطبيب الدائمي بعد سنة من اقامته وتدريبه أن يجري بحضور المقيم الاقدم العمليات المستعجلة التي تدخل بعد اوقات الدوام ما عدا حالات تمزق الرحم فيخبر عنها الجراح تحت الطلب ، وأين يكون كل ذلك بعلم من الطبيب الاقدم في الوحدة .

(٩) المقيم الدائمي مسؤول عن صحة ما في استمارة المرضى من معلومات وخصوصاً في محتويات استمارة البحث الطبي حسب ما ورد في التعليمات التي صدرت من رئيس الفرع بهذا الخصوص .

(١٠) لا يجوز له اخراج المريضة من الردهة ولا تبديل علاجاتها الرئيسة الا بعد استشارة عضو هيئة الفرع المسؤول عن تلك المريضة وموافقته .

(١١) اختيار الحالات المرضية ليوم المقابسات و (السيمنار) واكمال متطلبات عرضها للمناقشة . وتقديمها الى الطبيبة المسؤولة عن هذا اليوم .

واجبات وصلاحيات الطبيب المقيم الاقدم : (تنظيم غير قانوني يمنحه رئيس القسم لأحد المقيمين الدائميين كرئيس لمجموعة الاطباء المقيمين) ، وهو المسؤول المباشر عن اعمال المقيمين عموماً ومراقبة دوامهم وقابلياتهم العلمية وتصرفاتهم مع زملائهم ومع المرضى ويرفع بذلك تقريراً سرياً كل ستة أشهر الى رئيس الوحدة وليرفعه هذا بدوره الى رئاسة مدينة الطب حسب طلبها المعتاد .

أما فحص قضايا الشرطة والتوقيع على التقارير الخاصة بها ، عدا القضايا المحولة من المحاكم الشرعية فيستشار عنها رئيس الوحدة أو أحد المسؤولين القدامى فيها .

أية الله الخوئي في مدينة الطب - ١٢ / ٤ / ١٩٧٢

ان منظر نهر دجلة ، وما عليه في الجانبين الشرقي والغربي يلهيني اذا جلست الى منضدتي لاصرف شؤون قسمي النسائيات والولادة في الطابق الرابع بمدينة الطب ، إذ اني ادير رأسي لا ارادياً وبدافع ضمني لاتطلع الى ما يطفو على سطح النهر من طيور الماء ، وما يمخر فيه من القوارب ، وهذه على قلتها كانت تجتذبني لأطيل النظر الى أحدها وأتابعه مثلما أطيل النظر الى حديقة بما فيها من اوراد وزهور وحيوانات داجنة . وقد شاهدت على الشاطيء الشرقي في باكر هذا اليوم من شهر نيسان ما لم أره قبلاً ، كانت خيمة ضخمة بلون أصفر باهت مقامة على الجانب الشرقي من النهر فوق الارض الترابية التي استحدثت بردم شاطيء هذا الجانب وتعريته . ولم أكن قد رأيت هذه الخيمة قبلًا في هذا المكان ، فلا بد انها اقيمت عصر يوم أمس أو على عجل في ليلة هذا اليوم . ومن خلال حافتي مدخل الخيمة بدت لي كراسي كثيرة بلون واحد وبتركيبة وتشكيلة واحدة . كما رأيت مصباحين يتدليان من الزاوية التي في أعلى فرجتي باب الخيمة ، وثمة رجال يدخلون أو يخرجون من الخيمة ، وآخرون يدورون حولها ، وهم يتحدثون فيما بينهم على نحو فيه جد وقلق . ثم وصلت الى الخيمة شاحنة ترجل منها أشخاص لا يقل عددهم عن عشرين رجلًا بأعمار مختلفة ، وعلى رؤوسهم عمائم بلون أسود ، أو بلون أبيض ، وذوي لحى محددة الحافات ، وتنسدل من اكتافهم عباءات سود أو بنية اللون . وسرعان ما دبت حركة داخل الخيمة بين من دخلها ومن كان فيها . وكل ما كان يحدث فيها كنت أرى أكثره بوضوح غير انني لا أسمع لبعدهم عني ، من أحاديثهم شيئاً ، وراقبت اثنين بعمر الكهولة غادرا الخيمة وخطوا بضع خطوات خارجها ثم وقفا يتهامسان ، وكان أحدهما يكثر من تحريك يديه بعصبية ، تارة الى أعلى وتارة يمدها نحو صدر صاحبه ليتلمس حافة زبونه ، ثم توجها الى مدخل المستشفى بخطوات وئيدة ، وما وصلاه حتى تبعهما رجلان آخران ، وقمت من مكاني وتقدمت الى النافذة لأطل عليهما ، ولم أفكر قط بسر اهتمامي بهما ، ولا أعرف أصلًا سبب إقامة الخيمة وتجمع الناس فيها ، انما كانت قيافتهم الموحدة بلباسهم ولحاهم قد اجتذبت نظري فركبني حب

الاستطلاع لمعرفة كل ذلك .. وكان مكاني في غرفتي العالية وأنا أطل عليهم يضيع كثيراً من طول قامات من يتقدم الى مدخل المستشفى فيبدون لي اقزاماً من تحت عمائهم الملفوفة حول رؤوسهم بدقة واعتناء وفن .. ورأيت رجلًا من هؤلاء ينفذ من باب المستشفى ويتقدم منهما على عجل ، ويقول لهم شيئاً فتوقفوا جيعاً وتبادلوا حديثاً اتجهوا على أثره على مهل الى الخيمة . وفي هذه اللحظات دخلت غرفتي سكرتيرة قسم النسائيات وأخبرتني ان طلاب الصف السادس ينتظرونني في قاعة الدرس فنهضت عن كرسيّ لأذهب الى القاعة وأنا أسأل السكرتيرة عن هذا التجمع وعن الخيمة التي تضمه ، فأجابتني : هؤلاء طلبة ومريدي العالم الديني (الخوئي) وقد أدخله الدكتور مكي الواعظ الى المستشفى لاجراء عمليه له .

وقطعت الكريدور الى قاعة الدرس وأنا أقول لنفسي : ان الرجال الذين رأيتهم حول الخيمة لا يعوزهم إلا كتاب من الكتب الصفراء يتأبطونه وفي رؤوسهم فكرة علمية أو فقهية يعالجون حلّها لتكتمل الصورة المثلى لرجال العلم في العصور الاسلامية الغابرة .

وانتهيت من القاء محاضرتي لطلبة الصف السادس وما زال الجمع يتكاثر في الخيمة وحولها ، وغادرت المستشفى بعد الساعة الثانية ظهراً والحال هو نفسه في الخيمة وحولها .

وآية الله الخوئي عالم ديني ، بل هو أكبر علماء الشيعة . وكان يسكن النجف حين اصيب بعسر التبوّل فاوفدت وزارة الصحة الدكتور مكي الواعظ لعلاجه ، ونصح الدكتور الواعظ بحمله الى مدينة الطب لاجراء عملية لرفع (البروستات) ومنذ ذلك اليوم (كما قال لي الدكتور مكي) نشأت بينه وبين الخوئي صداقة ، فلا يستشير الخوئي طبيباً إلا بحضور دكتور مكي . كما قال لي الدكتور مكي ان الخوئي في جلسة خاصة بينهما قال له ان عائلته في الأصل من ديار تركيا ، وقد نشأ في اول أيامه على معلمين اتراك ، وحين غادرت عائلته تركيا الى مشهد بايران كان يتقن اللغة التركية ويتكلم بها .. ويثني الدكتور مكي على اخلاق الخوئي وانعزاله الى الدين وعدم تورطه بالسياسة ، وهذا ما جعله العالم الديني الأكبر عند الشيعة الاثنى عشرية .

ضرب من المريضات في حالة الاجهاض / ١٩٧٢

صبية بعمر المراهقة ، عبلة الجسم ، فلاحية الملامح ، دخلت عيادتي متجهمة الوجه غير ان ذلك لم يخف عني ما لها من ذكاء يبرز في عينيها اللماعتين ، وكانت

معها سيدة أكبر منها عمراً بكثير غير ان بين وجهيهما شبه كبير ، وحسبت انها باحتمال كبير أم هذه الصبية ، وانها ليست المريضة بل الصبية هي المريضة التي تزورني لتعرض شكواها ، فتوجهت اليها وسألتها عن عمرها ، فاجابتني باعتداد ست عشرة سنة ، وحزرت بخبرتي انها غير متزوجة ، ومع ذلك سألتها للتأكد من ذلك :

- متزوجة ؟

فلم تجبني الصبية بل أجابتني المرأة الكبيرة التي بصحبتها :

- أنا حبوبتها ، وهي بعدها بنت . (ثم أردفت بعجالة) : ومخطوبة .

وسألت الصبية :

- تفضلي ، من أي شيء تشكين ؟

وبقيت الصبية صامتة ، واجابت المرأة التي معها تقول :

- تدمي ، صار لها ثلاثة أيام .

وسألت الصبية عن العادة الشهرية قبل أن تصاب بالنزف الدموي . فلزمت الصمت ولم تجبني ، فكان ذلك مؤشراً على احتمال ما دار بخاطري من حالة حبل يهدد بالاسقاط . وكان باستطاعتي أن اختصر زيارتها بقولي هذا التشخيص لها . غير اني سألتها عما اذا كانت تتألم من بطنها ، فنفت ذلك نفياً قاطعاً ، فقلت لنفسي ان هذه الصبية ذكية جداً ، فابعدت أن يكون عندها شكوى لها علاقة بالرحم .. ومع ذلك لم تقهرني اجابتها ، فطلبت منها أن تستلقي على طاولة الفحص ، فما كدت أبسط كفي على أسفل بطنها المنتفخة قليلًا حتى أسرعت تدفع يدي عن بطنها ، فاكتفيت بما عرفته من علامات الحبل ، فقلت لها وأنا أبغي المفاجأة :

- أنتِ حامل والدم الذي ينحدر منكِ من علامات الاسقاط الاولى .

فاستقبلت المفاجأة بسكينة ملحوظة . وسألتني كما لو انها مستمرة في حديث كان بيني وبينها :

- دكتور ، أنا أحياناً أغسل ملابسي مع ملابس أخي الكبير فهل يمكن أن يكون الحبل بهذا الطريق ؟

فاذن هي تعرف نفسها انها حامل ، وانها حاولت اسقاط حملها بالطرق الشعبية ، كما انها تعرف يقيناً ان الحبل لا يحدث بتلامس الالبسة اثناء غسلها في طشت واحد .

ورأيت ان الحديث مع هذه الصبية يطول دون جدوى فاختصرته بقولي :

- علاجك لا يتم إلا في المستشفى .

فلم يبد عليها الاستغراب انما سألتني :

ـ بدواء ؟
ـ لا بعملية تنظيف الرحم من محتوياته .
واثناء نلك كتبت ورقة احالة الى الطابق الثالث بمدينة الطب .
وسالتني هنه الصبية :
ـ ماذا كتبت في هنه الورقة ؟
ـ كتبت طريقة علاجك .
ـ وما هي الطريقة ؟
ـ طبيب الطابق الثالث يعرف ما كتبته في هنه الورقة .
وطال سكوتها قليلًا ، وأظنها كانت تقول لنفسها (عرفت نلك من الطبيب الفلاني) أي انها استشارت طبيباً قبل أن تستشيرني فشخص حالتها .. وعادت تضرب على وترها الأول :
ـ ألا يوجد دواء عن طريق الفم ؟
ـ كلا ، لا يوجد .
ـ لا بد من وجود دواء ؟
ـ لا أعرف نلك الدواء .
ولما رأيت ان لجاجتها تطول ، قمت الى باب عيادتي وفتحته لتغادرني . وكانت حبوبتها لدى الباب ، فقالت لها الصبية باطمئنان وهدوء وهي تشير الى ورقة الاحالة الى المستشفى :
ـ هذا هو الدواء ، فهيا لنشتريه ، وغادرا عيادتي ولم أرهما بعد نلك .

حميـــد ـ ٩ / ١١ / ١٩٧٢

كان وَلعي باقتناء الكتب التراثية سبباً في تعرفي على كثير من أصحاب المكتبات ، ومن يتردد على دكاكينهم ممن يتابع ما ينشر من تراث العرب . وبعض أصحاب هذه المكتبات وراقون بدرجة جيدة وذوو معرفة بالمؤلفات القديمة المخطوطة ، ومصادرها في المكتبات العالمية ، ومكان اصدارات المطبوع منها . وكنت أدخل احدى المكتبات بشارع المتنبي وانصت باهتمام الى احاديث هؤلاء وهم يبدون آراءهم في الكتاب الذي يساومون على شرائه أو بيعه ، وأنا في الوقت نفسه أمر بنظري على رفوف المكتبة لاعرف ما عليها من الكتب الجديدة . وكانت (مكتبة الاندلس) بشارع المتنبي من المكتبات التي أكثر من التردد عليها . ويوماً دخلت هذه

المكتبة واذا بصاحبها (أبي حسن) يتحدث الى شخص في مثل عمره ، ركيك البصر ، لا يكاد يرى موضع قدميه اذا مشى ، ويلبس دشداشة مخططة بالوان داكنة ويثبتها على وسطه بنطاق عريض من الجلد ، ويحشو وراء دشداشته فوق هذا النطاق كتابين أو أكثر ، وفي يده كتاب ، وتحت ابطه ، كتاب ضخم ، وسمعت هذا الرجل يساوم على كتاب (مروج الذهب للمسعودي) بطبعته المحققة بالفرنسية ، كما سمعته يسأل عن سعر كتاب (الجمهرة في اللغة) لابن دريد ، والتفت اليّ ابو حسن وهو يقول لي : عفوك يا دكتور ، فقلت له لست على عجلة من أمري وهو لا يعلم انني مستمتع بالحديث الذي كان يدور بينه وبين ذلك الرجل نصف الأعمى . وانتهز هذا الرجل الفرصة وخفض رأسه ليكون قريباً من اذن ابي حسن وسمعته يسأل : من يكون هذا الدكتور ؟ فذكر له ابو حسن اسمي ، وهكذ تعرفت على هذا الرجل واسمه (حميد) ، وعلمت من أبي حسن بعد ذلك ان حميد من رواد هذه المكتبة فيشتري الكتب منها ويبيعها الى طلاب كليتي الآداب والتربية فيكرمونه بقدر من المال ، كما انه ، أي أبو حسن ، يبيعه الكتب بسعر خاص ليستفيد من بيعها ، وهو لا يبيع الكتاب في يومه إلا بعد أن يستوفي قراءته في ليلة أو ليلتين ، وبهذه الطريقة صار يعرف كثيراً من كتب التراث بقدر ما يعرفها التدريسيون في الكليات .

ويوماً رأيت حميد في مكتبة الاندلس وهو يتصفح كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان بتحقيق محيي الدين عبدالحميد ، فحييته وقلت له :

ـ احسان عباس حقق هذا الكتاب مجدداً يا أخ حميد .

فاجابني :

ـ سمعت ، وبعت منه (دورة) قبل اسبوع .

وعدت أقول له :

ـ وسمعت من قال لي ان تحقيق احسان عباس ، افضل من تحقيق محيي الدين عبدالحميد .

فقال باقتضاب :

ـ يجوز !

وسألته :

ـ هل رأيت كتاب احسان عباس ؟

فاجابني :

ـ لا أريد أن أراه ، وقد اشتريته قبل يومين وحملته رأساً الى من طلبه مني من أولاد كلية الاداب .

ثم أردف متعجلاً :
- دكتور يرحم أبوك ، عندك تحقيق محيي الدين عبدالحميد ؟
- عندي .
- هذا الكتاب هو المعوّل عليه في التحقيق منذ أن صدر قبل عشر سنوات تقريباً . (واستمر يقول) : لان الباحثين كثيراً ما يشيرون اليه ويأخذون عنه بأرقام أجزائه وأرقام صفحاته . ودخل عبود ابن اخت ابي حسن فيما بيننا ، وهو على صغر سنه ، كثير المعلومات عن الكتب التراثية ، وقال :
- اقتناء الكتب هواية .
وقاطعه حميد يقول :
- لمن عنده المال ، انها هواية ترف !
وعاد حميد يقول : أنا أعرف ايراني اسمه نجم آبادي عنده كتاب القانون لابن سينا طبعة روما ، وطبعة بولاق ، وطبعة باللغة اللاتينية ، وهو لا يعرف اللغة اللاتينية .
وسكت حميد ليقول :
- هواية اقتناء الكتب تكلف مالًا ، وتعمي العين .
واستمر يقول وهو يضحك :
- وهي أيضاً ضرّة مكروهة للزوجة ، بل هي (أكثر غضاضة لها من ستين ضرة) . وأنا متزوج وأعيش على ما في اليد لا مما في الجيب ، ونظري ضعيف ، فكيف تكون لي مكتبة ؟ نعم عندي مكتبة على قدر الحال .
وأراد حميد أن يقطع الحديث عن المكتبات فسأل أبا حسن ، وكان قريباً منا :
- عندك نشوار المحاضرة ، الجزء الأول ؟
فاجابه أبو حسن :
- عندي ، وهذا الكتاب بخمسة أجزاء ، ولا أبيع جزءاً واحداً منه ، أبيع الدورة منه كاملة .
والتفت أبو حسن اليّ وقال يخاطبني :
- دكتور هذا الكتاب ممتع وفيه بعض الاخبار عن الاطباء .
فقلت له :
- عندي المجموعة هدية من محققه صديقي الاستاذ عبود الشالچي .
وسألت ابا حسن عن معنى النشوار ، فقال بعد أن مسح براحة يده جبهته العريضة :

ـ معناها الاحداث والاخبار التي تعاد ويعاد ذكرها في المجالس والكتب .

ونادى على حميد الذي كان في تلك اللحظات ينقل بصره الضعيف بين كعوب الكتب المرصوفة على رفوف المكتبة :

ـ حميد .. يا حميد

ـ نعم ، نعم أسمعك

ـ ما معنى النشوار ؟

وقلت لابي حسن مستعلماً :

ـ حميد يعرف هذه الامور ؟

فاجابني :

ـ يعرف ، لا تخاف عليه .

فقال حميد :

ـ النشوار كلمة غير عربية وتعني اجترار ذكر الاخبار واللطائف .

ثم أردف :

ـ لا بد ذكرها الأسقف (أدي شير) في كتابه الالفاظ الفارسية المعرّبة .

وعدت الى بيتي لاوثق تعجّبي من علم حميد وذاكرته وفتحت كتاب أدي شير ، وقرأت فيه (النشوار ما تتقيؤه الدابة من العلف واصل الكلمة نشخوار بالفارسية) فكان ذلك قريباً مما قاله حميد .

اشراك التدريسيين بمرتبة مدرس في امتحانات طلاب الكلية الطبية

الكلية الطبية

فرع الامراض النسائية والتوليد

الرقم ٢٧

التاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٧٢

سـري

السيد عميد كلية الطب المحترم

سبق وتقرر في مجلس دراسات الدبلوم أن لا يكون عضو الهيئة التدريسية في هذه الدراسة بمرتبة أقل من مرتبة الاستاذ المساعد . وقد ابديت رأيي يوم بحث هذا

الموضوع من اضطرار هذا الفرع الى اشراك عضو من مرتبة مدرس كما عرضت في المجلس ان المدرس الذي بحثنا موضوعه كان قد اشترك فعلاً في اعطاء الدروس وفي الامتحانات أيضاً ، كذلك وافقت العمادة على اشراك مدرس من شعبة الاطفال في امتحانات دبلوم النسائيات في السنة الماضية ولا تزال شعبة الاطفال تشرك مدرسين اثنين في التدريس والامتحانات (على ما أعلم وقد أكون مخطئاً) . لذلك ارجو اعادة النظر في قرار المجلس الذي نتكلم عنه خاصة وان عدد طلاب الدبلوم قد حدد باربع عشرة طالبة استناداً الى وجود سبعة اعضاء للتدريس ، أي بمعدل طالبتين لكل مرشد ، ومرشد واحد لكل يوم من ايام الاسبوع . كما يمكن أن تكون القلة في عدد اعضاء هيئة التدريس مبرراً آخر لاشراك المدرس الذي نجد فيه الكفاءة المطلوبة في تدريس الدبلوم وفي امتحانات الطلاب .

مع التقدير

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس قسم الامراض النسائية والتوليد

اولى دورات الدبلوم في الامراض النسائية / ١٩٧٢

في اول اجتماع للجنة (الدبلوم) وكان ذلك في اليوم الثالث من شهر ايلول / ١٩٧٢ بمدينة الطب ، وقد ترأس الجلسة السيد وزير الصحة وحضرها كل من عميد كلية الطب ، ورؤساء الاقسام السريرية . وفي مستهل الاجتماع عرض عميد الكلية قائمة بأسماء المرشحين الى الدورة وطلب موافقة اللجنة على قبولهم . وأول من وافق على هذا الطلب وزير الصحة ، غير انه طلب من اللجنة اضافة اسم آخر لم يقدم طلباً للالتحاق بهذه الدورة حتى هذا اليوم ، فابدى عميد الكلية معارضته وأصرّ عليها بحجة ان يوم انتهاء القبول قد مضى ، ومن الضروري تطبيق نظام هذه الدراسة ، وتحديد ايام القبول اليها ، ورأيت في معارضة عميد الكلية بادرة طيبة في الالتزام بتطبيق نظام القبول ، وافصحت عن رأيي في ذلك وباركت موقف العميد منه ، ولا أزال أذكر العبارة التي افتتحت بها كلامي ، قلت (أنا لا اؤيد معارضة العميد في قبول طالب آخر بعد فوات أيام القبول فحسب بل اباركه ، وقد يكون مثلاً نعمل بمثله في تطبيق البنود الاخرى في نظام تعليم الدبلوم) . وقد اغتاض السيد الوزير من تعقيبي بتاييد موقف العميد ، فالتفت اليّ وقال :

- سيقبل هذا الطالب بأي حال ، فحبذا لو يكون قبوله من قبلكم استثناء .

ولكن اعضاء اللجنة أصروا على عدم قبول الطالب ، وأنهى وزير الصحة الجلسة وهو ساخط على موقفها ، وبعد يومين صدر أمر وزاري بقبول ذلك الطالب ، وخسرت الكلية موقفها الجامعي في هذه القضية .

دراسة الماجستير في الامراض النسائية والولادة / ١٩٧٣

طلبت عمادة كلية الطب من فرع الأمراض النسائية والولادة تدارس مؤهلات القبول الى دراسة الدبلوم بهذا الاختصاص ، فاجتمع مجلس الفرع برئاستي ورفعنا اليها القرار التالي :

الرقم : ٢٥٥

التاريخ : ٢٤ / ٢ / ١٩٧٣

الى عمادة كلية الطب

الموضوع / دراسة الماجستير في التوليد والأمراض النسائية

اجتمعت اللجنة العلمية بهذا الفرع برئاسة الاستاذ كمال السامرائي وعضوية كل من الاستاذة لميعة البدري والاستاذ المساعد قيس كبة لدراسة مستلزمات الماجستير في موضوع الأمراض النسائية والتوليد في ضوء الغاية المتوخاة من هذه الدراسة خصوصاً فيما له علاقة بتهيئة اعضاء للهيئات التدريسية في كليات الطب بالعراق . وقررت اللجنة ما يأتي :

(١) تسمى الشهادة (ماجستير في التوليد والامراض النسائية) وتكون معادلة لشهادة دكتوراه لغرض قبول حاملها الى عضوية الهيئة التدريسية في الجامعة .

(٢) يشترط في الطالب أن يكون حائزاً على شهادة دبلوم في الأمراض النسائية والتوليد ويطبق التفاضل بين المتقدمين بحسب درجات التخرج بالكلية والدبلوم والقابلية التدريسية والخبرة العلمية .

(٣) الاصل في الدراسة التفرغ التام لها .

(٤) يقبل للدراسة طالبان فقط في الوقت الحاضر ويعتبر كل منهما مسجلاً عاماً في الشعبة ، كما يعين لكل منهما مشرف من قدامى اعضاء الهيئة التدريسية .

(٥) مدة الدراسة ثلاث سنوات من ضمنها سنة الدبلوم التي تعتبر سنة تحضيرية .

(٦) تشمل الدراسة مواضيع العلوم الاساسية ويعتبر النجاح في هذه المواضيع اساسياً للانتقال الى دراسة صلب الموضوع ويوضع لكل ذلك نظام خاص بالاشتراك مع الدراسات العليا الاخرى وفروع العلوم الاساسية يتضمن مفردات المواضيع العلمية وعدد الساعات في كل موضوع وموقف الراسبين في هذه المواضيع .

(٧) يقدم المشرفون على الطلاب تقارير متعاقبة عن أعمالهم وتقدمهم وقابلياتهم العلمية والتعليمية وينظر الى هذه التقارير في تقدير درجة النجاح النهائية .

(٨) يدخل الطالب الى الامتحانات النهائية بعد أن يقدم اطروحة تناقش من قبل هيئة توصي بها الهيئة العلمية على أن تضم خبيراً خارجياً بهذا الاختصاص .

مع التقدير .

الاستاذ المساعد قيس كبة   الاستاذة لميعة البدري   الاستاذ كمال السامرائي

رئيس جامعة انقرة ـ ٦ / ٣ / ١٩٧٣

زار بغداد رئيس جامعة انقرة الدكتور احسان دوغراماجي ، وهو من عائلة تركمانية نبيلة باربيل ، وكان أبوه في أيام الحكم الملكي في العراق عضواً في مجلس الاعيان ممثلًا للاكراد في العراق . كما كان خاله الدكتور لطفي قيردار ، في الزمن نفسه ، والياً لمدينة استانبول . وقد تخرج الدكتور احسان في كلية طب بغداد في سني الاربعينات . ثم رحل الى أمريكا للتخصص في أمراض الأطفال وفي ايابه عرج الى انكلترا للسبب نفسه ، وعاد الى بغداد ليصبح في وقت قصير جداً منافساً قوياً لمشاهير أطباء الاطفال ببغداد ، وبعد مضي بضع سنوات رحل الى استانبول . وكان خاله طبيباً من خريجي جامعة استانبول ، وقد جاء الى بغداد ليعمل في أحد مستشفياتها غير ان ذلك لم يتم لسبب لا نعرفه فعاد الى استانبول ليرأس أمانة هذه المدينة . أما الدكتور احسان فقد تدرج في المراتب الجامعية حتى تولى رئاسة جامعة أنقرة ، كما اصبح رئيس (اتحاد اطباء الاطفال العالمي) ، وبعد أن تولى جميع هذه المناصب عرفنا عندئذ انه في الأصل من عائلة تركية وانه استرجع هذه الجنسية حين قطن تركيا . وفي احدى زياراته لبغداد رتبت له مقابلة مع السيد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر . وهذه المقابلة قيل انها كانت بتوصية سفير العراق بأنقرة الذي نقل الى وزارة خارجية العراق احتمال أن يتولى الدكتور دوغراماجي

رئاسة وزارة تركيا ، وان الترحيب به في بغداد من قبل السيد البكر لا يخلو من فائدة للعراق مستقبلاً . وقد سمعت من الدكتور دوغراماجي ان الرئيس البكر في غضون حديثه معه سأله عرضاً :

ـ أنت من مواليد كردستان العراق ، وتخرجت في كلية طب بغداد ، وزوجتك عراقية ، ولك أملاك في العراق ، فهل نحسبك عراقي ؟

فاجابه دوغراماجي بلباقة :

ـ أنا مائة بالمائة عراقي ، ومائة بالمائة تركي .

وعاد يسأله البكر بملاطفة :

ـ وماذا عن علاقتكم بالاكراد ؟ واعرف ان اباك كان يمثل هذه القومية عضواً في مجلس الاعيان ببغداد ؟

فاجابه دوغراماجي :

ـ حبذا لو أستطيع أن أخدم هذه القوميات الثلاث .

وفي دعوة أقامتها وزارة الصحة للدكتور دوغراماجي بنادي العلوية وجه الدكتور دوغراماجي الدعوة لبعض اساتذة الكلية لزيارة جامعة انقرة ، وكنت من بينهم . وبعد اسبوعين وصلت الدعوة تحريرياً بتوقيع الدكتور دوغراماجي لزيارة جامعة انقرة ومعها بطاقات السفر بالطائرة ذهاباً واياباً . وكان في استقبالنا دكتور دوغراماجي وعدد من اساتذة الجامعة بانقرة . وتوالت الولائم والزيارات لمعالم المدينة وكلياتها . وفي دائرة الاحصاء بكلية الطب رأيت لاول مرة الكومبيوتر والعجائب التي تقدمها هذه الأداة في دائرة التسجيل . وفي اليوم الثاني زرنا المتحف الوطني ، وأكثر ما رأيت فيه آثار حيثية لاقوام لهم تاريخ مباشر مع الاتراك ، أو ان الاتراك من أصل حيثي . وكانت آخر الولائم التي أكرمونا بها هي التي اقامها الدكتور دوغراماجي في بيته . وكانت عقيلته وهي كريمة حكمت سليمان ، مضيفة كريمة مع ضيوفها وسخية في ما ملات به مائدة العشاء . وبعد العشاء حصلت مفاجاة أذهلتنا حين كان كل واحد منا يبحث بحماس مع أحد الاساتذة الاتراك موضوعاً من المواضيع ، فقد انفرج باب مدخل الصالة الوسيعة وخرج منه اربعة شابات واربعة شباب باللباس التركي التقليدي يتقدمهم جوق موسيقي من الكمان والجنبش وهم يرقصون ويغنون باللغة التركية . كان ذلك مفاجاة حقاً . وبعد القطعة الاولى من هذا الاستعراض أخذ أعضاء هذه الفرقة أمكنتهم بين الضيوف . وحلّت مفاجاة ثانية بعد ذلك ، فقد تناولت الشابات كؤوس البيرة التي قدّمها لهن نادل كبير العمر ، وعرفنا من اعضاء هذه الفرقة انهم شباب وشابات من طلاب وطالبات كلية الطب بانقرة . وانتهزت فرصة انشغال

الضيوف بمتابعة الرقص والغناء في القطعة الثانية فابديت استغرابي لعقيلة الدكتور دوغراماچي من الشابات اللاتي يتقارعن كؤوس البيرة . فنفت أن يكون ذلك غريباً في تركيا ، كما انها هي نفسها لا ترى فيه معابة .

كانت هذه الامسية في دار الدكتور دوغراماچي ، وقد غادرناها بعد منتصف الليل وأنا غير متفق مع ما سمعته من عقيلة الدكتور دوغراماچي ، وهي مسلمة وفي بلد اسلامي .

مع الاستاذ ستبتو وأعماله في طفل الانابيب / ١٩٧٣

كنت يوماً مع عدد غير قليل من اساتذة الامراض النسائية والتوليد على مائدة الاستاذ هارولد مالكن في نوتنفهام . وكان من بين المدعوين الاستاذ (ستبتو) المشهور باعماله في علاج حالات عدم الانجاب بتربية النطفة في انبوبة اختبار ثم نقلها الى رحم المرأة العاقر . وستبتو في نحو الستين من عمره ، ممتلىء الجسم باعتدال ، كث الشارب حنطي السحنة ، ويضع على أنفه عوينات باطار بلاستيكي سميك . وهو منبسط في حديثه ويتكلم عن طريقته في تربية الاجنة خارج الرحم بتواضع واقتضاب . وذات يوم شكا لي صديق من الاجر العالي لاستشارة ستبتو في كمبردج ، وقال لي انها ألف باون لكل من تدخل عيادة هذا الطبيب ، وقد لا تنجح العملية في المحاولة الاولى ، ولا في المحاولة الثانية ، وقد لا تنجح نهائياً فاضطر أن يبقى في كمبردج حيث عيادة الدكتور ستبتو سنة كاملة ومع ذلك عاد وزوجته خاوي الوفاض . لقد تذكرت شكوى هذا الصديق وأنا على مائدة الاستاذ مالكن ، فذكرتها للاستاذ ستبتو ، فابتسم هذا وهو يشير الى مضيفنا الدكتور مالكن وهو يقول :

- ان هذا الرجل ذكر لي حكاية سمعها من أحد أصدقائه ببغداد تنطبق على أعمالي في إخصاب المرأة بطريقتي الخاصة ، (قال ستبتو) اذكرها الآن وأرجو من هارولد أن يصحح ما أقوله إن كنت لا أذكره جيداً . (كان في أيام الحكم التركي بالعراق والٍ أسس مسجداً باسمه) فسال عن أحسن خطاطي بغداد ليكتب على مدخل الجامع آية (قرآنية) معينة ، فكتبها ذلك الخطاط وجاء بها اليه في اليوم التالي فاعجب بها الوالي وأثنى عليها وسال الخطاط عن أجر أتعابه في كتابتها ، فقال له الخطاط بتواضع : انها الف ليرة ذهب . فبهت الوالي وأنكر أن يطلب الخطاط

هذا الاجر العالي ، وساله كم أخذت منك كتابة هذه الاية الكريمة ؟ فاجابه الخطاط ، ليس أكثر من عشر دقائق ، فقال له الوالي : انه غير معقول أن تطلب هذا المبلغ عن عمل لم يستغرق أكثر من عشر دقائق . فاجابه الخطاط :

ـ ولكنني يا حضرة الوالي لم أستطع أن أكتبها بعشر دقائق وبهذه الجودة إلا بعد أن أخذ مني نصف عمري ، فاذا رأيتم أجري عالياً فاطلب غيري أن يكتب لك هذه الاية الكريمة .

ومدّ الخطاط يده وأخذ الورقة التي كتبت عليها الاية ، ومزقها ، وانصرف من حضرة الوالي . والتفت ستبتو الى هارولد مالكن وساله :

ـ ألست الذي نقلت اليَّ هذه الحكاية ؟

وابتسم هارولد ونظر اليَّ وقال :

ـ والسامرائي هو الذي نقل اليَّ هذه الحكاية .

وكنت فعلًا أنا الذي نقلتها اليه ، وكنت سمعتها من الدكتور علي البير . فقال ستبتو :

ـ سواء كانت هذه الحكاية واقعية أم موضوعة فهي تغنيني عن الدفاع عن نفسي فيما أتقاضاه من اجور استشاراتي .

(ثم لاحقني يقول) يا سامرائي ، أنا عملت في تحقيق فكرتي بتلقيح البويضة خارج جسم المرأة ثم نقلتها الى جوف الرحم منذ عشر سنين دون راحة حتى حققتها في سنة ١٩٦٤ ، ولو اني مارست مهنتي في معالجة الامراض النسائية كما فعلها اترابي لاثريت كما اثروا من ممارسة هذا الاختصاص ، فانا أستحق ما أطلبه من المرضى ، بل هو أقل مما استحقه ، ولم أر في هذا المقام أن أناقش ستبتو على هذه الحجة ، فكثير من المخترعين والمكتشفين ماتوا وهم يحملون الى قبورهم الحسرات على العيش الرغيد ، غير ان اسماء هؤلاء لن تنسى حتى لو نسيت اسماء كل ملوك الدنيا .

الاستاذ ماك ريكر ـ من جامعة لندن يشاركني في امتحان طلاب كلية الطب / ١٩٧٣

صار من تقاليد كلية الطب في بغداد منذ اعتراف جامعات بريطانيا بشهادتها سنة ١٩٥٢ ـ أن تدعو أحد اساتذة جامعاتها للمشاركة في امتحانات الصف المنتهي من كلية الطب . وقد علمت يوماً من أحد طلابي الذين درسوا الطب بلندن ان

أحد أساتذة مستشفى همرسمث التعليمي واسمه (بل مكريكر) يطعن بتكرار في دراسات الطب ببغداد اعتماداً على ما سمعه من اصحابه الذين زاروا بغداد في سني الستينات ، وأكثرها مفتريات ، فقررت توجيه الدعوة اليه ليشاركني في امتحان طلاب السنة النهائية في الأمراض النسائية والتوليد لاطلعه على طلاب كلية الطب ببغداد وعلى معالم الحياة في بغداد ، وقد استصحب معه زوجته (جون) وهي سيدة أصغر منه عمراً ، وأكثر جمالها في رشاقتها ، وحلو تحدثها ، والبحّة الخفيفة في صوتها . وعلمت منها انها تشارك في مؤسسة لرعاية الامومة بلندن . وهي انكليزية الأصل والجنسية ، أما زوجها مكريكر فاصله من استراليا ، وهو في منتصف العقد السادس من عمره ، معروق الوجه مشدود العضلات ، وكنت كلما التقيت به في ردهة النسائيات بمدينة الطب ، أو في قاعة الامتحان ، أو في احدى اللقاءات الاجتماعية أتخيله يخطب في حشد من الناس في الطعن بالعراق والعراقيين ، فهدفت أن اغيّر من فكرته عنا ، وعملت جهدي بذلك في كل ميدان يحضره . وكان بشكل عام متساهلًا في امتحان الطلبة ، ويكثر من استجوابهم عن كثرة أو قلة ضروب الامراض النسائية في العراق ، وكم شاهدوا منها في قسم النسائيات بمدينة الطب التي تدربوا فيها .

وسألني بل ماك ريكر دون مناسبة أو مقدمة :

- ما معنى (كمال) بالانكليزية ؟

فاجبته :

- معناه PERFECTION .

فسألته :

- وما معنى (بل) بلغتكم ؟

فاجابني :

- في الحقيقة لا أعرف له معنى . ثم سألني :

- هل لاسمائكم معان ؟

- لكل اسم عربي تقريباً معنى ، ولا أظن ان لذلك مثيلًا في اسمائكم .

- هذا صحيح باستثناء اسماء الحرف التي يمارسها البعض فينسبون اليها ، مثل (كول مان) أي الفحام ، و (ووترمان) أي الملاح .

(ثم قال) نعود الآن الى موضوع امتحان الطلاب .

فقلت له :

- حبذا لو اعرف طريقتكم في امتحان طلابكم بانكلترا ، ولا مانع عندي أن اطور اسئلتي للطلبة بحسبها .

- سترى نلك . (واضاف) أنا لا أشعر بالراحة في أيام الامتحانات ، فهل أبدو الان قلقاً متوتر الاعصاب ؟

فقلت له :

- بالعكس ، تبدو مرحاً ومرتاحاً .

فقال بتبسط :

- أنا أجيد التمثيل . (واضاف) باي حال لنجعل اسئلتنا واضحة لا ملتوية ، ولا نحاول ايقاع الطالب في أخطاء ، ولنسأله عما يعرفه في مادة الموضوع ، لا عما لا يعرفه فيها . هذا ما أفعله في امتحان الطلاب بانكلترا ، ومن أجوبة الطالب عما يعرفه استطيع أن أعرف عمق معرفته بما قال .

فأبديت له ارتياحي فيما يراه لامتحان طلابنا في هذا اليوم وقلت له :

- لم أجد أحداً من الممتحنين الزائرين إلا ويقول لي ما سمعته منك الآن ، غير انني لاحظت ان أكثرهم لا يطبق ما يقوله .

فقال لي وهو يضحك :

- سوف اطبق ما قلته ، وستكون اسئلتي في عموميات المواضيع .

ونادت سكرتيرتي على أول طالب ، وكنت أعرفه طالباً مجداً ولامعاً بين أترابه من الطلبة . فبادره ماك ريكر يسأل :

- ما اسمك يا بني ؟

- فيصل عبدالله .

- وما معنى فيصل ؟

- معناه (سيف) .

- حسن يا فيصل ، اسألك فيما تعمله لسيدة بعمر العشرين تشكو من افرازات مهبلية .

فاجاب الطالب ببساطة :

- أفحصها .

- ألا تريد أن تسألها عما له علاقة بشكواها ، ألا تريد أن تسألها عن تاريخ بداية هذه الشكوى ، وعن كمية الافرازات وصفتها من لون ورائحة ، وفيما اذا كانت تسبب الحكة في ما بين الشفرين ؟

- نعم لا بد من هذه الاسئلة .

- ثم ماذا تفعل بعد هذه الاسئلة ؟

- أفحص المريضة .

ـ تفحص ماذا من المريضة ؟

ـ أفحص أعضاءها الانثوية الخارجية والداخلية .

ـ كيف ؟

ـ باستعمال المنظار المهبلي .

ـ ألا تدرس بالملاحظة حالة الاعضاء الانثوية الخارجية أولًا ؟

ـ طبعاً ، فهذا ضروري .

ـ ثم ماذا ؟

ـ أفحص داخل المهبل باستعمال المنظار المهبلي .

ـ كيف ؟

ـ بادخاله في المهبل .

ـ كيف تدخله في المهبل ؟ قل لي ذلك بالتفصيل ؟

فارضاه الطالب بجوابه ، فسأله ماك ريكور :

ـ ما الهدف من استعمال المنظار المهبلي ؟

وبدا لي ان هذا الطالب قد لمس نوع اسئلة ماك ريكر فاجابه :

ـ لارى فيما اذا كانت الافرازات تنحدر من عنق الرحم أم من جدران المهبل !

فقال له ماك ريكر :

ـ جيد جداً .

وهكذا كانت اسئلة ماك ريكر ، بسيطة جداً حتى ليخال الطالب انه يقصد بها أكثر مما يفهم من منطوقها .

وقال لي ماك ريكر ، ونحن نتناول الشاي في فترة الاستراحة القصيرة انه يسأل الطالب اثناء امتحانه عن عموميات المواضيع لا في جزئياتها ، وهذا أيضاً ما يفعله أكثر الممتحنين في بريطانيا ، فايدته على صواب نهجهم في الامتحانات . (واضفت) أقول حبذا لو تسأل الطالب عن قدر ما يعرفه في مواضيع الامتحان لا أن نفتش عن جزيئة ضائعة بين طيات كتبه .. فقال ماك ريكر ، وهذا أيضاً نهج صحيح الى حد كبير ، فارتحت لتاييده لفكرتي وأنا في الوقت نفسه متشوق أن أعرف نوع اسئلته ، فقد شاركني كثيرون من الاجانب في امتحانات طلابي ولم أجد من بينهم إلا القليل ممن يتفقون على اسلوب واحد من الاسئلة . وحضر طالب ثان لاداء الامتحان ، فسأله عن اسم المريضة التي أوكلت اليه لفحصها ، وعن عمرها وهيئتها العامة ، وعن شكواها . فقال الطالب :

ـ تشكو من ورم ليفي في الرحم .

- هذا مرضها ، ولكني اريد أن أعرف مِمَ تشكو ؟
- دخلت المستشفى لقلع رحمها .
- هذا هو علاج شكواها ، لا ما تشكو منه .
وساله مستوضحاً :
- هل تشكو هذه المريضة من ألم بسبب الورم الليفي ؟
- لا ، لا تشكو من ألم .

وعاد يساله :
- ما هي علامات الورم الليفي بالاضافة الى ملمسه باليد ؟
- النزف الدموي .
- نعم هذا هو أهم علامات الورم الليفي ، وهو نفسه شكوى المريضة ، ولاجله جاءت الى المستشفى ، على ما أظن .
- أنت قلت ان عمر المريضة خمس وعشرون سنة ، فهل هذا عمر مالوف مع الاورام الليفية ؟
سكوت !
- هل هو مالوف في عمر الخمس والثلاثين سنة ؟
- نعم مالوف .
- هل مريضتك تبغي الحبل ؟
- لم تذكر ذلك .
وساله مرة اخرى :
- هل يتفق الورم مع الحبل ؟
- يتفق .
- طيب ، ماذا توصي لهذه المريضة وهي لا تزال صغيرة نسبياً ، رفع الورم وحده أم رفع الرحم والورم معاً ؟
- محاولة رفع الورم وحده إن أمكن .
قال الاستاذ ماك ريكر :
- اكتفي بهذه الاسئلة ، وسارى طالباً في الردهة .
- وأتممنا امتحان الطلاب باربع ساعات ، كنا أنشط في اوائلهم وأكثر تساهلاً في تقدير درجة اجوبتهم مما كنا مع الطلاب الاخرين . واجتمعت به في غرفتي لنضع الدرجات النهائية ، فسالته عن رأيه في معلومات الطلبة :
- البنات على الاكثر انشط في الاجابة من الشباب ، ولاحظت ان عددهن كبير

بالنسبة لعدد الشباب .
(وسأل) : كم عندكم من البنات ؟
ـ خمسة عشر بالمائة من المجموع .
ـ هذا مناسب .
ـ كانت النسبة قبل بضع سنوات اربعين بالمائة .
ـ هذا أكثر مما يجب ، وعلى كل حال أنتم أعرف ما يحتاجه بلدكم من جنس النساء .
ـ هل كل الاطباء النسائيين من النساء ؟
ـ أكثرهم من النساء .
ـ أكثر الاطباء النسائيين في بريطانيا من الرجال . (ثم قال) بالمناسبة ذكر لي طالبان الملقط الشافط ، فهل تستعملونه في العراق ؟
ـ ليس بكثرة استعمال الملقط المعدني . (ثم اضفت) أنا الذي أدخلت الشافط الى العراق ، وقد عرفته لأول مرة في المؤتمر النسوي الدولي الثامن بمونتريال حين عرضه استاذ التوليد باستوكهولم .
ـ هل تفضله على الملقط المعدني في الاحوال نفسها ؟
ـ لكل واحد حسناته وسيئاته ومجال استعماله .
وقاطعني بل قائلاً :
ـ سوف يبقى الملقط المعدني متربعاً على عرشه بلا منافس . (وسألني) من يكون ذلك العربي الاندلسي الذي صمم ملقطاً لاستخراج الاجنة الميتة حين تنحشر في المهبل ؟
فقلت له :
ـ انه الزهراوي ، خلف بن قاسم الزهراوي .
فقال :
ـ لا ، انه (بلكيس) .
ـ نعم هو (أبو القاسم) الزهراوي ، وأنتم تسمونه بلكيس وتعنون به أبا القاسم .
ـ إذن هو أبو القاسم الزهراوي .. هل تدرسون تاريخ الطب العربي ؟
ـ أنا أدرس هذا الموضوع ، وهو هوايتي .
ـ في جامعة لندن دورات أمدها ستة أشهر تقام في مستشفى ويست منستر وتمنح شهادة دبلوم في تاريخ الطب بشكل عام وفي الطب العربي أيضاً .

- نعود الى امتحان الطلاب ، فكيف رأيتهم يا بل ؟
فاجابني :
- انهم يعرفون أكثر مما يجب أن يعرفوا في موضوع الأمراض النسائية والتوليد ، ويعرفون من التفاصيل الدقيقة فيه بقدر ما يعرفه الاستاذ الممتحن ، كما رأيتهم يتقيدون بما يقرأونه في الكتب وما يسمعونه من المحاضرين فقط دون الخروج الى روافد اخرى مما يمكن أن يعرفه الطالبُ من المريض ، كذلك هم قليلو الكلام في شرح المادة ، فقلت له : انها اللغة ، وهي التي تحدد حريتهم في الكلام .

وانتهيت من امتحان الطلاب في نحو الثانية ظهراً ، وكان عليَّ أن أحمل ماك ريكر بسيارتي الى نادي العلوية حيث أقامت له كلية الطب حفلة غداء . ومررنا بالساحة التي ينتصب في وسطها تمثال عبدالمحسن السعدون وكان كثير من الناس يحتشدون حول شرطي يهيىء بندقيته ليصوبها نحو كلب على بعد قريب منه ، فرجاني ماك ريكر أن أتوقف ليرى ما يجري . وكنت أعرف ماذا سيحدث مسبقاً ، فقد شرعت في تلك الايام شرطة بغداد بحملة لابادة الكلاب السائبة . فاردت أن لا يرى ضيفي ماك ريكر مشهد الكلب وهو يقتل ، والكلب عند الانكليز الولد المدلل لمن ليس له ولد . وكان ذلك الكلب ذا فراء أبيض كثيف وعينين واسعتين ، وكان يقبع في تلك اللحظات عند قاعدة تمثال السعدون ولسانه يتدلى من فمه ، ويتلفت الى من حوله باستغاثة ، والى ماسورة بندقية الشرطي باستعطاف . كان هذا الكلب وديعاً وقد يكون له اصحاب هم الآن في قلق عليه .. وفي لحظة مفاجئة اختلط فيها عواء الكلب الموحش بطلقة النار القاتلة ، فسقط الكلب في مكانه غارقاً في دمائه . أما الشرطي فاستدار عن الكلب ونفخ بفمه فوهة ماسورة البندقية ليخرج ما بقي فيها من دخان بارود الطلقة وكانه لم يزهق روحاً قبل لحظات . أما ماك ريكر فابقاني دقائق بعد أن انفضّ الناس من حول الكلب ، وبقي صامتاً وأنا أعرف يقيناً ما كان يدور برأسه ، حتى انفجر قبل أن نصل النادي يسألني :
- أليس بين هؤلاء الناس من يحتاج الى مثل هذا الكلب الجميل فياخذه الى بيته ؟

وكان جوابي السكوت .

× × ×

كان ماك ريكر يجلس على طرف اريكة اثناء امتحان الطلبة ، الى جانب النافذة الواسعة التي تطل على نهر دجلة ، فاذا جاء دوري في امتحان الطالب التفت تجاه النافذة ليطلع على ما يطفو على ماء دجلة أو ما يطير في سماء بغداد ، أو ينظر

بعيداً عبر النهر الى الجانب الغربي من النهر حيث البيوت البغدادية ذات الطابع العربي الاسلامي ، فيبدي اعجابه بها بعبارة يحاول أن يجعلها لا تصل الى سمعي أو سمع الطالب ، ولكني كنت أسمعها بقدر من الوضوح . وفجاة نهض ماك ريكر عن مقعده وتقدم من النافذة وهو يتابع لقلقاً يحلق عالياً في السماء . قال بدهشة واستغراب :

- ستورك (يقصد لقلق) . (واضاف) ما أجمل هذا الطائر حاطاً أو طائراً ، لوناه الاسود والابيض ورقبته الطويلة ومنقاره الاحمر ، ورجلاه الحمراوان ، وكلها طويلة . (وسالني) هل يكثر عندكم اللقلق ؟

- نعم كثير ، وهو يعشش على أعالي السطوح في داخل المدن أو على الاطلال وبيوت القرى .

- ألا يخاف من سكان بغداد ؟

- بل يالفهم ويالفونه . وهذا هو فصل وجوده في الصيف .

- وفي الشتاء ؟

- لا نراه في بغداد ، ولا يرى ايضاً في أية مدينة عراقية .

ولاحظ لقلقاً آخر فنهض يتابع خط طيرانه . فسالته :

- ألم تر لقلقاً يا بل ؟

- نراه في حديقة الحيوانات فقط ، ونراه يتخطى متبختراً على الارض ، وهو في ذلك ليس بجماله كما أراه الآن طائراً في الجو ، وجناحاه متبسطان ، وعلى طرفيهما رقبته الطويلة ورجلاه الممتدتان . كما ان ألوانه البسيطة من الأبيض والأسود والاحمر في منقاره الطويل تكسبه جمالًا جذاباً ، انه فعلًا طير جميل .. ولا بد ان له شيئاً آخر من الجمال ، حين يكون طليقاً في المروج وعلى سواحل الأنهر ، حين يكون بين المروج الخضراء .

وكان ماك ريكر حين يجد المناسبة لا يفتأ يسال عما في بغداد من المساجد والكنائس والاسواق القديمة والصنائع اليدوية ، وأنواع ألبسة الناس ، ثم يقول :

- لا بد أن أراها جميعاً .

- ستراها دون شك ، ان أردت .

- أريد أن اصور أبواب الجوامع وقبابها ومنائرها فهل ذلك ميسور أم محذور ؟

- غير محذور .

- حتى مزار الكاظمين ؟ فقد رأيتها البارحة وخفت أن اصورها .

- لا خوف من ذلك بالتاكيد .

وفي آخر يوم من بقائه ببغداد سألته :

ـ قل لي يا بل كيف رأيت بغداد وأهل بغداد وطلبة الطب في بغداد ؟

وبدا لي انه عرف ما دفعني الى هذا السؤال ، فلم يحذر أن يكون جوابه مناقضاً عما كان يقوله عن العراق ، فقال لي :

ـ الحقيقة يا كمال انني غيّرت رأيي في كل ذلك أو في أكثره .

فقلت له :

ـ شكراً يا بل ، وهذا كل ما أردت أن أعرفه منك .

فقال لي وهو يسبر بعينيه ما في صدري :

ـ أظنك يا كمال قد استدعيتني الى بغداد لا لاشاركك في امتحان الطلاب بل لاغيّر رأيي عن العراق والعراقيين .

فقلت له :

ـ في الحقيقة ، لكليهما يا بل .

فقال لي :

ـ كمال ، لا بد أن أقول ان بعض طلبتك جيدون ، وقسم منهم ليسوا أقل نباهة من طلابنا في بريطانيا .

فقلت له :

ـ يسرني أن أسمع منك ذلك يا بل .

ورأيت الفرصة مواتية لاعرف رأيه في ما رآه عن بغداد ، وكان في تلك اللحظة قد التفت يرقب من خلال النافذة لقلقين يحلقان صعّداً في الجو فوق نهر دجلة ، فنهض فجاة ليتابع طيرانهما بتركيز وقال :

ـ يا إلهي انهما لا يزالان يرتفعان لولبياً ! (واستطرد يسأل) لماذا يفعلان ذلك ؟ أهي رياضة منهما ؟ فاجاب نفسه يقول : يحتمل انهما يفعلان ذلك طلباً للبرودة في أعالي الجو . (وأضاف يقول) : ان ميزة هذا الطير الجميل هي انه يعيش في المدن لا في الصحارى أو الغابات أو على ضفاف الأنهر البعيدة عن الناس ، وقد يكون اللقلق يدرك هذه الميزات التي لا تتوفر لكثير من اصناف الطيور ، فكسب من ذلك خيلاء وكبرياء وجمالاً .

وانتهت أيام الامتحانات ، وعندما ودعته في مطار المثنى قال لي :

ـ اطلبني يا كمال لامتحان الطلاب في السنة القادمة ، لاصور اللقالق على سطوح بيوت بغداد وفي سمائها .

الى اديس أبابا بالحبشة / ١٩٧٤

اشار عليَّ صديقي الاستاذ (هارولد مالكن) أن أزور أديس أبابا لمشاهدة أعمال الجراح النسوي (هلمن) وزوجته (كارولين) وما عملاه لمعالجة حالات النواسير المثانية المهبلية التي يكثر حدوثها في الحبشة ، فطلبت من عمادة كلية الطب سنة تفرغ علمي ، فمنحتني ستة أشهر فقط لاسباب ادارية وتعليمية . وحدث وأنا أتهيا لمغادرة بغداد الى بيروت في طريقي الى الحبشة أن أصابتني حمى مصحوبة بسعال جاف ، فعرضني زميل للأشعة واذا هو يكتشف وجود عتمة في الرئة اليسرى ، وأخذ عينة من دمي فظهر له ان BSR عالٍ جداً ، وهذا ما جعل زميلي يعتقد احتمال اصابتي بسرطان الرئة ، فكان هذا الاحتمال مفجعاً لي . فقررت السفر الى بيروت وفي نيتي أن أقصد لندن للفحص من قبل اختصاصيين في أمراض الصدر . وفي بيروت أقنعني الزميل عدنان مروّة (وزير الصحة بعدئذ) بزيارة دائرة الاشعة بكلية الطب في الجامعة الامريكية . واطلع اطباؤها على الصور الشعاعية التي حملتها معي من بغداد ، فنفوا أن تكون العتمة سرطانية ، فصوروا صدري مجدداً للتاكد من تشخيصهم ، فقرروا انها صورة المادة الشحمية التي تحيط برأس القلب ، وانها بشكل قاطع ليست من أجزاء الرئة وليست ورماً سرطانياً ، وكان فرحي بهذا التشخيص لا حدود له ، وليس أقل من مثل تبديل حكم الاعدام بالبراءة، وكنت في ذلك اليوم قد اعتذرت عن قبول دعوة الدكتور مروّة الى بيته لاضطراب مزاجي جراء احتمال اصابتي بالسرطان ، فلما اقتنعت بتشخيص زملائه ، وان ما ظهر بالاشعة غير ما شخصه زملائي في بغداد ، قلت للدكتور مروّة : أنا في بيتك غداً يا عدنان . وكانت ليلة بالنسبة لي لا مثيل لها سروراً وابتهاجاً . وعدت الى قراري الاول لزيارة الاستاذ هلمن في أديس أبابا .

ورأيتَ أن أزور السودان في طريقي الى اديس ابابا ، وسافرت أنا وزوجتي على الخطوط الجوية السودانية .

وفي الساعة الاخيرة من نهار ٢٥ / ٢ / ١٩٧٣ هبطت الطائرة على ارض مطار الخرطوم بينما كانت الشمس تهبط باتجاه الافق وقد صبغت مسحلها بلون ارجواني خلاب ، إلا ان ذلك لم يطل كثيراً حتى درجت الطائرة على أرض المطار ، وبينما كنت في طابور من كان على ظهر الطائرة على ارض المطار ، تقدم مني شاب بدا لي انه من موظفي المطار وقرّب رأسه من رأسي وسألني بتودد :

- عربي يا أخ ؟

- من بغداد العراق .
- هل ممكن أن تساعدني بإحسان ؟
وظننت انه وراء مساعدة مالية فقلت له بتحفظ :
- إن استطعت .
- هذه جينهان لتشتري بهما (كارتون سجاير مالبورو) .
ومد يده اليَّ وهو يخفي فيها الجنيهين ، وأراد أن يفسر لي سبب هذا التحفظ فقال لي :
- غير مسموح لموظفي المطار شراء أي بضاعة من السوق الحرة .
وفهمت الامر ، وأخذت من يده الجنيهين ، واشتريت بها ما أراده من حانوت السوق الحرة بالمطار . ولحق بي وقال لي :
- ساراك خارج المطار .
وعبرت قيود مغادرة المطار بسهولة ، وحملت حقيبتي الى حيث تقف سيارات الاجرة لتنقلني الى أحد فنادق مدينة الخرطوم . وصرت انتظر من يتقدم اليَّ لياخذ السكائر التي اشتريتها له من السوق الحرة . وطال انتظاري وأنا احدّق في وجوه من يخرج من باب المطار . ويتقدم مني سواق سيارات التاكسي يعرضون عليَّ سياراتهم لنقلي الى المدينة ، فاردهم شاكراً . واجتذب وجودي وحيداً نظر من يمر بي من الناس ، ولم يبق في ساحة سيارات الاجرة إلا الشاحنة التابعة لشركة الطيران السودانية ، فاستحثني سائقها ان ألحق بسيارته ، فلم أر بداً من أن استجيب لندائه وصعدت الى سيارته وصرت التفت الى من فيها لعلي أجد بينهم ذلك الشاب ، وضاعت في مخيلتي صورته ، كما بدا لي كل السودانيين متشابهين ، والبشرة السوداء في العراق علامة فارقة بين عامة الناس البيض ، بينما لا نفرق أحياناً بين رجل صيني وآخر من جنسه . ووقفت الشاحنة في ساحة تحاذي نهر النيل ، وترجلت كما فعل غيري ممن كان في الشاحنة ، فاذا أنا وجهاً لوجه مع صاحبي الذي اشتريت له السكائر ، فتسلمها من يدي بامتنان عظيم ، وقاطعت ما أراد أن يضيف من الشكر لي وسالته :
- أين أجد الفندق المريح في الخرطوم ؟
فاجابني :
- أفضل فنادق المدينة هو (فندق الخرطوم) وموقعه عند اتصال النيل الابيض بالنيل الازرق .
واستاجرت سيارة تاكسي الى فندق الخرطوم ، وكان فخماً في مظهره وفي

باطنه ، وبناؤه على الطراز الفكتوري الانكليزي ، وفي صالاته مقاعد وثيرة ، وستائر ثقيلة تغطي نوافذ صالاته من السقف حتى الارض ، وثريات ضخمة تحملها سقوف عالية . وسمعت أحد مراجعي الفندق يخاطب موظف الاستعلامات فيه باسم (سي مصطفى) فتقدمت من هذا الرجل وسألته بتحبب :

ـ كيف الحال سي مصطفى ؟

فاجابني :

ـ نشكر الله ، أي خدمة ؟

فاخترعت حالًا كذبة (بريئة) وقلت له :

ـ أوصاني كثير من اصدقائي في القاهرة أن أتصل بك لتجد لي مكاناً ملائماً لاقيم فيه بضعة أيام . (وأضفت) وأنا الآن وصلت الخرطوم ومعي عائلتي وهي متعبة جداً و ....

فاجابني قبل أن أنهي حديثي معه :

ـ يا أخي كان عليك أن تحجز قبل أيام من وصولك ، وهذا موسم المؤتمرات ، ومن الصعب جداً أن تجد مكاناً في أي فندق .

وتقدم من سي مصطفى أحد نزلاء الفندق يطلب منه مفتاح غرفته . فتجسّم في مخيلتي الراحة العظيمة والمتنوعة التي سيجدها هذا الرجل اذا ولج غرفته . فانكمشت بهذا الشعور الى جانب منضدة سي مصطفى الطويلة . وكنت لا أزال أعد (العطاء) في مثل هذه المواقف سلفة تكريمية لخدمة موظفي الفندق ، فادخلت يدي في جيبي وافردت مما فيها جنيهين ، ومددت يدي بهما الى سي مصطفى وأنا أقول له :

ـ حاول يا أخي أن تجد لنا مكاناً . وفي حركة خاطفة ، كما تفعل طيور الباز الجارحة حين تنحدر من الجو بسرعة مذهلة لتلتقط طريدتها من دواب الارض ، بمثل هذه الحركة التقط سي مصطفى الجنيهين وقال لي :

ـ سأعمل لك ما استطيعه ، ولكن لا في هذا الفندق ، فجميع غرفه محجوزة على مدى اسبوعين .

وتركني واتجه الى تلفون على منضدة جانبية ، وطلب رقماً على قرصه ، وتكلم مع شخص كان على أكثر الاحتمال امرأة ، ولكنني لم أفهم لهجته مع ان لغته كانت عربية ، كما كان صوته خافتاً ، والتلفون ليس قريباً مني . ثم عاد الى طاولته الاولى ليجيب على نداء تلفوني ، وقال شيئاً لم أفهمه أيضاً ، ثم عاد الى التلفون الثاني وحرك أرقاماً في قرصه ، ثم أقفل الخط وعاد يطلب رقماً آخر وبعد لحظات عاد اليَّ

يسألني :

- الاسم الكريم ؟

- كمال السامرائي ، دكتور كمال السامرائي .

- هناك غرفة شاغرة في فندق خارج المدينة وقريب جداً من المطار ، هو في الاصل دار سكنية ثم حور الى فندق ، وفي الغرفة حمام . وحين تصل هذا الفندق اطلب (حمدان) وهو مدير هذا الفندق ، وساعيد الكلام معه ليعتني بك .

- شكراً يا سي مصطفى ، واسم الفندق ؟

- اسمه (دي پاري) .

وغادرت الفندق الى سيارة التاكسي حيث كانت تنتظرني فيها زوجتي . وقلت لسائقها وأنا أصعد الى جانب زوجتي :

- الى فندق دي پاري رجاءً .

وفي السيارة شرحت لزوجتي ما دار بيني وبين سي مصطفى . وبعد أكثر من ربع ساعة وقفت سيارة التاكسي عند باب فندق دي پاري ، المدهون بلون أزرق غامق لا جمال فيه ولا ذوق . واستقبلني سوداني على كل من خديه ندبة موازية لانفه مما هي معروفة بين قبائل هذا البلد ، ورحب بنا في فندقه .

- أنا حمدان وقد أوصاني بكما سي مصطفى من (فندق الخرطوم) .

وحمل حقائبنا الى داخل فندقه . وعدت الى السائق أسأله عما يطلبه عن أجر خدمته فرفع يمناه وطوى ابهامها على راحتها وافرج اصابعها الاربعة ونشرها أمام عيني ، ففهمت ما يريد ، ودفعت له اربعة جنيهات ، وهي التي طلبها مني بالاشارة . ونادى حمدان على شخص باسم (احمد) ليحمل حقائبنا الى الغرفة السادسة بالطابق الثاني في الفندق ، وهي آخر غرفة شغرت في هذا الفندق . انها غرفة واقعياً ولكنها وسخة الجدران والبلاط ، وحمامها قذر وسريراها من الحديد البدائي ، والافرشة كانها مما يسرق من البيوت بمختلف المستويات والالوان . وبدا على وجه زوجتي الاشمئزاز ولكنها لم تعرب عنه فقلت لها :

- لا بأس هما ليلتان ثم نغادر الى الحبشة .

ونمنا تلك الليلة نوماً متقطعاً لما تحدثه اصوات الطائرات التي تحط على ارض المطار والتي تقلع منه . كانت أصواتها تهز زجاج نوافذ الغرفة دون انقطاع ، فعاد يحز فينا الندم على المجيء الى هذا الفندق . وفي صباح اليوم التالي اتصلنا بابنة عم زوجتي الآنسة (فاخرة الزهاوي) علّها تجد لنا فندقاً أفضل . وحاولت مشكورة دون جدوى .. ورأيت قتلاً للوقت أن أزور جامعة الخرطوم (جامعة كوردون

سابقاً) وحملتني اليها سيارة تاكسي . وكنت اعرف ان عميد كلية الطب في هذه الجامعة متزوج من سيدة عراقية من آل الحيدري الكردية ، فقصدته وقدمت له نفسي على اني عراقي متجه لزيارة اديس ابابا ، فرحب بي أجمل ترحيب وقادني لمشاهدة مرافق الكلية والجامعة ، وفي طريقنا لاحظت زهاء عشرين شاباً وكانهم اخوة من أب وأم واحدة ، ويلون اسود حالك ، طوال القامة برشاقة . وكانوا يجلسون في خط واحد ويمدون ارجلهم الى أمام وهم ساهمون وعليهم علامات التعب والحاجة الى الراحة ، فسالت صاحبي عميد الكلية عن هوية هؤلاء ، فاجابني دون اهتمام :

- عمال ، وهذه ساعة راحتهم .

وسالته عنهم :

- سودانيون ؟

فاجابني :

- لا ، أكثرهم من الصومال أو ارتيريا .

وفي طريقنا بعد أن اجتزنا صف هذا الشباب الصومالي لاحظت على أحد جدران الكلية صورة فوتوغرافية مؤطرة لرجل يضع على رأسه الكشيدة التي يرتديها حجيج بيت الله الحرام ، وتحت هذه الصورة كتب عبارة (المحسن الكبير السيد هاشم البغدادي) فاثارني هذا الاسم لاسال صاحبي عميد الكلية عن هوية هذا الرجل فقال لي :

- انه في الحقيقة ليس من بغداد بل من اكراد شمال العراق وقد دخل الخرطوم في اوائل العشرينات وعمل بالتجارة حتى اغتنى بها ، وتزوج امرأة سودانية (مقطوعة الشجرة) وتوفيت عنه دون عقب فاوصى بثروته لجامعة كوردون (الخرطوم فيما بعد) . (واضاف يقول) .. وكل ما تراه في هذا الخط من المختبرات وملحقاتها هي مشيدة مما ورد في وصية هذا الرجل الكريم .

واعجبني أن اساله أليس له أهل في العراق ليطالبوا بقسم من ثروته ؟

- فاجابني :

- نعم حصل ذلك ، وقدم الى الخرطوم محاميان من العراق ، غير ان محاكم الدولة لم تقر لهم بحق في ارثه .

وحين وصلنا الى قاعة كتب على جانب بابها كلمة (Chemistry Biochemistry) قال لي صاحبي العميد :

- في هذا الاسبوع مؤتمر قطري في الكيمياء العضوية ، وقد يعجبك أن تسمع ما يقال فيه . فدخلت هذه القاعة ومعي عميد الكلية ، وكان المتكلم انكليزياً ،

فسألته :

- أهذا المتكلم الاستاذ زائر من لندن ؟

فاجابني :

- بل هو استاذ الكيمياء الحيوية في هذه الجامعة . (ثم اضاف) وبالمناسبة أكثر رؤساء أقسام هذه الكلية من الانكليز .

وكان المحاضر يرتدي الروب التقليدي الاسود ويستعمل الواناً من الطباشير على سيورة واسعة ، كما كان نطقه بطيئاً وواضحاً .

وغادرت هذه الكلية ، واستقللت سيارة تاكسي من نوع فورد قديمة ، وطلبت من سائقها أن ياخذني الى بعض معالم المدينة ، فلم يثر اعجابي منها إلا منظر اتصال النيل الابيض بالنيل الازرق ، ولا أدري لماذا أعجبني أن اسأل سائق السيارة فيما اذا كانت توجد تماسيح في هذين النهرين بهذا المكان ، فأجابني :

- انها لا تنحدر قريباً من الخرطوم ، بل تبقى دائماً في اعلى النيل .

وعدت الى فنلق دي پاري لاتناول مع زوجتي الغداء .

وفي مساء ذلك اليوم دعانا القائم بأعمال السفارة العراقية الصديق رياض تحسين الى تناول العشاء في داره . وكان من ضيوفه في تلك الليلة عدد من اللبنانيين والعراقيين ، ودار الحديث بمختلف الشؤون ، وعن فنون السرقة في مدينة الخرطوم ، وكان بعضه مما لا يصدق ، فالسرقة في الخرطوم تكاد تكون فناً اعتيادياً ، وان السوداني يتدرب على طرق السرقة ، وان السارق لا يحمل السلاح الناري بل يعتمد في حملاته الاجرامية على سكين يشدها على زنده الايسر وغير ذلك مما جعل الحياة في السودان تبدو لي خطرة ، قال مضيفنا :

- قبل أشهر معدودات اقامت السفارة السعودية حفلة كبيرة للهيئات الدبلوماسية العربية والاجنبية في الخرطوم . وانفضّ الجمع بحدود منتصف الليل . وفي نحو الساعة الثالثة صباحاً استيقظ السفير السعودي على حركة غير طبيعية في صالة الطعام فنهض عن فراشه وانحدر الى صالة الطعام ليرى سبب الحركة فاذا في داخل الصالة سوداني يجمع في كيس بيده ما على المائدة من ادوات الطعام الفضية ، فتراجع السفير لئلا يضربه هذا السارق ونادى على الشرطة المكلفة بحراسة السفارة فقبضوا على السارق وقادوه الى المحبس رهن التحقيق للحكم عليه . وبعد فوات يومين دخل فرّاش السفارة الى مكتب السفير وقال له :

- سيدي في الخارج رجل يبدو فقيراً يطلب مقابلتك .

فاعتقد السفير ان هذا الرجل قصده لحاجة ، فقال للفراش :

ـ ادخله .

وساله السفير :

ـ وماذا تريد يا رجل ؟

فاجابه الرجل :

ـ سيدي أنا الذي قبضتم عليّ متلبساً بجريمة السرقة ليلة قبل البارحة .

ودهش السفير أن يراه طليقاً بعد أن قبضت عليه الشرطة .

وساله :

ـ وماذا تريد مني الآن ، أن أتشفع لك ؟

فاجابه ذلك السارق :

ـ لا يا سيدي ، وانما نسيت حذائي في غرفة الطعام واريد الآن أن استرجعه .

وقصّ علينا ضيف آخر أحداثاً اخرى بدا منها كان الحكومة السودانية تعلم بها ومضطرة أن تتساهل مع السراق . وبعد أمسية ممتعة في بيت هذا الصديق الكريم عدنا الى فندق دي پاري في نحو منتصف الليل وفي نحو الساعة الثالثة صباحاً سمعت زوجتي تناديني برعب شديد ، ولما افقت من نومي رأيت بين سريري وسريرها رجلًا طويل القامة ، يرتدي سروالًا قصيراً ، حافي القدمين ، فنهضت عن فراشي وأمسكت بيده ، غير انه دفعني عنه بقوة الى فراشي ، واتجه نحو باب الغرفة وفتحها وهرب ينحدر درجات السلم بعجالة وتعثر . وكبست على زر جرس الغرفة أكثر من مرة ولا جواب ، فأخافني الموقف وخشيت أن يكون ثمة تواطؤ بين موظفي هذا الفندق لسرقتنا أو لشيء سيء آخر .. فلم ننم حتى الصباح ، وزوجتي في حالة نفسية مزرية .

وفي الساعة السابعة صباحاً طلبت الموظف الذي استقبلنا ليلًا وأخبرته بتفاصيل ما حدث لنا ليلًا ، غير انه نفى أن يحدث ذلك باصرار ، فاتصلت بسفارتنا في الخرطوم . وفي اثناء ذلك تقدم مني على وجل الرجل الذي أشرف على مائدة فطورنا وأسرّ في اذني وهو يصف قوارير الفطور على المائدة :

ـ يا بيك لا تقول لاحد أنا الذي أخبرتك ، فان ابن اخت صاحب الاوتيل واسمه (سعيد) هو الوحيد الذي يمتلك (الماستر كي) لجميع غرف الاوتيل ، وهو الذي دخل غرفتكم بعد منتصف الليل .

فقلت لهذا الرجل لا عليك ، واطلب لي سعيد ، فكان هذا أمامي بعد دقائق ، فاذا هو نفسه الذي رأيته ليلًا في غرفتنا ، فسألته :

ـ أتدري يا رجل كم افزعتنا في ليلة البارحة ؟

فقاطعني يقول :
ـ لا أفهم ماذا تعني يا سيدي .
وفي هذه اللحظات وصلت احدى موظفات السفارة العراقية في الخرطوم ، وشرعت اشتم سعيذاً ، غير ان موظفة السفارة العراقية اسكتتني وهي تقول :
ـ لا فائدة ، ففي هذا البلد كثير من (حرامية) ولا فائدة من اخبار الشرطة إذ عليك أن تكون في مطار الخرطوم لتاخذ الطائرة الى الحبشة في خلال ساعتين ، واجراءات الشرطة قد تطول ساعات وربما أيام ، والنتيجة واحدة وهي الاعتذار من الشرطة وليس أكثر من ذلك . (وأضافت) وساقص عليك حكاية لا تحدث في أي بلد آخر غير هذا البلد ، قالت :
ـ اشتريت بعض الحاجيات البيتية ووضعتها في المقعد الخلفي من سيارتي ، ودخلت لاتناول عشائي في (مطعم النيل) ولما عدت الى سيارتي وسقتها استغربت من الهواء البارد الذي ينفذ الى سيارتي ، وكان زجاج أبواب السيارة مرفوعاً ، وانتبهت ان الهواء يندلق الى داخل السيارة من أمامها لا من جوانبها ، فمددت يدي لاستجلي الأمر فاذا يدي تنفذ دون حاجز من الزجاج الامامي . وعرفت حينئذ ان هذه الزجاجة قد رفعت من مكانها ، وهي ذات قيمة وقتئذ في السودان ، فسرقت دون أن نجد للسارق أثر .

في اديس أبابا بالحبشة

أخبرني صديق حين عاد من اديس أبابا قبل بضعة أيام ان هذه المدينة تقع على مرتفع عالٍ جداً من سطح البحر ، وانه عانى بضعة أيام من عسر التنفس بسبب هذا الارتفاع ، غير انني لم أشعر بذلك عند وصولي الى مطار هذه المدينة . واستعلمت من دائرة الاستعلامات في هذا المطار عن فندق في المدينة فارشدوني الى (اوتيل الجلالي) ، والجلالي باللغة الامهرية التي هي لغة الاحباش بمعنى (الجلالة) باللغة العربية . وهو فندق فخم ويكاد يكون جزءاً من ملحقات قصر الامبراطور (هيلا سلاسي) ، أو هو بالاصح جزء من اصطبلات قصره .
واستقبلني في استعلامات هذا الفندق شاب انيق ولم تكن هيئته حبشية ، ولا لونه ، وحين قرأ اسمي في جواز سفري كرر ترحيبه لي ، وشكرته بالمقابل وأنا أسأله عن اسمه الكريم فاجابني وهو يقدم لي مفتاح غرفتي :
ـ اسمي أحمد عزيزة من تونس .

ثم سحب بطاقة سميكة زرقاء اللون من درج الى جانبه وكتب على وجه منها اسمي واسم زوجتي ، وقدّمها لي ، فقرأت وجهاً منها ثم قلبتها وقرأت في وجهها الثاني رقماً بحجم كبير . فسألت السيد احمد عن معنى هذه البطاقة ، فقال وهو يشير بيمناه الى شجرة معمرة ضخمة وسامقة يتكيء على احد جوانبها سلّم درجاته من اغصان الشجر يصل الى سطحية في أعاليها ، قال لي أحمد :

ـ اذا صعدت الى تلك السطحية ، فسيقدم لك قدر من الحنطة المقلية بالملح لتلتهمها فتكون صديقاً لاهل هذا البلد .

وفي الصباح الباكر نهضت عن سريري وتوجهت الى نافذة الغرفة لاستنشق هواء الصباح الرقيق ، وهي عادتي على مدى سنين ، وأدرت ناظري بعيداً وقريباً ، واذا الامبراطور هيلا سلاسي يتقدم بخطوات بطيئة نحو مرابط خمسة خيول عربية بالوان متقاربة إلا التي كانت دهماء . ولم تكن تلك المرابط بعيدة عني ، وهي أخفض من مستواي ، فبدا لي الامبراطور قصير القامة ، وتمنيت في تلك اللحظات لو كان عندي ناظور مكبّر لأرى تقاطيع وجهه ، غير انه بدا لي بوجه غير متجهم وربما كان وجهه عذباً . أما رأسه المكوّر فكان يكسوه شعر قصير مفلفل وكثير الشيب ، كما بدا لي ان كل جسمه في صدره العريض . وكان يرتدي بزة بدت لي عسكرية لو كان على صدرها أو كتفيها ما يحمله العسكريون اثناء الواجب ، كما كان سروال هذه البزة من نوع (البرجس) وهو لباس الفرسان على الاكثر . كذلك كان يحمل بيده سوطاً مصنوعاً من الجلد المحوك . وخفضت ناظري فاذا برجل يسرع الخطى الى الخيول الخمسة وبيده جردل فطلب منه الامبراطور أن يتقدم منه ، وحين صار الى جانبه غمس الامبراطور كفه في جوف الجردل ثم سحبها ولم أر انه أخذ منها شيئاً ، وابتسم لحامل الجردل ، ثم تبادل معه بضع كلمات ، اعتقد انها كانت تتضمن امتنانه من سائس خيوله .

وغادر الامبراطور المرابط متجهاً نحو بوابة قصر الجلالي الضخم ، وكنت أراقبه حتى اختفى وراء باب القصر .

× × ×

وفي صباح اليوم التالي اتصلت تلفونياً بالدكتور هلمن في (مستشفى الأميرة) ليرشدني الى طريق الوصول اليه . وحين صرت أمامه في دائرته بالمستشفى سألني قبل أن يرحب بي :

ـ كم أعطيت أجراً لسائق التاكسي ؟

فأجبته :

- اعطيته دولارين .

وبش في وجهي ، وكأنه أراد أن يفهمني انه هو الذي جعل السائق لا يكسب مني أكثر مما يستحق من الاجر .

فقد قال لي :

- غريب كم ان اصحاب سيارات التاكسي هنا يميلون الى اطالة المساومة ، وهي طريقة تنطلي على السواح الغرباء ما لم يعرفوا مقدماً هذه الخلة الرديئة . (ثم قال لي) لا مثيل لهؤلاء الاقوام في المساومة إلا الباعة في مدينة (هونك كونك) .

وهكذا طال الكلام بيني وبين الدكتور هلمن وكأنه يكمل حديثاً بدأناه قبل ساعة ، أو قبل يوم . وأخيراً أخذ موقفاً آخر مني فمد يمناه وصافحني بتشوق وعاد يرحب بي :

- أهلا بك يا دكتور سامرائي في الحبشة ، أنت من العراق أليس كذلك ؟، كان من اصدقائي الدكتورة توكار ، تعرفها ؟

فاجبته :

- أعرفها ، وقد زاملتني في العمل بمستشفى مير الياس ، وبعدها غادرت العراق الى انكلترا ، وقد رأيت زوجها دكتور (لمبة) بمحض الصدفة ذات يوم بلندن ولم تكن زوجته توكار معه يومئذ .

فقال الدكتور هلمن :

- هي في مثل عمري ، ولكنني عرفت من مكاتباتها معي انها توقفت عن ممارسة العمليات الجراحية ، أقصد التوليد العسر بالعملية .

وفجأة انتبه الى انه اطال الحديث معي في موضوع قد لا يكون ممتعاً لي ، فسألني :

- هل ان زيارتك سياحية ، أم علمية يا دكتور سامرائي ؟

فاجبته :

- في الحقيقة جئت لاشاهد اعمالك في ترميم النواسير المهبلية المثانية .

فقال تواضعاً أو انها الحقيقة :

- اشتهرت في ترميم النواسير المهبلية المثانية باستعمال العضلة (كراسيلوس) وفي الحبشة حالات نواسير مهبلية واسعة جداً لا يمكن ترميمها إلا باستعمال هذه العضلة ، ومن هذا جاءت شهرتي كجراح نسائي .

ودخلت الغرفة في هذه اللحظة زوجته (كارولين) فقدمني اليها باسم الدكتور (سامهي) ، ولم أر داعياً لتصحيح هذا الاسم إذ هو ما يعرف في عموم منطقة

سامراء أيضاً . وزوجته كارولين طبيبة وهي معاونة زوجها في العمليات اذا احتاج الى معاونة ، وإلا فهي تعمل على انفراد يومين في الاسبوع دون معاونة من زوجها . وهي في مثل عمره كما بدت لي ، وقد تكون أطول منه قليلاً ، وأكثر نشاطاً ونضارة . وحين مدت يمناها لتصافحني تدلى من معصمها سوار من الفضة القديمة ، وفيما عدا ذلك لم يكن في اذنيها ولا على جيدها حلية . وبدت لي متعجلة ، فقالت لي وهي تودعني :

ـ ساراك على مائدة الغداء في بيتي ، اليوم .

وحين غادرت كارولين الغرفة سحبني زوجها هلمن الى ركن جانبي وشرع يعطيني معلومات يمكن أن احتاج الى معرفتها أيام بقائي في الحبشة . قال :

ـ هذا البلد غريب من وجوه كثيرة ، فيه غنى باذخ ، وفيه فقر مدقع ، وفيه ناطحات سحاب والى جوانبها اكواخ من الصفيح . واياك أن تخرج وحدك بعد الساعة الثامنة ليلاً وإلا هجم عليك سرب من الفقراء فيطيحوا بك أرضاً ويسلبوك ما تملكه في جيوبك . وقد يكون أسلم أماكن المدينة هي مقاهي ومطاعم الفنادق ، وهي غير قليلة . وفي هذه اللحظات جاءت ممرضة حبشية وهي تقول بالانكليزية :

ـ صالة العمليات جاهزة .

والتفت الدكتور هلمن نحو وقال :

ـ هيا بنا ، فهذه احدى العمليات التي أستحسن أن تشاهدها ، وفي غرفة جانبية طلب مني أن أخلع ملابسي وارتدي ملابس العمليات ، وكانت بلون أخضر . ورأيته يخلع ملابسه حتى تعرى كاملاً دون حياء وتردد ، فتأكدت انه (يهودي) وهذا ما قاله لي صديقي هارولد مالكن حين زار بغداد ، كما قال لي يومئذ انه من اصدقاء الامبراطور هيلا سلاسي .

وتابعت خطوات عملية الناسور باستعمال عضلة الكراسيلوس ، فكان بطيئاً إلا انه كان واثقاً من خطواته في هذه العملية ، فلا يبدأ بقص الانسجة أو غرز الابرة فيها إلا بعد التاكد من وقت أو حسن اختياره لها .

وحدث في اثناء عمله أن تململت المريضة التي كانت تحت تأثير المخدر ، ثم حاولت أن تنهض وهي حركة تزعج الجراح ايما ازعاج . وكان الطبيب المخدر شاباً حبشياً حاول أن تستجيب المريضة لتخديره فلم يفلح ، فنهض هلمن من مكانه وتحوّل الى رأس المريضة ، وغطاه بمنشفة كبيرة وصار يسكب عليها (الإيثر) دون حذر فقاومت المريضة بشدة ، وهلمن يستمر في سكبه الإيثر على المنشفة حتى تراخت المريضة ونامت . حيذاك تنحى هلمن عنها وهو يقول للطبيب المخدر :

ـ داوم على اعطاء الإيثر وحده .

ثم خلع اربيته وعاد يغسل يديه ، ثم ارتدى لباساً معقماً جديداً وأتم العملية بوجه عبوس وهو يقول لي :

ـ هذا المخدر يتدرب على التخدير ولست بعد مقتنعاً بكفاءته . (واضاف يقول) وستشاهد مثل هذه العملية يوم غد ، تقوم بها زوجتي الدكتورة كارولين على الطريقة التي أتبعها ، مع ذلك أرجو أن تشاهد عملها وأن تقول لها انها عملت أفضل مما عملت أنا اليوم .. فان ذلك يفرحها .

وانتبهت ان الدكتور هلمن بعد أن انتهى من عملية الناسور لملم جميع الادوات التي استعملها وصار يغسلها بالصابون والفرشاة ثم يجففها بمنشفة ، ولما رآني اندهش من أن يقوم بنفسه في هذه العملية قال لي :

ـ هذا دأبي فلا أعتمد على مضمّد صالة العمليات أن ينظفها كما انظفها بيدي .

وقبل أن نغادر صالة العمليات نادى على ممرضة الصالة باسم (مدينة) فاردت أن أتحدث الى هذه الممرضة كجزء من أدب المجاملة ، فقلت لها :

ـ اسمك اسلامي يا مدينة !

فقالت لي باعتداد :

ـ اعرف ذلك ، وأنا مسلمة والحمد لله .

ثم قالت لي وهي تشير الى ممرضة اخرى :

ـ وتلك المريضة مسلمة أيضاً واسمها (امنتواب) وهو تحريف لاسم (آمنة بنت وهب) أم النبي محمد ﷺ .

وسالتها ؛

ـ وهل في الحبشة مسلمون ؟

فاجابني :

ـ ربما مليون نفس ، ربما أكثر .

ـ والديانات الاخرى ؟

ـ اليهود أقلية ، ولكن الاكثر من المسلمين ، والاكثرية من النصارى ، واللغة أمهرية .

ـ والدكتور هلمن ؟

ـ يهودي من أصل استرالي وهو صديق حميم للامبراطور هيلا سلاسي ، وقد أنشا له مستشفى خاصاً لحالات النواسير المهبلية .

هل هي كثيرة في أديس أبابا ؟

- كثيرة في عموم الحبشة ، وتكثر بشكل خاص كلما ابتعدت عن المدن . وهذه الطبقة بسبب فقرها وما تعانيه من سلس البول تنقلب سحنتها الى ما يشبه الأرض الجافة .

كان الحديث مع الممرضة مدينة مثيراً ، ووددت أن أستمر لاعرف منها الكثير عن الحبشة ، ولكنني ملزم أن أكون في دار الدكتور هلمن بعد ساعتين ، فسألت امنتواب :

- لدي ساعتين لوقت الغداء مع الدكتور هلمن ، فاين أذهب لارى المزيد من هذه المدينة ؟

فقالت لي :

- أرقى شوارع المدينة هو شارع (تشرشل) ويمكن الوصول اليه راجلًا .

وفيما أنا أسير في هذا الشارع صرت أمام صيدلية فرأيت أن أشتري منها حبات من الاسبرين .. وكانت هذه الصيدلية غير عميقة ، غير انها كانت طويلة عرضاً ، فدخلتها وتقدمت من طاولة تقف وراءها فتاة ترتدي اللباس التقليدي الابيض . وكانت منهمكة في وضع بعض القناني على رفوف خزانة أمامها ، وانتظرت لحظات ، ثم نقرت باصبعي على الطاولة التي وراءها . كانت هذه الفتاة قد أولت ظهرها الى مدخل الصيدلية فلما انتبهت الى وجودي استدارت نحوي وسألتني بالانكليزية :

- أية خدمة يا سيدي ؟

وعقل لساني ، ونسيت أي شيء جئت اطلبه من هذه الصيدلية ، فقد كانت هذه الفتاة حالكة السواد وبعينين بزرقة حجر الفيروز ، وأنف خلق ليبث العبق الزكي لا يشمّه ، سبحان الخلاق .

فاجبتها :

- في الحقيقة جئت أشتري اسبرين ، ولكن بالله عليكِ اسمحي لي أن أنظر الى وجهك العذب ، فهو الدواء لما فيّ من صداع .

وضحكت الفتاة ، والغواني يغرهن الثناء ، وهي تستحق الثناء وزيادة . ورأتني هذه الفتاة متقدماً في العمر فلا بد أن يكون ثنائي عليها بريئاً ، وكان بريئاً فعلًا . وخرجت من هذه الصيدلية وأنا أحمل بيدي قنينة الاسبرين ، وفي عيني وقلبي صورة هذه الفتاة .

ووصلت دائرة الدكتور هلمن في الوقت المعين ، فحملني في سيارته (الدملر) الانكليزية من خلال مرج نضير الى داره الصغيرة الجميلة . وتحدثنا ونحن نتناول طعام الغداء ، وفاجأني يسأل :

- كم بقي من اليهود في العراق ؟

إذن هو يعرف عن إسقاط الجنسية العراقية عن اليهود الذين رغبوا في ذلك .
فقلت له قلّة ، ولم أذكر رقماً .
وسألني :
ـ وهل كان لليهودي في العراق علامة مميزة ؟
فاجبته دون تفكير طويل ما كنت أسمعه وأقرأه عن انوف اليهود ، فاجبته :
ـ الانف المعقوف .
ولا أذكر انني رأيت في سامراء أو في بغداد يهودياً بهذه الصفة . والدكتور هلمن ذو أنف معقوف لو رسمت له صورة كريكاتورية لكانت بمثل حقيقة صورة انفه .

فقال لي وهو يبتسم :
ـ أنا يهودي ، ولكنني لست صهيونياً .
فخجلت ، واردت أن اغيّر مجرى حديثنا لاغطي خطاي فقلت للدكتور هلمن ، الطعام لذيذ ، ولا بد أن يكون طاهيكم خبيراً ماهراً في الطبخ .. ورأيت الدكتورة كارولين تبتسم ، أما زوجها هلمن فقد قال :
ـ كل ما تناولناه من صنع زوجتي كارولين .
وحملني الدكتور هلمن الى فندق الجلالي حيث قابلت على مدخله أحد أصدقائي في البصرة (أحمد النقيب) وهو شاب دمث ووسيم ومثر ، وقد جاء الى أديس ابابا ليتفق مع (الراس تفري) وهذا من امراء العائلة الملكية في الحبشة ، ليؤسسا معملًا لانتاج مشروب (السينالكو) في أديس أبابا . وأنا أعرف هذا الصديق منذ زمان الدراسة الثانوية ، وهو يعرف كيف يستغل ثراءه لراحته وملذاته دون أن يتعارض ذلك مع أعماله التجارية الواسعة . وقصصت عليه ما كان لي في ذلك اليوم بمستشفى الاميرة ، والغداء الذي تناولته مع الدكتور هلمن . كما ذكرت له الصيدلانية الفتاة ذات العينين الفيروزيتي اللون ، وتقاطيع وجهها الجميل . فقاطعني يسأل :
ـ أهي الصيدلانية التي على منحدر الطريق الى ساحة تشرشل ؟
فقلت له :
ـ هي ، يا أحمد وكل البيض فداء لها .
ـ ساريك الليلة فتاة قد تكون أجمل منها .
ـ لن تكون واحدة أجمل منها ، إفهمني يا أخي هذا جمال من نوع خاص نمونجي يصلح لاختبار الذوق لا للاقتناء .
ـ ما يفيد وياك ، تبقى تتفلسف ، تعال الليلة وسترى العجب من الجمال . كن في هذه الصالة في تمام الساعة العاشرة مساءً .

وفي تمام الساعة العاشرة ، دخل أحمد صالة الفندق وبصحبته الفتاة التي تكلم عنها ، فاذا هي الفتاة الصيدلانية التي اثارت اهتمامي تلك الصباح . فضحك أحمد بملء فمه ، ودار الحديث فيما بيني وبينها باحترام ، وبينها وبين صديقي أحمد بمجون والغاز ، واردت أن أكون جاداً معها ، ليعمل أحمد بمثل ما أعمل احتراماً لها .

ـ أنت في كل مكان سيدة جميلة ، في الصيدلية وفي هذه الحالة ، ولكني اسألك من أين جاء لون عينيك ؟

ـ في الحبشة يكثر هذا اللون من العيون ، ويدّعي الاحباش الأولون انهم في الاصل من بلاد (القوقاس) فنزحوا الى هذه الديار وتغيّر كثير من أجسامهم والوانهم وشعرهم إلا لون العيون . فقد بقي كما ترى في عيني .

والاحباش بشكل عام بحجم صغير ، ورأس مدوّر يكسوه شعر صوفي ، وصدر عريض فوق محزم نحيف نسبياً

قلت لها :

ـ ألهاني صديقي أحمد فلم اسأل عن اسمك يا سيدتي ولا هو ذكره لي :

ـ أنا آنسة ، واسمي (تيري) مختصر تيريز .

ـ أهلاً بك يا آنسة تيري .

وفهمت حينذاك كل شيء ، فكانت تيري بنظري آنسة ، أما هي بصحبة صديقي اللعوب (أحمد) فغير آنسة ، وهذا ما أحدث خدشاً عميقاً في قلبي وفي خلقتها آلماني أشد الالم .

وفي آخر يوم باديس أبابا ، بينما كنت أحتسي الشاي في نحو الساعة العاشرة مع الدكتور هلمن في الغرفة الملحقة بصالة العمليات ، دخلت الممرضة (مدينة) الغرفة وهي فزعة وتقول :

ـ الاضطرابات ، والمظاهرات تملأ الشوارع ، وانقطع السير فيها .

والتفت هلمن نحو وقال :

ـ هذا متوقع فالشباب الشيوعي نشط ومتحفز لقلب نظام الحكم في هذه البلاد . (واضاف) أرى ان تحملك سيارة الاسعاف الى الفندق وهي أكثر أماناً من سيارة الأجرة ، وقد يضربون السيارة بالحجارة ، فاخفض رأسك ، فيها واتصل بي تلفونياً عند وصولك الفندق .

وكنت قد حجزت على طائرات (الاير فرانس) ليوم غد فاذا بتلفون يصلني من هذه الشركة تذكر انها قدّمت رحلتها مضطرة ، وعليّ أن اهيىء نفسي للسفر عليها

الى القاهرة بعد ساعة .

ورأيت الطريق الى مقر شركة (الاير فرانس) غير مامون غير اني وصلت سالماً في الوقت المحدد ، كما وصلت سالماً بعد ساعة الى اوغندا ومنها الى القاهرة .

تقرير عن أشهر التفرغ العلمي

عدت من الحبشة الى بغداد يوم ١٢ / ١١ / ١٩٧٣ ، وفي يوم ٢٠ / ٢ / ١٩٧٤ وصلني الكتاب الاتي :

عمادة كلية الطب

العدد ١٠٩٢

التاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٧٤

الى الاستاذ الدكتور كمال السامرائي

بناء على طلب عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي للسنة الدراسية ٧٣ / ١٩٧٤ يرجى ارسال منهاج بحثكم وقائمة المراجع نظراً لمرور ثلاثة أشهر من تاريخ انفكاككم وذلك عملًا بأحكام المادة الرابعة فقرة ـ ب ـ من نظام التفرغ العلمي رقم ٢٦ لسنة ١٩٦٧ .

الدكتور تحسين عباس معلة

عميد كلية الطب

وفي يوم ١٥ / ٥ / ١٩٧٤ بعثت اليه بالكتاب التالي :

فرع الامراض النسائية والتوليد / كلية الطب

الرقم ١٨٤

التاريخ ١٥ / ٥ / ١٩٧٤

السيد عميد كلية الطب

اشارة الى كتابكم رقم ١٠٩٢ وتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٧٤

ابعث اليكم صورة من الكتاب الذي رفعته الى السيد نائب رئيس جامعة بغداد .

مع التقدير

الاستاذ كمال السامرائي

رئيس فرع الامراض النسائية والتوليد

المرفقات :

نسخة من الكتاب الموجه الى جامعة بغداد

السيد عميد كلية الطب

كتابكم رقم ١٠٩٢ وتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٧٤

اشير الى انني ضمنت في كتاب طلبي للتفرغ العلمي ما يأتي :

١ ـ تسجيل تجربتي في الممارسة .

٢ ـ اكمال الكتاب الذي بدأت به باسم (الأمراض النسوية في التاريخ القديم واخبارها في العراق الحديث) .

٣ ـ البحث في فكرة علمية .

٤ ـ زيارة الحبشة للاطلاع المباشر على اعمال الجراح النسائي المشهور (هلمن) وزيارة انكلترا للاطلاع على الجديد في حقل التدريس والعمليات .

وتمتعت بالتفرغ العلمي يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ بعد موافقتكم على اساس ما تقدم . وفيما يلي ما انجزته الى الآن من جدول اعمالي :

(١) تسجيل تجربتي في الممارسة الطبية :

بدأت بتسجيل عملية (بلدون) التي طورتها بنفسي وتجميع الخمس عشرة عملية التي انجزتها والمراجع المتعلقة بها وسوف انشر هذا الموضوع عن قريب .

(٢) كتاب التوليد العملي :

أكملت اكثر من ثلث الكتاب وآمل أن اقدمه للطبع في بداية العالم الدراسي القادم .

(٣) البحث في موضوع التغييرات الدموية (وفقر الدم بصورة خاصة) في الحوامل بالعراق :

نظمت للعمل بهذا البحث المنهاج المرفق بهذا الكتاب وبدأت اتصالاتي بمختبرات الكلية ومدينة الطب وتبين لي ان التحري عن (الفولك اسد) و (الفيتامين ب ١٢) لا يمكن تحقيقه لعدم توفر المواد المختبرية الضرورية كما يصعب استيرادها وحفظها دائمة الفعالية . لذلك حددت منهاج عملي على دراسة (الهيمكلوبين) في دم الحوامل بمعاونة الدكتور غازي قطان بمختبرات مدينة الطب . واعتقد ان اكمال هذا البحث لا يتم قبل مرور سنة اخرى .

(٤) زيارتي اديس ابابا (الحبشة) :

في طريقي الى الحبشة زرت كليتي الطب في جامعة القاهرة وفي جامعة الخرطوم . كما حضرت المؤتمر الطبي في العلوم الاساسية الذي انعقد في المدينة

الاخيرة . واطلعت في كل من الكليتين على بعض الشؤون التعليمية والادارية ، ارفع اليكم باختصار ودون تعليق ما استرعى انتباهي منها . فقد يهمكم أن تعرفوا ذلك .

(٥) ان تتبع المرضى والاحصاء الذي رأيته في قسم النسائيات بمستشفى الاميرة تسياهي باديس ابابا لا يقل ابداً عما رأيته في أرقى مستشفيات لندن .

ملاحظة عن تفرغي العلمي في هذه الفترة القصيرة :

١ - لاقيت صعوبات في تتبع الوقعات المرضية وملاحقة الفحوص المختبرية ، وفي الحصول على سجلات المرضى . اعتقد ان البحث العلمي لا يمكن تحقيقه بصورة صحيحة ما لم تعم فكرة البحث بين كافة اعضاء هيئة التدريس ويوضع لهذا الغرض تشريع لدعم وابراز أهمية البحث كواجب جامعي.

٢ - سوف لا أزور انكلترا كما ذكرت في طلبي للتفرغ المرفوع اليكم وذلك لانني استلمت دعوة (سارفعها اليكم فيما بعد) لحضور المؤتمر النسائي الذي سيعقد في لندن فيما بين الثالث والسادس من تموز القادم .

٣ - طلبت مني رئاسة فرع النسائيات أن أعود واعطي المحاضرات لطلاب الكلية .

٤ - للأسباب المتقدمة ساقطع تفرغي العلمي ابتداء من الخامس عشر من هذا الشهر .

مع التقدير

الاستاذ كمال السامرائي

المرفقات :

(١) منهاج مؤتمر العلوم الاساسية الطبية في الخرطوم .

(٢) نموذج لمشروع دراسة فقر الدم في الحوامل .

الاستاذ صائب شوكت في أحد مصاعد مدينة الطب - ٦ / ١١ / ١٩٧٤

حين ولجت المصعد لاصل الى الطابق الرابع صرت وجهاً لوجه مع الاستاذ صائب شوكت الذي جاء الى (المدينة) لزيارة اخته (نزهت) المريضة في الطابق الثامن ، وبدت على وجه كلينا المفاجاة المفرحة ، كما فوجئت دون هدف مقصود بحركة تلقائية مني وقبضت بيدي على كلتا عضديه وأنا أقول بلهفة :

- استاذي !

وما كدت أقولها حتى قبلته وقلت له :

- يا فرحتي برؤياك يا استاذي الدكتور صائب .
وفي حركة خاطفة اختفت يداي بين يديه الضخمتين لاصافحه بحرارة . وكان في المصعد الاستاذ احسان البحراني ، وطالب دبلوم فصار في هذا المصعد تسلسل المراتب الجامعية وفي مقدمته الاستاذ صائب ، ثم أنا تلميذه ، ثم تلميذي الاستاذ احسان ثم ذلك الطالب تلميذ الدكتور احسان ، فقلت للاستاذ صائب بعد أن انتبهت الى تجمع هذه المراتب في غرفة المصعد :
- يا استاذنا الجليل ، هذه المدينة من فضل اعمالك الكثيرة ، ومَنْ فيها من الاطباء تلامذتك ، وأنت أبو الكل ، ولك الفضل على الجيل الجديد والجيل الذي سيأتي ما دام في العراق طب .
ورأيت ما قلته قليلًا بالنسبة لافضال هذا الرجل غير انني أمسكت حين رأيت دمعة تترقرق من عينيه . وقال وصوته هو هو بذلك الجرس الرجالي الفخم :
- نعم أنا أفرح لكم ، وأنتم أولادي وأنتم خير خلف لي .
وكانت الدموع تنحدر من عينيه لولا ان المصعد قد وصل الى الطابق الثامن . وانفرج باب المصعد ومشيت وراءه احتراماً ، ثم الى جانبه حين اقتربنا من مدخل غرفة اخته المريضة ، وقال :
- أنا أول من عرف هذا المستشفى وكان ذلك على الورق فقط ، وأنا جد مسرور لانني أراها الان حقيقة قائمة .
- ألم ترها قبلًا يا استاذي ؟
- هذه أول مرة أدخلها .
وكان على نهاية لساني أن أسأله :
- ألم تحضر يوم افتتاحها ؟
وكنت أعرف انه لم يدع الى حفلة افتتاح هذه المدينة ، فامسكت عن الاسترسال في هذا الاتجاه بالرغم من علمي الاكيد انه لا يبالي باغفال دعوته يوم الافتتاح ، وهو الذي عانى ما عانى لتحقيق انشائه .
وعدت انظر الى الدكتور صائب وهو يكلم اخته المريضة ، لقد ذوى ذلك الجسم الضخم ، وهزل ، وخبا بريق عينيه اللتين كانتا لا تستقران إلا بعد أن تضربا سهامها في كل الاتجاهات ، عينان براقتان مخيفتان عطوفتان باسمتان . ما أعظم الاستاذ صائب شوكت .

-الاجهاض القسري (الجنائي) / ١٩٧٤

حتى سنة ١٩٧٤ لم يكن ثمة نظام أو قانون أو تعليمات تخص اسقاط الحمل لسبب من الاسباب المشروعة ، مع ان هذه العملية تحسب بنظر القانون الجنائي جريمة يحاسب عليها من يقدم عليها دون مبرر طبي . وكانت مبررات الاسقاط حتى ذلك التاريخ تذكر عفوياً دون أساس طبي ، ثم صار تقليداً أن تحصل المريضة على تقرير طبي من ثلاثة أطباء أحدهم اختصاصي بالامراض النسائية وطبيب آخر يختص بما تشكو منه المرّيضة . فرفعت الى وزارة الصحة الكتاب الآتي :

قسم الامراض النسائية والتوليد / المستشفى الجمهوري

العدد ٢٢

التاريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٧٤

الموضوع / التطريح الجنائي والتطريح الشفائي

الى السيد وزير الصحة

بواسطة مدير المستشفى الجمهوري

تكثر حوادث الاجهاض الجنائي وتزداد يوماً بعد يوم ، وتتم هذه العملية في العيادات الخصوصية أو في بيوت القوابل ، وفي الحالتين خطورة قد تؤدي بالحامل الى الموت . وقد سبق أن رفعت اليكم كتاباً بهذا الخصوص في شهر حزيران سنة ١٩٦٩ فلم تصلني استجابة له منكم حتى هذا اليوم ، وحبذا لو تلتفت الوزارة الى هذا الأمر الخطير لوضع ضوابط له ، ولكم الرأي .

التوقيع

رئيس قسم النسائيات

الدكتور كمال السامرائي

صورة منه الى مديرية الطب العدلي

وفي يوم ١٥ / ٤ / ١٩٧٤ وصلني الكتاب الآتي :

وزارة الصحة

شعبة الشؤون الفنية العامة

الرقم ١٤١٩

التاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٧٤

أمر وزاري

بناء على مقتضيات المصلحة العامة قررنا تشكيل لجنة من السادة التالية

اسماؤهم ادناه لدراسة ما جاء بكتاب مديرية معهد الطب العدلي المرقم ٣٥٠٦ والمؤرخ في ١ / ٤ / ١٩٧٤ ..

١ ـ الاستاذ الدكتور كمال السامرائي ـ رئيس قسم الامراض النسائية بكلية الطب ـ رئيساً .

٢ ـ الدكتور وصفي محمد علي ـ الطبيب الاختصاصي بمديرية معهد الطب العدلي ـ عضواً .

٣ ـ الدكتور خالد عبدالعزيز القصاب ـ الاستاذ في كلية طب بغداد ـ عضواً .

٤ ـ الدكتور احسان البحراني ـ الاستاذ المساعد في كلية طب بغداد ـ عضواً .

التوقيع

وزير الصحة

ولم أكن أعرف ان مديرية الطب العدلي قد رفعت مذكرة بخصوص الاجهاض الجنائي إلا من اشارة كتاب وزارة الصحة المذكور اعلاه على ان الدكتور وصفي محمد علي وهو مدير المعهد كلمني في صباح يوم ١٥ / ١ / ١٩٧٤ عن كتاب الوزارة وطلب من أن نجتمع لوضع صيغة التعليمات التي يطلبها وزير الصحة . واقترحت في هذا اللقاء أن أعرض الموضوع على اعضاء مجلس قسم النسائيات أولًا فقد أجد في آرائهم ما يفيدنا بهذا الموضوع . وفي يوم ٦/ ٤ من الشهر نفسه اجتمع مجلس القسم ، وبينما كنت أذكر لاعضائه مبررات وضع تعليمات وزارية لضوابط عملية الاجهاض القسري حتى ارتفع أكثر من اصبع للتعليق والاعتراض على وضع الضوابط المذكورة ، ولما ابديت استغرابي من مواقفهم معارضين لهذا المشروع ، قال (أحدهم) ان هذا المشروع وضع لحماية فئة من الاختصاصيين لا للمصلحة العامة .. ولما رأيت النقاش قد خرج عن نطاق العلم وسيطرت عليه أفكار لا استطيع أن ادافع عن نزاهتها قلت لهم : لعلمكم يا زملائي ان كتاب الوزارة موجه لشخصي وكان باستطاعتي بمعونة دائرة الطب العدلي أن استبد بوضع التعليمات التي تنشدها الوزارة . ولذلك سارفع المشروع كما نراه ، وأخشى حينذاك أن يصدر الامر الوزاري للتطبيق لا للدراسة . وأخيراً رفعنا اللائحة الآتية الى وزير الصحة .

× × ×

واجتمعت اللجنة المعينة من قبل وزير الصحة بكتابها رقم ٣٥٠٦ فرفعت اليه التقرير الآتي :

رقم ٢٤٠ في ٢/ ٤/ ١٩٧٤

الى / وزارة الصحة

لقد اطلع اعضاء اللجنة المدرجة اسماؤهم في أدناه على الامر الوزاري المرقم ١٤١٩ والمؤرخ ٣ / ٤ / ١٩٧٤ وعلى كتاب مديرية معهد الطب العدلي المرقم ٣٥٠٦ والمؤرخ ٦ / ٤ / ١٩٧٤ واقرت متفقة من حيث المبدأ بان الاجهاض من المشاكل التي يواجهها المجتمع الامر الذي يستدعي المبادرة لدراسة حالاته ووضع حدود واضحة يستند اليها للتمييز بين نوعية الاسعافي والجنائي ، إذ ان عملية الاجهاض ليست من العمليات البسيطة إذ قد تنتهي احياناً بوفاة الحامل فيما اذا لم تتخذ العناية اللازمة للحامل أو لم يلتزم الطبيب المجهض بالاسلوب الطبي الصحيح .

عقدت اللجنة عدة جلسات درست خلالها موضوع الاجهاض من كافة نواحيه صحية كانت أو طبية عدلية أو اجتماعية دراسة مستفيضة ، كما اطلعت على مختلف تشريعات الحكومات الاعضاء في المنظمة الصحية العالمية الخاصة بالاجهاض واتضح لها بان لا يوجد لدينا أي تشريع يتعلق بالموضوع اسوة بالدول المتقدمة وكل ما لدينا حوله هو كتاب صدر من وزارة الصحة بتاريخ ٢ / ١١ / ١٩٥٨ كان قد وجه الى مديرية التجهيزات الطبية العامة يتضمن حصر تزويد المواطنين بمادة اليوتس (كانت تستعمل في السابق لاحداث الاجهاض وتباع في الصيدليات الاهلية) بالمديرية ذاتها بعد تقديم وصفة طبية موقعة من ثلاثة أطباء أحدهم اختصاصي بالأمراض النسائية والثاني بالامراض الباطنية تتضمن أن لا بد من اجراء الاجهاض لانقاذ المرأة من خطر يهدد حياتها فيما اذا استمرت حالة الحبل .

لقد ارتأت اللجنة من المصلحة العامة سن تشريع خاص بالاجهاض يقضي على البلبلة التي يعاني منها الكثير من الاطباء الممارسين لفرعي الامراض النسائية والجراحية عندما تعرض عليهم وقائع الحبل ويطلب منهم احداث الاجهاض على أن يحوي التشريع المقترح اسساً رصينة وواضحة تنير الطريق للطبيب المجهض وتبين له الاسلوب الطبي الذي ينبغي عليه اتباعه في هذه الحالة ليحميه من التعرض للمسؤولية العقابية. وتقترح اللجنة أن يشرع قانون خاص بالاجهاض أو تشرع مواد معينة تلحق بالفصل الرابع (الاجهاض) من قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ أو تضاف الى أي قانون صحي آخر تنسبه وزارة الصحة على أن يتضمن التشريع الاسس التالية :

١ - تجرى عملية الاجهاض في حالة وجود حالة مرضية تهدد حياة المرأة الحامل وقد تعرضها الى الموت فيما اذا استمرت حالة الحبل وذلك استناداً الى تقرير طبي تحريري موقع من قبل ثلاثة أطباء يكون أحدهم متخصصاً بالحالة

المرضية موضوعة البحث .

٢ - لا تجرى عملية الاجهاض إلا في المستشفيات الرسمية أو الاهلية وينبغي ابقاء المرأة المجهضة في المستشفى لمدة (٤٨) ساعة على الأقل بعد اجراء العملية وعلى ادارة المستشفى الاحتفاظ بكافة المستندات والتقارير الطبية الخاصة بوقعة الاجهاض في سجلات معينة تعد لهذا الغرض .

٣ - ينبغي الحصول على موافقة تحريرية من المرأة الحامل ومن زوجها على اجراء عملية الاجهاض أو منها فقط ان لم تكن ذات زوج وقت ذاك وتستحصل الموافقة التحريرية هذه من ولي أمرها الشرعي إن كانت فاقدة لرشدها أو حدثاً أو مصابة بمرض عقلي حيث لا يمكن الحصول على موافقة اصولية من الحامل .

٤ - لا تجرى عملية الاجهاض إلا من قبل جراح متخصص على أن تتبع الاساليب الطبية المتعارف استعمالها علمياً .

٥ - تجرى عملية الاجهاض قبل أن تتجاوز دورة الحبل الشهر الثالث ويجوز اجراؤها بعد ذلك فيما اذا اتضح للجنة الطبية الموصية بالاجهاض بأن حالة مرضية حدثت وتستلزم اجراء عملية الاسقاط لانقاذ الام من خطر الموت .

٦ - تشكل في وزارة الصحة لجنة طبية دائمية يكون أحد اعضائها متخصصاً بالأمراض النسائية وآخر بالطب العدلي وطبيب ثالث بالجراحة لدراسة الحالات التي تحيلها الوزارة اليها على أن تقدم تقريراً مفصلاً الى وزارة الصحة يتضمن مسؤولية الطبيب المجهض أو عدم مسؤوليته .

٧ - يجوز للطبيب الممارس اجهاض الحامل فيما اذا اتضح له بأن حالة الاجهاض قد بدأت بسبب ما وان استمرارها يهدد حياة الحامل بالموت مضافاً لذلك عدم امكان نقل الحامل الى المستشفى لسبب ما على أن تؤيد اللجنة الطبية الدائمية المنوه عنها في الفقرة (٦) صحة هذا الاجراء وتقرر بأن تصرف الطبيب كان اصولياً من وجهة طبية .

٨ - يتبع نفس الاسلوب المنوه عنه في الفقرة (١) و (٢) و (٣) و (٤) في حالة اجراء عملية استئصال الرحم أو أي قسم من الجهاز التناسلي للذكر أو للانثى لغرض احداث حالة العقم منعاً لانجاب النسل .

٩ - تعتبر عملية الاجهاض جريمة فيما اذا اجريت في غير الحالات المنوه عنها فيما تقدم ويعاقب محدثها بموجب المادتين (٤١٧ و ٤١٨) من قانون العقوبات .

١٠ - عدم بيع معجون الـ ARETUS أو الـ UTUS باي حال من الاحوال من قبل مديرية المخزن الطبي . لان هذا المعجون صار يستعمل بكثرة من قبل القوابل ، وحوادث التهابات الرحم بسببه كثيرة .

الدكتور خالد القصاب — الدكتور وصفي محمد علي — الدكتور كمال السامرائي

الدكتور احسان البحراني

جامعة الدول العربية والتراث العربي

وصلني بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٧٣ كتاب من جامعة الدول العربية عن طريق عمادة كلية الطب ، تقترح فيه وضع كتاب لتراجم كبار الاطباء العرب ودورهم في تطوير الطب الذي وصلنا من اليونانيين والشعوب الاخرى التي سبقت الاسلام ، مع الاشارة الى ان هذه الكتب التي تنشرها ستترجم الى اللغة الانكليزية وتوزع مجاناً لمن يدخل السفارات العربية في الاقطار الاجنبية ، فأجبت العمادة بالكتاب الاتي :

الرقم ٢٧١

التاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٧٣

السيد عميد كلية الطب المحترم

كتابكم رقم ١١٢٠ وتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٧٣

ان التفاتة جامعة الدول العربية الى احياء ذكرى التراث العربي والاسلامي في الطب والصيدلة ، بادرة علمية تعود علينا بفوائد جسيمة على الصعيدين العربي والعالمي . ولا يسعنا إلا أن نباركها مغتبطين وندعمها وندعو لها بالنجاح . كما ان الخطة المحكمة التي وضعتها اللجنة الخاصة بهذه المهمة قد احاطت بحجم المشروع وأهميته وخطورته ، فاحتاطت لانجاحه بتشخيص الاكفاء من العلماء العرب القادرين على اتمامه كما يرتجى . مع ذلك لديّ الملحوظات الآتية :

(١) الفقرة الثانية من كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ان وضع كتاب على مستوى علمي وموضوعي يهدف الى الكشف عن الطب عند العرب والمسلمين ، يحقق فوائد كبيرة للناشئين وطلاب المعرفة بالرغم من وجود كتب باللغتين العربية والانكليزية في نفس المضمون . إلا ان كون هذا الكتاب سيصدر بإشراف أعلى هيئة علمية ، فانه سيكون حينذاك مرجعاً أميناً وصادقاً ، وخصوصاً نقذ من الشكليات وصنوف المديح والعاطفيات ، غير ان هذا الكتاب سوف لا يرقى

الى ما يفعله الكتاب المحقق الذي اشير اليه في الفقرة التالية .

(٢) الفقرة (أ) من المادة الثانية من كتاب المنظمة

تطلب اللجنة من الباحثين على (تقريب كل كتاب الى العقل الطبي الحديث وتقديمه الى القارىء في العصر الحاضر مع المحافظة على القدر الضروري من أصل الكتاب ونصوصه) .

ان هذا الطلب يسمح للباحث ، أن يتحرر عند النقل من الالتزامات التقليدية السائدة في كتب التراث ، كما ان عملية الاستقطاع من متون تلك الكتب ستضع الكتاب الجديد في صنف المؤلفات النمطية التي تعوزها الصبغة التاريخية فيدخل الكتاب حينذاك في مضمون الفقرة الثانية السابق ذكرها في اعلاه . لذلك ربما يكون من الافضل أن يطلب من العلماء العرب تحقيق كتب الطب العربي بالاسلوب الذي يتبعه علماؤنا في تحقيق التراثيات اللغوية والتاريخية والفقهية وغيرها . فتنقل معاني كلماتها الغريبة الى مفردات مألوفة ، وتفسّر مصطلحاتها الفنية ، وتشرح تعابيرها الغامضة ، وتترجم الاعلام الواردة فيها ثم يطبع الكتاب بشكل حديث فيما يخص تقسيم الصفحات ورسم الحروف ووضع الفواصل وعلامات التوضيح . ومن المؤسف حقاً أن تبقى امهات الكتب الطبية القديمة دون تحقيق وفيها من الهفوات والشطحات الشيء الكثير . وباستثناء كتاب ابن جلجل الاندلسي ليس من بين كتب الطب العربي كتاب آخر حظي باهتمام علمائنا بالشرح والتعليق .

ان الكتاب المحقق عرض أمين ينطق بالحقيقة بفخر وجرأة ، وهو ما يجب أن نهدف اليه لاحياء التراث العربي .

(٣) بهذه المناسبة الفت نظر اللجنة الى أمر آخر لم يرد في كتابها موضوع البحث ، ذلك هو افتقار تراثنا العربي والاسلامي في موضوع الطب وتوابعه ، الى دائرة معارف ابجدية على غرار دائرة المعارف الاسلامية ، تبحث في كل ما ورد في تراثنا الطبي من اسماء الحكماء والاطباء والمترجمين واسماء الامراض والعقاقير والاشربة والمؤلفات والمدارس والمستشفيات والمصطلحات الطبية والعمليات الجراحية واسماء المدن وطرق العلاج وأمثال ذلك ، ولا يدخل طبعاً في هذه الموسوعة أي شيء حديث لم يعرفه أو لم يذكره الاقدمون في مؤلفاتهم العربية التي وصلتنا .

ان مثل هذه الموسوعة هي المؤلف الذي يفتقده العربي والمستعرب على السواء ، ويحتاج اليه كل من يهتم بتاريخ الطب وبالتاريخ عموماً ، وهو الكتاب الذي

يلم بكل اطراف التراث الذي نزمع احياءه ، ويساعد قراء التراثيات على معرفة الروابط بين المواضيع المختلفة .

واقدر ان هذا الانتاج سيكون اذا ما تم ، بخمسة مجلدات ضخمة ويستغرق اتمامه سنتين وربما خمس سنوات ، في أفضل الظروف والمساعدات المالية ، كما يحتاج الى بضع لجان متفرغة لهذا الجهد ، تضم علماء في التاريخ والطب والصيدلة . وقد سبق أن ناقشنا هذه الفكرة مع علمائنا في بغداد . ومع بعض من اساتذة الطب في القاهرة . واشرت اليهم في مقابلاتي ومراسلاتي ، الى ان جامعة الدول العربية لها الاولوية في اكتساب هذا الفضل ، واحرى أن تطرح عليها هذه الفكرة . ثم انقطعت محاولاتنا بعد ذلك لأسباب قاهرة . وأكثر ما يخشى منه الآن أن تبادر جهات غير عربية الى هذه الفكرة فيكون لها السبق ، ولات حين مندم .

(٤) حبذا لو تشترك الجهات التي تعنى بالتراث العربي المتواجدة في الدول العربية عموماً فتحصل اللجنة حينذاك على دعم جماعي ربما يضمن نتيجة افضل في هذا الاتجاه .

ندعو الله مخلصين للجنة السداد والتوفيق .

الدكتور كمال السامرائي

رئيس قسم الامراض النسائية والتوليد

أنا وارنست همنغواي - ٤ / ٨ / ١٩٧٣

أميل الى قراءة القصة لكبار الكتاب العالميين أكثر مما اميل الى قراءة أي ضرب آخر من الأدب . والكاتب الامريكي (ارنست همنغواي) من كتاب القصة الذين يستهوونني بشدة الى قراءة ما يكتبون إن لم يكن في مقدمتهم جميعاً ، فكانت قصصه من الكتب التي غالباً ما احتفظ بها على الطاولة التي الى جانب سرير نومي ، أو في حقيبتي اذا سافرت الى خارج العراق . وقد قرأت ملحمته (الشيخ والبحر) مرتين ، وكتابه (لمن تدق الاجراس) مرتين أيضاً . كما قرأت كلًا من كتاب (ثلوج كلمنجارو) وكتاب (موت في الظهيرة) وكتاب (وداعاً للسلاح) . وهمنغواي حين اقرأه اسمعه كما لو انه الى جانبي ويتحدث اليّ وجهاً لوجه ، وحديثه دون صخب ولا يمَل ، ويكتب وكانه يرسم بثلاثة أبعاد . وأذكر انه قال في أحد كتبه : ان عباقرة الرسم مثال كوخ ورامبرانت وكوكان وصلوا برسومهم الى درجة يكفي بها أن يرسموا خطاً أو

خطين على الورق ليعبروا بها الى ما يقصدون أصدق تعبير . كما قال عن نفسه انه جاد في الوصول الى المرتبة التي وصل اليها الرسامون الخالدون . وقرأت لهمنغواي أيضاً (ان ما يتعبني في وضع كتبي هو اعادة كتابتها مرات عديدة قبل أن اطمئن الى صياغتها الاخيرة التي ترضيني) . (ثم قال) وقد اعدت كتابة (الشيخ والبحر) ثماني مرات ، وكتاب (لمن تدق الاجراس) ست مرات ، وكنت أنا اعيب على نفسي أن أراني عاجزاً أن أكتب موضوعاً دون أن اعيد كتابته أكثر من مرة ليأتي مقبولًا من نفسي ، فلما قرأت ما كتبه همنغواي عن نفسه بهذا الموضوع حمدت الله على اني لست سيئاً في الكتابة الى حد لا يرجى إصلاحه ، وهذا ما شجعني أن استمر في الكتابة دون أن يركبني اليأس .

محاضرة بجامعة نوتنغهام - ٦ / ٨ / ١٩٧٤

من اصدقائي في المملكة المتحدة الاستاذ هارولد مالكن ، وهو مثال للرجل الانكليزي في هيئته البدنية وقيافته وتقاليده ، وقد تجاوز السبعين سنة من عمره غير ان ذهنه لا يزال متوقداً ونشاطه قوياً ، ولذلك ابقته الجمعية الطبية البريطانية في وظيفته التي أحسن اداءها ، بعد احالته على التقاعد بسن الثالثة والستين . وقد تعرفت عليه لاول مرة حين استقدمه المجلس الثقافي البريطاني في بغداد سنة ١٩٧٠ لزيارة كلية الطب وتقديم تقرير عن تدريس موضوع الامراض النسائية والتوليد فيها . وكان الاستاذ مالكن يومئذ مديراً لدراسات الطب العليا ومشاوراً لطلاب عبر البحار الذين يدرسون الطب في المملكة المتحدة ، وهو أحد الذين رشحوني لعضوية وزمالة الكلية الملكية للمولدين والجراحين الملكية بلندن سنة ١٩٦٥ . وذات يوم من شهر تشرين الاول سنة ١٩٧٣ وصلتني دعوة من الاستاذ (مسترمان) رئيس جمعية الاطباء النسويين بنوتنغهام لالقاء محاضرة عن (الابر الصينية) في التخدير ، وقد عرفت وأنا اقرأ خطاب هذه الدعوة ان الاستاذ ملكن وراء هذه الدعوة ، وفي شهر تموز سافرت الى انكلترا تلبية لهذه الدعوة ، وقد اقيم لي اجتماع في كلية طب جامعة نوتنغهام حضره جمع من اساتذة الجامعة كان منهم الاستاذ مسترمان ، وهارولد مالكن وآخرون كثيرون من اعضاء هيئة التدريس في الجامعة . وقد استعنت في محاضرتي بصور عرضتها على الشاشة ، وكان النقاش في موضوع المحاضرة موضوعياً ومفيداً ، كما عقّب على محاضرتي الاستاذ مالكن وتطرق باسهاب الى ما شاهده في بغداد وفي قسم النسائيات بمدينة الطب بشكل

خاص . وعدت الى لندن حيث أمضيت أكثر من شهر فيها ثم غادرتها الى بغداد . وفي اليوم الثامن عشر من شهر ايلول وصلتني رسالة من الاستاذ هارولد مالكن هذه ترجمتها :

الكلية الملكية للمولدين والجراحين النسائيين

كلية نوفلد ١٨ ايلول ١٩٧٤

عزيزي كمال

اريد بهذه الرسالة أن اعبر لكم عن سرورنا بتلبيتكم لدعوة الجمعية الطبية بنوتنغهام لزيارة جامعة هذه المدينة والقاء محاضرة عن الابر الصينية واستعمالها في التخدير . وقد اثارت محاضرتكم اهتماماً بين المنتسبين الذين حضروا قاعة المحاضرة . وارجوا أن تكونوا قد استمتعتم بزيارتكم لنوتنغهام وتعرفكم على اعضاء هيئة التدريس في جامعتها .

المخلص لكم

ايج . جي . مالكن

مدير الدراسات الطبية العليا

ومشاور شؤون طلبة ما وراء البحار

دعوة في دار جواد جعفر - ٤ / ٤ / ١٩٧٤

تربطني بالسيد جواد جعفر صداقة بدأت منذ كان ولدي محمد يدرس في مدرسة المنصور النموذجية للاطفال ، بادارة مس سي ويل ، وكان جعفر بن جواد جعفر أحد تلامذتها وصديق ابني محمد ، بل كانت صداقتي اقدم من ذلك ، فقد كنت طبيب أمه (رحيية) قبل أن تجيء به الى الدنيا . وحين دلفت الى غرفة الاستقبال بدار جواد جعفر في المسليخ في مساء يوم ٨ / ١ / ١٩٧٤ كان يقف أحد ضيوفه الى جانب المدفاة الضخمة يتلهى بتحريك الاعواد المشتعلة بقضيب طويل من الحديد . أما الضيف الذي يحتل كرسياً الى جانب المدفاة الاخر فكان مهتماً بكسر الجوز ورمي قشوره في موقد المدفاة المتاججة بالنار ، وعلى الاريكة الطويلة التي تقابل المدفاة سيدتان بدت لي أحدهما متذمرة أو على الاقل غير مرتاحة لسبب ما ، وهي تحاول أن لا تلوي شفتيها ضجراً وتبرماً . أما السيدة التي تجلس الى جانبها فكانت على ضدها تتحفز لتظهر ما في داخلها من حبور ومرح . كانت السيدتان اللتان تحتلان ريكة واحدة على نقيض واضح ، فاي شيء جمعهما ، وكم ضاق صدر تلك السيدة

المرحة من تلك السيدة العبوس !

وحين صرت قريباً من المدفاة استقبلني الضيفان اللذان يحفان بجانبها بابتسامة ترحيب عريضة ، وكان أحدهما من اصدقائي القدماء وقد وفقه الله بتجارة الاقمشة ، فانبرى يعاتبني لطول غيبتي عنه ، وكلانا يعرف انني لا أعاتب لكثرة اعمالي مع المرضى والتدريس بكلية الطب ، بينما هو لاَ يشغله شاغل ، إلا بضع ساعات في مكتبه بعمارة الدامرجي ، ثم يغادر مكتبه معتمداً على موظفي مكتبه لتصريف أموره التجارية ، وقد لا يكون له عمل آخر إلا حرصه على تنفيذ وعوده مع الاصحاب لقضاء سهرة ممتعة في احدى دورهم أو في احد صالونات الفنادق الفخمة . أما الضيف الآخر الذي كان يلهو بتكسير الجوز واللوز ، فشخصية كويتية معروفة في عالم الدبلوماسية والتجارة ، وقد (غنم) من كليهما سمعة داوية بين الشخصيات العربية وخصوصاً في دول الشرق الأوسط . وقد عرفته أول مرة على مائدة في بيته بمنطقة (الروشة) ببيروت يوم كان سفيراً لدولته في لبنان ، وقد بدا لي يومئذ شخصاً متزناً متواضعاً قريباً من قلبي ، غير انه هذه الليلة لم يكن هو نفسه متواضعاً ولا قريباً من قلبي . وكان في تلك اللحظات يحمل على ابهامه مسبحة من اللؤلؤ منظومة بخيط من الذهب ، وبدافع لا ارادي أخرجت مسبحتي من جيبي التي كانت من اعمال شمال العراق وحباتها من ثمرة (البطم) فقال لي ذلك الرجل :

ـ ان مسبحتك من حبوب البطم ، وهي منظومة بخيط واحد وافضل منها هي المنظومة بخيطين . (واضاف) وهو يمد بيده نحوي ومسبحته اللؤلؤية معلقة بابهامه ـ هذه المسبحة من اللؤلؤ الطبيعي لا الياباني ، تفضل شوفها ، تلمسها .

فقلت له :

ـ وأنا أيضاً عرفت ان مسبحتك من اللؤلؤ ، ولا حاجة أن ألمسها للتاكد من نوعها وصنفها ، وهي جميلة وغالية الثمن ولا شك .

فقال ليأكد لي ثمنها الغالي :

ـ اللؤلؤ الطبيعي غالي الثمن ، قدّر أنت كم كلفتني هذه المسبحة ؟

ـ ليس لي فكرة عن أسعار اللؤلؤ .

فقال :

ـ ان (الشاهود) و (الديوس) المعمولة من الذهب في هذه المسبحة لا قيمة كبيرة لهما بالنسبة لثمن حبات اللؤلؤ .

فقلت له بعد أن سمعت منه هذا التبجح الرخيص :

ـ قدرت الآن كم تساوي مسبحتك ، وذوقك في اضافة الذهب اليها ، أما أنا فلا

أحب اضافة الذهب الى المسبحة .

فقال لي ليصحح ذوقي :

- بالعكس يا دكتور انه يزيد من قيمتها .

ولم أقل له : بل هو ينقص من جمال حباتها يا استاذ يا فهيم .

وفي هذه اللحظة انقذني جواد جعفر ، فقد ناداني لاختار لنفسي مما على المائدة التي الى جانبه من انواع الخمور .

- يا أبا جعفر أنت تعرف انني لا أهتم بانواع المشروبات (وتقدمت منه وأسررت في اذنه اقول) ولكنني أشكرك لانك انقذتني من حديث لا أرتاح اليه مع صديقك الكويتي الذي استمر بحديثه عن السبحة التي بيده .

فسحبني من كم ردني نحو فمه وأسرّ لي يقول :

- ستكون جميلة وأغلى ثمناً لو اعطاك إياها هدية يا كمال . (واضاف) وأنا أعرف هذه السبحة وقد اشتراها بخمسة آلاف دينار كويتي !

فقلت له :

- الله يزيده .

وغادرني جواد جعفر ليشرف على راحة ضيوفه ، وصرت اتطلع الى ما في صالونه المؤثث بذوق ، والى ما على الموائد من صنوف النقل والكرزات والمشروبات . وكان في الركن الايمن من الصالة قاطع خشبي هندي الصنع مرصع بالصدف والاخشاب الملونة .. وعلى الجدار الذي يقابله (سجادة) ايرانية دقيقة الصنع من نوع (التبريز) تمثل منظراً طبيعياً يضم بعض الحيوانات الداجنة وهي تسرح في مرعى فسيح ، وكانت هذه السجادة من الدقة بدرجة انني خلتها لوحة مرسومة بالاصباغ الزيتية . ولما التفت جواد جعفر اليّ وأنا أطيل النظر اليها تقدم مني ، وقال لي : لهذه السجادة قصة ، اسمعها ، واستطرد يقول :

- في زيارة الامير عبدالاله لايران سنة ١٩٤٧ رأى يهود ايران العراقيون ان يهدوه شيئاً فاشتروا له سجادة هي (أخت) هذه السجادة ، بما يعادل سبعمائة وخمسين دينار ، وسألته :

- ماذا تقصد بأخت هذه السجادة .

- يعني كلتاهما مصنوعة بيد واحدة فلا فرق بين واحدة واخرى . (واستمر يقول) وفيما كنت مع أحد تجار السجاد بطهران عرض عليّ ذلك التاجر هذه السجادة وبعد مساومة طويلة اشتريتها بالف باون انكليزي ، وهي الآن أغلى من هذا الثمن بكثير .

وكنت صريحاً مع جواد جعفر فقلت له :

- ارى انها في الاطار الخشبي تضيع كثيراً من جماليتها وفنها .

فقال لي :

- بل اني للمحافظة عليها افكر في تغطيتها بزجاجة .

فلما قلت له :

- لا اريد أن اسمع منك ذلك يا أبا جعفر .

قال :

- ان ضيوفي حين يدخلون بيتي ويشاهدون هذه الزولية لا يصدقون انها نسيج من الصوف ، فيمدون أكفهم يتلمسونها مرة ومرتين ، وأخشى عليها من لمسات الايدي .

ودخلت الصالة في هذه اللحظات سيدة شابة ومن ورائها شاب بهي الطلعة ، واستقبلهما جواد مرحباً وقادهما ليتعرفا على من في الصالة . كان هذان الضيفان من أهل لبنان ، انيقان بذوق وحشمة ، وحسنا الخلقة ، جميلا الملامح ببشاشة طلقة ، وقد دخلا الصالة دون اقتحام وكأنها ومن فيها من الضيوف هم الذين دعوهم اليها . وتبسم الشاب تحية لمن في الصالة ، واضاء محيا الشابة لتستقبل تحيات الضيوف بابتسامة عذبة . وعلمت من جواد ان هذين الزوجين يديران شركة استيراد وتصدير في بيروت ، وفروع شركتهما تمتد الى عدد من عواصم اوربا وآسيا . وقلت لنفسي لا بد انهما ناجحان في اعمالهما ، فالجمال ينافس الحظ ، وقد يخلقه ، والمعرفة وحدها أحياناً بقيمة الصفر الى يسار الاعداد ، وفتشت عن تلك الشابة فرأيتها تتحدث الى أم جعفر ، فقلت لنفسي أيضاً وليس الجمال بالهيئة فقط بل بالتحدث والانصات والحركات ، فاذا كل هذه متوفرة في هذه الشابة التي صرت اعيد النظر اليها وهي تتكلم مع صاحبة الضيافة ، ورأيت الشاب يقوم الى طاولة المشروبات وسكب قدراً من قنينة الويسكي في قدح من الكرستال ، ثم التفت الى زوجته الشابة وهو يرفع قنينة (الشري) لتراها زوجته ، ورأيت زوجته تومىء اليه بالايجاب وجاء بكاسه والكاس الصغير الذي صب فيه الشري وجلس الى جانب زوجته ورأيته يرشف قليلاً من قدحه وهو ينظر الى وجهها الجميل ، فرفعت هذه كاسها الصغير ورشفت منه قليلاً وهي تتطعمه بحلو شفتيها اللتين لا يدرك طعمهما إلا ذلك الزوج الشاب .

وكثر الحديث بين الضيوف ، وكان أكثر المتحدثين ذلك الرجل الكويتي ، وأقلهم هما الشاب والشابة اللبنانيان ، غير اني رأيت منهما صمتاً وانصاتاً يفوق معنى ومتعة ما سمعته من الاخرين ، فوددت لو انني اتكلم معهما ، فلما قمت الى مائدة

العشاء ، كان مما كان على المائدة (قوزي) حمل صغير ، وسمك (مسكوف) ، وفكرت أن أقول شيئاً ليكون مفتاح التحدث الى هذه الشابة وزوجها ، فقلت لهما وأنا أنظر الى الشاب الذي صار قريباً من مكان :

ـ عندنا من الاسماك الشبوط وهو هذا المسكوف الذي على المائدة ، وعندكم سلطان ابراهيم .

فانبرت الزوجة الشابة تقول :

ـ وعندكم في بغداد من الماكولات اللذيذة ، (القوزي) .

ولما قلت لها :

ـ في مطاعم بيروت صحن باسم (لحم على تمن) .

قالت :

ـ هي قطع من لحم ضان ، أما القوزي عندكم فلحم الخروف يطبخ بكامله .

ورأيت أن اطيل التحدث الى هذه الشابة فقلت لها :

ـ في المغرب يقدم خروف الضان مطبوخاً على البخار فيقدم على المائدة بلون الذهب ، وهو من أطعمتهم اللذيذة ، كما عندهم الكسكسي وهو صحن جد لذيذ لو لم يقدمون منه كمية تملأ العين قبل أن تشبع به المعدة .

وضحكت هذه الشابة لتفاجأني تقول :

ـ أنا من المغرب ، من الرباط نفسها ، وشكراً لثنائك على المائدة المغربية .

(واضافت) سيخبرك زوجي البير عن القوزي الذي يعمل في الاردن .

ونادت على زوجها البير فتقدم منا ، وطلبت منه ان يذكر لنا حكاية القوزي في الاردن ، فقال :

ـ أنا لم أر قوزي الاردن غير اني سمعت عنه من صديق دبلوماسي أثق به .

فقلت له :

ـ احكيها يا استاذ البير .

فقال :

ـ ان الملك عبدالله يقيم في بعض المناسبات حفلات يُقدم فيها قوزي من (حوار) صغير محشي بالرز وطيور التركي ، وطيور التركي محشوة بالرز والدجاج ، والدجاج محشو بالحمام ، والحمام محشو بالعصافير ، وجميعها بهذا التسلسل في بطن الحوار .

فقلت مجاملًا :

ـ هذا سلّم موسيقي .

فقالت الشابة :

ـ هذه لمسة صحراوية ، وكرم .

فقال الشاب :

ـ الملك عبدالله كريم لو يملك .

وأخذت صحناً من مائدة جانبية ووضعت فيه ملعقة وسكيناً وشوكة ، وقدمته للشابة ، فقالت لي :

ـ شكراً يا حكيم ، ولكنني سآكل السمك باصابعي ، فانا استطعم بتناوله بهذه الطريقة .

ونادى عليّ جواد يقول :

ـ أنت تختص بتقطيع القوزي ، وهذا لا يجيده إلا الجراحون .

فقلت له مخابثاً :

ـ هذا خروف أم (فطيمة) ؟

اشارة الى انني اختص بجراحة امراض النساء لا أمراض الرجال .

وسمعت الشابة جوابي على طلب جواد جعفر فسألتني :

ـ فطيمة يعني شو؟

فاجبتها :

ـ الفطيمة هي انثى الخروف الصغيرة .

وعدت أقول لجواد :

ـ هذا القوزي خروف بالتاكيد .

فسألتني الشابة :

ـ أنت تجزم انه خروف ، فكيف عرفت ذلك ؟

ـ الجواب بسيط ، فان الفطيمة لا تذبح لأنها ستكون يوماً ما نعجة وهي مصدر اللبن والانجاب ، أما الخروف فانه اذا كبر فالكبش من نوعه محدود الفائدة .

وقال زوجها الشاب :

ـ انكم في العراق لا تكثرون من لحم البقر ، بقدر لحوم الضان .

فتذكرت نوعاً من الكبة لا أعرف أحداً يطبخها غير اللبنانيين فقلت :

ـ من ماكولات لبنان اللذيذة الكبة الفارغة .

فقالت الشابة :

ـ عندكم كبـــة الحامض ، وقد صرت أجيد عملها ، وصار البير يحبها .

فسألتها بتقدير وتعجب :

ـ أنت تطبخين يا سيدتي ؟

ـ طبعاً أطبخ ، ولا ندخل المطاعم العامة إلا في المناسبات .

وأضافت : وسوف تجرّب ما أطبخه بيدي اذا تفضلت بقبول دعوتي .

مستشفى الهلال الاحمر ـ ١٦ / ١١ / ١٩٧٥

اتصل بي تلفونياً عميد كلية الطب الدكتور تحسين معلّة لاحضر ساعة افتتاح مستشفى الهلال الاحمر في منطقة المنصور بالكرخ برعاية وزير الصحة الدكتور عزت مصطفى ، وصرت أنا والاستاذ الزائر (روي ماكدونالد) في المستشفى في تمام الساعة العاشرة وهي ساعة افتتاحه ، غير ان السيد الوزير جاء متاخراً ، كما ان الدكتور تحسين لم يحضر ، إذ لم يكن بين هذين الشخصين تواد ووفاق ، وكلاهما يتنافسان على التقرب من السيد رئيس الجمهورية ، والغلبة في كثير من الحالات المتنازع عليها فيما بينهما للسيد الوزير . وتكلم في هذا الحفل بطلب من الوزير الدكتور فؤاد حسن غالي واثنى على الحظ الذي ساعد من سعى الى استحداث هذا المستشفى . ثم قال السيد الوزير بتهكم : نسمع الآن كلمة الاستاذ كمال السامرائي . وأنا أعرف أي معنى كان يرمي اليه من هذا الطلب ، فهو لا يريد أن يسمع مني ما يمكن أن يستفيد منه بل يريد في الدرجة الاولى أن يعلم المستمعين كيف سيفند أو يهمل آرائي فيما اقوله بعد أن يسخفها باللهجة لا بالحجة ، ومع ذلك استجبت لطلبه وقلت فيما قلت : ان المستشفيات الاهلية تنافس المستشفيات الحكومية وتسهّل امور المرضى الخصوصيين أكثر مما تفعله المستشفيات الحكومية ، فحبذا لو تجعل وزارة الصحة هذا المستشفى نصف حكومي ونصف أهلي ، فيدخله الطبيب المعالج أياً كان ، موظفاً في هذا المستشفى أم من غير الموظفين فيه ، ويأخذ أجره من المريض كما يأخذ اجوره من مريضه في المستشفى الاهلي ، وتستطيع الوزارة في هذه الحالة تحديد هذه الاجور . وكنت أتوقع بعد أن أكملت كلمتي فيما أراه لتنظيم العمل في هذا المستشفى أن لا يهمل السيد الوزير التعقيب على الفكرة المبتكرة التي أوردتها ، واكتفى بالقول :

ـ الدولة متجهة الى توسيع الخدمات الطبية في قطاعها العام لا الى تشجيع العمل بشكل خاص ، وعلى هذا فان رأي السامرائي مردود من أساسه ، ولن يتحقق ، والدولة سائرة على الخط الاشتراكي .

وفي مساء ذلك اليوم تناولنا العشاء في دار الدكتور عبداللطيف البدري ، وقد

ظهر على الدكتور عزت ارتياح ملحوظ من افتتاح هذه المستشفى فانتهزت هذه الفرصة فقلت له :

ـ ان السيد رئيس الجمهورية يرتاح حين نبحث معه بعض الامور الطبية وحبذا لو نبحث معه نظام مستشفى الهلال الاحمر بشيء من التفصيل . (واضفت أقول) ومقترحي الذي عرضته صباح هذا اليوم هو أن يستفيد عامة الاطباء من معالجة مرضاهم في هذه المستشفى ، وهذا في الواقع ضد مصلحتي الشخصية كصاحب مستشفى خصوصي ، ولكنه مع المصلحة العامة وسوف تكسبون منها رضا الاطباء ورضا المرضى معاً .

ولم يعرض الدكتور عزت مقترحي في نظام المستشفى على السيد رئيس الجمهورية ، ويبدو ان السيد الرئيس ساله عرضاً عن خطته في ادارة المستشفى وتعريف مصالح المرضى فيه ، ورأى سيادة الرئيس أن يستفيد منه الاطباء غير الموظفين فيه كما يستفيد منه الاطباء الموظفون ، فكانت هذه هي فكرتي ، ويعمل المستشفى الى هذا اليوم بهذه الطريقة بنجاح كبير .

مستشارين من الاساتذة الانكليز لمن يدرس الطب من العراقيين في انكلترا

بلغني من اطباء كثيرين يدرسون الطب في دورات بعد التخرج ان اكثرهم يتخبط في ايجاد الشواغر في الموضوع الذي يريد دراسته بينما للأطباء المصريين والسودانيين والهنود وغيرهم من اطباء (الكومن ويلث) مستشارين يأخذون بايديهم ليرشدوهم الى الوظائف الشاغرة في المستشفيات التي تفيدهم ، ويستمر هؤلاء المستشارون يقدمون لهم العون والارشادات حتى يوم دخولهم الامتحانات للحصول على الشهادات العليا في اختصاصهم .

وذات ليلة كنت مع رئيس جامعة بغداد الدكتور طه الاحمد العبدالله في دعوة بدار الدكتور قيس كبة ، وفرضت عليه هذه الفكرة ، فابدى تفهمه لفائدتها وطلب مني أن اقدمها اليه عن طريق عمادة كلية الطب فكتبت اليه هذه الرسالة :

قسم الامراض النسائية والتوليد / كلية الطب

العدد ١٥٥

التاريخ ١٥ / ٩ / ١٩٧٤

الى السيد رئيس جامعة بغداد / بواسطة عميد كلية الطب

ارفع اليكم فكرة ـ مجرد فكرة ـ هي من جانبي تبدو صائبة وربما تستحق من جانبكم الدرس .

اكثرية طلابنا يكملون دراساتهم العليا في المملكة المتحدة واكثريتهم ايضاً يضطرون بدوافع اقتصادية أو بدافع الاستفادة العلمية الى الاشتغال في مستشفيات اختصاصهم قبل دخول الامتحانات ، وذلك لمعرفة اسلوب العمل واتجاهات الفكر الطبي التي يتبناها الاساتذة الممتحنون . وطلابنا غرباء عن الجو الاجتماعي والعلمي المتميزين في المملكة المتحدة . ويصعب عليهم ايجاد العمل المناسب لهم أو لا يعرفون المؤسسات التي يمكن أن يجدوا فيها الفائدة المطلوبة ، فيفشلون في امتحاناتهم مرات ومرات عديدة بالرغم من المعيتهم وكفاءتهم العلمية .

هذه الملاحظات لا تقتصر على طلابنا فقط وقد التفتت اليها الهند ومصر على ما أعرف ، والتفتنا نحن اليها عام ١٩٦٧ ودرست المشكلة ونوقشت حلول لها دون أن تنفذ المقترحات التي قدمت بشانها .

الفكرة هي أن تختار العمادة ثلاثة من الخبراء البريطانيين الذين يتمتعون بالشهرة العلمية والاحترام في الاوساط الطبية بالمملكة المتحدة . ويكلف هؤلاء الخبراء بشؤون طلابنا في المملكة المتحدة بالاطار الآتي :

(١) يكون الخبير همزة الوصل بين عمادة كلية الطب والطلاب في المملكة المتحدة . ويقوم بما يقابل واجبات الملحق الثقافي في السفارة العراقية فيما يخص طلاب العلوم الطبية .

(٢) يلتزم الخبير بواجباته تجاه الطالب المرشح للدراسة العليا من قبل عمادة الكلية الطبية ويسقط هذا الالتزام بعد أن ينال الطالب الشهادة المطلوبة . ويوضح الخبير كل ذلك للطالب ويحرضه بطريقة ما للرجوع الى الوطن بعد نيل الشهادة .

(٣) يحاول الخبير ايجاد عمل للطالب المسؤول عنه في احدى المستشفيات للتدريب فيه قبل دخول الامتحان .

(٤) يقدم الخبير الارشادات والتوجيهات لمجموعة الطلاب باجتماعات كل ثلاثة أشهر على الاقل ويستمع الى شكاواهم لايجاد حلول لها .

(٥) يقابل الخبير الطلاب الراسبين لدراسة اسباب فشلهم في الامتحان .

(٦) يرفع الخبير تقاريره عن الطلاب الى العمادة ويرشح ذوي الكفاءة منهم لتمديد دراستهم اذا رأى ان في ذلك فائدة .

(٧) يكون الخبير بما يقابل الرئيس الفخري للامتحان الاول بعضوية الكليات



البريطانية (.M.R.C.O.G) (.F.R.C.S) .

(٨) يرشح الخبير الاساتذة الذين يمكن الاستفادة من استزارتهم الى بغداد .

ان طلابنا في الدراسات العليا بالمملكة المتحدة يدعون انهم تائهون ويحتاجون الى من يرعى امورهم . والملحقية الثقافية في سفارتنا بلندن لا تستطيع باي حال مساعدتهم لنوعية الاختصاص الذي يدرسونه . والمحذور من وضع الطلاب المنعزل عن الكلية الطبية في بغداد وعن الدوائر الحكومية الاخرى في انه قد يوحي للطلاب ان يكون الانعزال ابدياً فياخذونه ذريعة للبقاء خارج الوطن .

ان الفكرة التي اعرضها عليكم تحقق لطلابنا ولبلدنا فوائد كثيرة ، علمية ، وغير علمية ، اذا وجدتم خبيراً لائقاً في كل من الفروع الثلاثة الرئيسة . وتخصيص راتب مناسب لكل من هؤلاء الثلاثة لن يكون أكثر من الخسارة المادية التي تلحق بالطلاب وبالبلد . ولكم الرأي ، مع التقدير .

رئيس قسم النسائيات
الاستاذ كمال السامرائي

ولم تنفذ فكرتي مع الأسف .

الى الصين الشعبية ـ ٢٠ / ٣ / ١٩٧٤

دعت حكومة الصين وزير الصحة الدكتور عزت مصطفى وبعض رؤساء الاقسام بمدينة الطب وكنت أحدهم لزيارة الصين . وقد اغتبطت بهذه الدعوة إذ لم أكن قد شاهدت قبلًا بلاد المشرق البعيد . واستقلنا في يوم ١٥ نيسان الطائرة العراقية الى بيروت لناخذ طائرة (پان امريكان الجامبو) الى مدينة كراجي كمحطة اولى في طريقنا الى بكين عاصمة الصين ، حطت هذه الطائرة على مطار هذه المدينة ، فلما توقفت محركاتها خرجنا منها فاذا نحن كمن يفتح اتون في وجهه ؛ حرارة لا تطاق ، وهواء ثقيل بالرطوبة لا يحتمل ، وتوجهنا مسرعين الى قاعة الانتظار في هذا المطار ، وانتشرنا على ارائكها لنغفو ولو قليلًا قبل أن نستقل طائرة (اليوشن) التابعة للخطوط الجوية الصينية التي تقلع في الصباح الباكر ، وهرعنا الى هذه الطائرة ، ولم يكن فيها من المقاعد الشاغرة على متنها إلا بعددنا ، أما المسافرون عليها فكانوا جميعاً ذوي سحن متشابهة في الشكل واللون ، وكانهم من اسرة واحدة ، كما كان شعر رؤوسهم قصّ بقدر واحد ، ولم يكونوا كثيري اللغط ولا كثيري الحركة فيما بين مقاعدهم ، فلم يزعجنا أحد منهم ، وسرعان ما عرفنا انهم من فيتنام . وفي

ساعة من منتصف يوم الثاني عشر من نيسان صرنا في مطار بكين ، وحين ترجلنا من الطائرة كان في انتظارنا القائم باعمال السفارة العراقية السيد شوان ، والآنسة الجادر ، فاستفربت من وجودها في الصين ، وكنت طبيب أمها في بغداد فعرفتها عن هذا الطريق ، وقد جاءت الى بكين لتعالج نفسها من صداع مزمن عنيد بوخز الابر الذي يمارس في الصين لمثل حالتها المرضية ، فسالتها :

ـ هل استفدت من العلاج بهذه الطريقة ؟

فاجابتني بابتسامة خفيفة :

ـ ليس بعد .

كما كان في انتظارنا في المطار ممثل وزارة الصحة الصيني . وكان المفروض أن يكون في استقبال وزير الصحة العراقي الدكتور عزت مصطفى نظيره وزير الصحة الصيني ، فلما استعلم الدكتور عزت عن عدم تطبيق هذا التقليد العالمي عرف ان وزير الصحة الصيني قد قتل قبل أيام معدودة بحادث طائرة على احدى قمم جبال منشوريا !! كما كان من المستقبلين في المطار شاب صيني قدّم نفسه الينا بعربية ركيكة باسم (چاو) على انه من التشريفات بوزارة الصحة في بكين . واقلتنا ثلاث سيارات بلون أسود الى فندق (بكين الكبير) ، وهو فعلاً كبير بل كبير جداً ، وبناؤه ذو قدم وضخامة ، ويطل على ثلاثة شوارع ، وله ثلاثة أبواب ، واحد لكل شارع ، كما يطل الفندق على الساحة الشعبية الكبرى ، وهذه واسعة جداً يجثم على جهتها الغربية بناء ضخم هو بالنسبة الى العمارات القريبة منه كالفيل الجاثم بين الادغال ، ذلك البناء هو (بيت الشعب) .

وكانت غرفتي في هذا الفندق مريحة ، وقد استفدت من (بالكونها) في الصباحات الباكرة لاشاهد حشود البشر المتلاطمة يمرون على دراجاتهم الهوائية بين الساعة السابعة والثامنة باتجاه (الكومونات) المتاخمة لبكين ، حشود لا يمكن وصفها باستيعاب ، هي كتل بشرية تنحني على مقاود الدراجات وتسوقها بسرعة واحدة وباتجاه واحد ، رجال ونساء وبمختلف الاعمار ، وبالبسة واحدة من الخاكي ، ولا فرق ظاهرياً بين الجنسين إلا بالشريط الابيض الذي تعقد المرأة به شعر رأسها من الخلف ، أما من الامام فلا فرق كبير بينها وبين الرجل .

وكان أول ما طبق من منهاج زيارتنا لبكين دعوة لتناول العشاء بمطعم (الوزّة) واستغربنا كثيراً حين رأينا تجمع الناس حولنا ونحن نترجل من السيارات لندخل الى هذا المطعم ، بل ان السابلة كانوا يقطعون مسيرتهم وكذلك راكبو الدراجات لينضموا الى المتفرجين علينا ، وجميعهم يحدقون في وجوهنا باستغراب واستفهام .

وكانت مائدة العشاء مستديرة ، وأخذ كل واحد منا مكانه حولها بحسب اسمائنا المكتوبة على بطاقات وضعت الى جانب طبق كبير على المائدة ، والى جانب البطاقة قنينة صغيرة معمولة من المعدن تشبه الى حد كبير قناني (البراسو) التي تستعمل في بغداد لتلميع أدوات المطبخ المعدنية . كما كان على المائدة قدح صغير جداً ، قال چاو وهو يفتح قنينته أمامنا :

- احذروا يا اصدقائي من الجرعات الكبيرة ، فان هذا المشروب حاد المذاق ، كما انه مسكر قوي . وسكبنا قليلًا في اقداحنا الصغيرة ، فاذا هو بلا لون ، كالماء ، غير ان بخار رائحته نفذ الى أنوفنا بحرقة ، فتغضنت له وجوهنا ولم نعد نرتشف منه مرة اخرى . وبعد دقائق قليلة انفتح على القاعة شقا باب ، ونفذ من بينهما شخص على رأسه مثل ما يضعه الطباخون على رؤوسهم في مطابخ الفنادق الكبيرة ، وتلاه اثنان بمثل قيافة الشخص الاول وهما يحملان طرفي (صينية) تملأ وسطها وزة كبيرة شوتها النار حتى صارت بلون النحاس ، ومن حولها انواع المقبلات ، ودار طاقم هذه الوزة حول مائدتنا وغادر الصالة من الباب الذي دخل منه اليها . ولما رأى چاو استغرابنا من هذا العرض ونحن نتلمظ بلعاب أفواهنا لمرأى تلك الوزرة المحمَّرة الشهية وما حولها من المقبلات قال بزهو ويقين :

- انتظروا يا اصدقائي فستعود الوزة بعد قليل .

وعاد طاقم الوزة بعد دقائق وهو يحمل صينية وعليها صحون صغيرة بعددنا وزعت علينا وهي ملأى بالمقبلات والفلافل والنقل ، وما كدنا نشرع في تناول بعضها حتى خرجت من ذلك الباب صينية اخرى مليئة بقطع من جلدة الوزة ، وبعد أن التهمنا هذه انفتحت تلك الباب وخرج منها اثنان من الندل وهما يحملان صينية عليها اطباق مليئة بقطع من لحم الوزة ، وطاسات من الرز ، وكان أمام كل واحد منا زوج من العيدان ، وبدأ چاو بتناول قطع اللحم مستعملًا ما أمامه من الاعواد ، وكان يلقط الرز بمهارة وسرعة غريبة ، وكان في ذلك يقرِّب الطاسة من فمه ويدفع طرفي العودين في الرز ثم يرفعهاَ الى فمه ، فارى وكان حبات الرز تحبو على العودين لتدخل فمه ، وحاولنا تقليد چاو فلم نفلح ، وضحك چاو وضحكنا ، وداري الموقف فأمر لكل منا بشوكة وملعقة وسكين ، وبهذه أتممنا تناول ما في الطاسات والاطباق . وأراد چاو أن يداري اخفاقنا باستعمال العيدان فقال : ان ثلث العالم يتناول طعامه بالملاعق والشوك ، وثلثه بالاصابع ، وثلثه بالعيدان . وهو تقدير قريب من الواقع .

وحين غادرنا مطعم الوزة كان الناس الذين تجمعوا للتفرج علينا عندما دخلنا المطعم قد ازداد عددهم من مختلف الاعمار ، ومن النساء والرجال ، مما لم يكن له

مثيل في بغداد حين يدخل اجنبي أحد المطاعم أو حوانيت الباعة .. ألهذا الحد هي الصين في عزلة عن العالم ؟ أم انها تريد أن تتأكد من سخافة الشكليات التي تورط الغرب بها .

وفي اليوم الثاني اصطحبنا القائم باعمال السفارة العراقية لزيارة وكيل وزير الصحة الصيني وهو في نهاية سن الخمسين ، وانشدّ نظري الى سروال بجامته الذي ينحدر من تحت بنطاله . وفي اليوم نفسه أخذنا مستر چاو الى (المدينة المحرّمة) التي تضم قصور أباطرة الصين ومتاحفهم ومخلفاتهم التي لا تقدر بثمن. وفي احدى حجرات احد القصور شاهدنا مهد آخر الاباطرة ، والى جانبه سرير مربيته . وقال لنا الدليل ان هذا الامبراطور هو الآن أحد الادلاء في قصور هذه المدينة ليعرّف محتويات القصر للسيّاح الذين يدخلونها ، وقد اعطيت له هذه الوظيفة المتواضعة لتعينه على العيش بمرتبها الضئيل .

وزرنا سور الصين العظيم ، فدهشنا لمتانة بنائه ، وطوله ، وانحداراته الى أعماق الوديان ، وصعوده الى أعالي التلال . وتقاطع السور أبراج ضخمة يتفرع منها سلّمان للوصول الى سطح السور الواسع . ومشينا فيما بين قلعتين ، ووقف چاو وقال : مشى (المستر نكسون) رئيس الولايات المتحدة الى هذا الحد فقط . وچاو صاحب نكتة بلغته العربية فسألناه :

- وهل نستطيع أن نمشي على السور أكثر مما فعله نكسون ؟

فاجابنا وهو يبتسم :

- تستطيعون ولن أخبره بذلك .

وزرنا المدرسة الصيفية في بكين ، حيث يجب أن ينضم اليها الاطفال الذين بين الخامسة والخامسة عشرة من اعمارهم ليتدربوا على (الوخز بالابر) فقد يحصل لاي صيني في مزارع (الكومونات) ألم ضرس أو مغص معوي أو كلوي فيعالجه أقرب شخص منهم بوخز الابر الى أن ينقل الى اقرب مستشفى . والمدرسة الصيفية في بكين مثال لمدارس اخرى عديدة في اطراف الصين .

وفي المدارس الصيفية بالصين شُعب لتعليم أكثر الصناعات كالنجارة والحدادة ، وبناء السفن أو الطائرات ، فيختار الطالب في هذه المدرسة الشعبية التي يروق له تعلم اختصاصها في المستقبل .

وزرنا بعد يومين (هانشو) وهي مدينة غريبة الطبيعة لكثرة ما فيها من بحيرات وترع وجسور وحدائق وأشجار زينة وأشجار مثمرة . وفي هذه المدينة شجرة (الماكنوليا) الوردية والصفراء ، فضلاً عن البيضاء التي تعرف في العراق ، وتكثر هذه الشجرة بالالوان الثلاثة ، كما تكثر شجرة اليوكالبتوس في العراق . وأخيراً زرنا

(شانغهاي) ، وكان اسم الفندق الذي اقمنا فيه (رويال) أي (الملكي) في حين كانت الثورة الثقافية لا تزال تعمل في قطع رؤوس الخارجين عن النظام السياسي الصيني الذي ابتدعه (چيرمان ماو) .

وشنغهاي مدينة مكتظة بالسكان ، وجوّها بحري خانق بحرارة عالية ورطوبة عالية ، ولم يكن الفندق الذي أقمنا فيه مكيفاً ، فلم أنم تلك الليلة إلا لماماً . وفي صباح اليوم التالي قادنا (چاو) في جولة بالمدينة ، فاجتذب نظري باستغراب سوق بيع اللحوم بانواعها المألوفة وغير المألوفة كلحوم الافاعي والقردة والقطط والكلاب .

وفي فندق رويال أقام ناظر المدينة مادبة عشاء في صالة صغيرة كانت هي المكان المكيف الوحيد في هذا الفندق . ولم استطع قراءة (المانيو) المكتوبة بالصينية فسألت چاو ان كان فيها لحم افاع أو من لحم القطط أو الكلاب ، فأجابني بالنفي . (ثم اردف) ان لحوم الافاعي أغلى عندنا من لحوم الضان والبقر ، ولا تقدم في الدعوات إلا في مناسبات خاصة .

× × ×

كان السيد چاو دليلنا في زيارة معالم المدن الصينية التي زرناها ، أبرز من عرفناه في هذه الزيارة ، وهو في العقد الثالث من عمره ، وفي ملامحه ما لا يخطيء من يراها ان يشخّص جنسيته الصينية . وهو كونفوشيوسي المذهب ، متزوج وله ولد واحد يعنى به جده (أبو چاو) وهذا ما يعفيه من العمل في عموميات الدولة كما يجب أن يعمل بها أي صيني آخر ، وإلا فلا مورد له ليعيش إلا الدخول في دور العجزة .

وچاو يتكلم العربية بلغة الإعراب ، وقد تعلمها في مصر ، وفي بعض تعابيره ما يضحك كما في بعض نطقه غرابة ، فقد جاءني ذات ليلة وأنا في غرفتي بفندق بكين الكبير وقال لي :

- ان معالي الوزير يشتهيكِ يا دكتور !

فقلت له باستغراب واستفهام :

- يشتهيني ؟

فأجابني ببرود :

- نعم انه يشتهيك .

وقلت لنفسي وأنا في طريقي الى غرفة الدكتور عزت : ما أحظ نوقه ودخلت غرفته وقلت له :

ـ ان مستر چاو قال لي انك تشتهيني !!

ـ ماذا ؟ أنا قلت له اريدك أن تأتي الى غرفتي لنبحث في جدول زيارتنا يوم غد .

وضحكنا لنبريء نوق الدكتور عزت .

ويوماً زرنا مخزن الصداقة الامريكية الصينية في بكين ، واشتريت منه ثلاث قطع من الحرير الجيد لزوجتي وابنتيّ . وبينما كانت البائعة تلف هذه الاقمشة بقرطاس ، ورد بخاطري أن أشتري قطعة رابعة لأهديها لزوجة چاو ، فسألت چاو وأنا أضمر هدفاً في سؤالي :

ـ مستر چاو ، لو اردت أنا أن اشتري قطعة رابعة فأيها تختار من هذه الانواع ؟

فاختار چاو من نوع تكثر فيه الورود ، فقلت للبائعة أن تقص من نلك النوع قطعة وتلفها منعزلة عن القطع الثلاث .

وحين خرجنا من المخزن قلت لچاو :

ـ يا صديقي ، لو أنت زرتنا في بغداد لعرّفتك على زوجتي وأهلي ، فلماذا لم أتشرف بعد بمقابلة زوجتك الى هذا اليوم ؟

فأجابني ببرود :

ـ هي تعمل في شنغهاي ولا أراها إلا يوماً واحداً في الشهر ، وكانت معي في بكين قبل وصولكم بيومين .

فأخذت قطعة القماش التي اشتريتها هدية لزوجته وقدمتها اليه وقلت له :

ـ هذه هدية لزوجتك يا مستر چاو .

وردّها اليّ ردّ متعففاً خائفاً ، وهو يقول :

ـ ما هذا يا دكتور سامرائي ؟ أنا أشكرك ولكن نلك غير ممكن .

ـ ولماذا غير ممكن يا مستر چاو ؟

ـ هذه البضاعة الغالية للسياح فقط .

ـ نحن الآن خارج المخزن ، ولا يعرف أحد انني اشتريتها لزوجتك ، وتستطيع أن تعمل منها قميص نوم فلا يراه أحد سواك .

ـ هذا ممنوع يا صديقي ، وعقاب المخالف شديد .

ورفض چاو قبول هديتي لزوجته ، وابتعد عني كمن يتحاشى مجنوم .

وحان يوم مغادرتنا الصين بعد عشرة أيام . وما كدنا نعبر الجسر القصير الذي يربط بين الصين الشعبية و (هونك كونك) وطوله لا يزيد على بضعة أمتار حتى دخلنا عالماً آخر يختلف غاية الاختلاف عن عالم الصين الشعبية ، إذ فيه من معالم

الترف عند النساء والرجال ، في القيافة والملبس ما استرعى انتباهي بتعجب ، فالمرأة الصينية هنا غير المرأة الصينية في الصين الشعبية ، هي ذات خدين متوردين وسحنة ناعمة بلا غضون ، وبسمات لا تفارق الشفاه اللينة ، والبسة على آخر الموديلات التي تكشف عن الركب والافخاذ الممتلئة .. واقلتنا سيارة من نوع (همبر) الانكليزية الى فندق (برستول) ، وهو من الفنادق الفخمة في هونك كونك . وحين ارتحت في غرفتي نهضت لاتفقد محتوياتها فاذا هي متكاملة المرافق . وقرأت اعلاناً على ظهر باب الغرفة باللغة الانكليزية مفاده (ان ضيفة الزبون اذا طال بقاؤها معه الى ما بعد الساعة العاشرة فيضاف الى اجرة الغرفة خمسة وعشرون بالمائة الى قائمة حسابه) ، وفهمت المغزى من هذا الاعلان واتصلت بغرفة (أبي رفل) وسألته :

- هل قرأت الاعلان الملصق على ظهر باب الغرفة ؟

فاجابني ضاحكاً :

- وهل تريد أن تقول لي انك لم تفهمه ؟

فاجبته :

- لقد فهمت معناه (وداعبته قائلًا) : ان هذا الاعلان يخص الشباب يا أبا رفل ، وأنا وأنت على طرفي عمرينا .

وتهيأنا بعد ثلاثة أيام لنغادر هونك كونك ، وبينما كنت أنا وصديقي أبو رفل على باب الفندق ، نفكر في ما نشتريه من هونك كونك بآخر ما عندنا من الدولارات المحلية (ستون فلساً) واذا برجل صيني يتقدم منا ويقول لابي رفل وهو يتلمس ياقة سترته :

- بدلة جميلة ، إلا انني استطيع أن أعمل لك بدلة أفضل منها .

فقال له أبو رفل :

- ولكننا مسافرون غداً .

فأجابه الصيني :

- وما في ذلك ؟ أعمل البروفا بعد ظهر هذا اليوم وفي منتصف هذه الليلة تكون البدلة جاهزة في استعلامات الفندق !

وعبرنا الشارع الى جانبه الاخر ، فكان على حافته صبية لا يتجاوز عمرها العقد الثاني ، وهي تحتضن صندوقاً غطاؤه من زجاج وبداخله حلي نسائية ورجالية من الخواتم والازرار ، ووقفت اتطلع الى محتويات هذا الصندوق ، فاعجبني مما فيه خاتم بحجر صفير من (الجيد) الوردي ، وسألتها بكم :

فاجابتني :

- بالفي دولار .

وكنت قد سمعت من صديقي (هارولد مالكن) الذي زار هونك كونك ، ان من هوايات الباعة الصينيين هو إطالة المساومة في البيع ، وقال لي اذا طلب منك البائع الف دولار فاعطه عشرين دولاراً، وسيقول لك البائع : أنت تهزل ، فقل له بل أنا أعني ذلك ، وسيقول لك : طيب هات خمسمائة دولار ، وأنت تقول له : طيب خمسة وعشرين دولاراً لا أكثر .. تذكرت هذه النصيحة من صديقي هارولد مالكن فقلت لتلك الصبية :

- عندي خمسون دولاراً فقط .

فقالت وكانها متبرمة :

- أنت تمزح يا سيدي .

فقلت لها :

- بل جاد وليس عندي إلا خمسون دولاراً .

وتناولت الخاتم من يدي واعادته الى مكانه في الصندوق . ولم أتحرك من مكاني لاغادرها حتى مسكت بكمي وهي تقول :

- تعال يا سيدي فانا اريد أن ارضيك ، ادفع الف دولار .

- عندى خمسون دولار فقط .

- هذا بعيد عن قيمة الخاتم يا سيدي .

- ليس عندي أكثر من خمسين دولار .

- طيب مائتي دولار .

- ليس عندي أكثر من خمسين دولار .

فقالت :

- اسمعني يا سيدي ، فانا عاملة ، واذا بعتك الخاتم باي ثمن غير ثمنه فيسطردني مخدومي أو أدفع أنا تكملة المبلغ ، فهل يرضيك هذا ؟

وبدت على وجه هذه الصبية الخيبة ، غير ان تحايلها سرعان ما اكتشفته حين سالتني بانكليزية رقيقة :

- أنت مصري ؟ فانا أحب بيع بضاعتي الى المصريين .

فقلت لها :

- أنا لست مصرياً .

- أنت تبدو رجلا طيباً فخذ الخاتم بمائة دولار .

- خمسون دولاراً فقط .

- هل تقبل مروءتك أن يطردني مخدومي .

فقلت لها :

- أنا لا أرتاح لطردك يا آنستي ولكني لا أملك الآن أكثر من خمسين دولار .

- اذن ادفع مائة دولار وخذ الخاتم .

- خمسون ، وليس عندي غيرها .

وأخيراً دفعت لها خمسين دولاراً فقط وأخذت الخاتم .

الى الدكتور سلطان الشاوي / نائب رئيس جامعة بغداد

اشارة الى كتابكم رقم ١٣٥٨٦ وتاريخ ١ / ٤ / ١٩٧٥

فقد طلبت من عمادة كلية الطب منحي سنة تفرغ لتجميع ما لدي من التجربة في اختصاصي ، ولبحث بعض ما عندي من الافكار العلمية ، وكذلك لزيارة بعض المستشفيات المشهورة بالعمليات النسائية ، فمنحتني الكلية ستة أشهر تفرغ فقط . ولاسباب تخص فرع النسائيات طلبت مني العمادة أن أقطع (التفرغ) قبل إتمامه بشهرين أي ان مدة تفرغي كانت أربعة أشهر فقط بدأتها بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ وانتهت بتاريخ ٦ / ٣ / ١٩٧٤ انجزت في خلال ذلك الاهداف التي ذكرتها في طلبي لسنة التفرغ ، كما ياتي :

(١) عممت على جميع رؤساء صحة محافظات القطر وعلى مدراء المستشفيات النسائية أن يحولوا الينا : ١ - حالات سلسل البول المستعصي علاجه بالطرق التقليدية . ٢ - فقدان المهبل الخلقي . ٣ - اندلاق (عفل) الرحم المزمن لمعالجتها بطريقة مبتكرة نرى انها ناجحة . وفعلاً وصلتنا بعض الحالات المرضية من النوع الذي ذكرته وعالجناها بالطريقة المبتكرة بنجاح .

(٢) سجلت تجربتي في تصنيع مهبل في الحالات التي ليس فيها مهبل بالخلقة . ومرفقاً بهذا الكتاب صورة من المقال عن هذه الحالة وعلاجها .

(٣) بيني وبين الجراح الاسترالي (هلمن) الذي يعمل في اديس ابابا بالحبشة مكاتبات عن عمليات المهبل . والاستاذ هلمن جراح عالمي في عمليات النواسير المهبلية التي لا ينجح بعلاجها إلا قليلون في العالم . وقد زرت الاستاذ هلمن باديس أبابا في شهر شباط ١٩٧٤ كجزء من تفرغي العلمي للاطلاع المباشر على طريقته في اجراء العملية المذكورة .

وبعد عوتي رفعت الى دائرة عمادة الطب بتاريخ ٦ / ٣ / ١٩٧٤ عن

ملاحظاتي في كل من كلية الطب بجامعة الخرطوم ، وكلية الطب في اديس ابابا مركزاً على طرق التعليم فيهما ، وعلى البحث الواسع في العلوم الاساسية بجامعة الخرطوم بصورة خاصة . أما عملية الجراح (هلمن) فقد مارستها على ثلاثة مريضات في مستشفى اليرموك . وتقبلوا وافر تقديري .

الاستاذ كمال السامرائي

صورة منه الى عمادة كلية الطب

مشاهداتي في كليات الطب خارج القطر / ١٩٧٥

اعتدت أن أرفع الى دائرة العمادة مشاهداتي في المؤتمرات والجامعات الاوربية التي أزورها عند سفري الى خارج العراق . فلما عدت في شهر أيلول سنة ١٩٧٥ الى بغداد رفعت الكتاب الآتي :

شعبة الأمراض النسائية والتوليد

رقم ٢١٨

تاريخ ٥ / ٩ / ١٩٧٥

الى السيد عميد كلية الطب المحترم ..

بعد زيارتي للمملكة المتحدة في هذا الصيف ارفع لعلمكم ما يأتي :

(١) شاركت في المؤتمر الطبي النسوي الذي انعقد فيما بين اليوم الثاني والخامس من شهر تموز الماضي . وكانت أكثر المواضيع تدور حول : أ ـ تشوهات الاجنة . ب ـ سرطانات الجهاز الانثوي . جـ ـ ارتقاب Monitoring قلب الجنين . د ـ طرق العمليات الجديدة .

وقد اتصلت باحدى الشركات التي تصنع المرقاب Monitor لشراء هذه الآلة المهمة في التعليم والتطبيب . وقدمنا طلباً بذلك الى مؤسسة مدينة الطب للموافقة على الشراء .

(٢) تحدث معي أكثر من واحد من الاساتذة في المملكة المتحدة عن مدى امكانية استحداث دراسة في بغداد لعضوية كلية المولدين والجراحين النسائيين البريطانية (MRCOG) بعد أن استحدثت في بغداد دراسة لزمالة كلية الجراحين (FRCS) .

ان استحداث الدراسة المذكورة موضوع يمكن بحثه في مجلس الكلية . وفرع النسائيات مستعد لرفع دراسة تفصيلية بهذا الخصوص الى العمادة اذا تلقى الفرع

اشارة منها بالموافقة .

(٣) اطلعت على تفاصيل شؤون التعليم الطبي في جامعة نوتنغهام بمساعدة استاذ الطب النسائي (رايموند) وقد لفت نظري ما يأتي :

أ ـ عدد الطلاب في الصف الواحد بكلية الطب ستون فقط .

ب ـ الرسوب بعد الصف الأول غير مألوف تقريباً لان تصفية الطلاب تتم في هذه السنة .

جـ ـ لا تعطى محاضرات نظرية اطلاقاً .

د ـ التعليم يتم على مجموعات طلابية صغيرة بطريقة المقابسات والتدريب السريري موقعياً .

هـ ـ لكل مجموعة من الطلاب مختبر خاص يعملون فيه التحليلات التي تتطلبها الوقعات السريرية .

و ـ في فرع النسائيات والتوليد اربع غرف مجهزة بفوانيس سحرية واشرطة مسجلة عليها المواضيع المهمة . الطلاب يدخلون هذه الغرف ليشغلوا بانفسهم هذه الاجهزة متى شاؤا .

ز ـ في القسم مختبر ضخم للبحوث العلمية خاص باعضاء هيئة التدريس .

ح ـ عموم اعضاء القسم يعملون في البحث العلمي بالاضافة الى تعليم الطلاب . وتناقش خطوات العمل عند الاقتضاء من قبل لجنة ويكون ذلك عادة كل اسبوعين .

مع جزيل التقدير .

الاستاذ كمال السامرائي

□ كلية الطب ـ جامعة القاهرة :

(١) تشكو الادارة والهيئة التعليمية من كثرة عدد الطلاب في الصف الواحد . إذ يقارب العدد الالف .

(٢) في الكلية حركة تاليف واسعة ينشط اليها الاساتذة كل في اختصاصه .

(٣) توزع المواضيع السريرية على السنتين الرابعة والخامسة فقط . والسنة الخامسة تقابل السنة النهائية في كلية طب بغداد .

□ كلية الطب ـ جامعة الخرطوم :

(١) يشارك في التعليم بهذه الجامعة عدد من الاساتذة الانكليز . وتتم الامتحانات من قبل اساتذة من مؤسسة ويست منستر بلندن . وبين المؤسستين

رابطة ثقافية وتعليمية .

(٢) حضرت المؤتمر الافريقي للعلوم الاساسية الطبية الذي انعقد في الخرطوم . وقد شاركت في المؤتمر كثير من الدول الافريقية وبعض من الدول الاوربية ومنها انكلترا . إلا أن أكثرية المتكلمين كانوا من اعضاء الهيئة التدريسية في العلوم الاساسية بكلية طب الخرطوم . ولن يكون تعليقي على مستوى المؤتمر العالمي أصدق من الاطلاع على كتيب برنامج المؤتمر المرفق مع هذا الكتاب .

(٣) من الممتع أن أذكر هنا ان المؤتمر قد انعقد في أكبر قاعات الكلية التي ارتفعت على واجهتها لافتة واسعة جداً كتب عليها (قاعة أحمد هاشم البغدادي) . والبغدادي هذا عراقي توفي في اواخر العشرينات عن ثروة ضخمة أوصى بها عموماً الى كلية الطب ـ جامعة الخرطوم .

(٤) حضرت مقابسة سريرية ولمست منها ان الطالب هناك كان يعرف ماذا يقول وهذا مهم جداً .

□ كلية الطب ـ الحبشة :

(١) في الصف الواحد ثلاثون طالباً . في هذا العام زيد العدد الى الخمسين .

(٢) اكثر الاساتذة من الانكليز والاسكتلنديين والاستراليين .

(٣) اكثر الساعات تطبيقية ـ الحصص النظرية قليلة جداً ـ .

(٤) كانت جل مقابلاتي مع الاستاذ هلمن (٦٥ سنة) وهو صاحب العملية المعروفة باسمه في الجراحة النسائية وهو الرجل الذي قصدته بزيارتي لاديس ابابا . كما يزوره جراحون في الامراض النسائية من كل اطراف العالم ، وحتى من الانكليز المشهورين بهذا الاختصاص ، للاطلاع على اسلوبه في عمليات المهبل . ومشاكل الحبشة في امراض النساء والتوليد تقارب ما عندنا في العراق . لذلك اعتقد انني سافيد طلابنا ومرضانا اذا استطعت تطبيق اسلوب هلمن في العمليات . وسوف اقدم طلباً الى مؤسسة مدينة الطب لاستيراد الادوات الجراحية التي احتاجها في العمليات المذكورة .

مركز احياء التراث العلمي العربي / ١٩٧٥

في يوم ١٢ / ٥ / ١٩٧٥ تداولت في اروقة جامعة بغداد فكرة استحداث مركز لبحث العلوم في العصور الاسلامية تقليداً لما في حلب مما يناظر هذا

الموضوع . ثم تلا ذلك صدور أمر وزاري بتعيين الدكتور ياسين خليل وهو وزير سابق لهذا المركز وعضوية كل من الدكتور صالح أحمد العلي ، والاستاذ طه باقر ، والاستاذ كوركيس عواد والدكتور جميل الملائكة (وكان يومئذ مساعد رئيس جامعة بغداد) والدكتور كمال السامرئي . وفي اول اجتماع عقد بديوان رئاسة جامعة بغداد في الجادرية تقرر استدعاء الاستاذ سعيد الديوهجي والاستاذ شيت نعمان لحضور الاجتماع المقبل ، كما عين الدكتور عبدالله الجبوري سكرتيراً لهذه المؤسسة . وفي اول اجتماع نظامي الذي انعقد حول مائدة عشاء في حديقة الجمعية البغدادية في الشماسية ، افتتح الجلسة الدكتور سلطان الشاوي باسم مركز احياء التراث العلمي العربي ، وفي اثناء حديثه حضر الاجتماع الاستاذ سالم الالوسي ، وحين استأنفنا الحديث عن المشروع طرحت رأياً في تغيير اسم المركز وقلت فيما قلت (اننا لا نهدف الى احياء التراث العربي وادخاله في التطبيق أكثر مما نهدف الى دوام استذكاره كمجد تليد للامة العربية والاسلامية ، إذ ليس في هذا التراث إلا القليل جداً مما يمكن تطبيقه في الوقت الراهن ، ثم ان كلمة (العلم) بمعناها المعاصر يفيد على الاكثر المعرفة العملية في العلوم SCIENCE وما يصلح للتجربة المختبرية ، وعلى هذا اقترح أن يكون اسم هذه المؤسسة (مركز تاريخ العلوم العربية) .

والدكتور ياسين خليل نشط في نطاق وظيفته في هذه المؤسسة الوليدة ، وقد درس اختصاصه في (تاريخ العلوم) بالمانيا ، فهو بهذا التأهيل اصلح من يكون لرئاسة هذا المركز . وقد أيد مقترحي في تغيير اسم المركز غير ان اكثرية اعضاء المجلس فضلوا تعبير (مركز احياء التراث العلمي العربي) . وأثر انتهاء هذه الجلسة قال لي الدكتور ياسين خليل (انه منذ صباه يحلم أن يكون طبيباً ، وانه قدّم طلباً للالتحاق بكلية طب بغداد إلا ان لجنة فحص الطلاب المتقدمين الى هذه الكلية اكتشفت انه مصاب بمرض في القلب ، فاستبعدته عن الكلية ، فسافر الى المانيا وفيها درس تاريخ العلوم) .

وخلف الدكتور ياسين خليل الدكتور صالح أحمد العلي رئيساً للمركز وكالة إذ كان الدكتور صالح يومئذ رئيساً للمجمع العلمي العراق . وبعد نحو سنة رأس المركز الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف . وبادر الدكتور عماد في طبع ما القي في المركز من محاضرات في ندواته التي استمرت أكثر أشهر السنة الدراسية . ثم استقال الدكتور عماد عبدالسلام من رئاسة المركز فخلفه الدكتور خالص الاشعب ، وهو اختصاصي بجغرافية المدن واستاذ هذا الموضوع في كلية الآداب بجامعة بغداد ، وهو جدي في عمله وملتزم شان أكثر الشباب العاني ، فنجح في ادارة المركز وتطوير اعماله فتقدم

به خطوات واسعة الى أمام باقامة الندوات القطرية والقومية ، وتعضيد من له معرفة بالتراث العربي ليشارك في القاء المحاضرات ومناقشة المحاضرين .. وقد عاونته رئاسة جامعة بغداد مادياً بسخاء ، كما كان السيد وزير التعليم العالي نفسه وراء هذه المساعدات ، فيحضر أكثر الندوات العلمية ويبقى يستمع الى المتكلمين فيها حتى آخر دقائق الندوة .

وخلف الدكتور خالص الاشعب في رئاسة المركز إثر تعيينه في ديوان وزارة التعليم العالي ، الدكتور مصطفى الهيتي ، وهو استاذ مساعد في كلية الصيدلة بجامعة بغداد ، وقد سار بنشاط في ادارة المركز على طريق سلفه الدكتور الاشعب . وخلف الدكتور الهيتي في رئاسة المركز الاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود وهي فتاة محترمة ولها باع طويل في تحقيق الكتب التاريخية ، كما تدرس موضوع التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد .

وحدث في حفلة توديع الدكتور مصطفى الهيتي أن طلب مني أن أقول كلمة بهذه المناسبة فاثنيت على الجهود التي نهض بها رؤساء المركز السابقون ، ثم قلت فيما قلته بعد ذلك : (اني ارى دعماً لهذا المركز أن يرأسه من له عمر وعلم) ولم أكن اشير بذلك الى أحد من رؤساء المركز السابقين ، غير ان الدكتور مصطفى الهيتي أخذ الأمر الى جانبه ، وبان عليه عدم الارتياح ، فقال (أنا انسحبت من رئاسة المركز قبل أن أسمع رأي الاستاذ كمال) .

(قبول) وزواجه ـ ٤ / ١٢ / ١٩٧٥

شب قبول على التقوى بتأثير مربية أولادي الحجية أمونة ، كما ولع بتقليد المقرىء المصري عبدالباسط عبدالصمد ، كذلك صار يكتب القصة ، وبوقت قصير صرت اقرأ ما يكتبه باهتمام ومتعة ، واذا هو يوماً يبعث بقصة الى المجلات السعودية فيجيزونه بعشرين ريالاً . ويوماً شارك مجموعة من طلاب المدرسة بالسفر الى مصر ، وقد تعرف في الاسكندرية على فتاة في مثل عمره ، فكاتبها عند عودته الى بغداد ، ويبدو انها لم تذكره جيداً من بين الشباب الكثيرين الذين تعرفت بهم ، وأكثرهم من المصريين ، والفرق بين الوان بعضهم ولون قبول ليس كبيراً ، فاجابته تلك الفتاة برسالة تقول له فيها انها لا تذكره جيداً ، وبعثت له بصورة تضم مجموعة من الطلاب الذين عرفتهم في الاسكندرية ، وكان قبول يومئذ من بينهم ، وطلبت منه أن يؤشر بالقلم على شخصه في الصورة ويعيدها اليها لتتذكره ، وفعل قبول ما طلبت منه ،

غير ان تلك الفتاة لم تعد تكاتبه بعد ذلك .

وفي عمر المراهقة ظهرت على قبول علامات مرض قلبي خلقي فعاقه عن متابعة الدراسة ، فلم يتوفق عن اجتياز امتحان الصف الأخير من المدرسة الثانوية ، فتوظف في احدى دوائر هيئة الامم في بغداد ، وفي هذه الدائرة برزت مقدرته الذهنية وفطنته في ارضاء رؤسائه . وتدرج في هذه الدائرة حتى صار له راتب شهري لا يحصل عليه إلا موظف حكومي في الدرجة الاولى .

وذات يوم جاءني يتردد وقال لي بحياء :

- عمي ، اريد اتزوج .

وكان ذلك مفاجأة لي ، وضبطت مشاعري لتنبسط اساريري أمامه ، وأنا أكتم معارضتي لفكرة زواجه المبكر بالنسبة لعمره ولمرضه ، فقلت له بما يرتاح اليه :

- الزواج يرصن الدين ، ولكن من تكون ؟

- فأجابني :

- هي اخت صديقي في الدائرة .

- وما هو المطلوب مني ؟

- تذهب أنت وخالتي (يقصد زوجتي) وتطلبها من أهلها .

- وهل أخبرت أخاها بهذه الفكرة ؟

- أنا وأخوها صديقان كاخوين ، وكانت الفكرة مبادرة مني ، فأيدها وتعهد بانجازها .

وذهبت زوجتي وابنتي نيران وزوجها نبيل الدهان ورياض الزهاوي الى بيت الفتاة في شارع الفضل ، وطلبوا الفتاة من أبيها وامها اللذين كانا ينصتان الى طلبهم . واذا بأبيها يسأل :

- ابني اخبرني ان قبول هو ابن الدكتور كمال السامرائي ، وعرفت البارحة انه ربيب الدكتور وليس ابنه ، وعلى ذلك فانا أعتذر أن استجيب الى طلبكم . وكانت خيبة أمل آلمت قبول أكثر مما اصابنا منها من خجل ... وبعد أيام معدودة دخلت بيتي فوجدت فيه شابة داكنة اللون بلون البن المحمص ، غير انها ذات تقاطيع ناعمة لا أراها في السود ، حتى ان شعرها لم يكن صوفياً بل سبلًا . أما عيناها فكانتا كميناء الساعة البيضاء ، واسعتان تشعان بالحركة والحياة . ورحبت بها ، ثم عرفت منها انها تعمل في مدرسة ابتدائية بالبصرة ، وشهادتها من دار المعلمات . وكان الحديث القصير الذي دار بيني وبينها كافياً لاعرف قدر ذاتية هذه الفتاة التي كان لونها جمالًا من نوع خاص مرغوب . وشجعتني صراحتها في التحدث الى أن اسألها إن كانت

متزوجة ، فاجابتني وهي تبتسم :
- النصيب له يوم ، وهو يزور ولا يزار .
وفجاة تحركت في خاطري فكرة طلبها زوجة لقبول .
ورأيت ان أعرف رأي قبول أولًا ، ودخل قبول فاذا هو يعرفها ويعرف أهلها في البصرة ، وانتظرت الفرصة بلا صبر لاعرف رأي قبول فيها لنخطبها اليه . غير ان قبول عارض فكرتي وقال لي بشكل قاطع :
- اريد زوجة بيضاء وإلا فلا أتزوج .
- طيب يا قبول ، جرّبنا طلب واحدة بيضاء فرفض أبوها طلبنا .
فقال لي :
- اعرف واحدة تعمل معي في دوائر هيئة الامم ، وقد اتفقت معها على الزواج .
- لا بد أن نعرفها أولًا ، لانها ستدخل بيتي وتكون واحدة من العائلة .
فاجابني بجرأة :
- يكفي أنا أعرفها ، كما اننا اتفقنا أن نسكن في بيت خاص بنا .
وأمسكت عن الحديث بعد أن سمعت منه ما لم أتوقع سماعه .
وفي يوم وأنا منشغل في استقبال مريضاتي بعيادتي في مستشفى السامرائي ، دخلت الى غرفتي سكرتيرتي (وداد عسافي) وهي تقول لي :
- سيدة بعثها قبول تطلب رؤيتك .
وسكرتيرتي وأي موظف في مستشفى السامرائي يعرف قبول ومرتبته في بيتي وبين أهلي ، واحداً واحداً . ودخلت تلك السيدة ، وبادرت تقول لي :
- أنا جوليت اخت فيوليت التي يشتغل معها قبول في دائرة العلاقات العامة بهيئة الامم في بغداد .
ولم أكن قد رأيت اختها فيوليت ، وهي الفتاة التي يريدها قبول زوجة له ، أما هي ، أي جوليت ، فقد كانت سيدة لها هالة انثوية ، بخلق عالٍ ورزانة متينة ، لونها شمعي وسحنتها ملساء وعيونها تنطق بسكوت . واردت أن اتاكد من انها اخت فيوليت حقيقة ، فسالتها :
- أنت يا جوليت اخت فيوليت ؟
- نعم هي اختي .
وقمت بخدمتها بسرور ، وكانت شكواها المرضية اعتيادية ، كما انها عرضتها امامي بسهولة ودون لف ودوران ، وغادرت عيادتي ممتنة وراضية .
لقد كانت جوليت في نظري سيدة تسد فراغاً محترماً في أي صالون بيت

مرموق . فاذا كانت اختها فيوليت مثلها شكلًا وروحاً ، فلا أظن انها ستقبل الزواج من قبول ، ولما عدت الى بيتي لم أجد ما افتتح به حديثي مع أهلي الا رؤيتي لجوليت اخت فيوليت ، ولا أظن انني اطنبت أكثر من الحقيقة في وصف جوليت ، فقلت : اذا كانت فيوليت مثل اختها جوليت ، فلن يتم زواجها بقبول ، أبداً .

وسالتني زوجتي بتعجب :

ـ ماذا تقول وقد تم قرانهما اليوم صباحاً !

ونهلت من هذا الخبر ، ومع نلك قلت :

ـ مع نلك لا أظن ان الزواج سيقع .

وأنا اقصد ان فيوليت اذا كانت مثل اختها جوليت خبراً ومخبراً فلا أظنها تقبل قبول زوجاً لها .

وذات يوم نخل قبول ومعه سيدة أكبر منة عمراً بكثير ، واذا هنه السيدة تتقدم مني بحشمة مفتعلة وتأخذ يدي اليمنى وتقبّلها ، فقال قبول ليكسر نهولي من هنه الحركة ، واشار اليها قائلًا لي :

ـ عمو ، فيوليت زوجتي !

وبيني وبين نفسي قلت :

ـ يا للعجب كيف تكون فيوليت هنه اخت جوليت حتى لو إستبينت عمرها الذي يزيد على عمر فيوليت بما لا يقل عن عشر سنوات . ولم يكن لي بد إلا أن ارحب بها بما يرضي قبول ، فقلت لها :

ـ أهلًا بكنتنا فيوليت . (واضفت) أنتِ الان واحدة منا . أما في سري فقد اشفقت على قبول لتورطه بهذا الزواج الفاشل ، فقد انتهى بالطلاق بعد بضعة أشهر ، وهكذا تحققت شكوكي من وقوع هذا الزواج .

بعض وجوه لندن الشائنة والجنس في التلفزيون البـريطاني ـ ١٥ / ٨ / ١٩٧٥

(١) في كل يوم ثلاثاء يعرض على التلفزيون البريطاني بلندن برنامج في التثقيف الجنسي ، وفي يوم ٢ / ٨ / ١٩٧٤ كان التكلم في هذا اليوم لاستاذ جامعي بريطاني وسيدة هندية اللون والملبس واللهجة ، وقد مهّد الاستاذ موضوعهما بمقدمة مفادها باختصار ان الفتاة علم أهلها أو لم يعلموا ، رضوا أو عارضوا ، لا بد أن يكون لها فتى صديق Boy Friend ، وهذا التعبير بمعناه العملي ان صداقتهما

تشمل تبادل العواطف الروحية والجسدية ، وان احتمال الحبل في هذه العلاقة كبير جداً ، ولا بد من الاحتياطات المضادة ، أو إسقاط الجنين السفاح . وإذ ان الاسقاط المتعمد لم يكن يعد مشروعاً في انكلترا فان الفتاة الحامل تدخل عيادة الطبيب من بابها الخلفي للتخلص من حملها . ومضاعفات الاسقاط المتعمد كثيرة وخطيرة وقد يكون من بينها الموت ، ولهذا السبب دعا ذلك الاستاذ في التلفزيون أن يشرّع قانون باباحة الإسقاط العمد في المستشفيات لا في السر في العيادات الخصوصية . أما الفقرة الثانية من البرنامج فقد تولتها السيدة الملونة ، وكانت بعمر لا يقل عن الخمسين سنة وقد اعتلت منصة تشرف على مجموعة من الفتيات المراهقات ، وبدأت هذه السيدة تشرح طرق منع الحبل .

(٢) وفي ظهر يوم السبت يوم ١٩ / ٨ / ١٩٧٥ انحدرت الى محطة قطار تحت الارض في (كلوستر رود) وكان الرصيف مزدحماً بالخلق ، والقبو الى محطة وقوف القطار مكتظاً بالناس من كل الاعمار . وتسللت بين هذه الجموع واتخذت مكاناً استطعت فيه أن أسند ظهري الى جدار المحطة المغلف بالسيراميك الابيض النظيف ، في انتظار وصول القطار ، وكذلك كان كثير من الناس يفعلون وهم يحملون حقائبهم بأيديهم أو يعلقونها على اكتافهم ، وانتبهت الى انني كنت قريباً من ثلاثة من الشباب والشابات وهم يرتدون السراويل الزرق التي تبدو عتيقة بافتعال ، وهي باهتة اللون في ما يلاصق منها الرُكب والأوراك . كما كان كل واحد منهم يحمل قنينة من البيرة ، ويرفعها الى فمه بين حين وآخر ليرتشف قدر (بق) منها ، ويغنون باعلى أصواتهم حتى بدا غناؤهم صراخاً لا نغمة شجية فيه ، وحسدتهم في سري على شبابهم الغض لولا ما لوثوه به من وحل اللاأخلاقية التي يتصرفون بها علانية ويتبجح . وفاجاني واحد منهم حين مدّ ذراعه نحوي وهو يقول لي ضاحكاً :

ـ أنت يا رجل .

ولما تجاهلته صرخ وهو يتقدم مني :

ـ أنت أيها العجوز .

ولزمت الصمت لاتحاشى المشاكل مع هذا الشاب المخمور ، وأنا باي حال لست كفوءاً لمناجزته . غير ان هذا الشاب عاد يخاطبني :

ـ هل من العدل أن تلبس أنت هذه البدلة الانيقة ، وأنا .. انظر اليّ ايها العجوز ، وأنا لا يستر (عورتي) إلا هذا السروال المتهريء ، وأنا شاب ، ووسيم وأنت عجوز وقبيح ، أهذا عدل ؟

وزعق هذا الشاب وتقدم مني وهو يقهقه ويمد نحوي يده التي تحمل قنينة البيرة :

ـ اشرب يا رجل ، فلعلك تبتسم ، والبنات لا يحببن الرجل الغضوب .
والتفت نحو صديقته الشابة وسألها :
ـ هل تحبيني لو كنت يوماً مثل هذا الرجل عجوزاً وغضوباً .
فأجابته بغنج :
ـ أحبك حتى في ظلمة الليل .
أما الفتاة الاخرى التي كانت مع الشابين فشرعت تضحك وهي تضرب كفيها على فخذيها الممتلئتين في سروالها الضيق ، واشارت باصبع يمناها على قطعة القماش الصفراء التي خيطت على صدر قميصها وقد كتب عليها بالانكليزية وبحروف كبيرة عبارة (أحبك) . كانت هذه الشابة في ذروة النشوة والصحة . ولطف الله عليّ فوصل قطار تحت الأرض واستقللته في عربة غير التي استقلتها تلك الشلة الماجنة .

الاهتمام المفرط بالمريض / ١٩٧٥

لوحت التجربة بأن شدة الاهتمام بالمريض ، وبخاصة في الحالات الجراحية كثيراً ما يؤدي الى نتائج سلبية واحياناً خطرة . فاطلق بعض اطباء بغداد على هذه الحالة تعبير Recommenditis أي التوصية بالمريض والاهتمام به بافراط ينتهي باختلاطات غير متوقعة . ولدي أمثلة كثيرة على ذلك كنت طرفاً في بعضها ومثل ذلك كان الأمر مع زملائي الذين سبقوني ومن زامنني منهم . واذكر منها ان سفير امريكا في بغداد (نانيشو) اصيب بداء في اصبعه الكبير برجله ، وكان عصبي المزاج متشككاً فيما يجب أن يعالج به اصبعه ، فسافر الى انكلترا وطلب ثلاثة جراحين لمعالجته فاتفقوا على قلع اظفر ذلك الاصبع وكانت العملية بسيطة جداً ، فاختلطت ايامه بعد العملية بحالات التهابية شديدة وتوفي في اليوم الثالث . ومثل ذلك حصل (لكرنل ورد) الذي بنى محطة قطار بغداد والميناء الجوي في البصرة ، فتوفي اثناء عملية فتق مغبني صغير جداً . وحين اصيب الملك فيصل الأول بالتهاب الزائدة الدودية اجتمع للمداولة في موضوعها ستة اطباء فضلًا عن طبيبه الخاص الدكتور سندرسن ، ودخل جميع هؤلاء غرفة العمليات ، الجراح ومعاونان ، وممرضتان ، وطبيب لمتابعة نبضه وآخر لاخذ ضغط دمه ، وطبيب آخر يقف جانباً لمراقبة دخول ذبابة الى الغرفة ، وأخير التهب جرح عملياته فاعيد فتحه مرتين .
وفي زيارة الاستاذ الزائر الى كلية الطب الدكتور هارولد مالكن قصّ علينا الحكاية الاتية وهو يؤكد انها واقعية بلا زيادة :

ـ قدمت سيدة امريكية ، بالغة الثراء ، الى لندن لمشاهدة مباراة لعب التنس . وكانت هذه السيدة حاملًا في الشهر الثامن . وما أن وطئت قدماها ارض مطار هيثرو بلندن حتى صارت تنزف دماً كثيراً ، فنقلت حالًا الى مستشفى (سنت ميري - بادنكتون) . وطلبت أفضل وأشهر الجراحين النسائيين بلندن . وكان على رأسهم (سير وليم جوليت) ، ومنهم كرين ارمي تاج ، ودوكالد ، وهؤلاء هم رؤساء الاطباء النسائيين بلندن . كما طلبت أفضل مخدر وأفضل الممرضات . وتقرر اجراء العملية القيصرية ، واجريت لها هذه العملية وحين صحت من التخدير أمرت سكرتيرتها أن تعطي كل جراح خمسة آلاف پاون ، ومثلها للمخدر ومثلها لكل ممرضة ، والنتيجة انها اصيبت بجميع الاختلاطات المرضية التي تذكرها المؤلفات الطبية ، وأخيراً توفيت .

(وختم هارولد مالكن) كلامه بالقول :

ـ أكاد أجزم لو ان هذه المريضة قد ادخلت الى احدى الردهات المجانية ، وعوملت كما تعامل أية مريضة اخرى في الردهة لكتب الله لها الحياة .

اول اصابتي بمرض القلب / ١٩٧٥

ليس في عائلتي من اصيب بمرض القلب ، وأكثر أهلي عاشوا معمرين ، وذات يوم لاحظت تورماً بسيطاً عند مشد الجوربين في ساقي ، فلم أعره اهتماماً ، ولا أنكر ما دعاني يوماً أن أقيس ضغط دمي فاذا هو عالٍ نسبياً ، ولم اشك من عرض يمكن أن أعزوه الى ضغط الدم . وانكر جيداً ان استاذي الدكتور هاشم الوتري قال يوماً انه لم يطلب أحداً من زملائه ليقيس ضغط دمه إلا مرتين ، في الاولى حين دخلت آلة قياس الضغط الى بغداد سنة ١٩٢١ ، وفي الثانية حين نقل مغضوباً عليه الى البصرة ، ففتش عن عذر صحي لكي لا يسافر الى هذه المدينة . وهكذا كنت أنا مثل استاذي الوتري لا أشكو مما يمكن أن يعزى الى ضغط الدم فافحصه لاتاكد من ذلك . ويوماً كانت ابنتي (عائدة) تقيس ضغط امها التي هي زوجتي ، وهي من عائلة مات كل من جدها لابيها ، وأبواها وامها وأعمامها واخوانها الثلاثة ـ كل هؤلاء ماتوا بمرض القلب ، فطلبت عائدة مني أن تقيس ضغط دمي فاذا هو ١٥٠ / ١٠٠ ملغم ، فسالتني (ألا تشكو من شيء ؟) ، فاجبتها كلا ـ صداع ؟ ولا من صداع ، وأخبرتها حين ذاك عن التورم اليسير الذي لاحظته في ساقي . وفي اليوم التالي كنت في مكتب الزميل الاستاذ (فرحان باقر) بمدينة الطب ليفحصني تبعاً لنصيحة ابنتي عائدة ، فوجد ضغط دمي بحدود ١٨٠ / ١١٠ كما لاحظ التورم اليسير في ساقيّ ،

فانذرني من تطور هذه الحالة وزودني ببعض النصائح في المأكل والمشرب وبدواء لدر البول ، كما نصحني بمتابعة فحص الضغط ، وأخذ الحالة باهتمام وجد ، والتقليل من اعمالي . غير اني لم أعمل بنصيحته كما يجب وباهتمام ، واستبعدت أن يتطور الامر الى حالة أسوأ ، وقررت أن اسافر الى خارج بغداد . وفي صباح يوم عيد الفطر ١٩٧١ سافرت مع زوجتي وابنة عمها واسمها (نزهت) التي كانت تعيش معنا في دار واحدة الى منتجع (صلاح الدين) بشمال العراق . وكان برد شتاء تلك السنة قارساً ثقيلاً على الروح والجسم . وكانت الاغطية التي زودتنا بها ادارة الفندق قليلة وخفيفة ، كذلك لم تكن المدفأة النفطية تكفي لتدفئة الغرفة التي حصلنا عليها في فندق صلاح الدين ، وفضلاً عن ذلك فقد اكتشفت في منتصف الليل ان تلك المدفأة لم تكن تحرق النفط كاملاً فانتشر بخاره في الغرفة بكثرة أيقظتني من النوم ، فاخرجت المدفأة الى خارج الغرفة ، والنتيجة معروفة ، فهربت من شدة البرد الى صالة الفندق وأنا الفّ نفسي ببطانية الغرفة ، ولم أجد في الصالة سوى نادلين رأيت أحدهما يتململ وهو يطوي جسمه على (قنفة) أقصر من طوله ، ونادلاً آخر يغط في نومه وشخيره يكاد من شدته يلمس لمساً ، فعدت الى غرفتي ونقلت فراشي الى حمامها ، واجتهدت أن أغفو ولكن دون جدوى . وفي الصباح توجهنا الى صالة المائدة ، فلم أجد ما عليها شهياً ، بما فيها قطع الخبز والشاي فغادرنا الفندق على الطوى متجهين الى أربيل لنتناول طعام الفطور فيها ، وتوقفنا في الطريق اليها عند مقهى صغير على حافته ، وتناولنا فيه فطورنا من لبن اربيل المشهور بنكهته الخاصة ، ومن رقاق الخبز ، والتكة المعمولة من لحم الضان الطري ، حتى امتلأت بطوننا ودب الدفء في أطرافنا . ولحظة ولجت هذا المقهى اجتنب نظري في ركن منه (كرامافون) قديم من النوع الذي ينبث منه الصوت من فوهة بوق وسيع ، فقررت في خاطري أن أشتريه بأي ثمن اذا اقنعت صاحب المقهى ببيعه ، ورأيت أن أترثر أولاً معه توطئة لتحقيق هدفي . وكانت في تلك اللحظة اسطوانة تدور على محور الكرامافون وينبعث منها غناء رجل باللغة الكردية التي لا أعرف منها كلمة واحدة ، فسألت صاحب المقهى عن اسم ذلك المغني ، فأجابني باعتزاز وكبرياء :

- اسمه علي مردان . (واضاف) هو عندما (مسل) أم كلسوم عندكم بالعرب .

فابديت اعجابي بصوته واثنيت عليه نفاقاً وتزلفاً لاصل الى التمكن من شراء ذلك الكرامافون ، وقلت له :

- لو عندي كرامافون لاشتريت منك هذه الاسطوانة .

فقال لي بعصبية خفيفة :
ـ أنا لا أبيع الكرامافون ولا ابيع الاسطوانة .
وغادرني الى زبائن آخرين دخلوا المقهى ، ثم ما لبث أن عاد اليَّ وهو يقول بتباهٍ :
ـ اعطوني بالكرامافون عشرين ديناراً .
وقلت بيني وبين نفسي انفتح الباب لاخرج من الظلمة الى الدنيا حاملاً الكرامافون الذي اريده ، وقلت له :
ـ أنا أعطيك عشرين دينار .
فقال بتراخ :
ـ قلت لك دفعوا لي عشرين دينار .
وعرفت حينذاك انني على وشك الحصول على الكرامافون ، فمسكت بيده وفتحت راحتها وبسطت عليها ثلاثة أوراق من فئة عشرة دنانير ، فانفرج فمه بابتسامة عريضة ، وهو يقول لي :
ـ بلا اسطوانة علي مردان .
ـ كما تريد ، بلا هذه الاسطوانة .
وحملت الكرامافون الى سيارتي وكانني حملت شمال العراق باكمله ليكون ملكي .
وسلكت الطريق عائداً الى بغداد ، وكان لي موعد سابق مع الزميل (قنطرچيان) لاجراء عملية صغرى لزوجته في ذلك اليوم ، ولم تستغرق العملية أكثر من بضع دقائق ، وكان زوجها ينتظر في الغرفة الصغيرة الملحقة بصالة العمليات . وبينما كنت اخلع عني ثياب العمليات لارتدي ملابسي الاعتيادية شعرت بالم مفاجيء في منطقة عظم القص من صدري وما تحته مباشرة ، لم أشعر بمثله من قبل ، لم يكن يشبه الضغط أو القرص أو الحرقة الشديدة أو القطع أو الحس بالثقل ، قد أكون قريباً من وصفه اذا قلت انه كان كقطعة زجاج تتكسر داخل صدري وقريباً من سطحه ، فقلت بصوت مسموع :
ـ يا إلهي ما هذا ؟
وتوقف الالم بمثل السرعة التي داهمني بها . وحين غادرت غرفة العمليات ، عاودني الالم ذاته ، ليس غيره ، إلا انه كان أخف وطأة ، فتسمرت في مكاني وكان أحداً أوقفني عنوة لاحتمل نوبة جديدة . وادرك زوج المريضة ما شاهده فيَّ فنصحني أن اتناول حبة من الفاليوم ، وفتح حقيبته الطبية التي كانت بيده وتناول منها قنينة

أخذ منها حبة ودفعها الى فمي ، فاعربت له عن امتناني لاهتمامه بامري . وشدّ هو على يدي بكلتا يديه امتناناً لما عملته لزوجته وغادر المستشفى . وعاودني الالم في هذه اللحظة ، فلم يبق لي شك في انني اصبت بنوبة لها علاقة مباشرة بقلبي ، فلم أذهب الى العيادة الخارجية بالمستشفى وطلبت من رئيسة الممرضات (ألس) أن تعتذر من المريضات اللاتي كن ينتظرنني فيها . وتوجهت الى سيارتي لاقودها بنفسي فاعترضني الدكتور (عبدالله العنيزي) الطبيب المخدر في مستشفى السامرائي ، واقترح أن يحملني بسيارته الى بيتي ، فسألته :

- هل تعتقد ان ذلك أفضل ؟

فاجابني :

- بل ضروري .

فاستهنت بما أصابني وسقت سيارتي وبجانبي الدكتور عبدالله الى بيتي ، وتحدثنا ونحن في الطريق عن أمور كان أقلها فيما يخص حالتي القلبية . ولم أكد أترجل من سيارتي حتى داهمتني نوبة جديدة كانت أشد من سابقتيها بكثير ، واردت أن أصعد درجات السلم الى حجرة نومي فمنعني الدكتور عبدالله باصرار ، فاضطجعت على حشية فرشتها لي زوجتي في بهو البيت . وفي هذه اللحظات نهض الدكتور عبدالله الى التلفون ، وسمعته يدير قرصه ، وتعمدت أن أنصت الى مخابرته وهو يكلم (أحد) الاختصاصيين بأمراض القلب ، وهو أحد زملائي بمدينة الطب ، وكان من تلامذتي أيضاً ..

- استاذ .. ان استاذ كمال السامرائي بحالة أرى من الضروري معالجتها حالًا .

- ....

- طيب في هذه الحالة ماذا أستطيع عمله ؟

- ....

- ما عندي مورفين .

وسمعت الدكتور عبدالله يعيد سماعة التلفون الى موضعها بامتعاض . ثم سمعته بعد لحظة يدير قرص التلفون مرة اخرى ليطلب رقماً آخر ، وشرع يتكلم :

- أنا متاسف يا استاذ أن أزعجك ، أنا الدكتور عبدالله العنيزي ، الاستاذ كمال السامرائي بحالة ألم صدري مفاجيء ، أعتقد انها أزمة قلبية .

- ....

- ألم قوي تحت عظم القص ، تكرر ثلاث مرات في خلال ساعة واحدة ، وهو الآن في بيته .

- ....

- كيف أنقله الى المستشفى وهو في حالة تخيفني .

- ....

- طيب شكراً .

وأعاد الدكتور عبدالله السماعة الى موضعها ، وهو مغلوب على أمره . ثم سمعته يدير أرقاماً اخرى من قرص التلفون ودار بينه وبين من طلبهم حديث لم يطل كثيراً حتى اقفل التلفون بغضب . وعاد اليَّ متجهماً ولم يقل شيئاً ، كما اني لم اساله عما دار بينه وبين من كلمهم على التلفون ، فقد كان كل شيء واضحاً لي ، أي انهم اعتذروا عن اسعافي لانشغالهم بمرضى عياداتهم ، فكان ألمي النفسي من ذلك لا يوصف .

وحاول الدكتور عبدالله أن يريحني فسألني :

- كيف أنت الآن ؟

فاجبته دون اهتمام :

- أحسن .

- والالم ؟

- لم أعد أحس بالم .

أما في داخل نفسي فكان ألمها ممضاً جراء موقف الزملاء مني وسمعت الدكتور عبدالله يقول لي :

- نصحوني (يقصد الاطباء الذين كلمهم على التلفون) ان احقنك بالمورفين .

ولم ينتظر مني جواباً ، فدفع ابرة محقنة المورفين في لحمي . ونمت تلك الليلة بعمق وارتياح ، وفتحت عيني في باكر صباح اليوم التالي ، ورأيت الاطباء الاختصاصيين الكبار الثلاثة الذين طلبهم الدكتور عبدالله ولم يلبوا طلبه لزيارتي في بيتي ، وكان استقبالي لهم فاتراً ، وأظنهم أدركوا ذلك . فسألني أحدهم أن أصف له شكواي ، وسألني الآخر كم طالت النوبات ، وسألني الاخر ، عما اذا كان ذلك لأول مرة في حياتي . واسئلة اخرى أمطرني بها هؤلاء الزملاء ، وجال بفكري في البداية ان لا اجيبهم بشيء ، واكتفي بابداء أسفي على تحملهم مشاق المجيء الى بيتي . وتعوذت من الشيطان الرجيم ، ونبذت هذه الفكرة ، وأجبتهم على اسئلتهم ولكن ببرود واضح وفي صدري كلام كثير كتمته بغيظ وألم . واقترح أحدهم أن يتداولوا فيما بينهم بعيداً عن مخدعي ، وعادوا اليَّ بعد دقائق يقترحون نقلي الى مستشفى مدينة الطب .

وكان رئيس مؤسسة المدينة يومئذ الدكتور مردان علي ، فاستقبلني باهتمام

وقلق ، وأفرد لي غرفة خاصة لمداراتي ، وزارني الدكتور عزت مصطفى ، وفيما كنا نتبادل الحديث ثارت في خاطري حكاية الاطباء الثلاثة الذين اعتذروا عن اسعافي في بيتي ، فقلت له :

- عندي ما أقوله عن ثلاثة أطباء لا أريد أن أذكر اسماءهم الآن ، فأحدهم صديقك ، والثاني تخشى منه لعلاقته بالسيد رئيس الجمهورية ، والثالث أعمته المادة فتجاهل أدب الزمالة والسلوك المهني .

وسألني الدكتور عزت : وما هي الحكاية ؟

- اعرض الحكاية على لسان صباح بن نوري السعيد . فقد كلمني في منتصف ليلة شتاء يستنجد بي للحصول على طبيب بأمراض القلب ليفحص أمه التي كانت بحالة اختناق على حد قوله . (واضاف) انه اتصل بدار الدكتور فلان والدكتور فلان والدكتور فلان فلم يجد أحداً في بيته ، وهم الاطباء الذين يعرفون مرض امي وهي الآن في حالة مزرية ومخطرة .

وصباح في أكثر الليالي لا بد أن يكون مخموراً ، فتبادر الى ذهني انه لم يعطهم معلومات كافية عن حالة أمه ، فسألته :

- ماذا قلت لهم بالضبط يا صباح ؟

فاجابني :

- ماذا عساي أن أقول لهم ، قلت لهم امي مريضة واريد أن تأتوا لاسعافها .

- هل ذكرت لهم من أنت ، ومن هي أمك ؟

فاجابني بسذاجة وغباء :

- أنا لم أر موجباً لذلك .

وضحكت منه في سري ، وقلت له :

- انتظر قريباً من التلفون ، فسيكلموك ثلاثتهم أو يأتون الى بيتك مباشرة .

واتصلت بالاطباء الثلاثة تلفونياً واحداً بعد الآخر ، وكان الجواب يأتيني بصوت سيدة تقول ان زوجها الفلاني لم يعد الى البيت بعد ، وسيدة اخرى تقول انه سافر الى الحلة ، واخرى تقول انه مدعو في مكان لا أعرفه ، وصرت اجيب كل واحدة منهم :

- لا بأس فان عادوا في أي وقت فليتصلوا ببيت نوري السعيد لان زوجته بحالة مرضية سيئة .

وبعد نصف ساعة اتصلت تلفونياً بصباح واذا هو يسبقني ويقول :

- حضر اثنان من الاطباء وهم الآن يفحصون أمي ، شكراً يا كمال .

ذكرت هذه الحكاية الواقعية بهذا التفصيل للدكتور عزت مصطفى . وقلت له ان حالي البارحة كان مثيلًا لحال أم صباح ، فلم يستجب طبيب واحد لندائي وأنا زميل لهم واستاذهم وأكبرهم عمراً .

فأجابني بروحه المعهودة حين يريد أن يتخلص من سؤال جدي محرج :

- هؤلاء زملاؤك ، لا زملائي .

× × ×

ورجعت الى الكتب في الطب الباطني ، وعندي منها اثنان حديثا الطبع نسبياً ، فاذا أحدهما يكتب في موضوع أمراض القلب باسلوب وتبويب يختلف عما في الكتاب الآخر ، وفي كل منهما فجوات في عرض ما تخلفه الذبحة الصدرية ، وكنت قبلًا انظر الى من يصاب بالذبحة على ان قلبه قد استنفد احتياطه الأول للدفاع عن عجزه التام في اداء وظيفته ، وعلى ذلك فهو دون مقاومة لأي أزمة قلبية جديدة ، فكنت أنظر الى هؤلاء بعين عطوفة واعدهم من المحكوم عليهم بالاعدام مع وقف التنفيذ ، فلا يلبثون بعد أية هفوة أن تنفذ بهم العقوبة ، فلما أصبت بهذا المرض صار يؤلمني أن أعرف انني في موقف لا أُحسد عليه ، واتخيل اللحظات التي تسبق الانفاس الاخيرة في حياتي ، وافكر أين تكون تلك اللحظات المشؤومة ، أفي عيادتي وبين مرضاي ، أم في صالة العمليات ، أم حين أسوق سيارتي ، أم حين أكون أغط في نومي ؟ وفي يوم زارني صديق ليطمئن على صحتي ، وتحدثنا عن امراض القلب ، فاقترح عليَّ أن أتوقف عن سياقة السيارة ، على الاقل في شوارع بغداد المزدحمة بوسائط النقل ، ثم قال : ان الشيخ عجيل الياور قد توفي وهو وراء مقودَ سيارته . واضاف ان حسن السهيل قد توفي بالكيفية نفسها . قال ذلك هذا الصديق بعفوية ودون قصد ، على ان اشارته الى الخطورة من سياقة السيارة صرت أذكرها بقدر ما أذكر موت عجيل الياور كلما قعدت وراء مقود سيارتي . ومضت أيام نقاهتي دون مخلفات ظاهرية وحين عدت الى المستشفى معافى على ما كنت أبدو ، كان العاملون في المستشفى السامرائي قد استحضروا خروفاً ونحروه عندما وضعت قدمي على الارض وأنا أترجل من سيارتي . وقد تحسست كرم هؤلاء وحبهم لي حتى دمعت عيناي .

محاضرة في مستشفى همرسمث بلندن / ١٩٧٤

في يوم ٢٨ / ٥ / ١٩٧٥ وصلني خطاب من الاستاذ (ماك ريكر) يطلب مني فيه أن أعد بحثاً في جراحة الالتهابات الحوضية في العراق . لالقيه على الهيئة

التعليمية في مستشفى همر سمث حين أزور لندن . وأدركت في الحال ان ماك ريكر قد طلب مني هذه المحاضرة بالذات لانه شاهدني حين كان في بغداد قبل عام اقتلع انبوبي الرحم اللذين كانا منتفخين بالقيح نتيجة التهابات مزمنة فيهما ،وأنكر انه سالني حين خرجت أنا وهو من قاعة العمليات بمدينة الطب ، وما كدنا نخطو إلا بضع خطوات دون أن يحول وجهه نحوي :

ـ أليس من الاصح أن تكتفي بتفريغ الانبوبين من القيح ؟

فاجبته بسرعة :

ـ ان عمر المريضة قد تجاوز الاربعينات ، وهي باي حال من نساء الدعارة ، فلا احتمال للحبل في قابل الايام .

وعاد يسألني :

ـ ماذا كنت تعمل يا كمال لو كانت المريضة في العقد الثالث من عمرها ؟

ـ قد أقلع الانبوبين وقد لا أقلعهما تبعاً لسعة التخريبات التي احدثتها الالتهابات .

ـ ألا تخشى انتشار الالتهابات في حالة قلعهما ؟

ـ هذا القيح غير فعال باحتمال كبير ، فمكروباته ترى تحت المكرسكوب غير انها لا تنمو لو زرعت في المحاضن ، أي انها غير حية . والاحتياط باعطاء مضادات الحياة مفيد إن لم يكن ضرورياً .

هذا ما دار بيني وبين ماك ريكر من حديث في بغداد ، فلما وصلتني رسالته استحضرت حسب طلبه بعض الشرائح المصورة لتساعدني على القاء المحاضرة . وفي قاعة فخمة بمستشفى همر سمث حضرها عدد من الطلاب وعدد من التدريسيين واطباء المستشفى بقسم الأمراض النسائية ، قدمني ماك ريكر الى من في القاعة بثناء على اعمالي الطبية في كلية طب بغداد ومستشفى المدينة الملحق بها .

وفي بداية محاضرتي قلت انني الآن إذ أتكلم عن جراحة انبوبي الرحم كمن ياخذ هدية من التمر الى أحد أصدقائه في البصرة . وشرحت للحضور معنى المثل . وقد طالت محاضرتي بما فيها من نقاش واستفسارات . وسرني انني سمعت من بعض من استمع اليَّ ان المحاضرة كانت مشوقة وفيها بعض المعلومات عن جراحة الحوض في العراق مما ليس له مثيل في انكلترا .

وتقدم مني بعد انتهاء المحاضرة أحد المستمعين وكان بعمر يزيد على الستين سنة ، وسالني :

ـ دكتور سامرائي ، تقابلت معك في مستشفى هداسة بالقدس سنة ١٩٤٢ ،

هل تذكرني ؟
فقلت له بخيبة :
ـ لا أذكر ذلك مع الأسف .
ـ كان ذلك في مختبر (برنارد زوندك) بالتحديد ، وأنا الذي استحضرت لك مستلات منشوراته التي طلبتها منه .
ـ لعنة الله على الذاكرة يا صاحبي .
وبدا لي انه ارتاح لهذه اللعنة ، وادار ظهره عني وافترقنا .

الفرق بين الاحمق والكريم الخلق / ١٩٧٧

في مساء يوم ١٢ / ١ / ١٩٧٧ كنت في مجلس فاتحة على روح الزميل الدكتور عبدالله الخُضير الذي توفاه الله قبل يوم واحد ، فدخل المجلس مع من دخله أحد اساتذتي في كلية الطب ، فأوسعت له مكاناً الى جانبي ، ودار الحديث فيما بيني وبينه بحذر وهمس يتطلبه المقام وقراءة القرآن الكريم الذي كان يرتله أحد المقرئين ، والحديث بين طبيب وطبيب لا يخلو على الاكثر من ذكر الاطباء والمرضى ، وأي حديث شامل في هذا الميدان لا بد أن يضم بعض اساتذة كلية الطب ، وفي مقدمتهم الدكتور صائب شوكت إذ هو من ابرز اساتذة كلية الطب يومذاك ، وأكثر من طور المستشفى التعليمي ومن أدخل اليه ما كان ينقصه من المختبرات والمرافق الاخرى . وكان الدكتور صائب شوكت يومئذ مبعداً عن العراق بأمر من الامير عبدالاله اثر حوادث سنة ١٩٤١ في العراق ، وقلت مما قلت لجليسي واستاذي .. حبذا لو يعود الدكتور صائب الى عمادة الكلية الطبية ، وفاجاني استاذي يقول :
ـ صائب ما يسوى شيء !
فاستغربت من ذلك أشد الاستغراب . وقلت له :
ـ أنا أعرف الاستاذ صائب كاكثر من عمل لكلية الطب وفي الميدان الوطني أيضاً وها هو الآن يقاسي مرارة الاغتراب بتركيا .
فقال لي :
ـ أنت يا كمال لا تعرف صائب قدر ما أعرفه ، هو أحمق ، (زشت) !
ـ كيف يا استاذي ؟
ـ أنا أقول لك : كان الامير عبدالاله والملك فيصل الثاني ضيفان على الحكومة التركية ، فرأينا الفرصة مواتية أنا وبعض زملائي ومنهم الدكتور الآلوسي لنطلب من

الامير العفو عن صائب ، فزرناه في محل اقامته على ظهر باخرة في بحر مرمرة ولبّى الامير طلبنا شرط أن يعتذر الدكتور صائب منه . ونهبنا أنا والدكتور ابراهيم عاكف الى الدكتور صائب في داره بجزيرة (بيوك أده) ليصحبنا الى الامير عبدالاله ويطلب العفو منه . ففاجأنا يقول : « انه لم يشارك في حركة رشيد عالي ضد العائلة الهاشمية ، بل كان ما فعله ضد الانكليز ، ولهذا فانا لم أفعل شيئاً اطلب العفو عليه » . وهكذا أضاع الاحمق صائب الفرصة للعودة الى العراق .. انه زعطوط أحمق .

وحينئذ عرفت الفرق الكبير بين مفهوم (الاحمق والكريم الخلق) وسكت ولم اجار جليسي الاستاذ في كلامه ، فقرأت الفاتحة على روح المتوفى وغادرت المجلس .

زهيرة واخلاص / ١٩٧٧

من أصدقائي المحببين الى قلبي (ع) وهو عسكري مرموق المقام ، وقد وصل في هذا الملك الى رتبة أمير لواء ، وهو رياضي وفارس ماهر ، ونظيف اليد واللسان ، وكنت أزوره في داره بين حين وحين ، فتفتح لي باب داره صبية في مطلع العقد الثاني من عمرها ، داكنة السمرة ، وفيما عدا ذلك فلها عينان تبرقان بذكاء وجرأة ، وأسنان بيض نظيفة هي مفتاح التعرف على جمال هذه الصبية . وفي يوم حين رأيتها في أول مرة ، سالت صديقي (ع) عن هذه الصبية ، فعرفت منه انها ابنة تابعة الجندي واسمها زِهَيرة ، وهي الوحيدة لابويها اللذين يسكنان مع ابنتهما في غرفة ملاصقة لكراج سيارته . وصارت هذه الصبية موضع انتباهي على توالي زياراتي لهذا الصديق . فهي خفيفة الروح والحركة ، وتتكلم بعينيها واسنانها اللؤلؤية لا بلسانها . ومرت اعوام عشرون تقريباً . وفي يوم من شهر حزيران سنة ١٩٧٨ دخلت عيادتي بمستشفى السامرائي امرأة بدت في العقد الثالث من العمر ، تنسدل عن رأسها عباءة سوداء لا يرتفع ذيلها عن الارض إلا قليلًا ، وقد أكسبتها رشاقة وشموخاً . وسرعان ما شعرت انني باحتمال كبير قد رأيت قبلًا هذا الوجه المميز وخصوصاً في عينيها وأسنانها . فقلت لها :

- تفضلي يا ابنتي ، اجلسي .

فابتسمت هذه المرأة قبل أن تاخذ مكانها على الكرسي القريب مني . وسالتها ، وأنا افكر في احتمال انني رأيتها قبلًا :

- الاسم الكريم ؟

ـ اخلاص .

فاستبعدت أن أكون أعرف مريضة بهذا الاسم ، غير ان هذه المرأة عاجلتني تسال :

ـ عرفتني ؟

فارشدني الى معرفتها جرس كلامها الذي لا يخلو من لثغة خفيفة . فاجبتها :

ـ عرفتك بالتاكيد إذا لم يكن اسمك اخلاص .

فاتسعت ابتسامتها وهي تسالني :

ـ ما هو اسمي اذاً ؟

فاجبتها حالًا :

ـ اسمك زهيرة .

فقالت :

ـ نعم أنا زهيرة .

فقلت لها بلهفة :

ـ يا بنتي زهيرة ، وكيف امك فطيّم ؟

ـ أمي تفداك يا عمي .

ـ وأبوك عبد ؟

ـ يسلّم .

واندفعت اسالها :

ـ تكلمي يا زهيرة ، فانا أتوق للاستماع لمن يذكر لي اخبار من في بيت صديقي (ع) ، أنا أذكر أحداث تلك الايام ، ولكنني اريد أن اسمعها ممن عايشها معي لاتاكد انها كانت قد حدثت حقيقة ليتضاعف باستذكارها سروري .

فقلت بحسرة خفيفة :

ـ تلك كانت أيام .

وسكتت قليلًا ثم سالتني :

ـ كيف عمي (ع) ، هل تراه ؟

ـ هو الآن في انكلترا ، وقد تزوج .

ـ سمعت ذلك ، لا أعرف من أين ، وسمعت ان له ابنة .

فقلت لها :

ـ هي ابنته بالتبني لا بالنسل .

ـ انكليزية ؟

ـ كلا انها فلسطينية يتيمة الابوين .
ـ سمعت ان عمي (ع) كان في بغداد قبل شهرين .
ـ ممن سمعتِ ؟
ـ سمعت .
ـ كان يجب أن تزوريه يا زهيرة ، فقد كان عطوفاً عليكم ، أليس كذلك ؟
ـ كان أبونا .
وتذكرت أباها فسألتها :
ـ وأين ابوك الآن ؟
ـ في البيت .
ـ ألا يعمل ؟
ـ أبداً ، ملتهي بالسكاير وشرب العرق .
وأنا أعرف ان الطبقة من أمثال أبيها (عبد) لا يصبر طويلًا أن يبقى أرمل ، فسألتها :
ـ تزوج ؟
وسكتت قليلًا ، وعرفت انها تستحضر جواباً يخفي ما لا تحب أن تقوله ، وفي خلال ذلك لاحظت وأنا أطوف بناظري على هيئتها ومظاهرها ، فاذا عليها كثيراً من علامات اليُسر منها عباءة حريرية من نوع ثقيل وثمين و (بلابلها) من الذهب ، وفستان مخيط بذوق ، وعقد كهرب على جيدها الابنوسي ، وثلاثة خواتم ثمينة ، وخاتم زواج في بنصر يدها اليسرى ، فورد على بالي أن تكون متزوجة ، فسألتها :
ـ تزوجت يا زهيرة ؟
ـ كيف أتزوج وابي يطرد كل من يتقدم لخطبتي ، ولقد فاتني القطار يا عمي كمال .
ـ ولماذا يطردهم ؟
ـ كيف يعيش بدوني ، فانا الذي أعيله يا عمي .
فسألتها :
ـ وأنت ماذا تعملين ؟
ـ ما عندي شهادة ، شلون أعمل !
ورأيت نفسي الحّ عليها باسئلتي فاخذت موقفاً مهنياً وسالتها :
ـ عندك شكوى طبية يا زهيرة ؟
فاجابتني :

ـ نعم ، عندي ألم ، هنا في أسفل بطني .
وعدت أسالها عما يلزمني معرفته لاقف على معرفة طبيعة شكواها ، فقلت لها ما أقوله عادة لمريضاتي البكور ، ولكن بتحفظ وعطف :
ـ أنتِ يا زهيرة مثل بنتي ، ولا بد أن أفحصك عن طريق المقعد لاعرف حالة اعضاء الحوض .
فقالت لي :
ـ فهمت يا عمي ، ولكن لماذا عن طريق المقعد !
فقلت لها :
ـ هذا ما أعمله في المريضات البكور .
فقالت لي وعلامات الخجل تغمر وجهها :
ـ أنا لست باكراً .
ـ مطلقة ؟
ـ ولا مطلقة .
ـ أرملة ؟
ـ ولا أرملة ، وقد قلت لك انني لم أتزوج .
ونظرت الى حلقة الزواج في بنصر يدها اليسرى ، فاشرت اليها :
ـ وهذه الحلقة التي باصبعك ؟
فقالت :
ـ ألبسها لاتظاهر بأنني متزوجة .
فقلت لها :
ـ لا أفهم ما تعنين يا زهيرة !
فاجابتني :
ـ أفضل أن لا تعلم يا عمي .
فظننت شيئاً سبب لي كرباً مفاجئاً ، وحاولت أن أبعد هذا الظن السيء عني ، فسألتها دون سبب معين :
ـ أين أبوك يا زهيرة ؟ وماذا يعمل ؟
ـ أبي في البيت ، وليس له عمل ، أنا الذي أعمل لإعالته ، وهو يطالبني بذلك ويدفعني اليه باي ثمن ، ولا يهمه ان عدت الى البيت أم قضيت الليل في بيت غير بيتنا ، ان ما يهمه الحصول على السكاير والعرق . وفجأة تغيرت سحنة زهيرة ، وركبها الحزن ، فانفجرت تبكي بحرقة وقالت :

- هو أول من اعتدى عليّ ، وهذا هو المكتوب لي ، وأنا الآن لست زهيرة بل أنا اخلاص ، وما بي من الامراض هي التي تصاب بها أمثالي من المخطئات ، ونحن نتسابق الى الاصابة بهذه الأمراض ، وأنا أعرف ذلك والفت حياتي ورضيت بنصيبي منها .

وفي هذه اللحظات ذكرت فيما جاءت من أجله اليّ إن لم تكن قد جاءت تطلب العلاج مني . فدسست يدي في جيبي وضممت اصابعي على قدر من الدنانير دون أن أحسب عددها ، ودفعتها اليها ، فردّتها اليّ ، وألححت عليها بقبولها دون جدوى ، وقالت :

- الحقيقة انني اعبر هذا الطريق أكثر من مرة في الاسبوع ولا أدري ما الذي دفعني هذا اليوم الى أن أزورك ، ولا بد انني اردت أن أراك لأستطعم نزراً من أيامي الماضيات حين أحمل لك القهوة أو الشاي ، في بيت عمي (ع) ، كانت أيام .

ونهضت زهيرة حين بدا على وجهها غم ثقيل وغادرت عيادتي تمسح بأصابعها الدمع الغزير .

وفي يوم من شهر تشرين الثاني ١٩٨٠ فاجأني صديقي (ع) قادماً من انكلترا ، ودار الحديث عن أيامنا الماضيات ، وقال لي :

- وصلت بغداد البارحة ، ولا بد في هذه الزيارة أن أرى جميع اصدقائي كما اريد أن أعرف ما حل (بمراسلي) الجندي (عبد) ، فقد يحتاج الى مساعدتي ، فقلت له :

- توفيت زوجته بعد بضع سنوات من مغادرتك العراق . أما (عبد) فقد قتل هو وابنته زهيرة تحت انقاض البيوت التي هدمتها طائرات الخميني في محلة (المربعة) . وكنت كاذباً في ذلك إلا انني لم أجد أفضل من ذلك لإبعاده عن التحري عمن يريده .

دردشة مع سائق سيارة بين برمّانة وبيروت بلبنان / ١٩٧٨

ارتفعت عقيرة سائق سيارة اجرة ، يزعق :

- بيروت ، بيروت ، واحد بيروت .

فصعدت الى جانبه وهو وراء مقود السيارة . وكان هذا السائق شاباً نظيف الثوب حسن القيافة . وتحركت السيارة وعاد السائق يزعق : بيروت ، بيروت ، فتوقف ليصعد الى القسم الخلفي من السيارة رجل وامرأة تحمل بيدها حقيبة بدت لي

خالية . وحين تحركت السيارة نادى على السائق رجل يقف أمام حانوت صغير على ناصية الشارع ، وقال له :

ـ أمرأ على (بيت مري) وخد الست اليزا (معك) وهي بانتظارك في حانوتها .

فأجابه سائق السيارة :

ـ عارف ماني ناسي .

واندفعت السيارة بسرعة خاطفة ، والسياقة المألوفة في بيروت هي السياقة السريعة . وفي بيت مري توقف السائق عند حانوت معروض على واجهته البسة نسائية وولادية ، ونادى صائحاً :

ـ ست اليزا .

وطلعت عليه سيدة في الاربعينات ، وقالت له وهي باشة :

ـ تسلم يا إليا ، بس صار عندي شغل ، الله معك .

فأجابها السائق دون تذمر :

ـ تكرمي ، معليش يا ستي .

واندفع السائق في طريقه الى بيروت ولكن بسرعة معتدلة في هذه المرة ، وهو يلتفت يميناً وشمالاً ، ويصيح :

ـ بيروت ، بيروت .

فقلت له :

ـ إطلع على طول يا أخي .

ولم يرد عليَّ ، ولا ريب في انه سمعني وفهمني . وانحدرت سيارته بسرعة على منحدر يشرف على بيروت ، ثم استوى الطريق .

وتوقفت السيارة عند حانوت صغير على جانب من واجهته لافتة كتب عليها (ساندويج جبور) وكانت تسد بابه الضيق سيدة بدينة منهمكة في تنظيف وتصنيف بعض الفاكهة في سلال من العيدان ، ونادى السائق دون تعيين :

ـ فين الخواجة جبور ؟

وتوقفت السيدة عن الاهتمام بالفاكهة واستدارت اليه وقالت :

ـ ظهر بكّير .

ثم عادت الى الاهتمام بالفاكهة .

وعاد السائق يسألها :

ـ كباية ليمون لو تسمحين ، وساندويج جونبون بالجبنة . (ثم اضاف)

ولا تنسى الكبيس .

ودخلت تلك المرأة البدينة حانوتها ولم تلبث طويلًا ثم عادت وهي تحمل اليه كوب الليمون والساندويج . وفي هذه اللحظات سمعت رجلًا في حانوت مجاور يسأل إليا السائق :

- كيفك يا إليا ؟

فاجابه :

- مليح لما تكون الماكنة مليحة .

- شو بالماكنة ؟

- صار جمعة معطلة ، وهلّا طلعت بيها ، ونحن مع الله ، خاطرك يا جوزيف .

- الله معك .

واندفعت السيارة في منعطف حاد ، واردت أن أشغل السائق بالتحدث اليه لعله يخفف من سرعة سيارته ، فقلت له :

- يا سيد إليا أراك لم تدفع ثمن ما أخذته من صاحبة الحانوت ؟

فقال لي باقتضاب :

- أنا شريك خواجه جبور بهذا الحانوت ، والعيشة تريد مني أن أعمل بكل شيء يوفر لي المصاري .

ثم قلت له وأنا أبغي أيضاً أن أشغله عن السياقة السريعة ، فقلت له :

- عربيتك كويسة يا خواجة إليا .

ولم يرد عليَّ إليا بل مد يده وتناول علبة السكائر من رف السيارة الذي يعلو نافذتها الامامية ، وأخرج منها سيكارة وأشعلها بمقداحة ، وقال لي :

- لما تكون سيارتي كويسة أكون قد صرفت لها كل ما أملك ، ولما تكون موش كويسة أكون أنا جائع موت .

وفهمت ما قصد اليه وقلت له :

- الجوع أفضل من الموت .

فقال لي معترضاً :

- لا يا سيدي الموت أهون . (واستمر يقول) أنا وراء (الدركسيون) من (عم بكرة) الى آخر الليل ، صيف وشتا ، شو هاي عيشة ؟ لا والله الموت أهون .

لقد كان هذا الرجل متشائماً على غير عادة اللبنانيين . ففي العادة اذا زهق اللبناني نفّس عن كربه ببطحية من عرق (كسارة) فاذا هو رجل آخر غير ما كان عليه قبل قليل .

وكان على صفحة مفاتيح ماكنة السيارة قطعة معدنية صغيرة مكتوب عليها رقم السيارة واسم السائق كاملًا ، عرفت منها ان اسم السائق إليا مهاجر ، فقلت له هوّن عليك يا إليا .

فردّ عليَّ بتبرم :

ـ شو إلت أنا ، يعني بلاش نحكي كمان ، بدّي انفه عن صدري يا سيدي ، هايدي كمان كفر ، ولا جريمة ، سكتنا بلاش نحكي .

وبعد سكوت قصير سألته لاغير موضوع سيارته :

ـ كم ولد عندك يا سيد إليا ؟

ـ شو ، تصفى مصيبة أكبر من الموت لو عندي صبي ، الصبي بدّو حليب ولبس ومدرسي . كيف يربو الناس أولادهم ، والله ماني عارف ، لا يا أخي أنا غير متزوج والحمد لله .

وسألني :

ـ أنت منين يا سيدي ؟

ـ عراقي ، من بغداد .

ـ نِعم البلد وأهل البلد ، أنا عملت في بغداد ، كان زمان يوم بنت شركة كات المتحف العراقي ، سامع بشركة كات ؟

ـ أعرفها وأعرف من عمل بها من اللبنانيينَ والعراقيين .

وسألته :

ـ كيف لم تجمع مصاري في بغداد ؟

فاجابني بتبرم :

ـ يا أخي سيبها ، بلاش الندم .. لهو وغرام ، عليهم اللعنة ، وهله كيف الشغل ببغداد ؟

ـ زي الشغل بلبنان .

ـ وكيف زي الشغل بلبنان ؟ ولبنان حر في الاستيراد والتصدير .. عندك شوفير ببغداد ؟

ـ عندي شوفير .

ـ أديش تعطيه ؟

ـ أنا مربيه وهو واحد من العائلة تقريباً .

ـ طيب غيرك ، كم يعطي الشوفير ؟

ـ عشرين دينار شهرياً أو أقل أو أكثر .

ـ والدينار شو يصفى اليوم باللبناني ؟

ـ كان البارحة بثمان ليرات لبنانية .

وتوقفت السيارة بساحة البرج وانحدر عنها ركابها ، وما كدت أضع رجلي على الارض حتى سألني السائق إليا :

ـ فين نازل يا خيو ؟

ـ بحمدون ؟

ـ بأوصلك .

ـ لا شكراً .

ـ اللي تعطيه .

وكنت على عجل أن أصل بحمدون ، فسألته :

ـ كم تريد الى فندق الكرمة ؟

ـ سكارسة ؟

ـ نعم سكارسة .

ـ اللي تعطيه .

ـ اربع ليرات ؟

ـ مثل ما تأمر .

وأخذت مكاني الى جانبه ، وتحركت السيارة بسرعة لتأخذ طريقها صعداً الى قرية عالي . وفي منعطف الطريق الذي يوصل منها الى بحمدون كان يقف شاب ، فرفع يده ليوقف السيارة ، ولما توقفت قلت للسائق إليا بتذمر :

ـ السيارة سكارسة يا إليا .

فأجابني :

ـ هذا موش راكب ، هذا صديق .

وقلت في سري : وما الفرق ؟ ومع ذلك لم أعترض .

أما الشاب فسأل إليا مستفهماً :

ـ الى القرية ؟

ـ تفضل .

وصعد الشاب الى مقعد السيارة الخلفي ، ولم يستقر في مكانه حتى مد يده للسائق وبها نصف ليرة فأخذها منه . وحين وصلت السيارة الى فندق الكرمة ترجلت من السيارة وتحولت الى السائق أقول له :

ـ تقول هذا الشاب صديق لا راكب ، فابتسم في وجهي وهو يقول :

ـ نحن هون نأخذ من الصديق والغريب .

الاحالة على التقاعد
ومحاولة الانعزال الى مستشفى السامرائي

طلب الاحالة على التقاعد / ١٩٧٦

صرت أتجنب جمع مجلس قسم النسائيات ، فالأعضاء الزميلات في هذا القسم فلا أجمع منهن اثنتين حتى تنفر ثالثة . وكانت كل واحدة منهن ذات مشرب خاص ، واربعة منهن زوجات لزملاء في الكلية ، واثنتان ينقلن شكوى الى أزواجهن عن معارضتي لهن في ما ليس فيه أي قدر من الصحة . وقد حاولت كل ما استطعته لارضائهن دون جدوى ، كنت كريماً معهن دون استجابة كريمة منهن . ولا أذكر يوماً انهن اتفقن على أمر إلا على المعارضة . كما كان أحد الزملاء نفوراً لوجه الله ، وآخر مداهناً لإرضاء إحدى الزميلات من أجل زوجها المتنفذ . واضطررت يوماً إن أجمع مجلس القسم لادخل ساعتين اضافيتين في جدول الدروس السريرية ، وبدأ النقاش ، اثنتان تتكلمان معاً ، وثالثة تعارض ، وزميل ياتي بفكرة ليس لها علاقة بالموضوع تحت البحث . وحاولت جاهداً أن يكون النقاش باصول ونظام ليسمعه الاعضاء الاخرون غير ان هؤلاء في غير واد . وانتبهت الى ذاتي وأنا بين ضجيج

الجدل العقيم ، ومنعني أدبي أن اتشدد في معاملتي مع الزملاء بالوجه الصحيح الذي لا يخلو من الخشونة لصالح القسم والمرضى . وكان هذا الاجتماع القشة التي قصمت ظهر البعير بعد امثاله الكثيرة فيما مضى ، فقررت فجاة الاستقالة من رئاسة القسم ، ثم انهيت بتفكيري بالاستقالة من وظيفتي بجامعة بغداد ، وأخيراً رفعت الكتاب الاتي الى رئاسة جامعة بغداد بواسطة عمادة كلية الطب .

بغداد ٢٠ / ٣ / ١٩٧٦

الى رئاسة جامعة بغداد

بواسطة السيد عميد كلية الطب

لاسباب صحية أرجو احالتي على التقاعد . راجياً ان القي في علمكم انني سابقى رهن الاشارة للمشاركة في تدريس طلاب كلية الطب وتدريبهم ان طلبت عمادة الكلية ذلك . وتفضلوا بقبول احتراماتي .

التوقيع

الدكتور كمال السامرائي

وكنت أتوقع أن يطلب مني العميد اعادة النظر في طلبي مجاملة لشخصي كاحد اساتذته فيما سبق ، غير انه لم يفعل ذلك ، بل كلمني تلفونياً ، في صباح يوم ٥ / ٣ يقول :

- اذا كنت مصراً على الاستقالة فانه من الافضل أن تزود طلب الاستقالة بملخص لاعمالك في الأمراض النسائية والتوليد وكلية الطب . ورأيت أولًا أن لا أستجيب لطلبه ، ليكون موقفي معه كموقفه معي ، إلا اني أخيراً بعثت اليه ما أراده .

(١) تخرجت في كلية الطب سنة ١٩٣٨ .

(٢) حصلت على درجة الماجستير في الجراحة النسائية سنة ١٩٤٣ وكانت اطروحتي في النواسير المهبلية .

(٣) استاذ مشارك في الأمراض النسائية والتوليد سنة ١٩٤٥ .

(٤) استاذ ورئيس قسم النسائيات سنة ١٩٥١ .

(٥) أول من قبلت بحوثه للنشر في مجلة الأمراض النسائية والتوليد البريطانية ، وعلى علمي لم يقبل الى اليوم أي بحث كتبه عراقي من بغداد في هذه المجلة الراقية .

(٦) أول استاذ بكلية الطب العراقية من خريجي هذه الكلية .

(٧) لي تسعة بحوث في اختصاصي نشرت في مجلة الكلية الطبية ، وفي

مجلة ذوي المهن الطبية ، وفي المجلة البريطانية في الولادة والامراض النسائية .

(٨) منحت في سنة ١٩٦٥ الشهادتين (العضوية والزمالة) من كلية الامراض الولادية والنسائية الملكية البريطانية .

(٩) طورت عمليتي (بولدون) وستنيلي .

(١٠) لي خمسة كتب تأليف وتحقيق في الطب العربي .

وانتظرت شهراً كاملًا ، وكنت قد اغتظت مجدداً من امور في ادارة القسم وما له علاقة بتصرفات العمادة ، فانتهزت غياب رئيس الجامعة موفداً الى الهند ، فرفعت الى دائرته الكتاب الآتي :

بغداد ٩ / ٤ / ١٩٧٦

السيد عميد كلية الطب

تابعاً لطلبي السابق يوم ٥ / ٣ من السنة الجارية لاحالتي على التقاعد ، فان جوابكم لم يصلني حتى هذا اليوم ، ولذا فانني حسب قانون الخدمة المدنية أعتبر نفسي محالًا على التقاعد من تاريخ هذا اليوم وذلك لمرور شهر دون جواب منكم على طلبي الاول .

واقبلوا تقديري لسيادتكم .

الدكتور كمال السامرائي
التوقيع

أمر الاحالة على التقاعد

وصلني يوم ١٠ / ٤ / ١٩٧٦ الامر الجامعي رقم ١٤٤١٣ بالنص الآتي :

الموضوع : احالة على التقاعد

استناداً الى أحكام الفقرة الاولى من المادة الثالثة من قانون التقاعد المدني رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٦ المعدّل : يحال الدكتور كمال توفيق السامرائي الاستاذ في كلية الطب على التقاعد اعتباراً من تاريخ تبليغه .

رئيس جامعة بغداد
التوقيع

وبتاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٧٦ وصلني كتاب العمادة رقم ٣٣٢٢ وهذا نصه :

الى الدكتور كمال السامرائي

استناداً الى الأمر الجامعي رقم ١٤٤١٣ وتاريخ ٧ / ٤ / ١٩٧٦ يحال الدكتور كمال توفيق السامرائي على التقاعد اعتباراً من ٨/ ٤/ ١٩٧٦ .

عميد كلية الطب

التوقيع

واستغربت بألم من جفاف كتاب العمادة وخلوه من التقليد الجامعي والذوق الاجتماعي في عنم تذييل الكتاب بما يجب أن يقال عند اعتزال الخدمة سواء كان موظفاً أو مستخدماً أو حتى فراشاً في دائرة حكومية أو مصلحة خصوصية . ووصل الى العميد خبر استغراب بعض زملائي من نص كتاب الاحالة على التقاعد فكتب اليّ بتاريخ ٩/ ٥ / ١٩٦٧ ورقم ٣٣٠٤ (أي بعد شهر من احالتي على التقاعد)

الى الاستاذ كمال السامرائي

بمناسبة احالتكم على التقاعد فلا يسعني إلا أن أبدى لكم بامتناننا عما بذلتموه في التعليم بهذه الكلية متمنين لكم موفور الراحة والصحة .

عميد كلية الطب

التوقيع

فأعدت كتاب العمادة بعد أن ذيلته بالعبارة الآتية :

السيد العميد

تكلفتم بهذا التلطيف بعد فوات وقته .

كمال السامرائي

بينما وصلني كتاب من رئاسة مؤسسة الطب هذا نصه :

الى الاستاذ الدكتور كمال السامرائي :

بلغني انكم احلتم على التقاعد بحسب طلبكم . وفي الوقت الذي أرى فيه انكم بحاجة الى الراحة بعد السنوات الطويلة من الاعمال والمسؤوليات الكبيرة في دائرة الامراض النسائية والتوليد ، فاني لأرى ان مكانكم ومكانتكم في مدينة الطب سيبقى شاغراً لما كنتم في ذلك من الزملاء المتعاونين لادارة اعمال هذه المؤسسة الواسعة . أتمنى لكم دوام الصحة .

المخلص

رئيس مؤسسة مدينة الطب

الدكتور مردان علي

وبحكم المصادفة احيل على التقاعد في تلك الايام أحد مضمدي دائرة العمليات بقسم النسائيات ، وعرضت أمره على مجلس القسم في يوم مغادرتي القسم

واصدرنا قراراً بجمع مقدار من الدنانير فضلًا عن كتاب تقدير بتوقيعي لما قدّم من خدمات طيلة عمله في القسم .

كما احيلت في الاسبوع نفسه ممرضة في جناح التوليد على التقاعد ، ورضى الله على الزميل الدكتور مجيد تايه الذي اقترح أن يقدم القسم هدية باسم اعضاء القسم ، كانت الهدية حلية ذهبية فرحت بها ايما فرح .

وبهذا الهاجس رفعت الى العمادة الكتاب الآتي :

السيد عملية كلية الطب

بواسطة رئيس قسم الولادة والامراض النسائية

اشارة الى أمر العمادة رقم ٣٢٢٢ وتاريخ ١٤ / ٤ / ١٩٧٦ المتضمن احالتي على التقاعد حسب الأمر الجامعي الموجه اليكم ..

في الوقت الذي أكن فيه امتناني من سيادتكم على الطريقة الكريمة التي سلكتموها معي عند طلبي الاحالة على التقاعد ، فانني لا أكتمكم استغرابي من نص أمر الاحالة في كتابها المذكور فيما تقدم ، إذ ان المتعارف عليه في دوائر الدولة أن يضمن الكتاب أسباب الاحالة على التقاعد ، فتكون إما لبلوغ السن القانونية أو لأسباب صحية ، أو بناء على طلب الموظف ، فاذا خلا كتاب الاحالة على التقاعد من ذكر أحد هذه الاسباب فقد يفهم من الاحالة انها صدرت لاغراض تأديبية . ولأنني اعتقد أن من يبتعد عن الخدمة الجامعية عليه أن يحاسب ذاته فيما قدّمه لكليته من عرفان ووفاء ، فانه يريحني بعد الاطلاع على نص احالتي على التقاعد أن ادوّن هنا ما عملته لكليتي الحبيبة من خدمات ، لا منّة مني ولا تفاخراً ، بل راجياً أن أكون قد رددت لها بعضاً من أفضالها الجمة عليّ ، ويكفيني من ذلك تقديراً لشخصي ورضاءً عنها بعد أن تناست الكلية أو الجامعة ما قدمته لكليهما .

توديع اعضاء القسم اثر احالتي على التقاعد / ١٩٧٦

رفعت الى زميلاتي وزملائي في القسم بمناسبة احالتي على التقاعد ، الكتاب الآتي :

بغداد في ١٠ / ٤ / ١٩٧٦

الى زميلاتي وزملائي في قسم الأمراض النسائية والتوليد ..

وافقت جامعة بغداد ، بناءً على طلبي ، على احالتي على التقاعد ابتداءً من يوم ٨ / ٤ / ١٩٧٦ . وبهذه المناسبة اودعكم وانا احمل لكم في قلبي اطيب

الذكريات وانبلها ، متمنياً لكم السعادة والرضا والقناعة في بيوتكم وفي اعمالكم ودوائركم ، وداعياً العزيز القدير أن يحفظكم ويحفظ اولادكم ونويكم ويمد في اعماركم بالصحة والتوفيق لخدمة كليتنا الحبيبة وامتنا المجيدة .

المخلص لكم

كمال السامرائي

وطلبت من سكرتيرتي الآنسة منهل قدوري ان تعرض هذا الكتاب الى عموم اعضاء القسم فعلقن أمام اسمائهن بكلمات يأسفن فيها على مغادرتي القسم ، سوى واحدة منهن التي رفضت ان تكتب كلمة واحدة .

يوم ودعت زملائي في قسم الامراض النسائية بمدينة الطب

جاءني الدكتور مجيد تايه الذي عين خلفاً لي رئيساً لقسم النسائيات في كلية الطب ومستشفى مدينة الطب ، جاءني واخبرني قرار اعضاء القسم إقامة اجتماع لتوديعي بمناسبة احالتي على التقاعد ، فطلبت منه اعفائي من الموافقة على اقامة هذا الاجتماع ، وقلت له أنا أشكر زملائي واحداً واحداً ولكنني أنظر الى مثل هذا التوديع كما لو انه تأبين ، وذكرى حزينة .. غير ان الزميل الدكتور مجيد تايه لم يعمل برغبتي ولا أنا تابعت موضوعها ، فاخطرني يوماً ان أحضر الى قاعة الدرس في الجانب الايسر من الطابق الرابع بمدينة الطب ، في الساعة العاشرة من يوم ٧ / ١١ / ١٩٧٦ لتوديع اعضاء القسم ، وفي هذه القاعة نهض رئيس القسم الدكتور مجيد تايه وقال كلمة تتضمن اعمالي في هذا القسم زهاء ثلث قرن ، وحسن تعاملي مع زملائي ، ثم قدم لي صحناً من الفضة وفيه كتبت عبارة (هدية اعضاء الهيئة التدريسية ـ فرع الامراض النسائية ـ كلية الطب ـ بغداد ١٩٧٦) وتحت هذه المقاطع عبارة بالحرف الكبير « الى استاذنا الجليل كمال السامرائي ، تقديراً وتثميناً » وتحت كل ذلك اسماء الفرع ، وهي كما وردت مكتوبة في الصحن (لميعة البدري ، أنا ستيان ، فؤاد غالي ، مركريت شكري ، قيس كبة ، هانئة الخوجة ، فيصل السوداني ، عفاف اسماعيل ، عبدالمجيد تايه ، ليلى العطية ، فائدة كابان ، زينب الراوي ، سرمد خوندة ، عفاف الجبوري ، صبيحة الطائي ، وفاء العمري) . ورأيت أن اختتم الاجتماع بكلمة فقلت :

ـ يحز في قلبي أن اغادر هذه الشعبة التي توليت رئاستها زهاء ثلث قرن متصل السنين ، وساخسر بمغادرتي هذا الفرع أموراً كثيرة أهمها انني ساعدم الاتصال

بتلامذتي الذين أحببتهم بعمق واخلاص ، فقد كنت انظر اليهم وهم ما زالوا على رحلات الدرس ، ان اياً منهم سيكون في يوم قريب ذا شان في الطب ، مثلي أو أفضل مني ، أو يكون في اعلى المناصب الادارية في الحقل الطبي كأن يكون مديراً عاماً ، أو وزيراً للصحة ، فهو إذن يستحق الاهتمام بشؤونه التعليمية ، لينظر الينا في ايامه المقبلة بعين التقدير والاحترام .

(واضفت) وثاني ما أخسره في احالتي على التقاعد هو حرماني من التحدث الى مرضى العيادة الخارجية ومرضى الردهات ، وعلى هذا أرجو مقدماً أن يسمح لي رئيس هذا الفرع بمقابلة طلاب الدبلوم أو طلاب الصف السادس في كلية الطب ، مرة في الشهر أو حسبما يرتأيه مجلس الفرع . وختمت حديثي بقولي :

ـ وداعاً يا زملائي وشكراً جزيلًا .

× × ×

وبعد يوم واحد أصدرت العمادة ترشيحها للدكتور مجيد تايه لرئاسة القسم ، فوجه اليَّ الدكتور مجيد الكتاب الآتي :

جامعة بغداد

عمادة الكلية الطبية

فرع الامراض النسائية والتوليد

العدد ٦٢٨

التاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٧٦

استاذنا الدكتور كمال السامرائي حفظه الله

تحية ..

انه لمن دواعي اعتزاز فرع الامراض النسائية والتوليد في كلية الطب ، أن يتقدم بالشكر والعرفان بالجميل للاستاذ كمال السامرائي على كل ما قدمه للفرع من خدمات جلّى خلال الاربعين عاماً الماضية .

ان خدمات الاستاذ السامرائي للتعليم الطبي وللطبابة في العراق لأمر غني عن التعريف ، فقد تتلمذت على يديه أجيال من الاطباء وهم لا يزالون يذكرون الجهد المضني الذي بذله في تعليمهم وتدريبهم وتتبع تقدمهم العلمي والعملي بحرص وأمانة واخلاص المربي القدير ، والمعلم الجدير ، الذي يشعر بعظم مسؤوليته وقداسة مهنته .

ويشعر اعضاء الفرع انهم لا يزالون في عوز الى ارشادات استاذهم الكريم ويطمحون أن يبقى لهم استاذاً كريماً ومرشداً حميماً ، متمنين له الخير والبركة

والتوفيق في كل ما يصبو اليه . كما نرجو منه أن يقبل هدية متواضعة من أعضاء فرع الامراض النسائية والتوليد كذكرى لايامه الزاهرة في هذا الفرع .

الدكتور عبدالمجيد تايه

عن الهيئة التدريسية في

فرع الامراض النسائية والتوليد

صورة منه الى عمادة كلية الطب

التقاعد عن العمل في وظائف الدولة / ١٩٧٦

في التقاعد مساوىء ، وفيه أيضاً محاسن ، واولى مساوئه ما في اسمه من دلالة على الانقطاع عن العمل والركون الى البطالة ، وحبذا لو يختار عوضاً عنه مصطلحاً أخف منه على الروح .

والمتقاعدون من الوظائف الحكومية لا يفقدون مراكزهم فقط بل قدراً من شخصياتهم أيضاً ، يستثنى من ذلك ذوو الهوايات واصحاب الصناعات ، وهم قلة ، وحينذاك يشعر المتقاعد انه فقد حياته بشكل من الاشكال .

وبالرغم من انني طلبت بنفسي الاحالة على التقاعد غير ان اسلوب قبولها من الرؤساء بدد الفرح الذي كنت أتوقعه في قبولها ، إذ كان مضمون قبول الاستقالة جافاً يعوزه الطابع الجامعي والذوق الاجتماعي . فالمألوف في الحياة الجامعية أن يلطَف من يحال الى التقاعد بكلمة شكر وداعية يذيل بها كتاب الاحالة على التقاعد . وهذا تصرف ليس جامعياً فقط بل هو متبع حتى في المؤسسات الأهلية ، وان كثيراً من أجاويد البيوت اذا ما انهوا خدمة أحد تابعيهم فانهم يقدمون له هدية قد تكون رمزية وبحسب الاقتدار غير انهم لا ينسون قط أن يقولوا له (أنت من هذا البيت وباستطاعتك العودة اليه متى شئت واننا مستعدون لتقديم العون اليك اذا ما احتجت الينا) والاستاذ الجامعي في العالم المتحضر لا يكرّم حين يحال الى التقاعد بكتاب شكر وتقدير فقط ، بل يظل يستدعى الى كليته لالقاء المحاضرات والاجتماعات العلمية .. لقد كان كتاب احالتي على التقاعد كضربة على رأسي بكيس من الليرات الذهبية فأوجعتني الضربة حتى كاد يغمى عليّ ، فلما أفقت منها ألهاني جمع تلك الليرات الثمينة ، فاذا أنا غني على غفلة ، وان بديل ما خسرته من مادة

ومعنى خير مما اسفت عليه . وشرعت اكيف احوالي واوقاتي بما يلائم صحتي وافكاري ، فاقتصرت ممارسة الطب في عيادتي على ثلاثة أيام في الاسبوع ، وفيما عدا ذلك صرت امارس بعض هواياتي التي لم أشبع منها قبل احالتي على التقاعد ، خصوصاً في القراءة والكتابة التي كانت قبل ذلك محصورة في الكتب المدرسية ، وانعزلت الى مكتبتي اقرأ ما كتب في غير أيام العيادة أكثر ساعات النهار ، ولم أكن طوال حياتي من رواد النوادي ومحبي الدعوات الخصوصية ، وقابليتي للمكوث وراء مكتبي ليس لها حدود ، وأتحمل أياماً وأياماً لا أرى فيها الطريق دون أن أشعر من ذلك بضيق .

وكنت منذ زمان بعيد أخطط لكتابة سيرة حياتي وأعمالي في الطب وتعليمه ، وأسجل بمؤشرات ما يدخل في هذا الموضوع ، فتجمعت لديّ مادة غزيرة منها ، فبدأت أرجع الى قراءة هذه الاوراق ، واسلسلها بحسب وقائعها بالأشهر والسنين . كما فكرت بوضع كتاب في تاريخ الطب العربي ، وهي فكرة قديمة في خواطري ، إذ لم ترقني الكتب العربية التي وضعت بهذا الموضوع وكان أحدها نقلًا حرفياً عن كتاب عيون الانباء لابن أبي اصبعة ، كما لم يخل من أخطاء علمية وتاريخية ، والكتاب الثاني مترجم عن الانكليزية لايج جي براون ، وهذا لا يفيد من يدرس تاريخ الطب العربي ، بل هي محاضرات تثقيفية في هذا الحقل العلمي . كما انه لا يخلو من اخطاء علمية وتاريخية ولو بقدر قليل .. أما كتاب الماحي التجاني في المدخل الى الطب العربي فحسنته الكبيرة انه الكتاب العربي الوحيد الذي تناول تاريخ الطب في العصور البابلية والمصرية القديمة . والكتاب الذي فكرت بوضعه اردته أن يكون خلواً من المقدمات الانشائية ويعتمد بالدرجة الاولى على التراثيات العربية . كما فكرت بوضع كتاب في تاريخ الامراض النسائية والتوليد وهو الموضوع الذي اختص بممارسته ، وعلى قدر علمي ليس في العربية كتابة في هذا الموضوع مع ان لمفرداته مصادر لا بأس بعددها باللغتين العربية والانكليزية . وحين شرعت بتنفيذ فكرة تأليف هذين الكتابين أسفت كثيراً حين شعرت انني متأخر زمنياً في وضعهما .

كما رجعت بعد احالتي على التقاعد على الاكثار من ممارسة بعض هواياتي وهي كثيرة ، واسهل عليّ أن اعدد الهوايات التي لم امارسها من ان اعدد الهوايات التي مارستها ، غير اني ركزت في ايام تقاعدي على تسجيل القراءات الوجدانية وفي مقدمتها تلاوة الآيات القرآنية الكريمة وبخاصة ما كان منها بصوت محمد رفعت والشعشاعي ومصطفى اسماعيل ، والمقرىء الأخير أحبهم الى قلبي ومسمعي . كما عنيت بشغف بتسجيل اغاني ام كلثوم ومحمد القبانجي . وكذلك هويت تربية الزهور

وطيور الاقفاص . كما صرت ابكر في صباح كل يوم الى حديقتي لاتابع نور الشمس حين تنسفح على رؤوس الاشجار العالية ثم تنحدر الى شرف البيت وساحاته ، كما اتابع دراسة حركات الطيور التي تحط على (ثيل) البيت لتبحث بأرجلها ومناقيرها عن قوتها بين الحشائش الصغيرة والدقيقة ، فلا تلتقط منها ما هو سهل المنال بل تدفع مناقيرها الى غصون الحشائش وعروقها لتلقم ما عليها من الطحالب والفطريات اللذيذة الطعم ، وقد كسبت من هذه المشاهدات معلومات غريبة وممتعة فكرت أن أنشرها في يوم من الأيام . كذلك كنت أصحو باكراً لأرى الازهار التي تضم كؤوسها في غسق الليل ثم تنشط وتتحرك أوراقها عند طلوع الشمس . وأكثر ما شغلني هواية العناية بالازهار ذات الالوان الزاهية والعطور الزكية ، وصرت أستوردها من مشاتل فرنسا وانكلترا . والخلاصة بدا لي بعد مدة لم تكن طويلة من بداية تقاعدي ان لي هوايات شغلتني أكثر مما كانت تشغلني مهنتي في الطب قبل التقاعد . واتساءل مع نفسي الآن كيف يكون حالي لو لم تكن لي تلك الهوايات التي أبعدت عني الضجر من البطالة القاتلة ، وكيف يعيش الانسان بلا عمل !!

دعوة لحضور مؤتمر الطب الاسلامي في الكويت / ١٩٨٠

في يوم ٩ / ٨ / ١٩٨٠ تسلّمت الكتاب التالي من سكرتارية مؤتمر الطب الاسلامي في الكويت :

وزارة الصحة العامة

الرقم ١٣ / ٢١٥

التاريخ ٧ شوال ١٤٠٠ هـ

١٧ اغسطس ١٩٨٠

السيد الاستاذ الدكتور كمال السامرائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

لقد تلقينا بكثير من الاعتزاز خطابكم المؤرخ في ٢١ / ٧ / ١٩٨٠ وسعدنا بموافقتك على مشاركتنا في مؤتمر الطب الاسلامي المزمع عقده بالكويت في الفترة ما بين ١٢ - ١٦ يناير ١٩٨٠ وأيضاً تسلمنا ملخص البحث القيّم الذي تودون المشاركة به في اعمال المؤتمر . ونود أن نذكركم انه بالرغم من الاهمية القصوى للموضوع الذي سوف تتحدثون فيه وضرورة التوسع في هذا المجال حيث كما ذكرتم لم

يعالجه أحد من قبل ولكن لظروف الندوة نود أن نعلمك بأن الوقت المتاح هو ١٥ دقيقة للبحث . ونحن نأسف لهذا التحديد ونرجو أن يصلنا تفصيل بحثكم لكي يطبع في كتاب المؤتمر .

ترفق مع هذا الاجراءات الواجب اتباعها في كتابة البحث ونرجو أن يصلنا بحثكم قبل الموعد المحدد لتتاح الفرصة لكتابته وطبعه بكتاب المؤتمر .

وتفضلوا بقبول وافر التحية .

التوقيع

عن سكرتارية المؤتمر

الدكتور احمد رجائي الجندي

تاكيد دعوة لحضور المؤتمر الاسلامي في الكويت / ١٩٨٠

وصلني يوم ٦ / ١٢ / ١٩٨٠ كتاب من وزارة الصحة العامة في الكويت هذا نصه :

الرقم ٢ ط / ٣٠١

التاريخ ٢٥ محرم ١٤٠١ هـ

٣ ديسمبر ١٩٨٠

الدكتور كمال السامرائي المحترم

مستشفى السامرائي ـ العلوية / بغداد ـ العراق

تحية طيبة وبعد .

يسرني دعوتكم لحضور مؤتمر الطب الاسلامي المزمع عقده في الكويت في الفترة من ١٢ ـ ١٦ يناير ١٩٨١ ، ولقد أوعزنا الى المسؤولين في سفارة دولة الكويت في بلدكم وكذلك شركة الطيران الكويتية لعمل اللازم نحو تقديم كل التسهيلات الممكنة لسفركم الميمون . آملين تفضلكم بالافادة بموعد وصولكم الى الكويت ورقم الرحلة . كما نرجو أن تكونوا على اتصال معنا في الفترة القادمة وافادتنا برقياً لاتخاذ الترتيبات اللازمة لاستقبالكم .

داعين الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لخدمة ديننا الحنيف وخدمة امتنا الاسلامية .

والسلام عليكم ورحمة الله .

توقيع

الدكتور عبدالرحمن العوضي

وزير الصحة العامة

كتاب تمنيات طيبة من رئيس المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم
المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي
الكويت ١٢ ـ ١٦ يناير ١٩٨١

الكويت ١٣ / ١ / ١٩٨١

استاذنا الجليل والعلامة الفاضل الدكتور كمال السامرائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله ..

علمنا ببالغ الأسف نبأ الوعكة الصحية التي ألمت بكم واني أتشرف بأن أنقل لكم قرار المؤتمر الذي اتخذه اليوم بارسال برقية متمنياً لكم الشفاء وموفور الصحة والعافية ليحفظكم ذخراً للامة العربية علماً يضيء مسيرتها ويفتح أمامها الطريق لاستعادة أمجاد الماضي والانطلاق الى المستقبل .

وفقكم الله ونفع بكم وجمعنا بكم على خير في المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي ان شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور
ابراهيم الصياد
رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر

الاخ العزيز الاستاذ الدكتور كمال السامرائي

السلام عليكم ورحمة الله

لقد سعدنا كثيراً بمشاركتك بالبحث القيم الذي نشر في كتاب المؤتمر وكنا نود أن تشاركنا الحضور ولكن نظراً لتحديد أعمال المؤتمر وضيق وقته فلم تكن أمامنا فرصة للقائك ولكن نحن حريصون على استمرار الاتصال معك بالمشورة والرأي ولهذا فانني اكتب اليك باختصار شديد عن أعمال المؤتمر فلقد رفعت توصيات المؤتمر الى مجلس الوزراء بالكويت ، ووافق على الآتي :

١ ـ انشاء المنظمة العالمية للطب الاسلامي على أن يكون مقرها بالكويت .

٢ ـ أن يتولى الدكتور عبدالرحمن العوضي رئاستها ويعاونه في ذلك هيئة من سبعة أشخاص .

٣ ـ أن يعقد المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي بالكويت عام ١٩٨٢ م .

٤ ـ أن تطبع وثيقة الكويت وتتولى وزارة الخارجية توزيعها الى الجهات والمؤسسات والحكومات المهتمة بذلك .

لهذا فاننا نود التعرف على رأيك في الآتي :

١ ـ اقتراحاتك بالنسبة للمنظمة العالمية للطب الاسلامي ما هو رأيك في النظام الأساس ـ كيف تبدأ ـ من هم المشاركون فيها ؟ هل يكون ذلك عن طريق أفراد أو هيئات أو مؤسسات أو حكومات واذا كان لك رأي آخر .

٢ ـ المؤتمر القادم الذي سيعقد في عام ١٩٨٢ ما هي المواضيع التي تقترح أن يعلن عنها وهل الاتصال يكون بأشخاص معينين أم عن طريق اعلان في الصحف كما حدث سابقاً ؟ كم يوماً تقترح أن يستغرق المؤتمر ؟ ما هو البرنامج الذي تراه مناسباً وأية اقتراحات اخرى .

٣ ـ الجوائز العلمية وهي ثلاث هل تكون للابحاث أم تكون لتكريم أشخاص أم هناك اقتراحات اخرى .

٤ ـ ما هو رأيك في لجنة التحكيم لهذه الجوائز .

٥ ـ للمنح الدراسية في أي المجالات وما هي الشروط الخاصة بها .

٦ ـ اننا نقوم بطباعة كتابي المؤتمر باللغتين العربية والانكليزية طباعة فاخرة ونرسله الى جميع المكتبات وذلك للتبادل بيننا لهذا فاننا نود التعرف على رأيك عن بحثك المنشور في كتاب المؤتمر هل لديك أي تعديل أو ملاحظات وهل أنت موافق على طباعته بالصورة التي ظهر بها أم لا .
نرجو أن يصلنا ردك في هذا الموضوع بالذات بكل الوضوح .

٧ ـ اذا كانت لديك اقتراحات خاصة بأي موضوع فان ذلك سوف يسعدنا كثيراً .

أخيراً وجدنا أنفسنا أمام منعطف هام في حياتنا العلمية والعملية لذلك وجدنا أن نرسل هذا الاستطلاع متاكدين من تعاونكم الكامل ومساهمتكم معنا في هذا العمل لانه سوف يؤثر ليس علينا فقط ولكن على أجيال سوف تأتي بعدنا .

ونرجوك أن تكون على اتصال مستمر معنا باقتراحاتك القيمة الهامة متمنين للجميع التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

اخوك

د. أحمد رجائي الجندي

سكرتير اللجنة الدائمة لمنظمة الطب الاسلامي

استئذان لنشر بحثي في (تعليم الطب في العصور الاسلامية) في مجلة شؤون عربية

في يوم ٢٤ / ١٠ / ١٩٨١ وصلت اليَّ الرسالة الآتية من الامانة العامة لجامعة الدول العربية بتونس :

الرقم ٦ / ١٧٢٩

جامعة الدول العربية

د. كمال السامرائي المحترم

مستشفى السامرائي ـ شارع النضال ـ بغداد

الجمهورية العراقية

تحية طيبة ..

اطلعت على دراستكم القيمة (تعليم الطب في العصور الاسلامية) التي تقدمتم بها الى ندوة الطب الاسلامي التي انعقدت في الكويت باشراف وزارة الصحة العامة والمجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب في الكويت في كانون الثاني / يناير ٨١ .

وقد علمت من الاخ غازي جرادة ، الذي مثّل مجلة شؤون عربية في الندوة ، انه باحثكم بأمر نشر الدراسة في مجلتنا التي ستصدر في الربيع عن جامعة الدول العربية ـ مجلة فكرية من أحد أغراضها الكشف عن التراث العربي ودراسته . كما علمت منه انكم وافقتم ، وكذلك أخذنا موافقة معالي وزير الصحة العامة د. عبدالرحمن عبدالله العوضي .

وآمل أن تتمكن المجلة من نشر البحث في أحد اعداد الصيف القادم ، كما آمل أن نحظى بدراسات اخرى لكم مما يتناسب مع خط المجلة ، ويسعدني أن اوافيكم بنسخ من المجلة عند صدورها .

تفضلوا بقبول احترامي وتقديري .

انيس صايغ

رئيس تحرير شؤون عربية

بمناسبة موت كلبتي المدلّلة (بومبي) ١٠ / ١٢ / ١٩٨٠

كنت منذ صغري أميل الى تربية الحيوانات البيتية كالطيور ، والكلاب بشكل خاص ، غير ان أمي في أوائل عمري كانت تمنعني من إدخالها الى البيت لاسباب لم يكن أكثرها وجيهاً . وحانت لي فرص تربيتها بعد أن تخرجت في كلية الطب ، وكانت أمي في ذلك الوقت قد فارقت الحياة رحمها الله ، فاقتنيت انواع الحمام وانواع عصافير الاقفاص ، كما اقتنيت السناجب والقرود والكلاب . وكان من هذه الاخيرة اربع جميعها اناث من نوع (البودل) بفراء أسود يلتمع . وكان أولها من صنف (البودل) الفرنسي ، وقد أهداها لي صديقي (بديع امين زكي) ليتخلّص منها ، إذ كانت تحب اللعب مع ابنته الصغيرة (مي) ، فتبطحها على الأرض ، وتدس رأسها بين ثنايا بطنها وجنبيها لتداعبها بدغدغات خفيفة لا تؤذي ، غير ان مي الصغيرة تكره هذه المداعبة فتصرخ مستنجدة بأبويها لينقذاها من هذه الكلبة اللعوب . وقد جاء بديع أمين زكي بهذه الكلبة من فرنسا بعد أن استشار صاحب حانوت يختص ببيع الكلاب ، عن كلب يمكن أن يكون صديقاً مطيعاً لابنته مي ، فهداه صاحب الحانوت الى صنفين من الكلاب التي ينشدها وهي البودل والبوكسر ، فاختار امين زكي الأول لصغر حجمه . وسألت صديقي بديع أمين زكي عن اسمها فأجابني :

ـ نسميها (بومبي) .

فأبقيت على اسمها لئلا يسبب تبديله خلطاً في طباعها ، ولحسن الحظ ا هذه الكلبة الصغيرة كل من أولادي محمد ونيران وجهان ومربيتهما الحاجة أمونه وكذلك ربيبي قبول .. وسرعان ما صارت موضع اهتمامهم في اطعامها ومنامها واحمامها وتفقد مكان نومها وتعليمها بعض الامور التي يجب أن تراعيها داخل البيت ، فصارت لا تأكل إلا من الصحن الخاص بطعامها ، ولا تتغوط أو تبول إلا في حديقة البيت وفي المكان المترب منها ، لا في دروبها ولا بين شتلات أزهارها ، كما صارت تنبح على من يدخل البيت من غير أهل بيتي ، ولا تنبح على من يدخله من أصدقائي المقربين اليَّ . ومن يدخل بيتي لا يعرف ان عضة بومبي لا تؤلم ، غير انه يخافها ويتجنبها . ويحس غريزي تدرك ان من واجبها أن تنبه من في بيتي الى من يتقدم للدخول اليهم ، أو انها لا تريده أن يدخل خشية أن يكون طارئاً غير مرغوب فيه ، وتستمر تنبح حتى أطلب منها أن تكف عن النباح ، فتتحول اليَّ وهي تخفض رأسها لتدسه بين ساقيَّ وكأنها تقول لي :

- كما تريد وها انذا اكف عن النباح .

وكثيراً ما تنام بومبي ليلاً بين رجلي ابني محمد في سريره ، وتستيقظ مبكرة لتغادر سريره ، وتهرع الى باب الغرفة وتمد قامتها عالياً لتخفض مقبض قفل الباب لتفتحه وتنفذ منه مسرعة الى حديقة البيت لتتغوط أو تبول ، ثم تعود مسرعة أيضاً الى محمد في سريره لتداعب وجهه ببوزها أو تلعقه بلسانها ليستيقظ من نومه .

وكان ابني يومئذ في الخامسة والنصف من عمره ، وعليه أن يذهب صباح كل يوم الى مدرسة (مس سي ويل) الانكليزية القريبة من بيتي . ولا يذهب محمد وحده الى المدرسة ، بل يذهب اليها بصحبة مربيته الحاجة أمونة ، وهي نفسها التي عنيت بتربية ابنتيّ نيران وجهان . وكانت بومبي تأنس لمصاحبة ابني الى المدرسة وتتحفز لذلك حين يحين الوقت للذهاب اليها . فتلتمع عيناها المدورتان الصغيرتان بنشاط ملحوظ وهي ترنو الى وجه محمد وتترصد حركاته وتهز ذيلها المبتور جذلة بقرب ذهابهما الى المدرسة ، وتحاول أن ترفع اذنيها الطويلتين العريضتين المثقلتين بالشعر الكثيف . فاذا جاءت الحاجة أمونة بالسلسلة لتربطها بنطاق رقبتها استقبلتها بومبي بحبور تفصح عنه بقفزات غير وطيئة متكررة ، وتدور حول نفسها ثم تستقر في مكانها لتضع الحاجة النطاق في رقبتها ، وبومبي مستكينة راضية . وقد يداهم الوقـــت محمد للذهاب الى المدرسة ، فتقلق بومبي على ذلك ، وقد تنبح بصوت خفيض لتنبهنا الى ذلك ، وقد تفتش عن السلسلة هنا وهناك فتجدها وتمسكها بفكيها وتحملها الى الحاجة فتأخذها الحاجة منها لتعلقها بنطاق رقبتها وتقودها مع محمد الى المدرسة .

لقد كانت (بومبي) ذكية الى حد يجلب الانتباه ويثير التعجب ، وبقدر ذكائها كانت الحاجة أمونة ساذجة وسطحية التفكير . وذات يوم تناولت حذاءها وضربت به بومبي وهي تقضم قطعة عظم بفمها ، ولم أر لذلك سبباً ، فسألت الحاجة عن سبب غضبها على بومبي فأجابتني ببساطة : أضحكتني .

- هي تعرف ليش ضربتها .

- طيب هي تعرف ، وأريد أنا أن أعرف .

- البارحة عاندتني .

فقلت لها ، وأنا أكتم ضحكاً حاول أن يتفجر من صدري :

- حجية الله يطول عمرك ، منين تعرف هذه الحيوانة انك ضربتيها لهذا السبب ؟

فأجابتني وكأنها تقرر حقيقة لا جدال عليها :

ـ ليش ما نعرف ، شبيها ، كل شي تعرف لا نخاف عليها .

وحلّ مصل الصيف لأسافر الى لندن ، كما اعتدت ان اسافر اليها في كل صيف تقريباً وفي لندن دعاني صديقي اللواء عبيد عبدالله المضايفي الى (لندن استول) وهذا المكان اشبه بملهى أو مسرح للتمثيل والالعاب البهلوانية ، تعرض فيه فعاليات غريبة وممتعة كان من بينها في تلك الليلة فصل ظهر فيه رجل بين الكهولة والشيخوخة وبصحبته كلب (پودل) بفراء أسود وكأنها كلبتي بومبي حجماً ولوناً . ذكرني باشتياق بكلبتي التي خلفتها ورائي في بغداد . وكان بيد ذلك الرجل حبل متوسط الغلظ . وبصفير حاد خافت تحرك الپودل ووقف مولياً ظهره لذلك الرجل . وأخذ هذا الرجل الحبل ورماه دائرياً أمامه ، ولما وصلت دائرة الحبل اليه قفز لينفذ منها ويمر الحبل من تحت قدميه . ورأيت الپودل بعد حركة أو حركتين من هذا القبيل يدير رأسه لا جسمه ليتابع حركة الرجل باهتمام شديد ، وسرعان ما قفز ليصل الى موقف الرجل وتحين الفرصة فيقفز من بين حلقة الحبل قبل أن يقفز الرجل ليسمح بمرور الحبل من تحت قدميه . واستمر الرجل وكلبه الپودل يعملان هذه الحركة الغريبة ، وضجت القاعة بالتصفيق وصفير الاستحسان ، واستدار الرجل وانحنى أمام جمهور القاعة يرد التحية لهم بينما وقف (الپودل) منتصباً على قدميه ويصفق براحتي يديه . أمر لا يصدق !

وفي المشهد الثاني انسابت على المسرح منصة وطيئة تحمل أربعة آلات غير وترية ، ووراءها اربعة كلاب پودل بأربعة الوان هي الاسود ، والبني والابيض والرمادي ، وقد ربطت ايديها اليمنى باحدى تلك الآلات . وعلى جانب من هذه المنصة آلة ارغن وقف خلفها ذلك الرجل الذي لعب مع كلبه لعبة القفز على الحبل في المشهد الأول . وهذا أمر آخر يصعب أن يصدقه من لا يراه بعينيه ، فقد بدأت هذه الكلاب الاربعة تضرب بأيديها على الآلات المربوطة اليها بما يتناسق الى حد ما مع أنغام الارغن الذي كان يضرب به باصابعه ذلك الرجل . وهاج الجمهور بالتصفيق والصفير إستحساناً لما فعلته هذه الكلاب الذكية . وغادرت أنا ومضيفي اللواء عبيد هذا المكان وكأن ما رأيته من فطنة تلك الكلاب واستحسان المشاهدين لاعمالها كان لكلبتي بومبي نفسها .. لأنني اعرف انها بذكاء بنات جنسها التي رأيتها في ذلك المكان .

وفي صباح اليوم التالي وصلتني رسالة من ابنتي نيران ببغداد ، تهوّن عليّ مصابي بوفاة بومبي قتيلة بسيارة الامانة التي ترش الماء على الشارع الذي يقع على ناصية بيتي . فآلمني هذ االخبر كما قدّرت كم آلم ابنتي نيران التي كانت مولعة

بها . فقصدت في صباح اليوم نفسه أحد حوانيت بيع الكلاب في شارع (اجورد) واخترت منه (پودلا) اسود اللون وسميته بومبي أيضاً ، وحملته معي الى بغداد بعد اجراءات طويلة كثيرة لاخراجه من مسقط رأسه بشهادة ولادة مصدقة من (نادي الكلاب) بلندن . وسرعان ما اكتشفت في بغداد انها كنظيرتها التي قتلتها سيارة الامانة ، ذكية وأليفة بطاعة وتحابب . ولما بلغت السنتين من العمر خرجت ذات صباح في غفلة منا الى الشارع فدهستها سيارة الأمانة نفسها ، ولما سمعت عواءها خرجت مسرعاً اليها غير اني وجدتها حينذاك قد فارقت الحياة . وعاتبت السائق بحرقة وخشونة على فعلته غير انه لم يلتفت اليّ إلا بابتسامة اللامبالاة وكأنه قد حسب ان قتل هذا الكلب ليس أغرب حدثاً من سحق صرصار قذر . وحدث في ذلك الاسبوع ان اصيبت نيران بالتهاب الزائدة الدودية ، واجريت لها عملية في مستشفى السامرائي ، وكان من الذين زاروها الدكتور رشاد عبدالواحد ، وهو يعرف ان كلبتي بومبي قد قتلت ، فقال لي : ان على لوحة الاعلانات بنادي العلوية سيدة انكليزية تعلن عن بيع كلاب پودل بعد شهر واحد ، وعنوان هذه السيدة في لوحة الاعلانات ، فذهبنا معاً الى بيت تلك السيدة وكان سروري عظيماً إذ وجدت كلابها المعروضة للبيع جميعها بلون اسود ، فاشتريت واحدة انثى منها بعشرين ديناراً ووضعتها في (سلّة) من القش وغطيتها بباقة من الورود وحملتها الى ابنتي نيران في المستشفى ، فلما رفعت غطاء تلك السلة من الورود ورأت في قاع السلة (الپودل) الصغير تناولته بفرح طافح ووضعته الى جانبها في السرير وهي تقول لي :

- بابا ، ارجوك نسميها بومبي أيضاً .

وهكذا صارت هذه الكلبة الثالثة بعد الاثنتين اللتين قتلتهما سيارة الامانة . وعنيت نيران بكلبتها بومبي ، وفي السنة الثانية حدث لهذه الكلبة ما حدث لسابقتيها وماتت بالطريقة نفسها والسيارة نفسها . وقررت بعد هذا الحادث أن لا أقتني كلباً في بيتي وبخاصة من صنف الپودل ، فحب هذه الكلاب الذكية لا يمحوه الزمن وقراري كان ضعيفاً وما حدث بعد ذلك شيء آخر على النقيض ، فقد دخلت عيادتي سيدة امريكية الأصل اعتادت أن تستشيرني شهرياً عن مسير حملها .. وفي هذه الزيارة كانت تستصحب معها كلبة من نوع الپودل أيضاً وبلون اسود ، ولكن من الصنف الكبير . فالپودل على حجوم ثلاثة وألوان أربعة وكانت الپودل التي انتقيتها سابقاً من النوع المتوسط الحجم ، وحين رأيت كلبتها وتصرفاتها في غرفة عيادتي ثار فيّ حب هذا الصنف من كلاب الپودل ، وسألتها عن اسم كلبتها فأجابتني :

- اسمها (صباح) ، على اسم صديقنا القديم صباح بن نوري السعيد .

(واضافت تقول) ولكنني أنا وزوجي أيضاً في حيرة ، فقد صدر أمر نقلنا الى (جاكرتا) في اندنوسيا ، ونخشى أن لا يلائم جو ذلك القطر طبيعة (صباح) ونفكر في اعطائها لأحد اصدقائنا العراقيين ولكن الصعوبة هنا في ايجاد من يعتني بها ويحبها بقدر ما أوليناها من عناية وحب ، فلا تذل بعد الاهتمام الذي تمتعت به من لدنا . وسألتها وأنا أقصد من ذلك أن تلمس انني قد أكون الشخص الذي تطلبه لتبنيها :

- كم عمرها يا مدام ؟

- سنتان في نهاية هذا الشهر ، ومن أبوين معروفين في همبورغ بالمانيا .

وسال لعابي في الحصول عليها ، ومررت بكفي على رأسها وظهرها ، وخرجت من فمي لا ارادياً (أتمنى لو اني أحصل على كلبة مثلها) . وشد ما كان فرحي حين قالت لي تلك السيدة :

- انها لك وأنا مطمئنة انك سترعاها كما كنا نرعاها .

وغادرت هذه المريضة عيادتي بعد أن ودعت (صباح) بقبلات وعبارات عاطفية كما لو انها تودع ابنتها أو اختها . وأخذت (صباح) الى بيتي ، ولم نر صعوبة في اقناعها بتسميتها (بومبي) ، وعاشت صباح في بيتي خمس سنين اخرى ، ولم نجد لبومبي بحجمها ذكراً ، فبقيت عانساً على مدى تلك السنين . وذات صباح افتقدناها على مائدة فطورها المكون من الحليب فقط ، وناديناها في كل مكان في البيت ، وفي الحديقة فلم نسمع منها استجابة ، وأخيراً وجدناها ميتة في حمام الطابق الاعلى . ودفناها بحزن فياحدى زوايا حديقتي . أما وقد رحلت بومبي (الرابعة) عنا ، فذكرياتها لا تزال تداعب خواطرنا بين حين وحين ، وأقل ما أذكره عنها حتى لو لم يصدقني أحد من غير أهلي الذين عرفوها ، انني كنت في ايام الجمع أحب أن ابقى مستلقياً في فراشي حتى تقرب الساعة العاشرة صباحاً . أما في ايام الاسبوع الاخرى فأبكر في النهوض لتناول فطوري . وكانت بومبي في هذه الايام تضرب باب غرفتي بكفها اليمنى اذا ما أخذني النوم على غير عادتي ، فانهض استجابة لندائها . أما في ايام الجمع فلا تفعل ذلك قط . انه أمر لا يصدقه من لا يراه بأم عينيه .

تعليمات منح لقب استاذ متمرّس

ثبت استعمال لقب (استاذ متمرّس) بصدور التعليمات الآتية :

عدد (١) لسنة ١٩٨١

تعليمات منح لقب استاذ متمرس

استناداً الى احكام المادة التاسعة من القانون رقم (١١٧) لسنة ١٩٧٩ (قانون التعديل الخامس لقانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم ١٣٢ لسنة ١٩٧٠) وتسهيلًا لتنفيذ أحكام الفقرة (٥) من المادة الثانية منه ، أصدرنا التعليمات الآتية :

المادة الأولى - يشترط فيمن يمنح لقب استاذ متمرس ما يأتي :

أولًا - أن يكون عضو الهيئة التدريبية المحال على التقاعد بمرتبة (استاذ) .

ثانياً - ألا تكون احالته على التقاعد بسبب عدم كفاءته العلمية والتربوية .

ثالثاً - أن يكون مبرزاً في اختصاصه ببحوثه ومؤلفاته ، مستمراً على البحث والتقصي العلمي .

رابعاً - أن يكون قد ساهم مساهمة فعلية في تطوير قسمه أو كليته أو جامعته .

المادة - ٢ - يمنح لقب استاذ متمرس وفق الاجراءات الآتية :

اولًا - يقترح مجلس القسم المختص على مجلس الكلية المعنية منح لقب (استاذ متمرس) الى عضو القسم عند توافر الشروط المنصوص عليها في المادة الاولى من هذه التعليمات على أن يرفق مع المقترح نبذة عن حياته وخدمته وانتاجه العلمي .

ثانياً - لمجلس الجامعة بناء على توصية مجلس الكلية منح لقب (استاذ متمرس) الى عضو الهيئة التدريسية المذكور .

ثالثاً - يحضر العضو في الجلسة التالية لمنحه اللقب جلسة مجلس الجامعة ويبلغ بالقرار من قبل رئيس الجامعة ، ويمنح ميدالية جامعته في حفلة التخرج .

المادة - ٣ - يتمتع الاستاذ المتمرس بالحقوق والامتيازات الآتية :

اولًا - الاحتفاظ بمكتب في القسم أو الكلية التي كان يعمل فيها ويثبت عنوانه لارسال بريده اليه أو تسلمه في مكتبه .

ثانياً - تزويده بصورة من التعليمات الصادرة من الكلية أو الجامعة مما يزود به الاساتذة .

ثالثاً ـ التمتع بكامل حقوق الاستاذ فيما يخص البحث العلمي والتأليف والاعداد والترجمة والنشر وغير ذلك في مجالات الانتاج العلمي .

رابعاً ـ المشاركة في فعاليات القسم أو الكلية أو الجامعة كالسفرات الجامعية والحفلات وحفلات التخرج وغيرها من الفعاليات ان رغب في ذلك .

خامساً ـ الاستفادة من مرافق الجامعة كالمكتبة والمختبرات وغيرها .

سادساً ـ تسهيل حضوره الندوات والمؤتمرات واللقاءات القطرية والعالمية ويعامل معاملة التدريسيين عند ايفادهم لنفس الغرض طبقاً لأحكام قانون مخصصات الايفاد والسفر النافذ .

سابعاً ـ الاستمرار في المشاركة في صندوق الضمان الصحي لجامعته والاستفادة من الخدمات الصحية والانسانية التي تقدمها جامعته لموظفي الخدمة الجامعية .

ثامناً ـ على الجامعة نقل رواتبه التقاعدية الى الكلية التي كان يعمل فيها ان رغب في ذلك ووفقاً للصيغة التي يتفق عليها مع مديرية التقاعد العامة .

تاسعاً ـ السماح له قدر الامكان بالبقاء في الدار الحكومي الذي يشغله بعد احالته على التقاعد اذا لم يكن له أو لزوجته دار وبما ينسجم مع التشريعات النافذة .

عاشراً ـ تنظم الجامعة لوحة شرف في احدى اروقتها أو قاعاتها تحتوي على صور الاساتذة المتمرسين في الجامعة وادراج اسمائهم في دليل الجامعة والكلية التي ينتسبون اليها .

المادة ـ ٤ ـ من واجبات الاستاذ المتمرس ما يأتي :

اولاً ـ القاء بعض المحاضرات المنهجية أو غير المنهجية والاشراف على رسائل الدراسات العليا واعداد الدراسات ان رغب في ذلك على أن تصرف اليه الاجور أو المكافأة المناسبة وفقاً للنصوص القانونية النافذة .

ثانياً ـ اشراكه في بعض اللجان إن رغب في ذلك .

ثالثاً ـ المساهمة في حملة التعريب للاستفادة من خبراته في الترجمة والاعداد والتأليف .

رابعاً ـ ابداء المشورة الى مجلس القسم أو الكلية أو الجامعة أن تطلبت الحاجة الى ذلك .

المادة ـ ٥ ـ تنفذ هذه التعليمات من تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية .

وزير التعليم العالي والبحث العلمي

وفي يوم ١٨ / ٩ / ١٩٨٩ تم تشكيل لجنة فرعية لدراسة موضوع منح لقب استاذ متمرس وضوابط منح هذا اللقب ، فأصدرت القرار الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

م / تقرير لجنة الاستاذ المتمرس

السيد رئيس لجنة محور التدريسي الجامعي المحترم

تحية طيبة وبعد ..

اشارة الى الامر الوزاري المرقم ت م٢ / ٣٥١١ المؤرخ في ١٠ / صفر / ١٤١٠ هـ ، الموافق ١٠ / ٩ / ١٩٨٩ م بشأن تشكيل لجنة فرعية لدراسة موضوع الاستاذ المتمرس ، والمؤلفة من :

الاستاذ الدكتور بدري عويد أحمد / رئيساً

الاستاذ المتمرس الدكتور كمال السامرائي / عضواً

الاستاذ الدكتور هاشم علوان السامرائي / عضواً

نرفق لكم طياً تقريراً عن خلاصة أعمال اللجنة ، وحيثيات ومبررات منح لقب استاذ متمرس ، وكذلك التعليمات الخاصة بهذا الشأن ، شاملاً :

١ ـ ضوابط منح لقب استاذ متمرس .

٢ ـ اجراءات منح اللقب .

٣ ـ الحقوق والامتيازات .

٤ ـ المهام والالتزامات .

واللجنة إذ تفرغ من انجاز المهمة التي كلفت بها ، لا يسعها إلا أن تتقدم بوافر الشكر والتقدير للسيد رئيس المجمع العلمي العراقي والمسؤولين والعاملين في المجمع ، لما وفروه للجنة من امكانات ، وما قدموه لها من مساعدة ، وكذلك للسادة رؤساء الجامعات ومساعديهم ، والسادة عمداء الكليات ، لما ابداه بعضهم من ملاحظات وما وفروه للجنة من معلومات مفيدة في هذا الموضوع .

الدكتور بدري العاني

رئيس اللجنة

وبعد خمس جلسات متوالية لدراسة هذا الموضوع رفعت مقررات اللجنة بشأنه الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ونص المقررات في ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير لجنة الاستاذ المتمرس

استناداً الى الأمر الوزاري المرقم ت م ٢ / ٣٥١١ في ١٠ / صفر / ١٤١٠ هـ ، الموافق ١٠ / ٩ / ١٩٨٩ م بشان تشكيل لجنة فرعية لدراسة موضوع الاستاذ المتمرس ووضع المقترحات والتوصيات اللازمة بشانه ، وذلك ضمن المضامين التي حددتها اللجنة الرئيسة الخاصة بمحور التدريس الجامعي بموجب الفقرة (٥) من محضر اجتماعها الرابع المنعقد في ١٤ / ٩ / ١٩٨٩ .

قامت اللجنة بجمع ما تيسر لها من وثائق أو دراسات أو مقترحات تتعلق بالاستاذ المتمرس ، كما أجرت بعض الاتصالات والحوار مع عدد من الاساتذة المتمرسين والمتقاعدين ، وعدد من السادة رؤساء الجامعات وعمداء الكليات وبعض التدريسيين وذلك بغية الاستئناس بآرائهم ، والوقوف على كل ما من شانه مساعدة اللجنة في انجاز المهمة المنوطة بها .

وكان من بين أهم الوثائق التي اعتمدتها اللجنة في هذه الدراسة ما يأتي :

١ - مقترحات مجلس جامعة بغداد بجلسته الاولى للعام الجامعي ٧٠ - ١٩٧١ بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٧١ .

٢ - مقترحات مجلس جامعة بغداد بجلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٧١ .

٣ - مقترح مجلس جامعة بغداد بجلسته الخامسة عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٧ / ٦ و ١ / ٧ / ١٩٧٩ .

٤ - مقترحات جامعة الموصل بشأن الاستاذ المتمرس والتعديلات التي ارتأتها الجامعة حول تعليمات منح لقب الاستاذ المتمرس المقدمة من قبل جامعة بغداد .

٥ - مقترح مجلس جامعة البصرة بجلسته الاولى المنعقدة بتاريخ ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠ وجلسته الرابعة المنعقدة بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٧١ .

٦ - مقترحات جامعة السليمانية حول الصيغة المقدمة من جامعة بغداد بخصوص الاستاذ المتمرس .

٧ - مقترحات الجامعة المستنصرية حول الصيغة المقدمة من قبل جامعة بغداد ، وذلك في الفقرة الثالثة من محضر الجلسة الخامسة عشرة المفتوحة لمجلس الجامعة المستنصرية بتاريخ ٢٧ / ٦ و ١ / ٧ / ١٩٧٩ .

غلق مستشفى السامرائي / ١٩٨٢

وصلني الكتاب الآتي من محكمة بداءة الكرادة يوم وصولي الى بغداد عائداً من لندن ..

العدد ٢٢٧ / استملاك / ١٩٨١

التاريخ ٢٠ / ١ / ١٩٨٢ .. هذا نصه :

نؤيد بأن هذه المحكمة قد أصدرت قرارها المرقم ٢٢٧ / استملاك / ١٩٨١ والمؤرخ في ١١ / ١ / ١٩٨٢ باستملاك عموم العقار تسلسل ٩٤٠ / ٣٢٣ بتاوين المتخذ مستشفى السامرائي لأغراض النفع العام . وبناء على طلب وكيل المساطح الدكتور كمال السامرائي صدر هذا الاستشهاد في ٢٠ / ١ / ١٩٨٢ .

القاضي عدنان عطا محمود

كان هذا الكتاب مفاجأة غير سارة . وفي لحظة استلامي له لم تزعجني قراءته بحجم ما احتواه من مضمون . غير انني ما كدت ادخل عيادتي في المستشفى حيث يحتشد المرضى على بابها حتى شعرت بضيق في نفسي جعلني لا أستطيع أن استقبل المرضى بمزاج طبيعي كما اعتدت ان افعل ذلك قبلًا . ولم يكن الدكتور عبدالله العنيزي موجوداً لأعرض أمامه هذا الكتاب . فقد كان الدكتور عبدالله متنفسي في كثير من الامور الطارئة . إلا انه مع الأسف قد سافر الى المملكة السعودية سراً عني وهذا ما عرفته في هذا اليوم بالذات مما زاد ذلك في الكدر الذي أصابني باستلام كتاب محكمة الكرادة . قالت لي رئيسة الممرضات : ألا تعلم ان الدكتور عبدالله قد سافر ولن يعود الى العراق ؟ وأنكرت أن يكون ذلك صحيحاً . إذ اني أسرّه بكل أمر يربط فيما بيننا . فهل خاف مني أن أخبر السلطات عن هروبه من العراق ؟ الى هذا الحد لم يثق بي ؟ بينما أنا أثق به بلا حدود .

وفي يوم ٤ / ٣ / ١٩٨٢ بيعت ادوات واثاث المستشفى بمبلغ ٤٣٥٠ ديناراً بينما أثمانها الحقيقية تزيد على اضعاف اضعاف هذا المبلغ . ولم أقو على الاشراف على بيعها . فقد كانت هذه العملية بالنسبة لصحتي ومزاجي في تلك الآونة بمثابة زهق روحي أو ذبح أحد اولادي . كما تحاشيت بعد ذلك بسنين المرور بشارعه في ساحة الاندلس لكي لا أرى جثمانه مسجى دون تكبير وصلاة . وحين سمعت ان بناءه قد هدّم وبيعت أحجاره صرت أتخيل ان اطرافي قطّعت واحدة بعد الاخرى وأنا حي .

استمارات مرضى مستشفى السامرائي تنقل الى مستشفى الولادة في العلوية

الى / مديرية مستشفى العلوية للولادة
الموضوع / استلام بيانات ولادة

بالنظر لغلق مستشفى السامرائي وتصفية اعماله وحيث ان النسخ الثواني من بيانات الولادة وشهادة الوفيات الموجودة فيه من المحتمل أن تلجأ الحاجة اليها في بعض الحالات يرجى تنسيب أحد موظفي مستشفاكم لاستلامها والاحتفاظ بها لديكم للغرض المذكور .

كما نرجو تكليف الصيدلي المسؤول عن مذخركم باستلام (١٣٤) امبول بثدين (١٠٠) ملغم و (٤٠) امبول مورفين (٢٠) ملغم والعائدة للمستشفى المذكور للاستفادة منها في مؤسستكم ، علماً بأن تاريخ انتهاء هذه الامبولات هو لغاية ٨٤. واعلامنا مع التقدير .

الدكتور ابراهيم احمد النوري
وكيل الوزارة

صورة منه الى /
مديرية الخدمات الطبية العامة / الاحصاء
مديرية الاحصاء بديوان الوزارة
الاستاذ الدكتور كمال السامرائي / صاحب مستشفى السامرائي للتفضل بالعلم
الصيدلي المفتش قاسم الخالدي / للاشراف على تسليم المواد اعلاه الى المستشفى المذكور واتخاذ ما يلزم باتلاف السجلات التي تقرر اتلافها والاستمارات الاخرى
شعبة التفتيش / مع المرفقات

واستمر الناس يراجعونني الى أكثر من عشرين سنة لاستحصال وثيقة ولادة أطفالهم في مستشفى السامرائي ، فأخبرهم أن يراجعوا وزارة الصحة لتأمر باخراجها من مخازن استمارات المرضى بمستشفى دار الولادة في العلوية ، ويراجعون هذا المستشفى دون أن يحصلوا منها على ما يريدون ، ويعودون اليّ فاخبرهم بانني لم أعد أعرف أين تلك الاستمارات ولا أذكر أيضاً تاريخ ولادات أطفالهم . وهكذا ضاعت تلك الوثائق المهمة ، فلجأ اصحابها الى معاملات طويلة

معقدة . قد أطلب اليها كطرف في الموضوع ، وكنت في أكثر هذه الحالات غير ذي نفع في هذه المعاملات .

استذكار أعمالي الطبية في مستشفى السامرائي

مرت أيام بعد غلق مستشفى السامرائي وأنا اتخبّط في ما يجب أن أعمله وبيني وبين كثير من المرضى ارتباطات ليس من السهل عليَّ تجاهلها لا من الوجهة الاخلاقية ولا من الوجهة المهنية . وفي هذه المدة صرت دون هدف استعرض ماضي أيامي في ممارسة اختصاصي بما في ذلك من ايجابيات ممتعة وسلبيات ممقوتة ، وقررت حالاً تسجيل ذلك فيما يأتي :

مضى أكثر من ثلث قرن وأنا امارس اختصاصي في معالجة الأمراض النسائية والحالات الولادية . وكثير من الناس يعتقدون انني أعمل في التوليد أكثر مما أعمل في الأمراض النسائية ، وهذا عكس الحقيقة .

وممارسة الطب في العيادة الخصوصية أو في المستشفيات الأهلية تختلف من وجوه كثيرة عن ممارسته في المؤسسات الحكومية ، ولكل من الميدانين حسناته وسيئاته بالنسبة للطبيب المعالج وللمريض . وحسناته للمريض تفوق سيئاته للطبيب . وسأحدد كلامي على تجربتي كطبيب نسائي في عيادتي الخصوصية وفي مستشفى السامرائي ، حيث تدخل الى كليهما المرأة المريضة من جميع الطبقات ، الفقيرة والغنية ، والمثقفة وعديمة الثقافة ، والشابات وكبيرات السن ، وقد صارت لي صورة واضحة بعد التجربة الطويلة لكل هوية تدخل عيادتي قبل أن أبدأ التحدث اليها ، فأعرف الى درجة ما الأرملة من ذات الزوج ، والحضرية من القروية وامرأة الشمال من امرأة الجنوب حتى لو لبست غير ما تلبس بنات طبقتها ، بل صرت اعرف محلات سكناها في بغداد بالتخصبص . كذلك صرت أعرف شكوى المريضة الحقيقية حتى لو حاولت اخفاءها .

وتدخل المريضة احياناً وكأني أنا الذي استدعيتها اليَّ ، وانني على ذلك يجب أن اقدم لها خدمة ترضيها مقابل ذلك ، وان اتفرغ لها وامنحها الوقت الذي يطيب لها أن تبقاه معي ، واستمع لها مهما طال كلامها حتى لو كان خارج موضوع شكواها الطبية التي جاءت من أجله ، واذا غادرت عيادتي دفعت لي أجر اتعابي معها وعلى وجهها ما يدل على انني اسلب منها ذلك الأجر وليست هي التي تعطيني اياه . وقد ادركت هذه الحقائق في بعض من مريضاتي منذ باكورة مزاولتي المهنة ، فاستجيب

لمريضتي واحاول أن أجعلها تشعر انني طوع ارادتها ومشاعرها ، وانني مستعد بكليتي لاسعافها مما تشكو . وكان استاذي الأول (كندي) دائم النصح لي في أن أكون صبوراً مع المريضة ففي ذلك (كما يقول) فائدتان ؛ الاولى كسب ثقة المريضة وهو أمر جوهري في ممارسة علاج الأمراض النسائية ، والثانية ان المريضة لا بد أن تكشف في غضون كلامها اذا طال ، ما هو مبهم وحاسم في تشخيص مرضها . كما كان ينصحني أن ادرب ذاكرتي على حفظ اسماء مريضاتي فاخاطبهن به بتكرار ، وأن أنهض عن كرسيي لاستقبالهن حين يدخلن عيادتي واودعهن الى بابها حين يغادرنها . وقد عملت بالنصيحتين دون ملل حتى صرت اعتقد ان ذلك من صلب السلوك الطبي وليس تملقاً للمريضة .

واول ما يجب أن أعرفه عن المريضة عمرها ، فهذه بداية مهمة ، ومفتاح الباب الذي يقودني الى تعيين نوع شكواها . ولا يهمني كثيراً ضبط عمر الصبية بالتحديد بقدر ما يهمني معرفة عمر المريضة التي في الاربعين وما حول هذا العمر . وفي هذه الاعمار الاخيرة تتلاعب المريضة في ذكر حقيقة عمرها ، فاذا اكتشفت ذلك مما يرد في حديثها معي ، فلا أرى فائدة في تصحيح عمرها علناً ، كما ان في هذا قلة أدب وذوق . وعمر الاربعين في المرضى الذكور ليس بأهمية معرفته في الاناث ، ولمن هن بهذا العمر ، كما هو مهم في المريضات ولمن منهن بهذا العمر . والغريب ان المتقدمات في العمر يتحرجن من ذكر شكواهن أكثر من صغيرات السن ، وقد يكون ذلك من حسّهن الضمني بالتظاهر بما هو من صفات الصبايا الخجولات من عمر المراهقة . وهو عكس ذلك في سني الثلاثينات ، فانهن حين يثقن بي يكشفن لي عن كل اسرار حياتهن الزوجية ، واخلاقهن المكتسبة والخلقية ، حتى المرذولة منها . وبعض المريضات المثقفات يقتحمن باب الحديث عن الجنس بصراحة تامة ، وبشكل خاص اللاتي حرمن من الانجاب ، فتكون هذه الفئة جريئات في اعطائي معلومات مهمة جداً عن الزوج لما يمكن أن يغيب عني في التحري عنه . وقد تعود المريضة بعد زيارة عدد من الاطباء والطبيبات بالشكوى نفسها التي من أجلها زارتني قبل أشهر ، فأسمع منها المتناقضات ، وتنهال بصواريخ السباب على من استشارته من الاطباء ، وهي تقول :

ـ أنا لا أصدق إلا بكلامك ، ولا أعمل إلا بما تنصحني به ، أنت ولا غيرك من اعتمد عليه .

وعلمتني التجربة ان لا أعلق على ما تقوله ، وأن أعرف يقيناً انها غير صادقة جملة وتفصيلاً ، وانها تردد مثل هذا الثناء الكاذب على كل طبيب تزوره ، وانها ايضاً

تنتقدني أمامهم بلا رحمة ولا حق .

واكتشف اثناء فحصي لها علامات قاطعة انها استشارت غيري في المدة التي غابت عني ، وحين ارى ندباً تدل على انها خضعت لعملية كي عنق الرحم مثلاً ، اسالها زيادة في التاكد من صحة هذا الدليل :

ـ هل زرت طبيباً أم طبيبة لمعالجتك ؟

فتجيبني بلهجة قاطعة :

ـ أنا لا أستشير أحداً سواك .

فاضطر أحياناً أن أقول لها ان العلامة الفلانية تدل على عملية سابقة . فتقول بخجل مفتعل :

ـ تذكرت ، انت كنت خارج العراق فاضطررت ان استشير الطبيب الفلاني وهو الذي اجرى لي هذه العملية .

واسالها احياناً بدافع شخصي لاثبت مراوغتها المكشوفة :

ـ ومتى كانت هذه العملية ؟

ـ فتجيبني بعد تفكير لا يطول .

ـ في شباط الماضي .

وأنا متاكد انني كنت في بغداد في ذلك الشهر .

× × ×

ولعمر الاربعينات خصوصيات لها أهمية كبيرة في الحالات المرضية ، وفي حالات الحبل أيضاً . وتميل المريضة احياناً الى ادعاء صغر عمرها وخصوصاً من تتقدم الى عمر الاربعين . فاذا ادعت انها أصغر من ذلك بكثير فاول من ينفي هذا الادعاء هو ما يظهر على وجه حماتها (أم زوجها) من العلامات التي لا تؤيد ذلك . أما أم المريضة فانها حتى اذا كانت ابنتها المريضة أماً (لدرزن) من الاولاد فانها تؤيد بحرارة ما تدّعيه ابنتها من العمر .

وتدخل عيادتي حامل تشكو من ضخم بطنها أو تورم في رجليها ، فاعرف انها لم تزرني قبلًا وإلا لما آلت الى هذا الحال لو انها زارتني وعملت بنصائحي . وتدخل حامل اخرى تدّعي انها (عشّرت) أي دخلت في شهرها العاشر ، وانها نُصحت أن تنهي حبلها وإلا يحل الخطر بجنينها . ومريضة اخرى لم أرها قبلًا ، وافحصها فاكتشف ان جنينها معتلناً بالمقعدة ، فاقول لها :

- أنت يا سيدتي جئت لتعرفي ما يجب عمله لعلاج هذا الاعتلال بعد أن قيل لك ان تخضعي للتوليد بالعملية القيصرية . فتقول لي :

- في الحقيقة أنا جئت لهذا السبب .

وقد لاقيت صعوبات كبيرة ومتنوعة في بدء عملي باختصاصي ، فقد ترفض المريضة غير المتعلمة الفحص من قبلي كطبيب رجل ، فتنهض عن طاولة الفحص مذعورة وهي تقول لي :

- عيب يا خالي . الموت أحسن ولا هذه المصيبة .

وتهرب من غرفة عيادتي كما لو انها مطاردة ، فتنسى ان ترتدي عباءتها أو حذاءها . وتتصرف المريضة وأمثالها على هذا النحو بدوافع تربوية وجهل في الثقافة الصحية والجنسية . أو لارضاء زوجها الذي يوصيها بتكرار أن لا ترضخ للفحوص الداخلية إلا من قبل ممرضتي . فترجو مني هذه المريضة في مقدمة حديثها معي وبعد الانتهاء من فحصها أيضاً أن لا أخبر زوجها انني اجريت الفحص بنفسي بل كان ذلك بيد الممرضة . وقد ترفض المريضة الخضوع للفحص المهبلي بالرغم من رضا زوجها والحاحه عليها بقبوله . واغرب ما كان في هذا الموضوع في بداية عملي بعيادتي الخصوصية . ان أم احدى المريضات طلبت مني حين انتهيت من فحص ابنتها ان (اطلّقها) ولما سألتها : أطلّق من ؟ قالت لي :

- طلّق عبيدتك خميدة .

وأسألها باستغراب :

- لم أفهمك يا امرأة !

تقول لي ببساطة :

- عقدنا لك على عبيدتك عند (المؤمن) ليحل لك فحصها ، كما يحل مثل هذه العملية للزوج الحلال .

وليس هناك أكثر سذاجة وتخلفاً من هذه الطبقة من النساء .

وثمة طبقة من المريضات السذج المتزمتات استطعت بحيلة مشروعة أن اخضعهن برضا للفحص الضروري لتشخيص مرضهن ، فاذا رفضت مريضة الفحص المهبلي ، أقول لها :

- هذا الفحص الى الآن (بنصف دينار) أما الفحص الكامل فيكلفك ديناراً .

فتسكت المريضة بضع ثوان ، وأنا أعلم يقيناً انها سكتت معي لتكلم نفسها فيما قلته عن النوعين من الفحص ، فاقتنعت ان الفحص بدينار لا بد أن يكون أكثر فائدة لها من الفحص بنصف دينار ، والغالي رخيص كما يقول المثل ، فتعود تستلقي

على طاولة الفحص وهي تستغفر الله ثم تقرأ البسملة لحظة أبدأ الفحص المهبلي ، ثم تقول لي :

- أوهبني يا عمي .

وتردد امها التي معها في عيادتي قائلة :

- يمه . الطبيب والي . والوالي الله محللة .

وتقابل هذه الطبقة من المريضات اخرى اذا لم افحصها مهبلياً تسألني بحياء :

- دكتور . أشو ما سويت ؟

وهي تقصد بالشيء الذي لم (اسوه) الفحص المهبلي ، ولكنني لم أفهمها لأول مرة سمعتها من المريضات فأسألها :

- ما هو الذي لم (أسويه) ؟

فتجيبني بسرعة ، وهي ترفع طرف فوطتها لتخفي بها ابتسامة الخجل المترنحة على شفتيها :

- يقولون . انت ما توصف دواء ما لم تفحص من الداخل .

فأقولها :

- لا ضرورة أحياناً للفحص الداخلي في حالة الحبل .

وفي حالات الاجهاض (الطرح) وهي غير قليلة العدد نسبياً ، غير ان بعضها قد يثير سخط المريضة أو زوجها بدرجة لا يمكن اصلاحه ، وفي ممارسة هذه الحالة يتعين عليّ قبل كل خطوة لفحصها أن أتأكد من انها حامل حقيقة ، فقد لا تكون حاملا أصلا . وان النزف الدموي قد يكون لسبب آخر حتى لو كان مصحوباً بانقطاع العادة الشهرية . وفي حالة الاسقاط من هذا النوع اتجنب الفحص المهبلي بالرغم من انني لا أرى ضرراً منه اذا انجز باصول وحذر ، فاذا قبلت المريضة باجرائه بعد تردد ومحاججة أمتنع حينذاك من اجرائه حتى لو الحّت عليّ باجرائه ، إذ لو حصل الاسقاط فعلا لعدته المريضة نتيجة للفحص المهبلي وليس لأن الاسقاط لا بد أن يحدث حتى لو انني لم افحصها مهبلياً .

ومن المريضات من يعرضن شكواهن باختصار وموضوعية فلا أجد صعوبة في تشخيص مرضهن ، بل يساعدنني عليه في كثير من الاحيان . ومنهن من يعرضن أمامي أموراً بعيدة عن شكواهن الحقيقية ، وحين يتشعب حديثهن معي دون ربط ادرك انهن جنن لأمر آخر لم يعرضنه بعد ، فاسأل احداهن :

- والآن مم تشكين ؟

فترد عليَّ جادة :

- أنا لا أشكو من شيء والحمد لله .

فأسألها بصراحة :

- إذن لماذا جئت اليَّ ؟

فتنفتح لي وتقول :

- أريد ولد !

وفي مثل هذه الحالة اسال المريضة :

- هل سبق لزوجك أن تزوج ، أو ان لك ضرّة وانجبت ؟

- متزوج مرتين ولم ينجب .

- يجوز أن يكون السبب في زوجك .

وتتدخل أم المريضة وتقول :

- شحالهن . عويات (تقصد زوجاته الاول) لو يتزوجن عشرة رياجيل ما تحبل واحدة منهن ..

واعلم حينذاك ان الزوج هو سبب العقم في زواج هذه المريضة .

وفي مثل هذه الحالة استدعي الزوج وأخبره دون علم زوجته لكي لا أذلّ فحولته أمام زوجته ، وأقول له صراحة انه هو سبب عدم الانجاب . ثم ازوده بورقة لفحص مادته المنويّة ، فاذا ثبت بفحصها ان سبب العقم كان فيه ، فيسألني بعضهم ببلادة :

- والنتيجة يا دكتور ، أتزوج جديد ؟

- افهمني يا رجل أنت تزوجت مرتين وهذه هي الزوجة الثالثة ، وليس في هذه الزوجة ما يدل على انها غير مخصبة وأكثر الاحتمال ان زوجتيك الاولى والثانية كانتا مخصبتين أيضاً ، فما الفائدة من زوجة رابعة والسبب فيك وحدك .

والمرأة المريضة تميل الى التنقل من طبيب الى طبيب ، فاذا لم تستفد من الطبيب من اول زيارة له سرعان ما تستشير طبيباً آخر سمعت عنه الثناء من صاحباتها في احد (مجالس القبول) بينما ليس لهذا الطبيب باع في هذا الاختصاص بأي درجة .

وآخذ الحذر في استعمال الالفاظ والمصطلحات مع مريضاتي على اختلاف طبقاتهن الثقافية ، فاذا قلت لها انها مصابة بورم في المبيض مثلًا قالت لي :

- ان الطبيب أو الطبيبة الفلانية ، قالت انني مصابة بعقدة .

أو اذا قلت لها انها مصابة بعقدة بالرحم ، قالت لي :

- ان فلانا أو فلانة قالت لي انني مصابة بتليف .

وهكذا ، ولذلك صرت أقول للمريضة في هذه الحالات ، مقدماً :

- انها مصابة بورم ، والورم هو عقدة أو كيس أو تليف أو تضخم أو نحو ذلك ، وجميعها بمعنى واحد ، وانك تحتاجين الى عملية جراحية لرفعها . وتسألني ، أو يسألني زوجها :

- الورم ، ألا يزول بالابر ؟

- فأجيب :

- لا ، لا يعالج إلا بالعملية .

ويطول الجدل بيني وبين هذه المريضة عن امكانية علاجه بالتداوي وتغادر عيادتي وهي غير مقتنعة أو غير راضية عني . ويعود زوجها اليَّ بعد ساعة أو بعد يوم :

- دكتور ، الورم ما يزول بالادوية ، بالأبر ؟

- ذكرت ذلك بتكرار ، لك ولزوجتك ان العملية هي علاجها الوحيد .

- يقولون ان الورم يزول بالأبر .

فأقول له جزعاً :

- أنا لا أعرف هذه الأبر .

- يعني هذه الأبر موجودة ؟

- ما أعرف اذا كانت موجودة أو غير موجودة .

× × ×

ومثل آخر في حالة ولادية .. كانت الساعة الثانية عشر ليلًا حين عدت الى بيتي ، وكنت قد انتهيت قبل ساعة من عملية مستعجلة في مستشفى السامرائي . وقدت السيارة الى مرآبها في بيتي وأخذت سبيلي في مسلك الحديقة الى الدار ، وفتحت بابها بهدوء وكل من في البيت نيام ، وليس فيه حركة ، وكأنه خال من ساكنيه . ورأيت على منضدة في منتصف (الهول) بعض الصحون ، كان في احدها بيضة وفي صحن آخر تفاحتان ، وفي صحن ثالث قطعة من الخبز البغدادي ، فتناولت تفاحة وما كدت أنتهي من قضمها حتى رن جرس تلفون البيت ، وكنت متعباً ، وكأن رنين التلفون زاد في تعبي فقمت اليه متكاسلًا . وكانت على التلفون سيدة تطلب مني أن أفحص ابنتها التي في المخاض منذ باكر صباح يوم أمس ، ودار بيني وبينها الحديث التالي :

- أنت أين يا سيدتي ؟

- أنا في مستشفاك ، غرفة رقم (٢) .

- وهل هي مريضتي ؟، أقصد هل سبق أن فحصتها أثناء الحبل ؟
- كلا هي مريضة الدكتورة (فلانة) .
- اطلبيها اذن فهي المسؤولة عن حالتها .
- لم نجدها في بيتها .
- أنا كنت قبل ساعة في المستشفى ولم تخبرني عنها القابلة الس ، على كل حال نادي على الس لأعرف منها موضوع ابنتكِ .
فأجابتني بامتعاض تقول :
- أنا امها واريدك تأتي لتفحصها .
- نادي على القابلة الس أولًا ، رجاءً .
وجاءت الس الى التلفون وسألتها :
- ما أمر هذه المريضة يا الس ؟
- من طلبك يا استاذ ، أنا لم أطلبك !
- كلمتني عنها أم المريضة .
- ان ابنتها بكر ، وهي بحالة جيدة ، وطبيبتها الدكتورة (فلانة) وقد اتصل أهل المريضة بها فلم يجدوها ، مع اني اخبرتهم ان حالة مريضتهم لا تتطلب الفحص العاجل .
وسألتها :
- ونبض قلب الجنين ؟
- ليس أكثر من ١٣٠ ضربة ولا أقل من ١٢٠ ضربة في الدقيقة . (واضافت) ان أم المريضة تتدخل في ما نعمله لابنتها ، وتتشكك في ما نعمله لها ، وتنتقده بعناد .
فقلت لألس ، لا تهتمي بهم وسدي اذنك واعطي المريضة سدس بثدين . فاذا ألحّوا في مداخلاتهم فانذريهم إن لم يكفوا عن ذلك وإلا فالمستشفى غير مسؤول عما يحدث لابنتهم .
وبعد ساعتين حينما كنت غارقاً في نومي رنّ جرس تلفون ووصلني صوت الأم ، هي نفسها التي كلمتني قبل ساعتين أو أكثر .
- دكتور ، بنتي هلكت من الأوجاع ، تعال افحصها وشوف الها چارة .
فقلت لها :
- اعطيت تعليمات الى القابلة وابتعدي عن طريقها ، ونحن مسؤولون عنها وإلا فانتم المسؤولون عما يحدث لها .

- أي تعليمات انطيتها للقابلة ، ما سوّت لها شيئاً !
- أنا قلت للقابلة ان تحقنها بابرة البثدين .
فأجابت الأم بسطوة :
- أنا منعتها أن (تضربها بالابرة) أريد انت تأتي وتشوفها أولًا .
- أنت يا امرأة وراء الاخطار ، كيف تمنعين القابلة من تنفيذ ما طلبته منها ؟
- تعال وشوف بنتي ، نحن دخلنا هذا المستشفى لخاطرك .
- أرجوك أن لا تتدخلي فيما نعرف عمله ، وأنا استجيب لطلب القابلة فقط ، وهي تعرف متى تطلبني لفحص ابنتك .
- الممرضة تحچي بكيفها ، بنتي هلكت من الأوجاع .
ولما رأيت ان لا فائدة من محاججة هذه المرأة ، قطعت مكالمتي معها وارتديت ملابسي وتوجهت الى المستشفى .
فاستقبلتني أم المريضة وهي تسرع الى باب المستشفى لتسبق زوج ابنتها ، وقالت لي :
- دخيلك سوي چارة لبنتي .
ولم أجبها فقد أقفل الحنق فمي وشتمت في سري من قال (المريض دائماً على حق) وفحصت المريضة فلم أقف فيها على ما يقلق .
والزوج مدير أحد فروع مصرف الرافدين ، سألني :
- تعتقد كان من الضروري أن تعطيها الابرة ؟
ولم أجبه على هذا السؤال ، ولاحقني قائلًا :
- دكتور اذا تعرف ان الانتظار ليس منه فائدة فلا اريد أن تتعذب زوجتي .
فقلت له :
- عذابها محتمل ولا يضر بها .
- هسّه أي علاج تقترح لبنتي ما عندنا اعتراض عليه .
فقلت لها :
- بنتك لا تحتاج الى علاج ، أنتم الذين تحتاجونه .
- ماذا تقصد ؟
- الابتعاد عن زوجتك وأنا المسؤول عنها ، وأنا أعرف متى تحتاج الى المداخلة .
وعاد يسألني :
- يعني تلد طبيعي ؟

ـ على أكثر الاحتمال .

ـ الى متى ننتظر ؟

فقلت له :

ـ لا أعرف فليس لوقت المداخلة حدود بالساعات والايام بل تنقاد الحاجة الى علامات واعراض معينة هي التي تدعو الطبيب الى المداخلة ، وحالة زوجتك في الوقت الراهن لا تحتاج الى مداخلة .

ـ ومتى تحتاج الى مداخلة ؟

ـ قلت لك لا أعرف ، ولا أعرف نوع المداخلة اذا اقتضت الضرورة اليها .

ـ يعني يجوز تحتاج عملية ؟

وكانت أم المريضة تقف الى جانبنا وتسمع ما يدور بيني وبين زوج ابنتها ، فضربت صدرها بكفيها وقالت بجزع :

ـ لا تقول عملية فتح بطن ، ترى هسه تطلع روحي .

وتقدم الزوج مني وقال لي :

ـ دكتور عملية ، عملية اعمل ما تريده .

فقلت له :

ـ أنا لم أقل بعد انها تحتاج الى عملية ، لان حالتها لا بأس بها في هذه الساعة .

وأردت أن أنهي هذا الجدل العقيم فقلت لهما وأنا غير جاد :

ـ سوف أجري العملية الآن .

وما كنت أقصد ذلك ، فأنا أعرف نفسية المريضات وذويهن في مثل هذه الحالات ، فسألني الزوج بقلق وخوف :

ـ دكتور ، قلت ننتظر !

ـ ولم أزل اعتقد ان الانتظار أفضل .

فسألني :

ـ هل اذا انتظرنا في ذلك خطورة ؟

ـ كلا ، ليس في ذلك خطورة .

فتراجع الزوج عن موقفه وقال ولكن بتردد :

ـ إذن ننتظر ؟

ـ وتهيات لاغادر المستشفى فسألتني أم المريضة :

ـ الى أين يا دكتور ؟ وتترك بنتي !

- هي في المستشفى بأيدٍ أمينة تعرف متى تطلبني .
- هذه القابلة دهرية ، باردة يوشكت تطلبك !
- هي القابلة الجيدة ، وأنا أعتمد عليها .

وفيما أنا أدير محرك السيارة لأغادر المستشفى الى بيتي جاءتني القابلة المستعجلة وهي تقول لي :

- أهل المريضة يريدون العملية .

ولم أجبها . وحين درجت السيارة قلت لها بصوت عالٍ :

- كلميني اذا ما تغير نبض الأم أو ضربات قلب الجنين .

ولم تطلبني القابلة على التلفون حتى بزوغ الشمس ، وحين دخلت المستشفى في باكر الصباح أخبرتني القابلة ان المريضة قد وضعت قبيل الفجر وحالتها جيدة ، وهم يتهيأون الآن لمغادرة المستشفى ، وغادروها ومرّوا بغرفتي ولم يكلفوا انفسهم كلمة شكر . هذه من الوجوه السلبية في ممارسة الطب وتقابلها وجوه اخرى مشرقة يكون للمريض فيها أو ذويه دور بارز في اظهار الامتنان والشكر الجزيل لأبسط الخدمات الطبية .

أول مؤلفاتي / ١٩٨٢

طلب مني رئيس جمعية تنظيم الاسرة الدكتور فؤاد غالي ان أتكلم في موضوع تراثي له علاقة بالطب النسوي في يوم يقيمه في الجمعية الطبية التي كان يومئذ يرأسها ، وسألته أن يمهلني بضعة أيام لأختار عنوان الموضوع المناسب ، وقبل أن أصل الى بيتي وصل قراري أن يكون الموضوع الذي طلبه مني عن (الأمراض النسوية في التاريخ القديم واخبارها في العراق الحديث) وهو موضوع تراثي معاصر . ونهضت الى التلفون وطلبت الدكتور فؤاد وأخبرته بالعنوان المذكور الذي اخترته لمحاضرتي ، وقلت له : تستطيع أن تعلن عنه على أن تخبرني بيوم ومكان القائه ، فحدد لي الساعة العاشرة من يوم الجمعة ٤ / ٩ / ١٩٨٢ بالقاعة رقم (١) في الجمعية الطبية العراقية في المنصور ، ولم يكن الحضور كبيراً ، والغريب ان أكثر الحاضرين كانوا من غير الاطباء المختصين بالأمراض النسائية والتوليد . وكانت أمامي أداة التسجيل ، وصرت أرقب من في القاعة وأنا القي محاضرتي فارتحت الى اصغائهم باهتمام وتركيز . وقد لاحظت ان أحد الحاضرين منغمس في الكتابة على ورقة وضعها على محفظة كبيرة أمامه ، وقدّرت انه يتابعني ليكتب بعض

الملاحظات على تلك الورقة . وتقدم مني الدكتور فؤاد وأنا اهيىء نفسي لاغادر منصة المحاضرة بعد الانتهاء منها ، وبيده علبة كبيرة بغلاف من القطيفة بلون أزرق ، ورفع غطاء هذه العلبة ليكشف في داخلها عن صحن فضي فيه رسم يرمز الى اختصاص (جمعية تنظيم الاسرة) . ثم قال كلمة ورد فيها ما يعتاد أن يقال في مثل هذه المناسبة (ان جمعية تنظيم الاسرة ليسرها أن تعبر عن تقديرها للجهود القيمة التي اضطلع بها الاستاذ السامرائي في تدريس فن التوليد وتعضيد جمعية تنظيم الاسرة بالمحاضرات والمقالات في موضوع اختصاصها . وهذه الهدية رمزية تعبيراً عن امتنان الجمعية من الزميلّ الاستاذ كمال السامرائي) . وفي طريقي لمغادرة الجمعية أوقفني عند بابها شاب وهو يقول لي : انه مكلف من دار الجاحظ للنشر أن أطلب منك نص المحاضرة لطبعها بكتيب . فأعطيته الورقة التي كتبت فيها الموضوع . وبعد نحو اربعة أشهر نشر الكتاب في (الموسوعة الصغيرة) بعنوان (الأمراض النسوية في التاريخ القديم واخبارها في العراق الحديث) وكان هذا الكتاب أول مؤلفاتي . وقد استعرضت فيه تاريخ هذا الاختصاص منذ العصور الحجرية حتى انقراض الدولة العباسية سنة ١٦٥٦ هجرية ثم وصول الطب اليوناني والعثماني الى بغداد ، ومن بعد ذلك تأسيس كلية الطب العراقية سنة ١٩٢٧ وانواع المعالجات التي كانت تطبق يومئذ لحالات الأمراض النسائية والولادية .

وقرأت الكتاب بعد طبعه ونشره فاعجبت به وكأنه ليس الكتاب الذي أنا ألّفته ، ودفعني الغرور الى أن أتوسع في مادته العلمية وفي تاريخ تطورها غير ان اعمالي الاخرى نافست اعادة طبع هذا الكتاب موسعاً ، مع الأسف .

عيادة بداري في الصليخ / ١٩٨٢

بعد سنوات من ممارسة الطب تصبح هذه المهنة هواية فضلًا عن انها مصدر معيشة مربحة ، فلا يقوى الطبيب على التخلص منها إلا على حساب ذكرياتها الحلوة التي مرّ بها في ماضيات أيامه السعيدة . فلما اغلق مستشفى السامرائي أعدت فتح عيادة متواضعة في مكتبتي بداري في الصليخ ، وقلّ المراجعون من المرضى بسبب بعد داري عن بغداد ، فشعرت لاول مرة انني اخطأت في عدم تقديري بضرورة حساب المستقبل لأبقى في مستوى معيشتي حين كنت أملك مستشفى السامرائي . وكان الناس يعدونني يومئذ ثرياً بالنظر لفخامة بيتي ونوع سيارتي وكثرة

سفراتي الى خارج العراق ، وفكرت بغلق العيادة ، ولكن حبي لخدمة المريضة جعلني أعدل عن هذه الفكرة وعملت بها مطوّرة فجعلتها يومين في الاسبوع ، واستمرت السلبيات في ممارسة الطب في داري ، فجعلتها يوماً واحداً في الاسبوع بعد أن تعددت عليَّ مضايقات المريضات أو ازواجهن أو أطفالهن ، فقد صاروا يدخلون حديقتي ويعبثون بما فيها من اوراد وأثمار ، وصار ذلك جزءاً لا يتجزأ من مراجعة المرضى لعيادتي . رادوتني فكرة غلق العيادة ، وكان ذلك من أثر حادث أزعجني بشدة . فقد رأيت من خلال نافذة عيادتي المطلة على الحديقة أحد اطفال المرضى يتسلق السياج الذي يفصل حديقة الدار عن نهر دجلة ، خفت عليه أن يسقط ويحدث ما يحدث ، فصحت به مرة فلم يرعو وصرخت به عالياً أن يحذر من السقوط في النهر ، وقد يكون ندائي عليه صارخاً عالياً ولكنه لا يستدعي قط أن يقتحم أبوه باب عيادتي حيث كنت أفحص احدى المريضات ، وهو يقول لي :

- عيب عليك تصيح بالولد ، إحنا دافعين فلوس وليس بالمجان !

وكان ذلك مفاجأة لي لم أتوقعها ، فبهتّ لها ولم أر إلا أن أفهمه انني لم أفعل ذلك إلا لصالح ذلك الطفل ، فقال لي :

- تعال شوفه شلون يبكي بحضن امه .

واضطرني أن أقول له :

- خفت عليه أن يسقط على الأرض أو في النهر ، وكان عليكم أن لا تصطحبوه معكم الى هنا ، يا أخي .

فقال لي وعيناه تقدحان شرراً :

- وين نخليه ، بالطريق ؟

- أنا غير مسؤول يا أخي عن ذلك .

فاستدار وخرج من عيادتي وهو يصيح بزوجته :

- گومي ولچ ، مو لزوم يشوفچ هذا الطبيب ، أكو غيره ، وأحسن منه .

وخرج غاضباً من داري . وفي تلك اللحظة قررت أن أغلق العيادة لأتخلص من مثال هذا الرجل الوقح ، كما اتخلص من مخمن ضريبة الدخل .

مرضت بعد سفرة بهيجة ثم اصابة بالقلاب مرة ثانية ٢٤ / ٢ / ١٩٨٢

سافرت ، أنا وزوجتي وصديقنا أديب جلميران وزوجته لتمضية أيام عيد الاضحى في ربوع الشمال . ورسمنا الخطة أن نصل (منتجع صلاح الدين) بمحافظة اربيل

قبل غروب الشمس . وحين وصلناه كان البرد قارساً . وكان أشعة الشمس قد تكاثفت وفقدت شفافيتها المنعشة ، إلا ان جمال الطبيعة كان يلطف قسوة ذلك الجو الثقيل ، وبخاصه بعد أن اجتزنا الطريق المتعرج الذي يلي اربيل ، وقبل أن نودع متاعنا في فندق هذا المجمع في صلاح الدين توجهنا الى (سرارشت) وهو تل وسيع يشرف على وادى في شرقه وآخر مثله في غربه . وبينما نحن نقطع الطريق بين موقف سيارتنا وسطيحية الفندق اجتذب انتباهي كثرة حشرة تشبه الدعسوقة لولا انها شديدة السواد وليس على ظهرها البقع الحمراء التي تكسبها قدراً من الجمال في تضادد هذين اللونين . ولشكلها بهذين اللونين تحب السيدات أن يعلقن على صدورهن مثيلة لها معمولة من الذهب بلوني هذه الحشرة . وكان سياج السطيحية التي الى جانب مدخل الفندق مغطى بعدد هائل من هذه الحشرة الغريبة ، ولم أر منها إلا القليل جداً على سياج الجانب الثاني من الفندق . وكانت مجاميعها تدب الواحدة منها على ظهر الاخرى بالرغم من وجود أماكن شاغرة على السياج تتسع لجميعها دون ازدحام . وقد صار من تراكمها أن بانت مجاميعهاكتلة سوداء واحدة لا تدل على وجود مثل هذه الحشرات في داخلها إلا حركات بعضها بتململ وكأنها كانت في معركة أو لعبة مثيرة انتهت بتعب أطرافها . وربما كانت تفعل ذلك طلباً للدفء الذي ينبعث من أجسادها ، ودققت بنظري الى واحدة منها فلم أر لها أجنحة ، أو ان اجنحتها دقيقة تختفي تحت درع صلب واق هو الذي يحمل اللون الاسود . وسألت رجلًا كان يقود عنزة وهو يعبر باحة السيارات عن اسم هذه الحشرة ، فابتسم لي بوداعة وأجابني بالكردية باسم لم أفهمه . وفي داخل الفندق سألت نادلًا في صالته عن اسمها فاذا هو الآخر يقول لي انها (ذبان) وهو جواب غير صحيح ومضحك . وحين غادرنا الفندق بعد أن تناولنا الشاي فيه لم أر من تلك الحشرات على سياج سطيحية الفندق إلا عدداً قليلًا ، فلا بد انها غادرت مسرحها الى جحورها ، وأما ما تبقى فقد تكون هي المتضررة بعمليات القتال ، فتأخرت منهن من كانت جريحة أو متعبة . وبينما كنا ندلف الى داخل السيارة واذا بالنادل يتقدم منا مهرولًا وهو يقول لي : انها (بنت السقة) وانه وقت سفادها ، فلم أستغرب حينذاك أن تكون المعركة فيما بينها بتلك الضراوة ، والانثى لا تعطي نفسها إلا بتمنع ودلال وبثمن غالٍ من فحلها .

وكان الغروب في تلك المنطقة ثقيلًا والبرد قد اشتد بحركة الريح على هذا التل فعمدنا الى اغلاق نوافذ السيارة طلباً للدفء في داخلها ، وسرعان ما انسدلت على زجاجها طبقة كثيفة من الضباب ، وغادرنا السيارة بسرعة عند مدخل فندق

صلاح الدين ، وكان داخله دافئاً الى حد ما ، فتسلينا بلعب (الورق) حتى حان وقت العشاء ، وقررنا قبل أن ناوي الى مخادعنا أن نغادر (صلاح الدين) مبكرين في صباح اليوم التالي ، ونتناول فطورنا في اربيل ، وما كدنا نصلها حتى بدأت قطرات المطر تغطي بعض زجاج السيارة الامامي ، أما زجاج ابواب السيارة فلم يبللها المطر ، ورأينا من خلالها قطعان المواشي تخرج من زرائبها ، كما شممنا رائحة التراب الذي أثاره رذاذ ماء المطر . وبعد أن تناولنا فطورنا في أحد مطاعم اربيل المتواضعة يممنا مسيرتنا الى بغداد ، ولم تمض إلا ساعة أو بعضها إلا وأحسست بألم مفاجىء يطرق مقدمة صدري ، وقدرت انه كان يماثل الألم الذي أصابني قبل عام لانقل الى المستشفى مصاباً بمرض القلب ، فاخافني هذا الاحتمال ، وما كدت اصل بيتي حتى طلبت زوجتي الدكتور سالم الدملوجي ، فاوصى بنقلي الى المستشفى الجمهوري ، وأردت أن أنهض من سريري لانحدر من الدرج الى سيارتي فمنعني الدكتور سالم وطلب حملي في كرسي عبر الدرج الى السيارة . وفي السيارة عادت نوبة الالم في صدري . وحين صرت في سريري بالمستشفى الجمهوري حقنني الدكتور إحسان البحراني (بدواء) يدخل دمي قطرة قطرة ، ولا أذكر كم نمت ، واستيقظت لأرى الى جانبي لفيفاً من الاطباء كان منهم سيدة هندية الملامح لم أرها من قبل ، ولكنني حزرت من هيئتها والبشاشة الطافحة على وجهها انها ستكون الممرضة التي اوكل اليها مداراتي وتمريضي . ولم أسألها للتاكد من ذلك بل عددته شيئاً مؤكداً ، وسألتها بالانكليزية بعد أن انفضّ الجمع عني :

- من أنتِ ؟

فأجابتني بالانكليزية وبلهجة تنم عن اصلها الهندي :

- أنا الممرضة المسؤولة عنك يا دكتور واسمي (نيتا) .

وسألتها :

- كم الوقت الآن ؟

ورفعت يدها اليمنى لترى الوقت في ساعة معصمها أي انها كانت تشد ساعتها على معصم يدها اليمنى لا على يدها اليسرى كما هو المعتاد . والمهم من تلك الملاحظة انني احتفظ بوعيي وأستطيع أن أهتم بامور لا علاقة لها بمرضي ، فسألت هذه الممرضة :

- هل هناك أحد من أهلي قريب مني ؟

فأجابتني على الفور :

- كلهم هناك .

- من هم ، كلهم هناك ؟

فأجابتني :

- زوجتك وابنتاك وشابان لا أعرفهما .

وسكت لحظات ثم سألتها :

- هل أستطيع أن أرى أحداً مهم ، زوجتي مثلًا .

فقالت لي باعتذار :

- انها أوامر الطبيب أن لا يدخل اليك أحد منهم .

وسكت قليلًا ثم سألتها كما يسأل الشخص الساذج :

- هل أنا بحال سيئة يا أخت ؟

فأجابتني :

- كلا فأنت بخير لو انك خلدت الى السكينة .

ومرت أيام سبعة عصيبة وأنا في المستشفى ثم غادرتها الى بيتي وفي يدي توصيات صارمة زودني بها الدكتور احسان البحراني مشكوراً .

وقبل أن اغادر المستشفى توافق أمران استسيغ ذكرهما :

الاول منهما ان نوري فتاح (أبو فاروق) هو أحد المعلمين الذين درست عليهم في سامراء أيام صباي . ثم صارت بينه وبين اخوتي علاقة صداقة شديدة ، ومثل ذلك بين أمه وأمي . ولم تفتر تلك العلاقة إلا بعد زواجه من اخت ياسين باشا الهاشمي (من أمه) ثم بعد ذلك صار مدير ضريبة الدخل العام . وبعد أن احيل على التقاعد بمدة اصيب بمرض القلب الحاد فادخل الى مستشفى مدينة الطب ، وحين ادخلت أنا المستشفى كان هو على وشك مغادرة المستشفى ، فزارني في غرفتي ، وعلمت منه انه لم يرتح فى المستشفى وانه يفضل مغادرته ليرتاح في داره ، وحين سألته فيما اذا كان خروجه بموافقة طبيبه (يونس خيرالله) ، أجابني بثقة (على ما يعتقد) :

- انه يشعر بصحة تامة ولا ضرورة لبقائه في المستشفى .

فقلت له :

- ارى يا (استاذي) أن تحصل على اذن من طبيبك فهو أعرف بصحتك منك ، ومرض القلب لا يؤتمن .

فقل لي باعتداد :

- المريض أعرف بصحته من الطبيب .

وغادر المستشفى وبعد اسابيع معدودة توفاه الله .

والأمر الثاني الذي حدث ساعة مغادرتي المستشفى هو ان طبيبي الدكتور

احسان البحراني دخل غرفتي وهو يقول :
- هذه الزيارة لأودعك يا أستاذ كمال .
ولما قلت له :
- أنا عليَّ أن اودعك اليوم بعد أن أرخصتني لمغادرة المستشفى .
فقال وهو يضحك ويخرج ورقة من جيبه ، ويدعها اليَّ وهو يقول :
- اقرأ هذه الورقة . واضاف : كلانا نغادر هذه المستشفى في هذا اليوم ، أنت مختاراً وأنا مضطراً .

وقرأت الورقة واذا هو من ضمن قائمة كبيرة من اطباء كلية الطب ومدينة الطب قد احيلوا على التقاعد . واربعة منهم على الأقل ذوو فائدة لا تعوض في مراكزهم التعليمية وهم الاستاذ خالد ناجي والاستاذ خالد القصاب ، والاستاذان احسان البحراني وزهير البحراني وغير هؤلاء ممن هم في الواقع من الاطباء البارزين في الحقلين التعليمي والتطبيب في كلية الطب ومستشفى المدينة الملحق به .

خبير في المجمع العلمي العراقي / ١٩٨٢

في اليوم الثامن من كانون الأول سنة ١٩٨٢ وصلني كتاب من رئاسة المجمع العلمي العراقي بتوقيع رئيسه الدكتور صالح أحمد العلي يتضمن تعييني خبيراً في لجنة (تاريخ العلوم) في المجمع التي تنعقد صباح كل يوم ثلاثاء من كل اسبوع . وقد جاءني هذا التعيين دون اخطار سابق ، على ان الدكتور صالح كان في مناسبات كثيرة يثني عليَّ وعلى معلوماتي بتاريخ العلوم الطبية ، فلم استغرب حين قرأت ذلك الكتاب انه يرغب أن أكون بكيفية ما في المجمع العلمي . ومنذ الاجتماع الأول للجنة تاريخ العلوم التي حضرتها لمست فيها مجالاً واسعاً استطيع أن أتكلم فيه عما اختزنه من معلومات في تاريخ العلوم الطبية ، كما وجدت متعة وفائدة حين يتكلم غيري في الاختصاصات الاخرى .

وكان يرأس لجنة تاريخ العلوم عادة ، رئيس المجمع الدكتور صالح أحمد العلي ، ومن اعضائها اللواء حاج محمود شيت خطاب واختصاصه في الفتوحات الاسلامية ، والاستاذ طه باقر واختصاصه في التاريخ البابلي والدكتور يوسف حبي واختصاصه في السريانيات ، والاستاذ كوركيس عواد واختصاصه في فهرسة المخطوطات العربية ، والدكتور جابر الشكري واختصاصه في الكيمياء . أما رئيس المجمع فاختصاصه في التاريخ الاسلامي وبشكل خاص العباسي منه .

وفي شهر ايلول من سنة ١٩٨٥ رفع الدكتور صالح مقترحاً لتعيين ثلاثة من الخبراء أعضاء في المجمع ، وكنت واحداً منهم ، فصدر المرسوم الجمهوري بتعيين واحد من الثلاثة فقط . وقد استغربت كثيراً من هذا الاجراء لا لعدم موافقة الدوائر الاعلى التي تبت في تعيين اعضاء المجمع بل لانني حسبت انني ابعدت عن العضوية لسبب ما . فاخطرت رئاسة المجمع بكتاب ضمنته انسحابي من لجنة تاريخ العلوم . وفي اليوم الثاني زارني في بيتي الدكتور صالح ومعه الدكتور عبدالعزيز البسام وكان الدكتور البسام قد التحق تواً بلجنة تاريخ العلوم ، واختصاصه في التربية وعلم النفس ، ورجاني كلاهما أن أعود واحضر جلسات اللجنة ، ولم أر في ذلك بأساً في قبول رجائهم فعدت أحضر جلسات اللجنة كما كنت أفعل سابقاً . وفي سنة ١٩٩٠ رشّح المجلس اربعة خبراء الى عضوية المجمع ، ورفع الترشيح الى الجهات العليا ، فلم نعرف عن اخباره بعد ذلك . وفي سنة ١٩٩٣ اتصل بي رئيس المجمع وفاتحني بقوله :

- اليوم انتهى موضوعك .
- أي موضوع ؟
- عضوية المجمع العلمي .
- شكراً يا أبا محمد .

وانتظرت شهراً واشهراً بعد ذلك فلم يصل المجمع من الجهات الرسمية العليا ما يؤكد ما أخبرني به السيد رئيس المجمع .

دعوة الى اليمن لحضور اجتماع (المجلس العربي) للاختصاصات الطبية / ١٩٨٢

في يوم ٢٤ / ٣ / ١٩٨٢ وصلني الكتاب الآتي :

المجلس العربي (البورد العربي)

الامانة العامة

السيد عميد كلية الطب / جامعة بغداد

تقرر عقد اجتماع الدورة الرابعة للمجلس العلمي لاختصاص التوليد والنسائية في صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية خلال الفترة الواقعة من ٢٧ - ٣٠ ابريل ١٩٨٢ . فيرجى ابلاغ ممثليكم السادة حضور الاجتماع .

الدكتور كمال السامرائى - كلية الطب / جامعة بغداد .

وموافاة السيد الدكتور عبدالملك عبدالله على التلكس رقم ٢٥٢٠ وزارة الصحة / صنعاء بموعد وصول ممثليكم ليتم تامين الاستقبال . ونرفق طياً جدول اعمال المجلس .

دمشق في يوم ١٦ / ٥ / ١٤٠٢ هـ الموافق في ١١ / ٣ / ١٩٨٢

رئيس المجلس العلمي

لاختصاص التوليد والنسائيات

(التوقيع)

الاستاذ الدكتور ابراهيم حقي

(ختم كبير مدوّر)

مجلس وزراء الصحة العرب

جامعة الدول العربية

المجلس العلمي للاختصاصات الطبية

وتهيأت بسرور لحضور ذلك الاجتماع لاهتمامي بانجاح مشروع البورد العربي خاصة وأنا أحد مؤسسيه ، ولامنيتي الشديدة لرؤية القطر اليمني الشقيق أيضاً ، غير ان سطوة الاقدار أقوى من النوايا والتصاميم فقد وقعت طريح الفراش بلا انذار ولا مقدمات فلم أحضر ذلك الاجتماع .

محاضرة تراثية في جمعية اطباء الصدر والقلب العراقية / ١٩٨٢

منذ بضعة اعوام اصبح افتتاح المؤتمرات الطبية في العراق بمحاضرة تراثية لها علاقة باختصاص المؤتمر أمراً مالوفاً . وفي يوم ٢ شباط ١٩٨٨ وصلتني الدعوة الآتية من رئيس جمعية اطباء الصدر والقلب العراقية :

الاستاذ الفاضل الدكتور كمال السامرائي المحترم

تحية واحتراماً

تتشرف اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الأول لجمعية اطباء الصدر والقلب العراقية بدعوتكم للتفضل بالقاء محاضرة المؤتمر (امراض القلب في التراث العربي) وذلك في الساعة ١١ صباحاً من يوم الاثنين ٢٢ شباط ١٩٨٨ ، آملين تشريفكم مؤتمرنا .

رئيس الجمعية

الدكتور ابراهيم طه أحمد

وقد هيأت الجمعية القاعة الكبرى في قاعة المؤتمرات بمجمع مدينة الطب ، وحضرها جمع غفير من المستمعين غالبيتهم من الاطباء كما كان بينهم عدد كبير من طلاب كلية الطب . واستعرضت في مقدمة حديثي عن امراض القلب في التراث ما كان عند اليونانيين من معلومات بهذا الموضوع ، ثم تدرجت في حديثي الى الطب والاطباء المسلمين الذين تناولوا أمراض القلب ، واسهبت الى حد ما في القول عن ابن النفيس ورأيه في الدورة الدموية الصغرى ، واعتقد ان المستمعين قد استهواهم موضوع حديثي وانصتوا اليه باهتمام وكانهم كانوا يتابعون أحداث فيلم سينمائي مثير . وبعد أن أتممت محاضرتي نهض مستمع وهو عضو في المجمع العلمي وشرع يعلق على محاضرتي واطال الكلام عن (اندريا الباكو) الايطالي الذي تابع ما كتبه ابن النفيس في الدورة الدموية في الرئة ، وقد استغربت من مداخلته الطويلة التي لا مناسبة لها في مثل هذا الموقف حتى لو كان تعليقه على صواب . وقد ادرك السامعون ان هذا الزميل أراد أن يفهم السامعين ان له معلومات تراثية في موضوع امراض القلب لا أكثر من ذلك .. أصلحه الله .

مقابلة أحد أصدقاء صباي / ١٩٨٣

في صباح يوم ١٠ / ٥ / ١٩٨٣ طرق باب بيتي رجل في مثل عمري ، ولما صرت أمامه بش بوجهي بتحبب ، ثم ابتسم . كان يرتدي دشداشة ناصعة البياض ، ويعتمر بكوفية بيضاء أيضاً مثبت عليها عقال اسود معتدل الحجم . ولم تكن على كتفه عباءة كما اعتادت طبقة هذا الرجل أن ترتدي فوق الدشداشة . وبادرني يقول :

- عرفتني ؟

- ومرت لحظة اسرعت اراجع ذاكرتي لمعرفة هذا الرجل الذي بدا لي انه يعرفني جيداً بينما أنا لا أعرفه . وفجأة برقت صورة هذا الرجل في مخيلتي يوم كنا صغاراً ، وكدت أصرخ جذلًا بملاقاته . فعانقته بحرارة . كان هذا الرجل يوماً من بين أصدقائي في (دربونة) حارتنا بسامراء ، ودخل معي كتاب (محمد الاملس) ، ثم في المدرسة الابتدائية حتى السنة الثالثة ثم افترقنا حين اضطرتنا الحياة الى سلوك طريقين مختلفين .

- حميّد ؟ يا ألف مرحباً بيك ، كيف انت يا أخي ؟

- الحمد لله .

كان هذا اللقاء عند باب بيتي ، وسحبته الى داخله اكراماً وزيادة في الترحيب

به . وجلسنا في مكتبتي على كرسيين متقاربين نستعيد ذكريات أيام الطفولة ، حين كنا نسبح في نهر دجلة ، أو نطارد الجرابيع بين خرائب العباسيين ، ونزور الاضرحة في ليالي الجمع . استذكرنا كل ذلك بتفصيل ومرح وكأننا عدنا نعيشها في هذه الايام بذلك العمر البهيج .

وحميّد من بيت فقير الحال . كان أبوه يعمل برعي الغنم ، ثم تعلّم تشغيل ماكنات الضخ ، فضربه يوماً حزام الماكنة ، فلما وصلته النجدة كان قد فارق الحياة . تكفل حميّد خاله (على ما أذكر) غير انه لم يستطع أن يكمل دراسته لأسباب مالية اضطرته أن يعمل مع خاله في سوق سامراء .

وسألت ضيفي حميّد :

ـ ماذا تعمل الآن يا حميّد ؟

فأجابني بشيء من الاعتزاز والتبجح .

ـ اشتغل كل شيء والحمد لله .

وشرع يتكلم عن نفسه بسذاجة لا بتباهٍ ، ويتواضع لا بتعالٍ :

ـ انت يا ابن عمي عندك سيارة قيادية (يقصد مارسيدس) وسيارتي قيادية أيضاً ، وعندي سيارة اخرى (تي ـ يو ـ تا) للشغل ، وعندك هذا البيت الله يعمره ، وعندك رصيد بالبنك الله يزيده ، وأنا عندي أكثر من مليوني دينار في البنك ، وعندي مزرعة ، فاي منا أكثر ثراء من الاخر يا ابن عمي ؟ (واستطرد) وأنت اذا تمرضت (لا سامح الله) فيداويك أحد زملائك الاطباء مرة بامتنان ، ومرة بمنّة وأخيراً بملل ، أما أنا فاستطيع أن استدعي الى بيتي أي طبيب في أي وقت من الليل أو النهار ، فيسرع اليَّ حالاً حين يذكر انني ادس في جيبه الدنانير الكثيرة بسخاء .

فقلت له :

ـ ربما تكون أنت على حق يا حميّد ، ومع ذلك فانا لا أرضى أن استبدل مهنة اخرى بمهنتي الطبية ، ولو خلقت من جديد لما اخترت إلا الطريق الذي مشيته لاكون طبيباً ، بالرغم مما لاقيت منها من مصاعب ومضاعفات ، ومواقف مذلّة في بعض الأحيان .

وقد يكون صديقي حميّد فهمني أو لم يفهمني ، ولذلك لم استسغ أن أتلمس طريقاً الى اطالة الكلام معه بهذا الخط ، فقلت له جاداً وعاتباً :

ـ فلنترك هذا الموضوع ، ولتتغد هذا اليوم معي يا حميّد .

فاعتذر يقول :

ـ قصدتك لاراك فقط ، ثم اني ملزم أن أكون في سامراء بعد ساعتين . إذ عندي

نزعة بناء .

فقلت له :

- كما تريد يا عزيزي على أن تجيئني مرة اخرى .

وودعني حميّد وغادر بيتي وأنا أشيعه ، وكاني أشيع جزءاً مني .

حفيدي وليد / لندن ١٩٨٣

في ظهر يوم ١٢ / ٧ / ١٩٨٣ دخلت بيت ابني محمد توفيق في لندن ، ورأيت حفيدي الصغير (٩ سنوات) يرسم على ورقة أمامه فوق طاولة صغيرة وردة طريفة يمسك بها بين أصابعه اليسرى . ووليد نشط وذكي وخصوصاً في الامور اللاصفية ، فهو يلعب الشطرنج بكفاءة ويلعب كرة التنس كما ان له هواية في الرسم ، فقلت له مازحاً :

- هيا ارسمني يا وليد .

واستجاب لطلبي حالاً ، وكانه قد تعمد أن يرسم عند عودتي الى البيت لارى ما يرسم ويغريني أن أطلب منه أن يصوّرني ، فاخذ ورقة وبسطها على لوح الطاولة التي أمامه ، وشرع ينظر بتركيز الى وجهي ، ولا شك انه كان يفعل ذلك للوقوف على ما يتميز به وجهي لينقل صورته الى الورقة . ثم خفض رأسه والقلم بين أصابعه ، وبدأ يرسم ، ورفع رأسه يعيد النظر الى وجهي مفتشاً ولا شك عن علامة بارزة فيه ، وعاد يرسم على الورقة ، ولما رأيته جاداً خضعت لنظراته واستسلمت لها دون حراك أو رمشة عين ، ومرة ومرتين قال لي :

- جدّو ، أرجوك لا تتحرك ، ولا تضحك .

قال ذلك بالانكليزية التي يجيدها أكثر مما يجيد اللغة العربية ، فاضافت عليه هذه اللغة مزيداً من سيماء الجد والعزم . وكدت أقول له كفى يا وليد ، اريد أن أرى ما رسمته ، غير انه سبقني ودفع الورقة أمامي ، وفي النظرة الاولى اليها دهشت لملاحظاته القوية في تسجيل أبرز معالم وجهي ، وهي أنفي الكبير والتجعدات التي الى جانبيه ، وعيناي اللتان بدتا صغيرتان بالنسبة لاطار العوينات التي يحملها أنفي . وهذه ملاحظات فطرية في حفيدي وليد .

ولما عرضت ما رسمه وليد على أمه (وفاء) ، احتضنته وقبلته بحرارة وهي تقول له :

- أنت عظيم يا حبيبي ، فارسم وجهي لارى كيف تفعل ذلك .

فامتنع قائلًا :
- لا يا ماما لا أريد أن أرسم وجهك .
والحّت عليه أمه :
- أرجوك .
- لا يا ماما .
- أرجوك وأنا أحبك وأنت تحبني .
وأخيراً استجاب لطلبها ، وشرع يرسم وجهها ، وأنا اراقب نظراته اليها . وأمه عذبة الوجه ، سبطة الشعر ، غير ان وليد رسمها وكأنها حيوان مفترس وقد انتفش شعره وجحظت عيناه استعداداً للانقضاض على فريسة صغيرة ضعيفة ، وهذه الصورة هي أمه حين تغضب على ولديها كمال ووليد ، وكثيراً ما تغضب على هذا الصغير دون مبرر ، ولما رأت أمه صورة وجهها كما رسمه وليد ثارت عليه بغضب :
- ما هذا يا وليد ، هذه ليست صورتي يا شقي !
- ماما هذه صورتك ، أنت لا ترين نفسك كما أراها ، وهي هذه الصورة نفسها .
وضحكنا أنا ووليد وأمه .
ووليد على صغر سنه كثير المزاح مع أخيه الكبير كمال ، وكثيراً ما يكايده ويتغلب عليه . وقلت لوليد ارسم اخاك كمال . وبدا لي انه وجد في هذا الطلب فرصة لإغاظة أخيه ، والانتقام منه ، وبدأ يرسمه دون أن ينظر الى وجهه ، بل كان يفعل ذلك من حافظته الباصرة . وأتم الصورة ودفعها الى كمال وهرب راكضاً الى الحديقة وتسلق احدى اشجارها ، واخذت الصورة من يد كمال لاراها فاذا هي صورة كلب طويل الذيل والاذنين . وأخذ كمال هذه الصورة ونظر اليها ثم مزقها بحنق وخرج متعجلًا الى الحديقة حيث كان وليد في أعالي احدى اشجارها .
أما صورة وجهي التي رسمها وليد فلم أمزقها ، بل احتفظت بها واشتريت لها في اليوم التالي اطاراً جميلًا وحملتها معي الى بغداد ، وهي الآن تحتل أحد رفوف مكتبتي ، فقد كانت في بعض خطوطها معبّرة أصدق تعبير عن معالم وجهي وبعض من اخلاقي .

دورة في تاريخ الطب بلندن / ١٩٨٣

علمت من الاستاذ (بل ماكريكر) ان ثمة دورة في كلية الطب (ويست منستر) في تاريخ الطب لمدة ستة أشهر للحصول على شهادة دبلوم في هذا

الاختصاص ، فطلبت منه أن يحصل لي على عنوان من يستطيع أن يفيدني بهذا الأمر . وفي اليوم التالي اتصل بي بل ماكريكر واخبرني ان الدورة تقام في كلية الطب (ويست منستر) بلندن فيما بين الثامن والعشرين من تشرين الأول والسابع عشر من مايس من كل سنة ، وان مدير هذه الدورة هو الاستاذ (سلوين) وتلفون مكتبه هو ٦٢٨٩١١١ .

وشكرت صديقي (بل) على هذه المعلومات واتصلت حالًا بدائرة هذه الدورة تلفونياً ، وسمعت صوتاً ناعماً يردّ عليَّ عرفت انه من سكرتيرة مكتب هذه الدورة ، فسألتها :

ـ هل أستطيع مكالمة الاستاذ (سلوين) يا آنسة ؟

فأجابتني :

ـ استطيع أن أفيدك ، في أي شأن تريده منه ، يا سيدي ؟

ـ أنا من العراق وارغب في الالتحاق بدورة تاريخ العلوم .

ـ سأبعث اليك استمارة تملها ، فما هو عنوانك يا سيدي ؟

نقلت لها : عنواني : (ومبلدين ، هوم پارك رود ٨٧٨ ايس ويست لندن ١٩) ، واضفت : ولكني اريد أن استعلم من الاستاذ سلوين عن بعض امور خاصة لا أظنها موجودة في الاستمارة .

فقالت لي :

ـ مثل أي شيء يا سيدي ؟

ـ أنا من العراق ولا استطيع أن أبقى في لندن ستة أشهر متواصلة ، فهل ثمة طريقة أن أحصل على محاضرات الدورة بالمراسلة ثم احضر الامتحان في لندن ؟

فأجابتني حالًا :

ـ هذا ما لا أعرفه ، وسأوصلك بالاستاذ سلوين .

وفي لحظات سمعت صوت هذا الاستاذ يقول لي :

ـ تفضل ، سلوين يتكلم معك .

فقلت له :

ـ أنا يا سيدي من العراق ، فهل أستطيع الانضمام الى دورة تاريخ العلوم بالمراسلة ، وأنا بالمناسبة اقترب من عمر السبعين .

وسمعته يسأل بشيء من الاستغراب :

ـ عمرك يقرب من السبعين ، هذا أمر يفرحني أن أرى من بين المنتمين الى هذه الدورة من بهذا العمر ، والعمر باي حال ليس من ضوابط طلبة هذه الدورة ، وستصلك

اليوم أو غداً معلومات كافية عن نظامها .

ووصلني ملف بريدي في صباح اليوم الثاني ، وقرأته بامعان وكان من بنوده دفع مائة وعشرة پاونات عند التسجيل . وورقة في هذا الملف في منهج الدروس ومواد مواضيعه ، فاذا هي في أكثرها تخص العلوم في العصور الوسطى وتركيز خاص على الطب في العهود الاسلامية . كما كان من المحاضرين فيه كبار اساتذة تاريخ العلوم ، كان منهم الاستاذ بدّس (ريدنك) والاستاذ سلوين (ويست منستر كولج) كما كان من بينهم (غادة الكرمي) التراثية المعروفة في معهد (ويلكم ـ لندن) ، وهذا مما زاد في أسفي على عدم استطاعتي الالتحاق بهذه الدورة المفيدة .

وعدت الى بغداد وعيني تنظر الى وراء فما كان بالامكان أن ألتحق بتلك الدورة التراثية في تاريخ العلوم .

ابو طوبية / ١٩٨٣

وحدث لي في طريق عودتي الى بغداد ما لا أريد أن أنساه ، كما اني اريد أن يعرفه أهلي وأولادي ، فقد كنت يومئذ (ولا فخر) من مشاهير الاطباء النسويين في العراق إن لم أكن في مقدمتهم ، حتى صار اسمي (كما أعتقد) مرادفاً أو مقروناً باسم هذا الاختصاص ، فلا امرأة في العراق أو بالاقل في بغداد لم تسمع باسمي ، غير اني اكتشفت فجاة وأنا على متن الطائرة العراقية الى بغداد ، انني كنت على خطا ، وفي ما يلي قصة ذلك :

حين استقررت في كرسيي في الطائرة العراقية لتحملني الى بغداد ، تقدمت مني احدى مضيفات الطائرة وهي تحمل طبقاً فيه بعض الحلوى لآخذ واحدة منها ، وهذا أمر مألوف في جميع طائرات الخطوط الجوية العالمية ، وقالت لي تلك المضيفة وهي تدفع ذلك الطبق أمامي :

ـ تفضل حجي .

فتناولت واحدة مما في الطبق وأنا أقول لها :

ـ شكراً يا آنسة ، ولكنني لست (حجّي) .

فقالت لي تصلح الخطا الذي وقعت فيه كما ظنت :

ـ نصراني ؟

وأردت أن أهزل معها فاجبتها :

ـ نعم ، أنا نصراني .

فقالت :

ـ ماكو فرق مسلم أو نصراني !

وغادرتني الى راكب آخر في الطائرة لتقدم له طبق الحلوى . وبعد أن أكملت مرورها على جميع راكبي الطائرة عادت اليَّ وهي تقول لي والابتسامة تعمّ وجهها :

ـ أنا عرفتك ، أنت أبو طوبية . (وأردفت تسألني) كيفك عمي أبو طوبية ؟

فأجبتها وأنا اختنق ضحكاً في صدري :

ـ الحمد لله ، وأنت وأهلك يا آنسة ؟

ـ زينين يا عمي أبو طوبية .

وبعد أربع ساعات تقريباً حطت الطائرة على مطار صدام الدولي . ومن اكرام مضيفات الطائرة أن يقفن عند مخرج الطائرة لتوديع راكبيها ، وكانت تلك المضيفة إحداهن . فقالت لي :

ـ عمي ليش تقشمرني ؟

فسألتها :

ـ كيف قشمرتك ؟

فأجابتني وهي تمد يدها تشير بها الى مضيفة اخرى :

ـ نجلة (وهذا هو اسم تلك المضيفة الاخرى) تقول انت دكتور كمال السامرائي .

فقلت :

ـ نجلة غلطانة ، وأنتِ تعرفيني أكثر منها .

فأجابتني وهي ما زالت تعتقد انني أبو طوبية :

ـ قلت لها ، أنا أعرفه وهو في محلتنا بالسنك ، وهو نفسه قال لي انه أبو طوبية .

وانصرفت عن هذه المضيفة (الذكية) لأنحدر على سلم الطائرة الى ارض مطار صدام الدولي في بغداد الحبيبة ، وأنا أقول لنفسي :

ـ أنا لست معروفاً بين نساء بغداد بالقدر الذي كنت أتصوره !

من مؤلفاتي .. كتاب مختصر تاريخ الطب العربي / ١٩٨٤ ، ١٩٨٥

منذ بدأت أميل الى البحث في تأريخ الطب اكتشفت ان في المصادر القديمة بهذا الموضوع نقوصاً وخللاً، كما ان في بعضها نقل عن بعض دون زيادة أو نقص ، وتظهر هذه المعابة بشكل ممجوج فيما أخذه ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء

في طبقات الاطباء عن كتاب الاطباء والحكماء لابن جلجل الاندلسي وكتاب تاريخ الحكماء لابن القفطي . ومثل ذلك من السرقات في المؤلفات المعاصرة الاربعة وهي لشوكت الشطي ، والماحي التجاني ، واحمد عيسى . وللحقيقة فان ما كتبه المستشرقون في تاريخ الطب العربي لم يكن يرضيني وأسف لهذا السبب في انني لا أستطيع قراءة ما كتبوه بغير اللغة العربية .. ومن أجل كل ذلك فقد فكرت في سنة ١٩٨٢ أن أضع كتاباً باسم تاريخ الطب العربي يخلو من النقود التي ذكرتها آنفاً ، فلما وضعت مخطط مضامين الكتاب بتفصيل وجدت انه سيكون ضخماً ، فتجنبت هذه الاطالة وحصرت مادته في اقسامه المهمة باسم (مختصر كتاب تاريخ الطب العربي) بجزئين ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٩٨٤ ، والجزء الثاني في سنة ١٩٨٥ . ويوماً سألني الاستاذ كوركيس عواد قائلاً : (هذا هو المختصر فكيف يكون المطوّل ؟) فأجبته على الفور : بخمسة اجزاء على الأقل . وباعته دائرة الدار الوطنية للتوزيع والنشر بخمسة دنانير .

ووجدت في الكتاب بعد نشره كثيراً من الاخطاء الطباعية والتاريخية والتبويبية ، وهي عيوب قد يفوت على غير المتخصصين اكتشافها . وذات يوم زارني شخص لبناني باسم (ابي عماد) وعرفت منه انه ذو أذرع اخطبوطية في كثير من المصالح التجارية منها دار نشر باسم (دار النضال) واقترح عليَّ اعادة طبع كتابي (مختصر تاريخ الطب العربي) ، ورأيت الفرصة مواتية لاضافة بعض ما فاتني ادخاله في الطبعة الاولى . وقد سيطر عليَّ ابو عماد بهيئته المحترمة ولباقته في التحدث اليَّ فلم أطلب منه عقداً لطبع هذا الكتاب وأخبرت ابن أخي ثامر أن يتابع موضوعه ومردوده المادي هدية مني لزوجته سلمى التي هي ابنت أخي مجيد . وبعد أكثر من عام ظهر الكتاب بجزئين انيقين ، على ما قيل لي ، بل الذي عرفته كان من ابني محمد الذي قال لي تلفونياً ان الكتاب يباع في (مكتبة الساقي) بلندن باثنا عشر ديناراً للجزئين ، وبعد أكثر من ثلاثة أشهر اخرى وصلتني من الكتاب دورة واحدة ، أي الجزءان منه ، وقرأت على اولى صفحاته عبارة (الطبعة الاولى) وتحتها عبارة (اعادة طبع الكتاب حق محفوظ لدار النضال) ، ولم يكن ذلك من اتفاقي معه فكتبت اليه عن ذلك وطلبت منه أن يبعث لي بضع دورات من الكتاب ، فلم أحصل منه على جواب . وعرفت مؤخراً انه اصيب بالفالج وانه انقطع عن العمل من أي نوع بسبب هذا المرض ، شفاه الله .

الدكتور صائب شوكت في ذمة الخلود / ١٩٨٤

اتصل بي تلفونياً الدكتور نزار المفتي مساء يوم ١٥ / ٢ / ١٩٨٤ ، يطلب مني أن أكتب كلمة للمجلة الطبية العراقية بمناسبة وفاة الاستاذ صائب شوكة في اليوم الثالث عشر من شهر شباط ١٩٨٤ فبعثت اليه بما ياتي :

في ظلمة الليل من يوم الثالث عشر من شهر شباط الحالي انتقل الى رحاب الآخرة الدكتور صائب شوكت عن عمر يناهز السادسة والثمانين ، وبوفاته انطوت آخر صفحة من تاريخ كلية طب بغداد القديمة ، واختفى آخر من شارك في تأسيسها .

ولد الفقيد في بغداد سنة ١٨٩٨ وتخرج في مدارسها الاولى وهو بعمر السادسة عشرة . وانتقل الى استانبول ودرس الطب في معاهدها ثم أكمل تحصيله العالي بدرجة دكتوراه في برلين ، وكانت اطروحته في موضوع (حصاة الكلية) وبعدها عاد الى بغداد . وكانت ثورة العشرين (١٩٢٠) قد تاججت نيرانها يومذاك ، وهي التي فتحت بصيرته على بغض المستعمرين ، وبقي على هذا المعتقد حتى اواخر عمره .

وفي شهر شباط سنة ١٩٢٢ عين جراحاً في المستشفى العام الجديد N.G.H الذي استحدثته قوات الاحتلال خصيصاً للهنود الملحقين بالجيش البريطاني . وفي سنة ١٩٢٣ انتقل بالاختصاص نفسه الى المستشفى الذي عرف يومئذ بمستشفى (المجيدية) وهو نفسه الذي اطلق عليه اسم المستشفى الملكي ثم المستشفى الجمهوري بعد ذلك ولتفشي الأمراض في العراق راودته فكرة تأسيس كلية في بغداد لتعليم الطب . وفي ما بين السنة ١٩٢٥ والسنة ١٩٢٧ كانت حركة صاخبة في الصحف المحلية وفي جلسات المجلس النيابي حول هذا الموضوع . وكان صوت الدكتور صائب من أعلى الأصوات في تلك المعمعة . وأخيراً قرت عيناه بافتتاح الكلية يوم العاشر من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٧ ، وصار فيها استاذ الجراحة السريرية وشغل منصب العمادة فيها مرتين فضلاً عن اعماله في التعليم لطلاب الكلية والتطبيب الجراحي بالمستشفى التعليمي الملحق بالكلية . وكانت له اثناء خدماته وفي وظائف الدولة مبادرات كثيرة في مجال التعليم والادارة . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : تاسيس معمل لتصنيع محاليل الزرق الذي لا تستغني عنه حالات المرضى وخصوصاً بعد العمليات الجراحية واثناءها وتأسيس معمل لتصنيع الحليب (المبستر) لمرضى المستشفى وبخاصة الاطفال منهم .

ويوم تسلم الدكتور صائب ادارة المستشفى التعليمي وادرك تكاثر المرضى

الذين يحتاجون الى العلاج فيه ، وقلة الاسرّة المتوفرة في ردهاته ، وسّع الردهات الاثنتي عشرة وانشأ فيها مرافق صحية كاملة ، كما ستر شبابيك الكريدور الطويل جداً الذي تنفذ اليه الردهات المذكورة . وكان المرضى قبل ذلك يقاسون من البرد بقدر ما يعمل بهم المرض . كما شيّد اربع ردهات بطابقين وبكامل التوابع الضرورية لراحة المرضى ومعالجتهم . والحق بهذه الردهات الاربع صالة عمليات كبرى بثلاث قاعات وزودها باحدث الآلات والادوات المعروفة ، آنذاك . كما وسع صالة العمليات الكبرى الملحقة بالردهات القديمة .

والفقيد هو الذي استحدث نظام الاقامة للمتخرجين الاحداث في كلية الطب تقدم فوائد كثيرة للمرضى الراقدين في ردهات المستشفى وللاطباء العاملين فيها وهو أيضاً الوحيد من الاطباء الذي شارك في مقررات المجلس التأسيسي لجامعة بغداد سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ وكان موقفه في حماية مصالح كلية الطب واضحاً وصارماً . وأخيراً وليس آخراً فان له الفضل الاكبر في تاسيس مدينة الطب ، وهو أيضاً الذي أطلق عليها هذا الاسم منذ كانت ما تزال مجرد خرائط ومواصفات على ورق .

وفي مجال ما يقال عن ذات الفقيد ، فقد كان كريم الخلق ، متواضع التعامل ، ومتساهلًا عند الخصام في الامور العامة ورحيماً بالمرضى ، ومحباً لطلاب الكلية ، وودوداً مع الزملاء ، ومن الانصاف بحق الفقيد أن نذكر له مثوبة كبرى في الميدان السياسي ، فقد ابعدته السلطات الغاشمة يومئذ لعقيدته الصلبة بحقوق الوطن بعد ثورة سنة ١٩٤١ فاستقر في استانبول مدى اربع سنوات متوالية عاد بعدها الى بغداد وهو أكثر ايماناً واخلاصاً لمتطلبات الوطن والمواطنين .

رحم الله الدكتور صائب . فقد فَقدَ الطب في العراق رائداً كبيراً في الطب وتعليمه وتطبيقه والفخر له بأي حال على ما انجبت كلية طب بغداد من الاطباء والافكار الطبية .

نتضرع الى الله أن يسكن الفقيد فسيح جناته ويتغمده برحمته وغفرانه ، ويلهم ذويه وتلامذته وزملائه وأصحابه الصبر الجميل . انا لله وانا اليه راجعون .

كمال السامرائي

الآنسة جولندا / لندن ١٩٨٤

اعتادت زوجة ابني في لندن أن تستخدم فتاة لتساعدها في أعمال البيت ومداراة طفليها . والحصول على مثل هذه الفتاة ميسور في لندن اذا لم يدخل الأجر العالي في الحساب . وحين وصلت الى لندن كان في بيت ابني فتاة اسبانية في

مطلع العقد الثالث من عمرها ، اسمها جولندا ، وهي متوسطة القامة ، نحيفة الخصر ، حنطية اللون بملاحة ، وبعينين جهراوين جذابتين وراء عوينتين واسعتين تناسبان وجهها الوسيع . أما شعرها فأسود فاحم ينبسط ويغطي اذنيها إلا القرط الغجري الشكل . وسألتها عندما رأيتها أول يوم :

- جولندا ، هل هذا اسمك أم اسم عائلتك ؟

- هذا اسمي ، وأهلي وأصدقائي يسمونني (جولي) تدليعاً .

- وأنتِ ماذا تحبين أن نسميك ؟

فأجابتني :

- عرفت ان (جولي) بالانكليزية معناه (الظريف) ولذلك صرت افضله على اسمي الأول .

وسألتها :

- من أي بلد أنت يا جولي ؟

- من ليون .

فقلت لها :

- ليون في فرنسا ، أليس كذلك ؟

- ليون التي اسكن فيها في اسبانيا ، وقد تكون ليون اخرى في فرنسا .

وانتبهت الى انها تجيد النطق بالانكليزية فسألتها :

- أين تعلمت الانكليزية ؟

- درستها في المدرسة بليون ، وتحسنت لغتي بها في انكلترا .

- درست في انكلترا .

- كلا ، أنا اجيء الى لندن في كل صيف لأشتغل . (واضافت) :

- هنا في لندن (دير) له مكاتب في كثير من المدن الاسبانية واتصالات بريدية يعلن فيها عن استعداده لايجاد عمل للفتيات اللاتي يقصدن لندن ، وبهذه الطريقة وجدت عملي في هذا البيت .

وسألتها :

- ألا يزعجك أن أتكلم في هويتك ؟

فأجابتني :

- لا ، أبداً طالما الحديث باللغة الانكليزية التي اريد أن اتقنها .

- فمن هم عائلتك يا جولي ؟

- أنا من عائلة فلاحية ، تعمل في زراعة الخضر ، وأنا البنت الوحيدة بين أخي

الكبير وأخي الصغير .

فقلت لها دون غاية غير تمليح الحديث :

ـ اذن انت في الوسط بين أخوين .

فقالت :

ـ أنا أكره أن أكون في الوسط بين أفراد العائلة ، افضل أن أكون الأولى أو الأخيرة ، وأي منهما هو المدلل أكثر من غيره ؟

وضحكت ..

ـ وهل حالتكم المالية جيدة ؟

ـ لنا مزرعة وبيت صغير على أطراف (ليون) ولنا سيارة (بيجو) لأغراض الحقل وتسويق محاصيل الزراعة .

ـ هل أحببت لندن يا جولي ؟

وفكرت قليلًا وأجابتني :

ـ أفضّل المدن الصغيرة . (ثم اضافت) ان كبار العمر من الانكليز طيبون ويساعدون الغريب باخلاص وبلا غاية .

وسكتت ، فاثرتها الى الكلام ، فسألتها :

ـ والشباب من الانكليز ؟

ـ هؤلاء يكثرون من المزاح ، ويقحمون أنفسهم دون استئذان بما لا يعنيهم ، ويحبون الرقص في غير وقته وفي غير مكانه .

فسألتها :

ـ ألا تحبين الرقص ؟

ـ لا أحبه مع الشاب النزق .

وتشعب الحديث بيننا فجاء بعضه تلقائياً ، أو كنت أثيره أنا متعمداً ، وكنت أنا متحفظاً لولا انها كانت صريحة جعلتني استمتع بما أسمعه منها ، فأطلب المزيد .

ـ هل عائلتك متدينة يا جولي ؟

ـ نحن متدينون ولا تفوتنا الصلاة في الكنيسة في أيام الأحد .

وكانت جولي تدخن سيكارة الروثمان بكثرة ، فأشرت الى ضرر هذه العادة ، فقالت :

ـ روبرتو يدخن وربما هو الذي أوقعني في هذه العادة .

وسألتها :

ـ ومن هو روبرتو ؟

فاجابتني :

ـ هو صديقي في ليون .

وسألتها وأنا أهدف الى جواب معين :

ـ ما هو مفهوم الصديق عندكم في اسبانيا ؟

فاجابتني بصراحة كما لو انها تتحدث عما تحبه من الماكل أو الملبس :

ـ الصديق هو الذي لا يشاكسني ولا يستبد برأيه وغير أناني ، وهو من يستطيع اجتذابي اليه بهذه الصفات .

وسألتها :

ـ وما هو مجال صداقتكم يا جولي ، لو تسمحين لي أن أعرفه ؟

ـ التنزه بين المزارع والسباحة في البحر ، والسفر للمتعة .

ولم أكتف بهذا الجواب ، فقد أردت أن أعرف عن العلاقة الجسدية بين الشاب والشابة في مثل عمرها باسبانيا ، فسألتها :

ـ هل تهدفين الى الزواج بروبرتو ؟

فاجابتني باقتضاب وهي تلوي شفتيها وتحول رأسها عني :

ـ لا أدري !

ـ وهو ؟

ـ لم يبحث معي هذا الموضوع ، وكلانا مكتفون بما نكسب من المتعة بهذه الصداقة .

وأردت أن أعرف أكثر من هذا الجواب فسألتها :

ـ أية متعة تقصدينها ؟

فقالت لي باستخفاف :

ـ لا تكن أبلهاً يا دكتور سامرائي ، ألا تعرف نوع المتعة التي تكون بين شاب وشابة في مثل عمرينا ؟

وصدقت فقد كنت أبلهاً بعد أن عرفت قدر صراحتها المكشوفة معي ، ومع ذلك سألتها :

ـ ألا يمانع أبواك خروجك مع صديقك روبرتو ؟

ـ أمي لا تعارض ، إلا اذا مكثت معه ليلة خارج البيت .

ما هذه الصراحة ، أم ان هذه الفتاة ساقطة ، أم ان لكل بلد عاهة في الخلق ، أو انها عادة سادرة في الطبع . وقد اقترب من جواب شاف اذا سألتها عما اذا كان لها صديق منافس لروبرتو في لندن ، فاجابتني على الفور :

ـ أغواني شاب وأنا في طريقي الى قرية (ويمبلدين) أو اغرتني سيارته (السبورت) الجميلة فصعدت الى جانبه . وكانت لغته الانكليزية صعبة عليَّ فهمها ، كما أخافتني سياقته السريعة حين قادها الى طريق بين المروج التي تحيط بويمبلدين فكان كل من خوفي والاستمتاع بطبيعة الطريق يحتاج الى فكر وقلب ، فطلبت منه العودة الى حيث التقى بي ، فضحك وأراد أن يعبث بأصابعه بشعر رأسي ، فصحت به أن لا يفعل ذلك ، فاغتاظ وعاد أدراجه بغضب ، وهكذا تخلصت منه . (ثم قالت) وسوف أقص هذه الحكاية لروبرتو حين أصل ليون لنضحك .

محاولة للمعالجة خارج العراق / ١٩٨٤

منذ بداية سنة ١٩٨٤ صارت تنتابني أوجاع في أسفل ظهري مع عسر في الحركة .. وكان السفر الى خارج العراق يومئذ محذوراً إلا بعذر مشروع . فزودني طبيبي الدكتور سنان حسن مكي العزاوي بالتقرير الآتي :

الاستاذ الدكتور كمال السامرائي مصاب بتكلّس شديد في الفقرات القطنية مع ضغط الاعصاب المحيطة وتضيّق في القناة الشوكية . يحتاج الى علاج مركّز في معهد جراحي متخصص .

التوقيع

سنان مكي خماس

بغداد ١٥ / ٥ / ١٩٨٤

وقدمت هذا التقرير الى وزارة الصحة ، فأحال السيد الوزير طلبي الى هيئة اللجان الطبية برئاسة الدكتور صادق الراعي . وقصدت هذه الدائرة صباح يوم ١٧ / ٦ / ١٩٨٤ وأنا أعتقد ان طلبي مشروع وله مبررات ، والسفر على حسابي لا على حساب الدولة . ودخلت غرفة اللجنة وكان قوامها أربعة أعضاء فضلاً عن رئيس اللجنة الدكتور صادق الراعي ، وسألني هذا عن شكواي ومدتها ، ولم يفحصني بأي نوع من الفحوص قط . وغادرت اللجنة الى غرفة مدير هذه اللجنة السيد محمد البدري في انتظار تقريرها عني ، فاذا هي تحيلني الى (مركز التأهيل الصحي والعلاج الطبيعي) لتستطلع رأيها في طلبي ومدى حاجتي الى العلاج خارج العراق ، ولم أر في هذه الاحالة غضاضة رغم انني اعرف ان تلك الاحالة لا ضرورة لها بوجود تقرير طبيبي المعالج الدكتور سنان مكي العزاوي . وحملت ورقة الاحالة الى المركز المذكور ، وفحصتني لجنة في هذا المركز وزودتني بالتقرير الآتي :

الى وزارة الصحة / قسم اللجان الطبية في الرصافة

م / بيان رأي

كتابكم المرقم ٤٦٥ في ١٦ / ٦ / ١٩٨٤

اجتمعت اللجنة الطبية الخاصة في مركزنا لفحص الدكتور كمال السامرائي فوجد ما يلي :

مصاب بالتهابات مفصلية عظمية مزمنة في الفقرات العنقية والصدرية والقطنية مع تضرر غضروفي قطني . سبق له أن عولج بالوسائل الطبيعية داخل القطر لفترة طويلة بدون تحسن ملموس . ترى اللجنة سفره خارج القطر لغرض العلاج الطبيعي المركز والمعالجات بالمياه المعدنية . للتفضل بالاطلاع مع التقدير .

ع . مدير مركز التأهيل الطبي والعلاج الطبيعي

الدكتور نوري مصطفى بهجت

وحملت هذا التقرير الى لجنة الدكتور الراعي . واستغربت أشد الاستغراب حين سمعت الراعي يقول وهو يأخذ التقرير من يدي أمام أعضاء اللجنة ، وبطريقة انتقادية توحي مقدماً بعدم اعتماده على مضمون التقرير ، وبشيء من الاستهزاء : (جئت بهذا الكتاب بسرعة عصر الذرة) فلم أرتح لهذه العبارة وعدت الى غرفة محمد البدري في انتظار تقرير اللجنة ، فاذا فيه أشد ما يكون من الغرابة ، وهذا هو نصه :

العدد ٧٩٦

التاريخ ١٧ / ٦ / ١٩٨٤

الى وزارة الصحة / القسم الخاص

اشارة الى كتابكم رقم ٦٧٧١ وتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٨٤ اجتمعت اللجنة بتاريخ ١٦ / ٦ / ١٩٨٤ وفحصت (السيد) كمال السامرائي فوجدته مصاباً بألم الظهر والاطراف السفلى . يعاد فحصه لتقييم حالته المرضية بعد شهرين .

رئيس اللجنة

د. صادق الراعي

ما أغرب هذا القرار ، فاذا كانت لجنة الراعي لا تعتمد على رأي لجنة مركز التأهيل الصحي فلماذا أحالتني اليها ؟ ثم أي علاج اقترحته لجنة الدكتور الراعي لاعادة فحصي بعد شهرين ؟.. لقد آلمني قرار اللجنة خاصة واني قد بلغت من العمر سبعين سنة ، وان جميع اعضاء اللجنة من تلامذتي باستثناء الدكتور الراعي فهو من خريجي كليات الدول الشيوعية في اوربا الشرقية . نعم في رأيي أن تتجاوز اللجنة

لخاطري كل التعليمات في قيود السفر الى الخارج حتى لو كان في طلبي تحايل طالما ليس فيه ضرر لاي طرف من أطراف هذا الموضوع ، أو على الاقل أن يعدني الراعي كأي مواطن يحمل مبرراً مشروعاً للسفر . وانتظرت صباح اليوم التالي بنفاد صبر وقدمت اعتراضاً على قرار لجنة الراعي الى اللجنة الاستئنافية في مستشفى اليرموك فزودتني بتقرير طعنت فيه قرار لجنة (الراعي) أولًا لعدم اعتمادها على لجنة التأهيل الصحي وثانياً لعدم الفائدة من اعادة فحصي بعد شهرين دون علاج .

وسافرت الى لندن بعد يومين وفي صدري غضاضة على تصرف الدكتور الراعي ومن أولاه رئاسة هذه اللجنة . وأقول صادقاً لو كان الدكتور الراعي قد تصرف بسلوك طبي وبعلم ومنطق ، لما آلمني ذلك بل لاضمرت له كل تقدير .

في هيئة الاذاعة البريطانية

في الساعة العاشرة من يوم ١٤ / ٨ / ١٩٨٤ بينما كنت في صالون (رولاند هاوس) بلندن طُلبت الى التلفون ، وسمعت مَن قال لي :

ـ أنا ابراهيم عويس مدير القسم الشرقي بهيئة الاذاعة البريطانية ، وصلتنا نسخة من الجزء الأول من كتابكم (مختصر تأريخ الطب العربي) وحبذا لو تشرفونا لنسجل معكم مقابلة عما يتضمنه هذا الكتاب .

فأجبته على الفور :

ـ لا مانع عندي ، وأنا مسرور بهذه الدعوة .

ـ هل نجعلها يوم الاثنين في الساعة السادسة مساءً ؟

ـ فليكن ، ولكني لا أعرف كيف أصل الى دائرتكم ؟

ـ الدائرة في (بوش هاوس) وستصلكم سيارة في الساعة الخامسة والنصف لتحملكم الينا .

وبعد أن أقفلت التلفون ، طرق بالي فيما اذا كان ذلك يجب أن يكون بعلم سفير جمهوريتنا (العراقية) بلندن ، فأدرت قرص التلفون لأكلم السيد السفير ، وجاء صوت ناعم باللغة العربية :

ـ السفارة العراقية ، تفضلوا .

ـ رجاء اريد أن أكلم السيد السفير لو تسمحين .

ـ مَن يتكلم رجاءً ؟

ـ كمال السامرائي .

وتوقف كلام السيدة قليلًا ثم سألتني تستعلم :

ـ دكتور كمال السامرائي ؟

ـ نعم ، أنا دكتور كمال السامرائي .

ـ لحظة رجاءً .

وجاءني صوت السفير السيد وهبي القرهغولي . ودخلت معه بموضوع الطلب الذي وصلني من هيئة الاذاعة البريطانية ، فأجابني على الفور يقول :

ـ لي علم بذلك ، وقد أخذوا عنوانك من سفارتنا .

ـ طيب ، أجيب طلبهم أم لا ؟

ـ لا مانع على أن تبتعد عن الاجابة على الاسئلة الدينية والسياسية .

ـ لا أعتقد انهم سيبحثون معي مثل هذه المواضيع ، وقد أخبروني ان المقابلة ستكون عن كتابي في الطب العربي .

ـ البركة فيك .

ـ شكراً .

وفي الوقت الذي حدده لي مدير القسم الشرقي بهيئة الاذاعة ، تقدم مني وأنا في صالة (الرولاند هاوس) شاب وسيم أشقر الشعر ظننته بعد النظرة الاولى اليه انه من ملّة الانكليز ، وسألني بالعربية البغدادية :

ـ دكتور كمال ، تفضل السيارة حاضرة .

وحين أخذت مكاني الى جانبه وهو وراء مقود السيارة سألته كيف عرفتني ؟

فأجابني باقتضاب مبهم :

ـ عرفتك .

فقلت له :

ـ أنا لم أعرفك .

ـ أنا أحمد بن سامي فتاح .

وفي الطريق الى بوش هاوس دردشنا في مواضيع عن بغداد وما يعوزها من نعم الحياة بالمقارنة الى ما في لندن . واستغربت انه لم يسأل عن أبيه وأمه .

وبوش هاوس عمارة ضخمة على الطراز الفكتوري تطل على تقاطع اربع شوارع . دخلت اليها دون أن يعترضني أحد ، سوى شخص خرج اليّ من وراء منضدة طويلة عليها لافتة مكتوب عليها بالانكليزية كلمة (الاستعلامات) فاستعلمت من ذلك الشخص عن السيد عويّس فاجابني : انه في الطابق الرابع ، وسأتصل به تلفونياً ليستقبلك أمام باب المصعد ، انه بانتظارك .

كان السيد عويس طويل القامة أصلع الرأس ، إلا من سوالفه ، أنيق الملبس ، باش الوجه ، فرحب بي بحرارة وقادني الى مكتبه القريب جداً من المصعد . وكانت فيه شابتان تضع احداهما على أنفها عوينات واسعة ، وذكر السيد عويس لهما اسمي فرحبتا بي برقة واحترام ، وكانت على الأرجح من ديار فلسطين أو الاردن . كما رأيته على المنضدة المستديرة التي تتوسط المكتب نسخة من كتابي مختصر تاريخ الطب العربي ، وقد عرفته وهو بعيد عني من حجمه ولون غلافه الاحمر ، فاستغربت أن يصل هذا الكتاب الى لندن ولم يوزع بعد في بغداد ، وبعد تناول الشاي قادتني السيدة ذات العوينات الواسعة الى استديو هيئة الاذاعة الذي كان في الطابق الثالث ، واعطتني وأنا أسير الى جنبها تعليمات تخص ما ستسأل عنه . وقاعة الاستديو لم تكن واسعة ، وهي مبطنة بطبقة من الفلّين سنجابي اللون . ورأيت وراء حاجز من الزجاج رجلًا يغطي اذنيه بآلة محمولة بقوس على رأسه . كما كان على ذلك الحاجز الزجاجي مصباح كهربائي صغير ينير بلون أحمر ، وقالت لي السيدة :

ـ انظر الى ذلك المصباح الاحمر ، فاذا ابدل بلون أخضر فمعنى ذلك اننا نبدأ الحوار ، واذا ابدل مرة اخرى بلون أحمر فيجب أن نتوقف عن الحوار .

قلت لها :

ـ مفهوم .

وبدأت بأسئلة علمية :

ـ أنت طبيب ؟ واختصاصك ؟ وهواياتك ؟ وكم مضى عليك وأنت تشارك في تدارس تاريخ الطب ؟، وكم استغرق تأليف كتابك (مختصر الطب العربي) ؟، وما هي أهم المبادرات التي نهض بها العرب في الطب ؟، ومن هو برأيك أعظم الأطباء في العصور الاسلامية ؟، وأمثال ذلك من الاسئلة . وقد بدا لي ان لها اطلاع على بعض ما كتب في الطب العربي ، وبعض ما ضمنت منه في كتابي مختصر تاريخ الطب . وخرجت من الاستديو لأجد السيد عويس ينتظرني عند بابه وقادني الى مكتبه لندردش ، وبعد دقائق دخل شخص وهو يحمل (كاسيت) أخذه السيد عويس من يده وقدمها اليَّ ، وهو يقول لي :

ـ هذا تسجيل لما دار بينك وبين الآنسة (فدوة) في الاستديو .

وودعني السيد عويس عند مخرج بوش هاوس وهو يشكرني لحضوري الى هذه الدار . أما أنا فقد أنست كثيراً بمقابلة هذا الرجل والسيدتين اللتين في دائرته ، وما رأيته في ستوديو هيئة الاذاعة ، وصار كل ذلك محور تفكيري بضعة ايام تالية .

في طريقي لاقرأ الفاتحة على روح أحد الأصدقاء بجامع بنيّة لعب بخاطري تساؤل مفاجىء فيما اذا ستقيم نقابة الاطباء حفلًا في أربعينية الفقيد الراحل صائب شوكة ، بعد أن أهملت كلية الطب هذا الواجب السلوكي ، والدكتور صائب من مؤسسي كلية الطب ، وهو والدكتور حنا خياط الوحيدان اللذان وقفا بصلابة ضد من اعترض تأسيسها يومذاك ، وحين وصلت جامع بنية كان تفكيري بهذا الأمر قد انقطع ، غير انه عاد حين ازدحمت أنا ونقيب اطباء العراق الدكتور خلدون درويش لطفي لندخل سوية قاعة الفاتحة ، فأخذت بيده لنأخذ مكانين متجاورين في القاعة .
وما أن انتهينا من قراءة الفاتحة حتى سألته عما اذا كانت النقابة ستقيم حفلًا تأبينياً بمناسبة مرور اربعين يوماً على وفاة الاستاذ صائب شوكت ، بوصفه أبرز من مارس الجراحة في العراق وأولهم ، واسترسلت بحماس خافت دون أن أمنحه مجالًا للجواب على تساؤلي معه ، وقلت له فلنعجل على الأقل مثلما عملت دائرة الاذاعة حين اقامت حفلًا تأبينياً للراحل ناظم الغزالي . وركبتني العاطفة وأضفت : اذا أغفلت النقابة اقامة حفل على روح الفقيد الراحل صائب شوكت فسأنسحب من النقابة ، وأعلن سبب انسحابي منها على صفحات الجرائد . فقال لي الدكتور خلدون ببساطة أفرحَتني : سيقام الحفل ان شاء الله تعالى ، وهكذا اقيم في الساعة السادسة من مساء يوم ٦ / ٣ / ١٩٨٥ في القاعة الكبرى بالجمعية الطبية العراقية الواقعة في مدخل منطقة المنصور .

وافتتح الحفل الدكتور خلدون بكلمة مختصرة ولكنها معبرة ، ثم نهضت وقرأت الورقة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة اسرة الفقيد الغالي الدكتور صائب شوكت المحترمون ..

السادة أصدقاء وزملاء وطلاب الفقيد المحترمون ..

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ..

يعز على المرء أن يفقد عزيزاً عليه ، ولا سيما اذا كان الفقيد ذا أفضال عليه وعلى الناس . على ان ارادة الله لا مردّ لها ولا عليها اعتراض ، وفيها حكمة بالغة ، فيتوفى واحد منا ويبقى واحد ليندبه ويردد مآثره . ولكل انسان نهاية موقوتة ، إلا انه بايمانه بهذه الحكمة يجزع لها ويتهاوى لأول وهلة حتى ليحسب انه سيبقى حزيناً

مكلوماً أبد عمره ، على أن الله سبحانه أنعم على عباده بفضيلة الصبر والنسيان ، فتهون عليه المصيبة الكبيرة وتصغر يوماً بعد يوم ، فلا يبقى منها إلا الذكر الحسن ، وخلقاً يمشي على خطاه . وفقيدنا الغالي صائب شوكت من هذه الفئة الصالحة ، ويحق لمن يعرفه أن يألم لفقده ، ويأسى لفراقه ، إذ هو تاريخ زمانه في ممارسة الطب ، وهو الرجل الذي ملأ الاسماع بمثاويه والقلوب بطيب اخلاقه . أما في الطب فاسمه في العراق مرادف لاسم هذه المهنة فيه ، وفضله في نشر هذه المهنة يبقى عن طريق كليتها الى يوم الدين .

ولد الفقيد في بغداد سنة ١٨٩٨ ، وبعد أن أكمل مراحل تعليمه الاولى فيها سافر الى الاستانة ودرس الطب في كلية حيدر باشا ثم عاد الى بغداد في مطلع العام العشرين من هذا القرن ، وعمل جراحاً في (المستشفى العمومي الجديد) ، ثم في المستشفى الملكي (المجيدية) ثم التحق بكادر الكلية الطبية العراقية التعليمي سنة افتتاحها سنة ١٩٢٧ استاذاً للجراحة السريرية والتشريح العملي ، فاحبه الطلاب باحترام ، وأحبهم بعطف .

وكان الفقيد يجيد اللغة الالمانية والانكليزية فضلًا عن اللغة العربية ، فيقرأ ويكتب بهذه اللغات لا في العلوم الطبية حسب بل حتى التاريخ وتاريخ الطب بشكل خاص . وكان معجباً بجالينوس والزهراوي كما كان له ميل لقراءة الافكار الفلسفية ومن هذا جاء اعجابه بغوته وابن سينا .

وقد حبا الله فقيدنا قامة مديدة ، وعضلًا مفتولًا ، وجرساً رجولياً ، وعينين براقتين حذرتين كما حباه وسامة ومحتداً عريضاً وأدباً جماً ، فاستغل هذه الصفات النبيلة خير استغلال فاكتسب بها شخصية محبوبة ومهابة ، ولم يداخله الغرور ولا الحقد ولا الحسد ولا النفاق .

وترأس الفقيد عمادة الطب مرتين بضغط من صديقه المرحوم حنا خياط ، فكان يملأ كرسيها ويفيض عليه من كل جوانبه ، ولم تزده هذه الوظيفة جاهاً ولا مركزاً ، بل هو الذي رفع مرتبتها وأعلى كرسيها ، وهيأ لمن يخلفه عليها هيبة المنصب واللقب والعلم ، وأساليبه في حل المشاكل الادارية تدرس لما فيها من بساطة وحسن نية وتعاطف وابتكار .

وفي احدى جلسات مجلس العمادة عرض الفقيد سلبيات التدريس السريري في الكلية ، وكان يهدف من ذلك الى ضرورة استحداث مستشفى تتوفر فيه المتطلبات الضرورية لتعليم مائة طالب ، وكانت ميزانية الدولة يومئذ لا تساعد على تأسيس هذا المستشفى ، وبعد محاولات متكررة منه حصل من مجلس الاعمار على بضعة

مليونات من الدنانير ، وهو مبلغ زهيد لا يكفي لتشييد المستشفى الذي يريده ، فقال رحمه الله (لا باس سأتبع سياسة الملك فيصل الأول الذي كان ياخذ أي قدر من الانكليز ثم يعود ويطلب منهم مرة اخرى) ، وهكذا بعد بضع سنوات تجمع في مجلس الاعمار ما يكفي لانشاء المستشفى ويوماً دخلت عليه في مكتبه في المستشفى الملكي فوجدته يحتضن انموذجاً مجسماً للمستشفى مثلما يحتضن الأب الحنون ولده الصغير .

وليسمح لي ذوو الفقيد الكرام أن أدعي انني على معرفة بحياة الفقيد الفكرية والعلمية معرفة مباشرة بالمشاهدة لا بالرواية ، فقد كنت تلميذه ، ثم زميله ، وأحد مرؤوسيه ، وأخيراً تشرفت بصداقته . وقد سطّر الفقيد هذه العلاقات الاربع على الصفحة الاولى من كتابه (تاريخ المستشفيات في العراق) وهو يهديه اليَّ بهذا التعبير المتواضع الجميل [الى كمال ، ذكرى التلمذة ، والاقامة والزمالة] واني لأعتز بهذا الاهداء بمقدار اعتزازي بشهادتي الجامعية ، وهذه الساعة هي فرحتي أن أكشف للسادة الحاضرين بعض مثاويه التي لا أعتقد ان أحداً من زملائه الاحياء قد وقف عليه . وهي تبدو جانبية بالمقارنة الى اعماله الجسام الاخرى في كلية الطب والمستشفى الملكي الملحق بها . ويريحني أن تعرفوها ، وهذه هي ذريعتي في أن أستذكرها أمامكم بتباهٍ من أعمال قدوتي الفقيد صائب شوكت .

في سنة ١٩٣٣ اجرى الفقيد عملية جراحية لأحد رؤساء عشيرة البو سلطان بالحلة ، وكان الأطباء يومئذ يتقاضون أجر اتعابهم من المرضى الذين يطلبون طبيباً معيناً لمعالجتهم ، وكان ذلك الشيخ سبق وأهدى سيارة (بيبي فورد) لزوجة الدكتور ودمن الذي استأصل منه ورماً في قفا يده . وحين غادر ذلك الشيخ المستشفى معافى بعد العملية التي اجراها له الفقيد جاء اليه وشكره بلغة المال والمشيخة العشائرية وقال له :

- اطلب يا دكتورْ صائب .

فقال له الفقيد على الفور :

- اطلب منك أن تبني في المستشفى (حماماً) للمرضى .

وفي اليوم الثاني غطت اكوام الطابوق والجص والنورة والقير ساحة مدخل المستشفى ، وأقيم الحمام كما أراده الفقيد ، وبقي يخدم المرضى حتى سنة ١٩٥١ ، ثم استعمل دائرة لبدالة تلفون المستشفى الملكي .

حادث آخر - كنت طبيباً مقيماً في الردهتين النسائية والولادة ، وفي الساعة الثامنة والنصف مساءً جاء الفقيد الى المستشفى كما اعتاد أن يجيئها في مساء

كل يوم في مثل هذه الساعة . وبينما كنا نتخطى في الكريدور الطويل الذي تنفذ منه الردهات الثماني سمعنا أحد مضمدي الردهة الرابعة يشتم مريضاً يتوجع ، ويطلب بامر وزجر أن يكف عن الأنين . فتقدم الفقيد من ذلك المريض ولاطفه واسترضاه ، ثم أمسك بعضد ذراع ذلك المضمد وقاده الى مكتبه بجوار مدخل الردهة ، وطلب منه أن يرفع عويناته عن أنفه ، ثم صار يضربه بكفه الضخمة في كل موضع من جسمه ووجهه حتى انحدر الدم من أنفه وفمه ، وصرخ في وجهه يقول :

ـ يا عديم الانسانية ، يا وحش ، لا تغسل وجهك من الدم ، واذهب الى اخيك ليرى وجهك كما هو الآن ، واخبره بما فعل بك صائب شوكت (وكان أخوه يومئذ بمركز حكومي عال) ، والتفت الفقيد اليَّ وقال : حرام أعاقبه بقطع راتبه لبضعة أيام لأن هذا يضر بمعيشة عائلته . ثم اردف : وهذه طريقتي في معاقبة من لا يخدم المرضى باندفاع ولوجه الله .

حادث ثالث : ترجّل يوماً مشاور وزارة الداخلية المستر (ادموندز) من سيارته الهمبر السوداء وهو يحمل كلباً ذهبي الشعر ، ودخل الى غرفة الفقيد وهو يقول له بأدب :

ـ المعذرة يا دكتور صائب ، فان دكتور (چادوك) في لندن ، وقد كسرت ساق كلبي ، فهل من الممكن عمل أي شيء له ؟

(واضاف يقول) : أنا أعرف ان طلبي مضحك ، فأنا فقط استعلم ان كان ذلك ممكناً ؟

ولما ثبت وجود كسر في الصورة الشعاعية لرِجل ذلك الكلب ، أضجع المضمد (عزيز) الكلب على طاولة التجبير وضمّده بالجبس الباريسي . وكانت هذه الطاولة معمولة من الخشب الرخيص ومشدودة قوائمها بالحبال ، وهي لا تصلح إلا لاعمال المطبخ . وقد فرح المستر ادموندز بما فعل الفقيد لكلبه ، وحين تاهب لمغادرة غرفة التجبير التفت الى الفقيد وقال له : أرجوك بأن تبعث لي بحساب اتعابك .

فقال له الفقيد : أنا لا أطلب أجراً ، فان أنت تصر أن تدفعه ، فاستورد للمستشفى الطاولة الخاصة لتجبير الكسور .

وبعد اسابيع وصلت طاولة طبية من شركة (الن همبرني) بلندن وقد لصقت على احدى قوائمها لوحة نحاسية حفر عليها هذه العبارة [ذكرى معالجة كلبتنا العزيزة (دكي) ، وتحت هذه العبارة اسم مستر ادموندز ومسز ادموندز ، وفي ذيل هاتين العبارتين تاريخ يوم الاهداء] .

وبقيت هذه الطاولة في الاستعمال في المستشفى الملكي الى أن انتقلت هذه

المستشفى الى مدينة الطب ، واعتقد انها موجودة فيها الى الوقت الراهن .

هذه جوانب خفية عن اهتمام الفقيد بشؤون المرضى وتوفير ما يحتاجون لمعالجتهم .

أما الفقيد في الميدان الوطني فقد ترأس (نادي المثنى) القومي منذ تأسيسه وحتى اندلاع حركة ١٩٤١ التي ابعد الفقيد بسببها الى تركيا وبقي غريباً في تلك الديار زهاء اربع سنوات .

ويوماً كان الوصي على عرش العراق الأمير عبدالاله ضيف الحكومة التركية على ظهر يخت في بحر مرمرة ، فانتهز بعض من زملاء الفقيد ، ومن ضمنهم الطبيب النسوي التركي المشهور (توفيق رمزي بك) ، وكان هذا يحب العرب ولا يراسل أحداً منهم إلا بالحرف العربي ، وقد اخبرني أحد زملاء الفقيد الثلاثة الذين توسطوا له لدى الوصي وطلبوا منه أن يسمح للفقيد بالعودة الى وطنه العراق ، فاستجاب الوصي لطلبهم بشرط أن يجيئه الدكتور صائب ويطلب منه العفو عما فعل ضد العائلة الملكية في بغداد سنة ١٩٤١ .

وعاد الاصدقاء الثلاثة الحسني النية يحملون البشارة الموهومة الى الفقيد ، وطلبوا منه أن يذهب الى الوصي ليعتذر منه ، وبعد أن استمع الفقيد اليهم قال لهم باختصار وبلا تردد (أنا لم أناهض الوصي ولا أي واحد من العائلة الملكية في بغداد بل وقفت بوجه الانكليز ولذلك فليس ثمة ما يستوجب الاعتذار منه ، فلا اقابل الوصي واعتذر منه حتى لو بقيت في غربتي ما بقي من عمري) .

هذا هو فقيدنا الاستاذ صائب شوكت ، لا يتعالى إلا على المتكبرين ، وصديق حميم للمتواضعين ، وأخ للزميل ، وأب حنون للتلميذ والفقير ، وهو يمشي مع أي منهما وكأنهم صنو له ، ويمشي مع الملك فيصل الأول وكأنه ملك ثان الى جانبه .. إن الفقيد تأريخ وعِبَر ، وعلم وأدب ، فلنبحث عمن يخلفه في الطب والسلوك المهني .. والبركة في الكلية الطبية لتزودنا بمن يملأ مكان الفقيد وينسينا رحيله .

تغمد الله الدكتور صائب شوكت برحمته الواسعة ، وأسكنه رحاب جناته ، وأسبغ عليه رضوانه وغفرانه ، وألهم ذويه ومحبيه الصبر الجميل .

انا لله وانا اليه راجعون .

مرض (عرق النسا)
في كتاب الطب النبوي لابن قيّم الجوزية / ١٩٨٥

حين دخلت جامع بنية يوم قابلت فيه نقيب الأطباء الدكتور خلدون درويش لطفي ، اجتذب نظري رجل متقدم في العمر يقعد الى الجانب الأيمن من مدخل

الجامع ، ويفرش الارض التي الى جانبه بكتب لبيعها لمن يدخل الجامع ، وانتبهت وأنا قريب منه الى كتاب ذي ورق أصفر ، والكتب بمثل لون هذا الورق تشدّني اليها باهتمام . فاخذت الكتاب بيدي فاذا هو في الطب النبوي لابن قيم الجوزية ، ولما نتحت منتصف أوراقه فاذا أنا أقرأ في صفحته اليمنى عن (عرق النسا) فادهشني أن يكون هذا الموضوع أول ما اطّلع عليه في هذا الكتاب . ولم أكن يومئذ أعرف عن معنى عرق النسا إلا نسبته الى عصب (عرق) النسا الذي يغذي الوجه الخلفي من الفخذ ، وتنطقه العامة بكسر (النون) لا بفتحها .

فلما قرأت في هذا الكتاب عبارة (وسمي كذلك لان أوجاعه « تنسي » أي ألم آخر يشكو منه الانسان) .

وفي أحد اجتماعات المجمع العلمي العراقي ذكرت ما قرأته في تفسير عرق النسا بكتاب ابن قيم الجوزية ، قال لي الشيخ بهجت الأثري :

ـ لا أذكر اين قرأت تفسيراً آخر لكلمة النسا (بفتح النون) وباي حال كان غير ما ذكره ابن قيم الجوزية . (وأردف) : وسوف أبحث لك عن المصدر الذي اشرت اليه .

ولم أحظ من الاستاذ الأثري بما وعدني به .

أنا مستقل سياسياً / ١٩٨٥

أستقبل اصدقائي عادة في صباح أيام الجمع ، وتكون أحاديثنا على الاكثر في أمور عامة يغلب عليها الطابع العلمي والتأريخي والاجتماعي . وفي صباح يوم جمعة من شهر أيلول ١٩٨٥ كان من ضيوفي عسكري متقاعد هو اللواء عباس علي غالب ، وهو مثقف في التاريخ العسكري ويتكلم الانكليزية بطلاقة ، وأكثر كتب مكتبته بهذه اللغة التي كانت لغة دراسته في مدارس بريطانيا العسكرية بانكلترا والهند . وكان من ضيوفي في ذلك اليوم أيضاً نورالدين الواعظ ، وهو محام معروف وابن رجل دين يعظ في جامع معروف باسمه بكركوك ، وقد رأس ابنه نورالدين بلدية كركوك قبيل ثـورة ١٤ تمـوز سنة ١٩٥٨ ، فعدّه الضباط الثوار من انصار الحكم الملكي المباد ونقلوه الى العمارة ، وعاد الى بغداد ليتفرغ الى مزاولة المحاماة ، واكتسب شهرة في القضايا الشرعية . وضيف آخر كان في بيتي في هذه الجمعة المحامي حسين جميل ، وهو وزير سابق ونقيب المحامين العراقيين ، ونائب رئيس الحزب الديمقراطي ، وهو في آرائه السياسية ، ودفاعه عن الشيوعيين في

أحداث الشغب أيام عبدالكريم قاسم كانت بدافع احترام حرية الرأي والمعتقد ، وإلا فهو أبعد الناس في أفكاره عن الشيوعية .

ومن ضيوفي ذلك اليوم الدكتور حسين الوردي ، وهو مؤمن بالمبادىء الشيوعية ويدعو لها جهاراً حين تسنح له الفرصة التي تضمن حريته ، وقد طورد في العهود الملكية ، ثم استعاد نشاطه في أيام عبدالكريم الاولى ، وأخيراً انعزل الى وظيفة حكومية في كثير من المراكز الطبية . ومن ضيوفي ذلك اليوم أيضاً صديقي العزيز الشاعر نعمان الكنعاني .

كان هذا قوام مجلسي في يوم الجمعة من أواخر شهر أيلول سنة ١٩٨٥ وكانت الحرب العراقية ـ الايرانية قد امتدت الى داخل بعض الأراضى العراقية ، فصارت حديث هذا المجلس ..

قال عباس علي غالب :

ـ هناك أكثر من دليل على ان طريقة عبور القوات الايرانية شط العرب ليس من بنات افكار الايرانيين ، فقد تكون ساعدتهم احدى دول الشرق الأقصى .

وقال حسين جميل مكملاً رأي عباس علي غالب :

ـ أو أمريكا .

وقال نورالدين الواعظ :

ـ نعم أكثر الاحتمال انه من رأي الامريكان أو احدى الدول الاخرى .

ولم اشارك في هذا الحديث بأي قدر ، ولكنني مقتنع على غير دليل ان بعض الدول المتقدمة عسكرياً هي التي ساعدت الايرانيين على عبور شط العرب لدخول منطقة الفاو .

وكان من بين ضيوفي أيضاً أبو زينب مجيد ، وهو شاب ليس له ثقافة مدرسية ويعيش باصلاح انابيب ومواسير المياه في البيوت الخاصة ، وشارك المتكلمين فقال :

ـ أنا أفهم شيء واحد ، لولا رئيس الجمهورية صدام حسين لما دامت الحرب الى هذا اليوم ، ولاخذوا الفاو في وقت مبكر ، وأخذوا البصرة أيضاً ، وغيرها من المدن العراقية .

فقال عباس علي غالب :

ـ وليأخذوا أكثر من ذلك من المدن العراقية ، والنتيجة : هل يستطيعون أن يجعلوا العراق مستعمرة ايرانية ؟ ويطيلوا البقاء فيه ؟

فقال حسين جميل :

ـ هذا موضوع آخر ، فانهم سينسحبون عن تلك المناطق عاجلاً أم اجلاً ، ولكن

برينهم مع ذلك ستكون قاسية وتاريخية .

وعاد أبو زينب يقول :

ـ نعم لولا صدام حسين لرأينا صور الخميني ملصقة على أبواب كثير من حوانيت شارع الرشيد ، وجدران بيوت السكن ، ولسمعنا بنفس الوقت من يهتف بحياة الخميني .

وقال عباس علي غالب :

ـ ان القاعدة الحزبية مضمونة في دعم أقوال السيد الرئيس القائد واهدافه ، ولن تخذله ، وهو مطمئن اليها .

وكان عليَّ بعد أن سمعت ما قاله ضيوفي في الوضع العسكري القائم اعجبني أن اسأل أبا زينب :

ـ أنت حزبي يا مجيد ؟

فقال :

ـ كلا أنا لست حزبياً ، وقد شاركت في حرب ايران مستقلاً شان أكثر المقاتلين الذين صاحبتهم في جبهة القتال ، كجندي يدافع عن وطنه .

(ثم قال وهو يضحك) : أنا اسالك الآن أنت حزبي ؟

فاخذت موقف الجد وقلت له :

ـ اذا قلت لك أنا شيوعي ، فانت لا تصدقني ، واذا قلت لك أنا بعثي فستقول عني متملّق ، فانا في الحقيقة مستقل برأيي السياسي أو على الاكثر فانا من حزب الحكومة أياً تكون إلا اذا كانت شيوعية فلن أقرّ بسياستها .

قال الدكتور حسين الوردي :

ـ يعني أنت كنت ملكي في الحكم الوطني ، وقاسمي في ايام عبدالكريم قاسم وبعثي في ايام البعثيين .

نعم أنا كذلك ، ولكن لا كحزبي بل كمواطن مخلص في عمل اختصاصه .

وخفت أن يقول لي : أنت مذبذب ، فارى هذا الحكم قاسياً عليَّ ، فسبقته وقلت له :

ـ إفهمني كما تريد ، فانا كما سمعتني ولا تحسبني غير ذي رأي معين . نعم أنا مستقل سياسياً .

المؤتمر الطبي الاسلامي الدولي الثاني في القاهرة / ١٩٨٦

يوم ٨ حزيران من سنة ١٩٨٦، تسلمت خطاباً من أمين عام المؤتمر الطبي الاسلامي الدولي الثاني في القاهرة ، وهذا هو نصه الحرفي :

الاستاذ الدكتور كمال السامرائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتشرف الامانة العامة للمؤتمر الطبي الاسلامي الثاني باحاطة سيادتكم علماً بأن الازهر الشريف بالاشتراك مع كلية الطب جامعة عين شمس بالقاهرة سيقومان باذن الله بتنظيم المؤتمر الطبي الاسلامي الكبير عن الشريعة الاسلامية والقضايا الطبية المعاصرة وذلك تحت الرئاسة الشرفية لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر وتحت الرئاسة الفخرية للسيد الاستاذ الدكتور وزير الصحة المصري في قاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة في الفترة من ٢ ـ ٥ فبراير ١٩٨٧ . وسيحضر المؤتمر ويشارك في جلساته عدد كبير من اطباء وعلماء مصر وممثلين من الهيئات الطبية في الدول العربية والاسلامية بالاضافة الى اطباء من اوربا وامريكا واسبانيا وافريقيا وبعض المستشرقين من مختلف دول العالم ، ويقدر عدد الاطباء بأكثر من خمسمائة عالم . والأمانة العامة للمؤتمر يشرفها حضوركم واشتراككم بما ترونه من ابحاث تتعلق بموضوعات المؤتمر ، ونحن في انتظار اقتراحاتكم وآرائكم في أقرب وقت لنثري بها أعمال المؤتمر . والله ولي التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

امين عام المؤتمر

(التوقيع)

د. محمد حسن الحفناوي

وكنت في سنة سابقة قد اجتمعت في بغداد بالدكتور الحفناوي وهو منتدب من الأزهر الشريف الى جامعة بغداد لدراسة وضع موسوعة في الطب الاسلامي على غرار دائرة المعارف الاسلامية وتتضمن التعريف بأطباء العصور الاسلامية ومناهجهم في التأليف والادوات والآلات التي استعملوها في تشخيص الامراض ومعالجتها . وكان اجتماعنا الاول ايجابياً مبشراً بتحقيق الهدف المطلوب ، وقدّرنا في ذلك الاجتماع أن تكون الموسوعة بعشرة اجزاء بالاقل ، وقد يستغرق انجازه أكثر من عشر سنوات يشترك فيها اعلام الاطباء في البلاد العربية . ولسبب لا أعرفه انقطعت المراسلات بيني وبين الدكتور الحفناوي ، ووئد المشروع وهو في مهده .

وحين تسلمت الرسالة التي ذكرتها اعلاه سرّني أن اسافر الى القاهرة لاثير مع الدكتور الحفناوي مشروع موسوعة الطب العربي ، غير ان مرضاً ألمّ بي فاعتذرت برقياً عن حضور المؤتمر .

مستشفى ابن البلدي / ١٩٨٦

بلغني ان وزارة الصحة استحدثت مستشفى بمنطقة (جميلة) ببغداد باسم مستشفى الزهراوي لمعالجة الأطفال المرضى ، ولانني أعرف ان أبا القاسم الزهراوي الطبيب الاندلسي الأشهر لم يعرف بأعماله في طب الاطفال بقدر ما عرف عن الطبيب العراقي احمد بن محمد البلدي (القرن الرابع الهجري) صاحب كتاب تدبير الحبالى والمولودين ، لذلك رفعت رسالة الى وزير الصحة الدكتور صادق علوش ضمنتها اقتراحي بتسمية هذا المستشفى باسم هذا الطبيب الأخير ، وبعد يومين أو ثلاثة أيام كلمني وكيل الوزارة يقول ان تكاليف اعادة طبع اوراق واستمارات المستشفى ستكون باهظة ، أفلا يجوز ابقاء اسم الزهراوي على هذا المستشفى ؟ فاجبته : أنا رفعت اليكم مقترحي ولكم أن تعملوا ما تشاؤون .

ويبدو ان وكيل الوزارة لم يقتنع بجوابي فكتب الى المجمع العلمي يستشيره بهذا الأمر ، وعرض هذا الكتاب في لجنة التراث العلمي وكنت أحد أعضائها . فاغاظني أن لا أكسب ثقة الوزارة في موضوع تعرف انني أعمل فيه ، ولكن سرعان ما رأيت ان لوكيل الوزارة الحق في أخذ المشورة من جهة رسمية لا شخصية .

وعرض رئيس المجمع كتاب وكيل الوزارة على لجنة التراث فاقرت رأيي بتسمية المستشفى باسم (ابن البلدي) وهذا نص كتابها :

الى وزارة الصحة

العدد ٤١٥ / ٥٧١

التاريخ ١ / ٤ / ١٩٨٦

الاستاذ الدكتور عبدالجبار عبدالعباس المحترم

رئيس الهيئة العامة للخدمات الطبية

تحية مباركة وبعد

استناداً الى كتابكم المرقم ٤ / ١ / ١ / ١٣٩٦ والمؤرخ في ٩ / ٣ / ١٩٨٦ .

درست لجنة التراث العلمي في المجمع العلمي العراقي تسمية مستشفى الزهراوي للأطفال ورجحت اختيار اسم مستشفى أحمد البلدي أو ابن البلدي بالنظر لكونه عراقياً ومؤلف عدد من الكتب القيّمة في الطب .

مع فائق التقدير .

رئيس المجمع العلمي العراقي

الدكتور أحمد صالح العلي

الحمار في تلفزيون لندن / ١٩٨٦

في التلفزيون البريطاني ثقافة ، وجد وهزل ، وموسيقى ، والعاب سحرية ، ورياضية وغير ذلك كثير بمثل هذه الحقول وغيرها .

وفي منهاج الساعة العاشرة صباحاً من القناة الثانية يوم ٧ / ٦ / ١٩٨٦ ساعة كاملة عن الدواب ، وبدأ الفصل يعرض لقطات عن الحمير والخيول والبغال بمختلف الالوان والاشكال بما فيها الاشهب والبني والابيض والاسود . وقد بدا لي الحمار بهذا اللون الاخير جميلًا . ولا أذكر انني رأيت حماراً اسود فاحماً في حياتي ، وقد يكون لهذا السبب قد حسبته جميلًا لانني لم آلفه قبلًا ، وكل نادر جميل بوجه من الوجوه ، وان لم يكن جميلًا ، فهو يجلب النظر ويثير الانتباه . وكان ذلك الحمار الذي اجتذب انتباهي كحيل العين ، وربما كانت اذناه أقصر من أذان حمر العراق ، غير انه كان بشعر طويل ، وهذا ما جعله أكثر غرابة من أن يكون جميلًا من كل الوجوه . قال مقدم البرنامج ، ان الحمار وديع وصبور وأليف وذو منافع لا تتوفر في الدواب الاخرى ، وقد استعمل قديماً لبن الاتن غذاء للاطفال ، كما كانت تستحم فيه النساء المترفات . وهو (أي الحمار) قليل التكاليف في العناية به وبغذائه ، وطالب المذيع اصحابها الاهتمام بها ، وإحمامها اذا ما نامت في الامكنة المتربة لازالة ما يعلق بين شعرها من دقيق التراب والاوساخ الاخرى . ثم قال ان هذا الحيوان مهم جداً للمزارعين في اسبانيا وقبرص وتركيا وصقلية ، ولم يذكر العراق ولا الجزيرة العربية من بين الاقطار التي تهتم بتربية هذا الحيوان ، وأعرف انه دابة مهمة للمزارعين في العراق ، ولا أعرف ان كان كذلك في الجزيرة العربية . ثم قال انها معرضة للديدان المعوية ، وخلع مفاصل الورك . وعرض واحدة منها للفحص بالاشعة . وختم كلامه قائلًا : ان هذا الحيوان كغيره من المخلوقات ، يكبر ويشيخ ومن المروءة أن لا يهمل اذا عجز عن اداء خَدماته التي اعتاد أن يؤديها الى صاحبه ، فيجب أن يطعم ويحمم وتقطع حوافره الطويلة ليسهل عليه المشي والوقوف الطويل .

× × ×

وفي فقرة بتلفزيون هذا المساء لقاء مع مفكر بريطاني اسمه روبرت أندريا ، غير ان محاوره سرعان ما صار يخاطبه باسمه الاول فقط ولا أظنه كان يفعل ذلك لمعرفة سابقة به ، أو صداقة معه ، بل هو الاسلوب المتبع في التلفزيون البريطاني ، في مثل هذه اللقاءات ، فلا تذكر الالقاب الفخمة مثل الجنرال ، أو اللورد أو الاستاذ . وقد يكون هذا الاسلوب يخفف من التباعد بين الطرفين المتحاورين . وكان المحاور

في نحو الخمسين من عمره ، أما روبرت اندريا فلا أظنه كان أصغر من الثمانين عمراً ، بين لحية كثة بيضاء وعوينات بدت لي باطار ضيق بالنسبة لوجهه الوسيع ولحيته العريضة . وبدأ الحوار فسأل المحاور الشيخ روبرت :

ـ كنت تمارس التعليم قبلاً ، فهل لا تزال تمارسه ؟

ـ التعليم هوايتي بعد أن كان مرتزقي ، وانقطعت عنه منذ خمس سنوات بعد أن عملت فيه زهاء خمسين سنة .

ـ من يعمل في مهنة واحدة هذه السنين الطوال لا يرتاح اذا توقف عنها ، كما اعتقد ، فما هو رأيك يا روبرت ؟

ـ هذا صحيح ، على أن ما يلهيني عنها انني أعمل أكثر مما كنت أعمل حين كنت موظفاً في مدارس التعليم ، فقد انقطعت الى كتابة حياتي الاولى في هذه المهنة ، وأشعر انني الآن حين استذكر أيامي الأول كأنني ما زلت أعمل في ميدانها التعليمي .

ثم سأله المحاور :

ـ هل أنت مرتاح في حياتك الآن ؟

فأجابه روبرت بسرعة :

ـ مرتاح جداً ، ولو انني اغتم أحياناً حين أذكر ما أضعته من الفرص لأضاعف عطائي في تعليم الجيل والدعوة الى الافكار التي كنت ولا أزال اؤمن بها .

ـ أي أفكار تقصد يا روبرت ؟

ـ تمنيت الاقتراب بأفكاري من أفكار العلماء الاوائل .

ـ ومن هم مثلك من العلماء الأولين ؟

فأجابه روبرت بلا تردد :

ـ هو افلاطون ، وقد تسألني عن كل من سقراط وارسطو ، فأقول لك ، ان افكار افلاطون من افكار سقراط مع شيء من التحوير ولا أقول التهذيب ، أما أرسطو فلم يتفرغ للحكمة وحدها لأجعله مثلي الأعلى ، ومن يجمع بين العلوم الكثيرة يتفوق عليه من يمارس علماً واحداً .

واعترض المحاور على هذا الحكم وقال :

ـ أراك يا روبرت لا تنظر الى ارسطو بالعين التي رأى العرب الاولون هذا الفيلسوف العظيم .

ـ أنت سألتني عن مثلي الاعلى ، وهذا لا يعني ان هناك من لا ينظر الى أرسطو كمثل أعلى لدارسي الفلسفة اليونانية .

وأبدل المحاور طبقة اسئلته فساله :

ـ هل ترى في نفسك مثالب يا روبرت ؟

فاجابه وهو يبتسم :

ـ دون ريب ، وكذلك كان افلاطون يرى في نفسه .

ـ أنت ترى لافلاطون رذائل فهل هو يرى ذلك ؟

ـ الكمال في نظر افلاطون بعيد المنال .

وساله المحاور :

ـ ماذا تتمنى أن تكون لو انك لم تصبح مفكراً مشهوراً ؟

ـ أنا قانع بما أنا عليه الآن ، غير اني اعتقد انني لو كنت رجل دين لصار لي مجال أوسع لخدمة الانسان .

وساله المحاور :

ـ ألا تغرّك المهن التي تدر المال ؟

فاجابه بلا تردد :

ـ كلا ثم كلا ، فما أعرفه واكتبه لا أبدله بأموال الدنيا .

ـ ألا ترى في كماليات الحياة ما يوفر مزيداً من الراحة والسعادة ؟

ـ قد توفر الكماليات الراحة ، أما انها توفر السعادة فكلا . وأنا في سعادة مع اوراقي وكتبي .

وطلب المحاور من روبرت أن يعظ الشباب فأجابه :

ـ الفضيلة زاد الدنيا ونعيمها ، ومعدن الفضيلة الكتب القديمة ، ومردودها الرضا عن النفس وحب الخير للناس وعمله .

لقد كان روبرت العجوز معبراً بقناعة عن رضا النفس كاثمن ما يمكن أن يحققه الانسان لنفسه .

تكليف من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / ١٩٨٦

في اجتماع اللجنة الادارية بمركز احياء التراث العلمي العربي يوم ١٦ / ١٢ / ١٩٨٦ ، قرأ السيد رئيس المركز الدكتور خالص الاشعب أمام أعضاء اللجنة الكتاب الآتي :

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
مديرية الشؤون العلمية

العدد ١٢ / ٦٦٧٧
التاريخ ٣ / ١٢ / ١٩٨٦

سـري

الى كافة العمادات

م/ تاريخ العلوم عند العرب

تحية طيبة

قرر مجلس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بقراره (١٦ - ١) المتخذ باجتماعه الاعتيادي الثالث والسبعين المنعقد في ١٣ / ١ / ١٩٨٦ أن تكون مادة (تاريخ العلوم) عند العرب من ضمن مناهج مادة الثقافة القومية والاشتراكية وحسب الاختصاصات العلمية . يرجى اتخاذ ما يلزم لتنفيذه والعمل بموجبه واعلامنا . مع التقدير .

الدكتور حمدي عبدالعزيز الفياض
المساعد العلمي لرئيس الجامعة

صورة منه الى /
(١) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / كتابكم رقم س ١٥٨٠٣ وتاريخ ١٣ / ١١ / ١٩٨٦ .
(٢) مكتب رئيس الجامعة .
(٣) مركز احياء التراث العلمي العربي .
(٤) مديرية الشؤون العلمية .

قرأ رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي هذا الأمر بحضور لجنة التراث ، وفي ساعتها كلفني أن أكتب في اختصاصي بالثقافة الطبية العربية ، كما كلف الدكتور جابر الشكري أن يكتب في علمي الكيمياء والفيزياء عند العرب ، ورجانا رئيس المركز أن ننجز هذا التكليف في مدة لا تتجاوز الشهر ، ولما قلت له ان هذه المدة غير كافية لكتابة الموضوعين ، قال :

- رجائي أن تعملوا جهدكما في هذه المهمة لتقديمها الى الوزارة باقرب وقت .

وعملت وكذلك عمل زميلي الدكتور جابر الشكري بكل طاقاتنا وأنجزنا ما كلفنا به ، وكان الذي كتبته بنحو مائة وخمسين صفحة والذي كتبه الدكتور جابر بنحو مائة صفحة . ورفع ما كتبناه الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، فانطمست اخباره عنا ولم يظهر الكتاب الى الوجود .

بيت الحكمة لا دار الحكمة / ١٩٨٦

بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٨٦ وصل اليَّ بواسطة رئاسة مركز احياء التراث العلمي العربي كتاب من السيد المشرف على دار الحكمة (جامعة بغداد) يدعوني

فيه الى المشاركة في اصدار (السلسلة الذهبية) لتخليد التراث العربي ، فرفعت المذكرة الآتية الى رئاسة مركز احياء التراث العلمي العربي ..

بغداد ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد المشرف العام لدار الحكمة (جامعة بغداد)

بواسطة السيد رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي

اشارة الى كتابكم (بلا رقم ولا تاريخ) المتضمن استدعائي للمشاركة في اصدار كتب السلسلة الذهبية أرفع الى علمكم ما يأتي :

اذا كان المقصود بدار الحكمة تخليد اسم المؤسسة العلمية التي أقامها الخليفة هارون الرشيد في بغداد فان اسم تلك المؤسسة هو (بيت الحكمة) وهي مؤسسة عنيت بالعلوم التطبيقية كالطب والفلك وعلم الميكانيك ، وفي ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية . أما (دار الحكمة) فهي مؤسسة فقهية أقامها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في القاهرة ، ولم تشارك في العلوم التطبيقية كما فعل بيت الحكمة في بغداد العباسية ، واسم دار الحكمة لا يزال يرتفع على بناية نقابة الاطباء في القاهرة تخليداً لذكرى المؤسسة الاولى بهذا الاسم ، وعلى هذا أرى من الصواب تغيير اسم دار الحكمة (جامعة بغداد) الى بيت الحكمة فلكل منهما مدلول وتاريخ لا يصح الخلط بينهما . هذا واقبلوا رجاءً جزيل تقديري .

الدكتور كمال السامرائي .

عضو مركز احياء التراث العلمي العربي

وفي يوم ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٦ رفعت رئاسة مركز احياء التراث العلمي العربي كتابي المتقدم ذكره الى مؤسسة دار الحكمة (جامعة بغداد) هذا نصه :

العدد / ١١٩٨

التاريخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٦

الى مؤسسة دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع / جامعة بغداد

م / اقتراح تعديل اسم مؤسسة علمية

تحية طيبة

بكل اعتزاز نحيل اليكم صورة مذكرة الاستاذ الدكتور كمال السامرائي عضو مجلس ادارة المركز حول اقتراحه اعادة تقويم اسم مؤسسة دار الحكمة على ضوء المبررات العلمية والتاريخية التي تفضل فاوضحها . واننا بهذه المناسبة على يقين من انكم ستجدون الحقائق العلمية وبما يصحح أي سهو أو عدم تطابق في

المسميات والله ندعو أن يديم انشطتكم لضمان تواصل العطاء تحت مظلة حضارتنا العربية الخالدة .

والله الموفق .

الدكتور خالص حسني الأشعب

رئيس المركز

نسخة منه الى /

- السيد رئيس جامعة بغداد مع صورة من المذكرة للتفضل بالاطلاع .

كان تأريخ مذكرتي ومذكرة مركز احياء التراث العلمي العربي اللتين رفعتا الى رئاسة جامعة بغداد في سنة ١٩٨٦ . وكان في ظني ان اسم دار الحكمة قد عدّل في حينه الى اسم (بيت الحكمة) فلم اتابع ذلك إذ ان دولًا ومؤسسات عالمية تغيّر أسماءها عند الضرورة ، وفي وقت قريب أبدل السيد وزير الصحة الدكتور صابق علوش بناء على مذكرتي اليه ، ابدل اسم مستشفى (ابن البلدي) باسم مستشفى الزهراوي بعد أن اقتنع بضرورة هذا التعديل . أما المشرف على مؤسسة (دار الحكمة) فلم يعر مقترحي اهتماماً وظلّت تظهر منشوراته باسم (دار الحكمة) لا بيت الحكمة .

وسام المؤرخ العربي - ١٦ / ١٠ / ١٩٨٦

بلغني ان اتحاد المؤرخين العرب قد طلب من مركز احياء التراث العلمي العربي ترشيح من يرى فيه اللياقة لحمل (وسام المؤرخ العربي) فكنت واحداً من ثلاثة ممن رشحتهم رئاسة المركز . وقد رأيت انني (بصراحة) لا أستحق حمل هذا الوسام كما تصورت أن يكون حامله ، لهذا رفعت الى رئيس مركز احياء التراث الكتاب الآتي :

بغداد ١٦ / ١٠ / ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي المحترم

جامعة بغداد

تحية طيبة ..

أرجو أن تقبلوا شكري الجزيل على ترشيحكم لشخصي كأحد المؤرخين المعنيين بالتراث العربي والاسلامي بغية منحي (وسام المؤرخ العربي) وأنا في غمرة سروري بهذا الترشيح أرجو قبول اعتذاري من قبول هذا الشرف ، وانني بنفس

الوقت اؤكد لسيادتكم انني سأبقى دوماً في خدمة التراث العربي ، وانتظر بفارغ الصبر فرصة اخرى لاتشرف بقبول هذا التكريم .

مع وافر الشكر والتقدير .

الدكتور كمال السامرائي

عضو مركز احياء التراث العلمي العربي

وفي يوم ١٧ / ١١ / ١٩٨٦ ، كنت بدائرة رئيس المركز الدكتور خالص الأشعب ، وبينما كنت أتحدث اليه سحب درج منضدته وأخرج منها كتابي الذي رفعته اليه معتذراً عن قبولي للوسام . وقال : (انه لم يبعث بهذا الكتاب الى أمانة المؤرخين العرب ، أملًا أن تغيّر رأيك وتقبل الوسام) . فقلت له : (غريب أن تحفظ هذا الكتاب الى هذا اليوم دون أن ترفعه الى اتحاد المؤرخين) ، وسألني : (هل ما تزال مصرّاً على رفض الوسام ؟) . فاجبته : بالتاكيد أنا مصرّ على ذلك . وغادرت غرفته بعد أن وعدني بارسال اعتذاري الى رئاسة اتحاد المؤرخين .

وبتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٩٨٦ زارني في بيتي الصديق اسامة النقشبندي وهو أحد أعضاء اتحاد المؤرخين ومعه زميل له تعرفت به يوم كان سفيراً للعراق بأنقرة ، وبعد تبادل التحيات أخرج اسامة النقشبندي كتاب اعتذاري عن قبول وسام المؤرخ وقدمه لي وهو يقول :

ـ لا نشرب قهوتك إلا اذا مزّقت هذا الكتاب بيدك .

فاستجبت لطلب ضيفيّ وأخذت الكتاب من يده ومزقته كما طلبا مني ذلك .

اتحاد المؤرخين العرب — العدد : د ٧ / ١٤٠

الامانة العامة — التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٨٧

العراق : بغداد : ص.ب : (٤٠٨٥)

الى / الدكتور كمال السامرائي المحترم

لمناسبة يوم المؤرخ العربي نتشرف باعلامكم بقرار الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب بخصوص ترشيحكم لنيل وسام المؤرخ العربي تثميناً لدوركم المتميز في اغناء التاريخ العربي .

وبهذه المناسبة نرجو تفضلكم بالحضور الى حفل التكريم المقام على شرفكم لتقليدكم الوسام من قبل وزير الثقافة والاعلام وذلك في مقر الاتحاد وفي تمام الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة المصادف ٢ / تشرين الأول / ١٩٨٧ وهو اليوم الذي أقرّه اتحاد المؤرخين العرب عيداً للمؤرخين وجعلوه يوماً للمؤرخ العربي حيث قام البطل صلاح الدين الايوبي بتحرير القدس .

نرجو اعلامنا تحريرياً مشاركتكم في الحفل .. ونعتذر عن تاجيل الحفل حتى ذلك التاريخ .

وتفضلوا بقبول فائق الاعتزاز والتقدير .

ع / أ. د. مصطفى عبدالقادر النجار

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

اتحاد المؤرخين العرب

الامانة العامة

بغداد - عراق ص.ب ٤٠٨٥

العدد د / ٧ / ٩٣

التاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٨٨

حضرة الاستاذ الدكتور كمال السامرائي المحترم

حامل وسام المؤرخ العربي

تحية طيبة وبعد ..

ان منحكم وسام المؤرخ العربي لهو تقدير وتثمين من قبل الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب لدوركم الفاعل وجهودكم المشرفة وعطائكم المتميز في خدمة التاريخ العربي والدفاع عنه ضد كل الاعداء الذين يناصبون امتنا العداء ، واننا لعلى ثقة بمواصلتكم المسير في هذا العمل الجليل الذي تنهضون به .

ويسرنا أن نخبركم ان الامانة العامة لاتحادكم تعتزم بعد استكمال توزيع الوسام على مستحقيه في كافة أقطار الوطـن العربي اقامة احتفال مهيب على ثرى الاندلس يحضره كافة حملة الوسام وتوزع عليهم مدالية الوسام الذهبية المطعمة بالعقيق التي تبرعت بها مشكورة امارة رأس الخيمة .

راجين تزويدنا بسيرتكم العلمية وانشطتكم التأريخية مع نسخة من صورتكم الشخصية وارسالها بصورة مستعجلة بغية اصدار دليل خاص بحملة الوسام بعدة لغات .

وتفضلوا بقبول فائق التقدير .

اسامة ناصر النقشبندي

رئيس دائرة وسام المؤرخ العربي

ولم توزع مدالية الوسام حتى يوم كتابة هذه المذكرات .

حفل توزيع وسام المؤرخ / ١٩٨٨

وفي يوم ١٢ / ٧ / ١٩٨٨ اقام اتحاد المؤرخين حفلًا في حدائق دائرته ليعطي رئيس الاتحاد الوسام لمن رشح اليه . وكان في صدر قائمة المرشحين وزير الثقافة والاعلام لطيف نصيف جاسم .

وافتتح الحفل رئيس الاتحاد الدكتور مصطفى النجار بكلمة رحبَ فيها بالمدعوين وعبر عن سروره بمنح الأوسمة لمن رشحتهم الدوائر العلمية المختصة ، ثم نهض السيد الوزير الى وراء طاولة الخطابة وكانت كلمته طويلة ، غير انها لم تكن مملّة ورد فيها استعراض للحرب الايرانية العراقية القائمة . وأخيراً تقدم رئيس الاتحاد من المنصة التي نضدت عليها براءات الاوسمة ، فاستدعى اليه السيد الوزير ، ثم آخرين كثيرين ممن منحوا هذا الوسام ، غير ان الوزير نهض واعتذر عن قبول الوسام ، وأنحى على الدكتور مصطفى النجار باللائمة لانه لم يستشره مسبقاً بهذا التكريم . (ثم أضاف) : أنا لا أستحق حمل هذا الوسام لأنني لست مؤرخاً ولهذا أتحرج من قبوله ، بل أرفض قبوله . وكان هذا نص تعبيره .

كانت الحديقة غاصة بالمدعوين من الاساتذة والمدعوين من رجال الفكر والسياسة ومنهم الاستاذ أمين الحافظ عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي . فكان رفض السيد وزير الاعلام قبول الوسام مفاجأة وجم لها الحاضرون ، كما صار رئيس الاتحاد في موقف لا يحسد عليه ، وكان الى قبل دقيقة أو أقل مزهواً بانجاحه لهذا الحفل حتى لا يكاد يستطيع كبح الابتسامات المتواصلة تعبيراً عما عمله بهذه المناسبة . وتقدم مني في هذه اللحظات اسامة النقشبندي ورجاني أن أقول كلمة تناسب المقام وتصلحه ، فنهضت الى المنصة ، وصار قبالتي السيد الوزير وهو الى جانب الاستاذ أمين الحافظ ، وشرعت اخاطبه قائلًا : ليسمح لي أن أدخل وسيطاً بين سيادته وبين رئاسة الاتحاد فيما اختلفا عليه . وقلت فيما قلت : ان في ترشيح السيد الوزير لحمل وسام المؤرخ ليس فيه خروج على الاعراف الجامعية والدولية ، وان كثيراً من المؤسسات العلمية تمنح الشهادات الفخرية لمن يقدم لها الدعم المعنوي أو المادي ، وكثيراً من قادة العالم منحوا اوسمة وشهادات علمية على هذا الاساس ، وضربت مثلًا على ذلك ان أحد رؤساء الدول العربية قد منح شهادة دكتوراه في التاريخ هو سياسي لا مؤرخ ، وان ملكة بريطانيا منحت شهادة الزمالة في الجمعية الملكية للجراحين النسائيين ، وهي ليست طبيبة ، وعلى هذا فانا أطلب باسم اتحاد المؤرخين وباسم من سيحمل وسامها ، أن يقبل السيد الوزير

تقليده وسام المؤرخ العربي تقديراً لدعمه لهذا الاتحاد .

ولم يكن كل من السيد الوزير والاستاذ أمين الحافظ بعيداً عني فسمعت بوضوح الاستاذ الحافظ يقول للسيد الوزير (لقد حسم الدكتور السامرائي الموقف فلا مناص من قبول الوسام) . فنهض اثر ذلك السيد الوزير وتقدم مني ليتسلم براءة وسام الاتحاد . وصفق الحاضرون وانتهت الازمة .

ساعة يدوية من عمادة كلية الطب / ١٩٨٧

في يوم ٢٦ / ١ / ١٩٨٧ استلمت من عمادة كلية الطب الكتاب الآتي :

عمادة كلية الطب

الرقم ٢٧٦

التاريخ ٢٦ / ١ / ١٩٨٧

الى الاستاذ الدكتور كمال السامرائي

تهدي عمادة كلية الطب وافر تقديرها لشخصك وتود أن تعبّر عن ذلك بتقديم هدية رمزية (ساعة يدوية) من العمادة تثميناً لما تقدمه من عطاء لكليتنا بين الحين والآخر ، راجين لك دوام الموفقية ، مع التقدير .

الدكتور فخري محمد الحديثي

عميد كلية الطب

في الساعة العاشرة من يوم ٢٠ / ٢ / ١٩٨٧ اقيمت لي حفلة تكريم في قاعة البكر حضرها التدريسيون في كلية الطب برئاسة عميد الكلية ، وقام الى المنصة عميد الكلية وقال كلمة في ترجمة حياتي ، وثناء على أعمالي في ميدان التعليم الطبي ، وقدّم لي ساعة يدوية باسم مجلس العمادة ، فأخذتها من يده وقلت كلمة بالمناسبة كان أهم ما فيها : انني مدين لهذه الكلية التي أدبتني وعلمتني صناعة الطب ، وكل ما استطعت أن اقدمه لها من فائدة كان نتيجة أفضالها عليّ . وأنا إذ أتسلم هذه الهدية أدعو الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة الوطن والامة بالعلم والطب .

عن زواج الملك فيصل الثاني المزعوم / كانون الثاني ١٩٨٨

بعد أن نشرت مجلة آفاق عربية بحثي عن (حياة الملكة عالية في ساعاتها الاخيرة) اتصل بي رئيس تحرير هذه المجلة الدكتور محسن الموسوي يطلب مني أن

انشر معلوماتي عن الاشاعة التي راجت يوماً في بغداد عن زواج الملك فيصل الثاني من الفتاة الامريكية المدعوة (جنفييف ارنولت) وكنت قبل عام قد حصلت من صديقي المرافق الأول للملك فيصل الثاني اللواء عبيد عبدالله المضايفي على اضبارة الدعوى التي اقامتها الفتاة (جنفييف ارنولت) على الحكومة العراقية لتستحصل ما يصيبها من ميراث الملك فيصل الثاني (زوجها المرحوم) .

وأول من اشاع هذا الزواج المزعوم في العراق هي جريدة (اتحاد الشعب) لسان الحزب الشيوعي العراقي . وكان الخبر الذي نشرته هذه الجريدة مقتضباً إلا انه حقق ما كانت ترمي اليه من إهانة ونقد للعائلة الملكية الهاشمية ، فكتبت الى مجلة آفاق عربية ما عرفته عن زواج الملك فيصل الثاني المزعوم ونشرته مجلة آفاق عربية في عددها رقم (١) كانون الثاني ١٩٨٨ .

وبداية حكاية زواج الملك فيصل الثاني المزعوم كما رواها لي صديقي اللواء عبيد عبدالله المضايفي ، كانت في سنة ١٩٤٨ حين كان الملك فيصل الثاني يمضي عطلته الربيعية في مدينة (فيلدرد) بسويسرا ، وسقط بينما كان يمارس رياضة التزلج على الثلج في حفرة مليئة بالماء ، فكان عليه أن يدخل المستشفى ، غير ان أمه (الملكة عالية) التي كانت بصحبته فضلت لأسباب أمنية وعاطفية ، علاجه في الشقة التي تسكنها في (قصر فيلارد) . وفي يوم طرقت باب شقة الملك سيدة في نحو العقد الخامس من عمرها وطلبت من اللواء عبيد بالحاح وتودد أن يسمح لها بمقابلة الملك مدعية ان ابنتها التي كانت ترافقها تحلم أن تكلم أميراً أو ملكاً عربياً (قال عبيد) فنقلت رجاء هذه السيدة الى الملك فيصل الثاني الذي كان في تلك الساعة يستريح هو وأمه الملكة عالية في (فرندة) الشقة ، فأمر اللواء عبيد أن يسمح لهما أن تدخلا عليه وتقابلانه . وتقدمت المرأة باحترام شديد من الملك وقالت له وهي ما تزال واقفة :

ـ أنا مدام ميرلاند وهذه ابنتي جنفييف وكلانا نتوق بنفاد صبر لمقابلة ملك أو ملكة عربية . (وأضافت تقول) وما كنا نعلم يا جلالة الملك اننا سنتشرف بمقابلتكم بهذه البساطة والسهولة .

واعتدل الملك في كرسيه وقال لهما : أهلًا وسهلًا ، والتفت الى أمه الملكة عالية وقال لهما : وهذه هي أمي الملكة عالية ، فابتسمت لها مدام ارنولت وكذلك فعلت ابنتها جنفييف وهما يخفضان قامتيهما بالحركة التقليدية المألوفة فـي الغرب حين تقابل السيدة شخصية كبيرة بالاحترام والتعظيم .

وكانت جنفييف يومئذ في منتصف العقد الثاني من عمرها ، وهي كما قال لي

اللواء عبيد لا تملك من سمات الجمال إلا عينيها الوسيعيتين ، وشعرها الأشقر الطويل .

وقالت الملكة عالية مخاطبة الزائرتين :

ـ اعتدنا أن نتناول الشاي في مثل هذا الوقت ، فماذا لو تناولناه الآن جميعاً ؟

وكانت هذه اشارة لأن يطلب المرافق اللواء عبيد احضار مائدة الشاي ، وما لبث أن أحضر خادم الشقة عربة الشاي وعليها الفطائر والمربيات وقوارير الشاي والحليب . وما كاد الخادم يغادر الشقة حتى نهضت جنفييف باعتداد لا يخلطه خجل الصبايا المألوف في هذه السن ، وشرعت تسكب الشاي في أحد الاكواب وهي تسأل الملك فيصل : مع الحليب يا صاحب الجلالة ؟ فأجابها الملك فيصل :

ـ بلا حليب رجاءً ، وقطعة واحدة من السكّر .

كانت مدام ارنولت ثرثارة بتقيّد ، وقد دار جلّ حديثها مع الملك والملكة حول ما قرأته عن عادات العرب في بوادي الجزيرة العربية وبلاد الشام . وقالت في معرض ذلك انها زارت قبل عام واحد بغداد ، إلا انها لم تمكث فيها طويلًا لتتعرف على أهلها وما عندهم من تقاليد اجتماعية . ثم أردفت تقول : أنا مولعة بدراسة عادات الشعوب على اختلاف عروقهم ومواطنهم وألوانهم ، وبدا من حديثها انها تعرف بعض الشخصيات من العرب في مصر وسوريا . ولما عبّرت الملكة عالية عن سعة اطلاع ضيفتها عن البلاد العربية قالت مدام ارنولت : ان ذلك بحكم عملها في توسيع سوق الشركات التي تعمل لها في الشرق العربي . وكان الملك فيصل ينصت الى حديثها في غير اهتمام ملحوظ ، ولما سألته جنفييف عما اذا أحب جلالته سويسرا ، قال ببساطة : في شمال العراق بعض الامكنة لها شبه بما في هذه البلاد . ثم أضاف وكأنه يريد أن يقطع الحديث معها :

ـ ساعود الى مدرستي في هارو بانكلترا حالما يسمح لي الطبيب بذلك .

قال لي (ع . ع) : وانتهت زيارة مدام ارنولت وابنتها جنفييف للملك فيصل وأمه الملكة عالية بعد ساعة تقريباً . ولا أذكر انهما زارتا الملك مرة اخرى في سويسرا .

وفي سنة ١٩٥٢ زار الملك فيصل الولايات المتحدة ، فلما علمت بذلك مدام ارنولت أبرقت الى ابنتها جنفييف ، التي كانت يومئذ في سويسرا ، أن تاتي فوراً الى نيويورك لمقابلة الملك فيصل ودعوته الى حفلة شاي في بيتها بـ (غرين وج) . وجاءت جنفييف الى نيويورك ، وحصلت مدام ارنولت على قبول الملك لدعوتها الى تناول الشاي في بيتها بغرين وج . وفي الوقت المحدد في بطاقات الدعوة التي

وزعتها مدام ارنولت على موظفي السفارة العراقية بنيويورك ، وقفت اثنتا عشرة سيارة (ليموزين) سوداء اللون أمام مبنى القنصلية العراقية وحملت الملك فيصل وحاشيته ، وعددهم خمسة وستون ، الى بيت مدام ارنولت في (غرين وج) بضواحي نيويورك . ودام الحفل ، كما ادّعت هذه المرأة ، من الساعة العاشرة صباحاً حتى الحادية عشرة مساءً .

وفي مساء ذلك اليوم بالتحديد ، رنّ جرس التلفون في القنصلية العراقية بنيويورك ، وطلب من كان على خط التلفون مكالمة السفير نفسه ، وقال للسفير انه عربي ، ولما قاطعة السفير مستفسراً عن هويته أجابه بعجالة : هذا غير مهم ، أما المهم فهو أن أخبركم يا (معالي) السفير ان المرأة التي دعت الملك فيصل الى تناول الشاي في القصر الذي اقيمت فيه الدعوة ، ما هي إلا محتالة كبيرة ، وان القصر ، وكذلك السيارات التي نقلت حاشية الملك الى القصر ، مؤجرات ليوم واحد ، وانها بالتاكيد ليست ملكها كما أتوقع انها قد ادّعت بذلك ، فحاذروا يا (معالي) السفير أن تسمع الصحافة الامريكية بهذا الأمر ، فمثل هذا المقلب يكون مادة ثمينة لقراء الصحف الامريكان . وأنصحكم أن ترفضوا مقابلتها مرة اخرى .

قال (ع . ع) : ومن حسن الصدفة ان الملك وحاشيته كانوا يومذاك يزمعون مغادرة امريكا في اليوم التالي . ودفع الله ما كان أعظم . وقد كتم السفير العراقي خبر المكالمة التلفونية عن الملك وأعضاء حاشيته ، لأن السفارة حينذاك سوف تتحمل مسؤولية ما حدث عن دعوة مدام ارنولت للملك .

× × ×

وفي أواخر سنة ١٩٥٦ حاولت مدام ارنولت وابنتها جنفييف الحصول على سمة الدخول الى العراق ، إلا ان المفوضية العراقية في نيويورك ماطلت في منحهما السمة ، وهي تهدف بذلك الى الحيلولة بينهما وبين السفر الى العراق بسبب المخابرة التلفونية التي حذّر فيها المتحدث من هذه المرأة . فكان أن لجات مدام ارنولت الى صديقة لها في بغداد ، هي زوجة الملحق العسكري بالسفارة الامريكية ببغداد ، واسمه درسكول ، وقد كان في نهاية العقد الثالث من عمره ، مديد القامة ، معروق الوجه ، يرطن بالعربية التي كان يقحمها في لهجته (الامريكية) التي يخاطبني بها حين كان يصحب زوجته الى عيادتي في (مستشفى السامرائي) . وكانت زوجته ، المسز درسكول ، تناظره شكلًا وعمراً مع فارق الانوثة الناطقة في محياها . وكان لدرسكول وزوجته اصدقاء كثيرون من العراقيين ، أهليون وحكوميون من الرجال والنساء ، فتوسطا لصديقتهما مدام ارنولت وابنتها جنفييف وحصلا لهما

عملاً على سمة الدخول الى العراق . وفي مطار بغداد كان في استقبالها المسز درسكول وأحد موظفي السفارة الامريكية واستصحباهما الى بيت استاجراه لهما في الوزيرية من مالكه بهاء عوني الموظف في وزارة الخارجية العراقية .

ومما له علاقة بجنڤييف ، بطلة قصة الزواج المزعوم ، أذكر شيئاً عن المسز درسكول وزوجها العقيد درسكول اثناء ترددهما على مستشفى السامرائي مما يخولني أن أدّعي بأني رأيت جنڤييف وأمها مدام ارنولت عن كثب يوم كانتا تزوران صديقتهما المسز درسكول في المستشفى ، في الايام الثلاثة الاخيرة من حياة درسكول قبل وفاته في هذا المستشفى . غير انني لم أكن أعرف يومئذ ان لجنڤييف هذه سراً دفيناً ستحاول أن تجعل له شأناً في يوم من الايام .

في يوم حار من شهر حزيران سنة ١٩٥٦ عاد العقيد درسكول من المانيا الغربية الى بغداد وهو يشكو من حمى وعسر في التنفس ، فأوصى طبيبه الدكتور جاك عبودي بادخاله الى أحد المستشفيات لتشخيص سبب الحمى وعلاجها . واتصل بي الدكتور عبودي لتهيئة غرفة له في مستشفى السامرائي الذي كنت أديره يومئذ وكانت المسز درسكول هي الاخرى احدى مريضاتي ، فاعتذرت عن قبوله في المستشفى لعدم وجود غرفة شاغرة في حينه . وفي اليوم التالي ادخل العقيد درسكول الى مستشفى السامرائي بحالة سيئة . وقد تبين للدكتور عبودي ان مريضه مصاب بمرض (البولبو) المعروف باسم شلل الاطفال الذي اصيب به حين كان في المانيا الغربية .. وأخطر الدكتور عبودي المسز درسكول بضرورة استحضار رئة صناعية لمساعدته على التنفس ، إذ بدونها قد يتوقف التنفس نهائياً . فاتصلت السفارة الامريكية بمستشفى في المانيا الغربية لارسال هذه الآلة التي تعمل بقوة كهربائية وبقوة البطارية أيضاً تمهيداً لنقله الى امريكا للحيلولة دون توقف عمل الرئة الصناعية اثناء حمل المريض من المستشفى بالسيارة الى الطائرة ، ووصلت الرئة الصناعية في غروب ذلك اليوم . وادخل درسكول في جوف الصندوق الذي يحوي الرئة . وكانت المسز درسكول ممرضته الاولى ، تكلمه ويكلمها كتابة ، بسبب شلل الحنجرة ، على ورقة تقرأها من خلال نافذة مغطاة بزجاج في الوجه العلوي من صندوق الرئة ، كما كانت جنڤييف ، أو أمها ، تاخذان أحياناً مكان المسز درسكول في خدمة هذا المريض ، وكانت كلاهما ، وكذلك المسز درسكول ، متماسكات الاعصاب ازاء التغييرات المرضية التي يمر بها مريضهم درسكول ، لا يفقدن الأمل في شفائه .

بعد يومين لفظ انفاسه الاخيرة .

ما أن علمت السفارة الامريكية بخبر وفاة درسكول حتى اكتظ في الممر الضيق

الذي ينتهي بالغرفة التي يرقد فيها جثمان درسكول ، عدد غير قليل من موظفي السفارة الامريكية ، وعدد آخر من المسؤولين العراقيين ، ومن الملحقين العسكريين في بعض السفارات الاجنبية ببغداد . ومن بين هذا الحشد تقدمت مني المسز درسكول تطلب الدخول الى غرفة زوجها المتوفى ، ولتمكث وحدها الى جانبه نصف ساعة ، لتعيش برفقته ، على حد ما قالت ، كما كانت تعيش في العشر سنوات الاخيرة من زواجهما . فلبيت طلبها وفتحت لها باب حجرة المتوفى ، وكان مقفلاً . وقبل أن تدخل الغرفة استدارت لتنادي جنڤييف التي لم تكن بعيدة عنها . ودخلا الغرفة معاً وشكرتني وهي تغلق الباب من ورائها . وبعد دقائق خرجت جنڤييف وحدها من الغرفة . وانقضت ثلاثة ارباع الساعة ، دون أن يفتح باب الغرفة . فطلبت مني مدام ارنولت أن أدخل الغرفة لتهيئة المتوفى تمهيداً لنقله الى مقر البابوية ببغداد حيث تقام له الطقوس الدينية قبل نقله بالطائرة الى امريكا . طرقت بخفة باب الغرفة مرة ، ثم مرة اخرى ،ولما لم أسمع جواباً دخلت الغرفة ، وكانت ستائرها مسدلة ، فلما تكيفت عيناي لضياء الغرفة القليل رأيت شيئاً عجباً .. ومرعباً .

كان درسكول مسجى في فراشه ، عارٍ ما فوق سروال بجامته ، ورأسه مرفوع قليلًا على وسادتين ، ويداه قابضتان على دفتي كتاب مسند على فخذيه اللتين ارتفعتا بثني الركبتين ، والمسز درسكول مستلقية الى جانبه وهي تمسك بيدها اليسرى الركبتين لتبقيهما منتصبتين ، أما يدها اليمنى فقد دستها فيما بين الوسادتين لتبقي رأسه مرفوعاً وكأنه يحدّق النظر في صفحة الكتاب الذي يتسرب اليه ضوء المصباح الصغير الموضوع الى جانب رأس السرير .

التفتت المسز درسكول نحوي اثر دخولي الغرفة قبل أن تنهض من مكانها وهي ممددة الى جانب جثمان زوجها ، وقالت بذهول : اذن سيفارقني درسكول . وقبّلته في ثغره ثم أخذت الكتاب من بين يديه ، وبسطت رجليه على الفراش ثم يديه الى جانب جسمه ، وأخيراً سألتني أن اساعدها لتلبسه قميص بجامته . وحمل عدد من الامريكيين يرتدون ألبسة شبيهة بالبسة رجال البحرية جثمان درسكول الى مدخل المستشفى ، ومنه نقل على سيارة مكشوفة وهو مغطى بالعلم الامريكي الى مقر البابوية القريب من بناية وزارة الصحة في الوقت الراهن . وكانت المسز درسكول قد سبقت جثمان زوجها في سيارة اخرى والى جانبها مدام ارنولت وابنتها جنڤييف ، وترجلت من السيارة عند مدخل مقر البابوية لتستقبل جثمان زوجها عند انزاله من السيارة المكشوفة وقد وقف الى جانبها كثير من المشيعين العراقيين والاجانب .

لم أكن ، كما قلت آنفاً ، اعرف جنڤييف حتى قال لي (ع . ع) ذات يوم ، ونحن

تتفحص اضبارة محكمتي لندن ونيويورك اللتين نظرتا في ادعاء جنڤييف انها أرملة الملك فيصل : أنت يا كمال تعرف جنڤييف أو انك رأيتها حتماً . انها الصبية التي كانت تلازم المسز درسكول حين كان زوجها في مستشفاك . فتذكرتها حينذاك ولكن بصورة غير واضحة ، وربما كانت عيناها الواسعتان وشعرها الاشقر الطويل ابرز ما بقي في ذاكرتي عنها ، وما زلت أذكر انها كانت صغيرة الحجم .

سرعان ما صار لجنڤييف وأمها ، مدام ارنولت ، معارف واصدقاء في بغداد من العراقيين والأجانب ، فصاروا يدعونهما الى الحفلات في الليل والنهار ، كما صارتا تستقبلانهم في بيتهما بالوزيرية ، وتقيمان لهم حفلات تحضرها شخصيات ذوات مراكز مرموقة في أجهزة الدولة والسوق التجارية ، ويبدو ان جنڤييف كانت جريئة وغير متحفظة في هذا المضمار ، إذ كانت تكثر من السهر ولا تعود الى بيت أمها ، في الغالب ، إلا في ساعات متأخرة من الليل ، ولا تعير اهتماماً للجيران حين تصل الى بيتها ليلًا ، فتغني بصوت عالٍ يمتعض منه سكان المحلة ، وتفعل مثل ذلك في البيوتات التي تدعى اليها .

قال لي (ع . و . و) ، وهو رجل اعمال يسكن في الصليخ القديم ، ولا يفصل بين داره وبين دار شخصية بغدادية مشهورة إلا عرض الشارع ، قال : كانت هناك امرأة أجنبية أراها أحياناً برفقة عدد من الرجال يسهرون في المشتمل الملحق بدار الشخصية البغدادية المذكورة . ويوماً وقفت سيارة ونزل منها رجلان ثم امرأة أجنبية ، صرت اعرف ملامحها العامة لكثرة ما أراها تتردد على هذا المشتمل ، ودخل الثلاثة حديقة المشتمل ليقطعا الممر الطويل الذي يصل الى حجرات المشتمل ، وهم يضحكون ويغنون بصخب . وأثناء ذلك طلعت عليهم زوجة صاحب الدار ، وتقدمت مسرعة الى تلك السيدة ولطمتها بكفها على وجهها ، ثم خلعت حذاها وضربت به رأسها ، غير ان تلك المرأة الاجنبية استمرت تغني وتقهقه وكانها في موقف مزاح مع زوجة صاحب الدار . وأضاف (ع . و . و) : وقد علمت فيما بعد ان تلك السيدة ، العراقية ، قد اتصلت تلفونياً بمدير التحقيقات الجنائية آنذاك بهجت العطية واخبرته بما تفعله تلك المرأة الاجنبية في مشتمل بيتها ، وطلبت منه اتخاذ ما يلزم لاعادة الكرامة الى شارعها الذي تسكنه العوائل المحترمة . وسوف نرى لاحقاً ان تلك المرأة الاجنبية المقصودة كانت جنڤييف .

قال لي (ع . ع) : ذات ليلة ، في احدى حفلات (نادي صيد ابن آوى) ببهو الامانة ، ان أحد أفراد الانضباط العسكري المكلّف بتقديم المساعدات الى الضباط الذين يشاركون في الحفل ؛ اخبره ان سيدة اجنبية تقف عند باب البهو قد طلبت منه

استدعاءه . فلما ذهب (ع . ع) الى باب البهو ليرى مَن تكون تلك السيدة التي تطلب مقابلته وجد بانتظاره مفاجأة لم يكن يتوقعها .. جنفييف ولم يكن (ع . ع) يعلم ، حتى تلك الساعة ، انها في بغداد . فسألها : ماذا تريدين مني يا امرأة؟ فاجابته باعتداد : قل لهذا الجندي أن يسمح لي بدخول البهو فقال لها رجاءً ان هذا غير ممكن لأن من نظام (نادي صيد ابن آوى) أن لا تدخله سيدة إلا بصحبة رجل . وعاد الى داخل البهو ليقف قريباً من الحلقة المحيطة بالملك بحكم واجبه كمرافق لجلالته والمسؤول عن أمنه وحياته . وبعد مضي دقائق رأى جنفييف بنفسها بين المحتفلين . فطلب من العسكري المرافق له أن يبعد تلك المرأة ، وهو يشير باصبعه اليها ، عن حلقة الملك ، ويطلب منها مغادرة البهو فوراً ، واذا امتنعت فعليه أن يخرجها عنوة ، وبعد دقائق عاد العسكري اليه ، بعد أن كلمها ، ليقول له انها بصحبة (م . م . ح) الذي هرع اليه بينما كان (ع . ع) يستمع الى العسكري ، ورجاه أن يسمح لها بمقابلة الملك ، كان (م . م . ح) هذا يوماً وزيراً بلا وزارة ، فقال له (ع . ع) تخلصاً من الاحراج : ساطلب الاذن من الملك أولًا ، وتقدم فعلًا من الملك ونقل اليه طلب الوزير الشاب ، فقال له الملك بالحرف الواحد .

لا أريد أن أرى هذه المرأة ، فقد وصلتني أخبارها المشينة في بغداد ، وهي أيضاً تحاول أن تستغل تعرفي عليها في سويسرا ولقائي معها في أمريكا . لا أريد أن أراها .

× × ×

وفي صباح اليوم التالي اتصل (م . م . ح) ، وهو وزير سابق ، بمدير التحقيقات الجنائية بهجت العطية ، وشكا له سيدة أجنبية ضيّفها في بيته ، فلما طلع النهار كانت قد غادرت بيته ، وحين ارتدى ملابسه اكتشف ان ثمانين ديناراً قد سرقت من جيبه . فقال له بهجت العطية على الفور : ان هذه السيدة الاجنبية التي تشير اليها هي جنفييف .. أليس كذلك يا استاذ؟ فلما استبعد الوزير أن تكون هي السارقة اجابه بهجت العطية : بل هي بالتاكيد ، وهناك أكثر من شكاية ضدها ، وقد اتصلت بي قبل يومين زوجة صديقك (م . م) ترجوني ابعادها عن زوجها الذي تراوده ، وقد نبعدها عن العراق عما قريب .

ويبدو ان جنفييف شعرت انها مراقبة من قبل دائرة التحقيقات الجنائية ، فخطر على بالها أن تستنجد بالملك بعد أن فشلت في مقابلته في بهو الامانة ، وهي تتوقع انه سيذكرها ويامر لها بما تريد . فاتصلت بدائرة التشريفات في البلاط الملكي ليحدد لها موعد لمقابلة الملك . ولم تكن هذه الدائرة على علم بما فعلته جنفييف في أمريكا عندما دعت الملك الى تناول الشاي في بيت أُمها مدام ارنولت ، ولا بالمخابرة

التلفونية بين العربي المجهول وبين السفير العراقي في الولايات المتحدة .
وكان أن سجل مدير التشريفات اسمها في قائمة الراغبين في مقابلة الملك .
قال لي (ع.ع) : فلما علمت بهذا الاستغفال أخبرت مدير التشريفات تحسين قدري بكل ما أعرفه عن هذه المرأة ، فاقتنع بما قلته وأمر برفع اسمها من القائمة المذكورة ، كما اسرع بالاتصال فوراً ببهجت العطية الذي سبق أن بادر الى مخابرة وزيري الداخلية والخارجية يرجو منهما ابعاد جنفييف وأمها عن العراق .
قررت وزارة الداخلية ، بالمشاورة مع وزارة الخارجية ، ابعاد جنفييف وأمها عن العراق ، ووضعت الشرطة خطة لتنفيذ هذا القرار . ففي اليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٩٥٨ ، اتصل مامور مركز شرطة الوزيرية تلفونياً بمدام ارنولت في بيتها وطلب منها أن تحضر الى المركز مستصحبة معها جواز سفرها ، ولما استعلمت منه عن سبب ذلك أجابها باقتضاب ان سبب ذلك اجراءات روتينية تتعلق بموضوع اقامتها في بغداد وفي مركز الشرطة طلب منها مامور المركز أن توقع على ورقة تلزمها ، هي وابنتها جنفييف على مغادرة العراق في مدة أقصاها يومين ، فامتنعت أولًا عن توقيع الورقة ثم خضعت للأمر بعد أن فشلت في الحصول على مساعدة من السفارة الامريكية لتمديد مدة الانذار بمغادرة البلاد . وفي اليوم المحدد اقتيدت مدام ارنولت وجنفييف بحراسة الشرطة الى مطار بغداد وادخلتا الى طائرة تعود لشركة (پان امريكان) متجهة الى استانبول .
بعد أن غادرت جنفييف وأمها بغداد ، بالطريقة التي ذكرناها ، تبين ان بذمتيهما لصاحب الدار التي سكنتاها في محلة الوزيرية أجر سنة أو بعض السنة . مما اضطر صاحب الدار ، من أجل استعادة حقه ، على أن يبيع امتعة جنفييف وامتعة أمها بالمزاد العلني بعد أن اخطر السفارة الامريكية في بغداد بهذا الاجراء . وقد تم له فعلًا ما أراد .

× × ×

لا ريب ان جنفييف ، وأمها مدام ارنولت ، قد ساءهما مغادرة العراق حيث كانتا تنعمان بعلاقات واسعة في المحافل البغدادية السخية ، وبدافع النقمة والحقد على الطريقة التي اخرجتا بها من العراق ، والحسرة على ما فاتهما في بغداد ، فقد فكرت مدام ارنولت باستغلال تعرّف ابنتها جنفييف على الملك في سويسرا ، وبعدها في امريكا ، ورسمت لتنفيذ هذه الفكرة خطة لا يقدم على تطبيقها إلا من له خبرة وجرأة للاصطياد بالماء العكر . فلماذا لا تدّعي ابنتها جنفييف انها كانت صديقة فيصل منذ صباه في مدينة فيلارد بسويسرا ، وانه وعدها بالزواج حين زارها في بيت أمها بنيويورك ، وسيحكم القانون الامريكي لها بالتعويض المادي ضد من يحنث بالوعد

في زواجه من المرأة التي عاشرها مدة على وعد بهذا الزواج . وبينما كانت مدام ارنولت تقلّب هذه الفكرة برأسها ، سمعت بمقتل الملك فيصل في احداث ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق ، فحولت تفكيرها نحو خطة اخرى افضل ، وربما أضمن للربح الوفير ، فلماذا لا تدّعي جنڤييف انها قد تزوجت فعلًا من الملك فيصل ، فلا تذكر من شهود عقد الزواج سوى الذين توفوا أو قتلوا في أحداث ثورة تموز ؟ واذا هي سئلت في المحكمة عن مراسيم زواجها في بغداد فان لها معرفة مفصلة ودقيقة بها . واذا طلبت المحكمة منها ابراز عقد الزواج فستدّعي انها حين اقتيدت مطرودة من العراق ، سلبتها الشرطة كل ما كانت تحمله معها ، ومن ضمن ذلك صورة العقد وأشياء اخرى ثمينة كان الملك قد أهداها لها بمناسبة الزواج .

واقامت جنڤييف الدعوى في ضوء تلك الادعاءات للحصول على ما للملك فيصل الثاني من اموال منقولة وغير منقولة في الولايات المتحدة .

ان نوع الدعوى وصنفها ، والمدّعون والمدعى عليهم فيها ، جذب اهتمام الناس للوقوف على تفاصيلها ، فاكتظت المحكمة بالمشاهدين ومراسلي الصحف .

وقفت جنڤييف ارنولت أمام القاضي واجابت باستطراد عن هويتها قالت : اسمي جنڤييف ارنولت ، وعمري ٢٢ سنة ، وأسكن مع أمي في (غرين وج) بنيويورك . ثم قالت : وقد فوضت المستر سنغر محامياً في قضيتي .

وفيما يلي أنقل افادتها بلا تحوير إلا ما تقتضيه الترجمة الى اللغة العربية ، واختزال بعض العبارات غير المهمة لتحاشي الاطالة في السرد الذي لا يدخل في صلب الادعاء أو الدفاع . قالت جنڤييف :

١ ـ أنا أرملة صاحب الجلالة ملك العراق فيصل الثاني ، وقد تزوجت منه في بغداد يوم ٢٢ مايس سنة ١٩٥٧ على الطريقة الاسلامية والتقاليد العراقية ، وكنت فيما بين زواجي وبين مقتل زوجي المرحوم الملك فيصل الثاني ، أعرف واخاطب في بغداد من قبل الوزراء واصدقاء الملك زوجي ، باسم الملكة جنڤييف ، إلا اننا لم نعلن عن زواجنا رسمياً لاعتبارات تقليدية وسياسية .

٣ ـ ولدت ابنة شرعية في باريس يوم ٢٢ حزيران ١٩٣٧ من أبوين هما : إم . هنري ارنولت ولوني ارنولت . وتلقيت تعليمي في كل من فرنسا وسويسرا وامريكا . ولامي مكتب للعقارات في امريكا كما انها شاركت في اعمال الصليب الاحمر السويسري .

٣ ـ تعرّفت على الملك فيصل الثاني في أحد أيام شباط سنة ١٩٤٨ بمدينة ڤيلارد بسويسرا ، وكان يومئذ في الحادية عشرة من العمر ، وكان عمري ثلاثة عشر

سنة . وتوثقت بيننا صداقة حميمة وصرنا نتبادل الهدايا الرمزية والطوابع البريدية التي كان كلانا يهوى جمعها . ولما سافرت مع أمي الى امريكا صار الملك فيصل يراسلني ويبعث اليَّ بالهدايا التي يعرف اني احبها .

٤ - في سنة ١٩٥٢ وصلتني رسالة من جلالته بواسطة القنصلية العامة بنيويورك يطلب مني فيها أن أستقبله في بيت أمي في (غرين وج) بنيويورك . وحين وصل جلالته الى واشنطن كنت يومئذ في سويسرا فابرقت لي أمي بان أتوجه الى نيويورك فوراً لنكون في استقبال الملك كما رغب في رسالته اليَّ . وفي الوقت الذي حددته السفارة العراقية لمصاحبة الملك الى بيت أمي مدام ارنولت في (غرين وج) ، وقفت اثنتا عشرة سيارة (ليموزين) سوداء عند باب القنصلية العراقية وحملت الملك وحاشيته ، وعددهم خمسة وستون ، كان منهم ولي العهد الامير عبدالاله . وفي بيت أمي اختلى الملك والامير عبدالاله بأبي وأمي ، وأخبراهما برغبة فيصل في الزواج مني بعد أن يتولى السلطة الملكية في العراق عند بلوغه السن القانونية لهذا المنصب .

٥ - في سنة ١٩٥٦ وصلتني ، عن طريق السفارة العراقية ، دعوة من الملك فيصل لزيارة بغداد لوضع منهاج الزواج وما يحتاجه من استحضارات بالمستوى الملكي . وفي بغداد استقبلني الملك كخطيبته التي حضرت خصيصاً للزواج به والذي حددنا موعداً له يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٥٧ ، وهو اليوم الذي يوافق عيد ميلادي الثاني والعشرين . وفي هذا اليوم تم عقد زواجي بالملك في بيت أمي على الطريقة الاسلامية . وقد حضر مراسيم العقد كل من الملك فيصل ، وولي العهد الأمير عبدالاله ، ووزير الداخلية سعيد قزاز ، ومتصرف بغداد عبدالجبار فهمي وعدد من الضباط الشباب اصدقاء الملك . وقام بمراسيم عقد الزواج (الملّا) ، وهو من موظفي دائرة أوقاف بغداد ، تغطي رأسه عمامة خضراء ، وقد أحضر معه خمس وثائق على بعضها كتابة باللغة العربية ، أملى واحدة منها وقدمها للملك فيصل فوقعها وأعادها اليه ، ثم أعطاني اخرى فوقعتها واحتفظت بها لنفسي وهكذا كتب (الملّا) ثلاث نسخ اخرى من هذا العقد احتفظ (الملّا) بواحدة في سجلاته ، واحتفظ باخرى لترسل الى البرلمان العراقي ، وقد وقع ثلاثة من الضباط الشباب الذين حضروا مراسيم العقد جميع اوراق العقود كشهود على زواجي من الملك فيصل . واثناء عملية اعداد اوراق العقد والتوقيع عليها البسني الملك حلقة الزواج ، وهي خاتم من الذهب المطعم بالماس . وفي ختام هذه المراسيم أخذني الملك بسيارته الى قصر (عكركوف) الذي تم اعداده مؤقتاً لهذه المناسبة . أما القصر

الذي شيّد خصيصاً لزواج الملك فلم يكن قد تم انشاؤه بعد .

وقد تقاطر الضيوف على بيت أمي بعد عقد القران مباشرة ومكثوا في حديقة دارها حتى منتصف الليل . ولم نعلن عن كل ما حدث بهذه المناسبة في ذلك اليوم نزولاً عند رغبة زوجي الملك بسبب الاضطرابات القائمة بين حكام الدول العربية .

٦ ـ كانت ايامنا بعد الزواج هانئة كثرت فيها الحفلات التي اقامها افراد العائلة المالكة على شرفنا وكنت أدعى من قبلهم باسم جلالة الملكة جنفييف ، وحين ادخل بصحبة زوجي الملك بهو الامانة تعزف لنا موسيقى الجيش السلام الملكي ، واذا مررنا بشارع الرشيد نُثرت على سيارتنا المكشوفة الورود .

٧ ـ في اليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٩٥٨ اقتادنا ، أنا وأمي ، شرطيان الى المطار في بغداد ، وهناك أخذوا منا جميع ما كنا نحمله معنا من اوراق وحلي ، وأرغمنا على الصعود الى طائرة (البان امريكان) المتوجهة الى استانبول ، ولم أر زوجي الملك فيصل بعد ذلك .

٨ ـ اطالب بحقوقي كارملة المغفور له فيصل الثاني مما تركه من الاملاك المنقولة وغير المنقولة ، والاحتفاظ رسمياً بلقب الملكة جنفييف .

● المناقشـــــــة :

الادعاء : أين ولدت يا جنفييف ؟

محامي جنفييف : أعترض على هذا السؤال واعتبره خارجاً عن صدد هذه القضية .

الادعاء : هل تذكرين اليوم الثاني والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٥٧ ؟

جنفييف : نعم أذكره بكل تاكيد ، هو يوم زواجي بالملك فيصل الثاني .

الادعاء : مَن حضر مراسيم الزواج .

جنفييف : حضرها كل من الأمير عبدالله ووزير الداخلية سعيد قزاز ، ومتصرف بغداد عبدالجبار فهمي ، كما حضرها الملك فيصل نفسه ، وأمي لوني ارنولت ، وخمسة ضباط من اصدقاء الملك .

الادعاء : هل حضر السفير الامريكي غولمان ؟

جنفييف : لم يكن غولمان من المدعوين .

الادعاء : هل وضعت ثمة وثيقة تثبت زواجكما ؟

جنفييف : نعم ، كتبت خمس وثائق .

الادعاء : ما شكل الوثيقة ؟

جنفييف : ورقة طويلة نوعاً ما ؟ وفي أعلاها صورة التاج الملكي العراقي ،

وعلى جانبها الايمن بعض الكتابات باللغة العربية ، وعلى الجانب الايسر ختم ذهبي ، وقريب من الختم طابع فيه صورة الملك فيصل الثاني .

الادعاء : هل كان الزواج قبل ثورة ١٤ تموز في العراق أم بعد ذلك ؟

جنفييف : قبل ثورة ١٤ تموز في العراق .

الادعاء : هل في حوزتك وثيقة الزواج ؟

جنفييف : أفدت قبلًا ان الشرطة أخذت مني كل ما كنت أحمله ومن ضمن ذلك وثيقة الزواج .

الادعاء : مَن الذي أمر بمصادرة الوثيقة ؟

جنفييف : عبدالكريم قاسم .

الادعاء : كانت مغادرتك العراق كما قلت يوم ٢٨ / ٣ / ١٩٥٨ ، أي في العهد الملكي ، وعبدالكريم قاسم حكم إثر انقراض العهد الملكي ، فكيف يكون ذلك ؟

جنفييف : كان عبدالكريم قاسم يومذاك مسيطراً في الخفاء على الوضع في بغداد !

الادعاء : هل بعثت بطاقات دعوة للضيوف الذين حضروا الحفل بعد عقد القران ؟

جنفييف : كلا ، لان ذلك من اختصاص زوجي الملك ومشاوريه .

الادعاء : هل بعثت بخبر ذلك الحفل الى أحد ؟

جنفييف : لا يصحّ ذلك في العراق .. تقليدياً ورسمياً .

الادعاء : هل نُشر خبر زواجك من الملك في الصحف ؟

جنفييف : كلا .

الادعاء : هل اعلنت الحكومة العراقية خبر زواجك من الملك ؟

جنفييف : لم تعلن ذلك .

الادعاء : هل للبرلمان العراقي علم بزواجكما ؟

جنفييف : لم يكن للبرلمان علم بذلك ، لان الثورة كانت على وشك أن تندلع !

الادعاء : انبهك يا جنفييف ان زواجكما كان يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٥٧ والثورة حدثت يوم ١٤ / ٧ / ١٩٥٨ أي بعد أكثر من سنة .

جنفييف : هذا صحيح .

القاضي : هل عندكِ شاهد على ما أدليت به يا جنفييف ؟

جنفييف : شهودي الآن في عداد الاموات باستثناء أمي لوني ارنولت !

الادعاء : هل شهدتِ زواج ابنتك جنفييف من الملك فيصل ؟

مدام ارنولت : نعم .

الادعاء : قالت ابنتك انك حصلت على وثيقة زواجهما . فهل يمكن عرضها على المحكمة ؟

مدام ارنولت : أُخذت مني هذه الوثيقة حين غادرت مع ابنتي مطار بغداد .

الادعاء : كيف تمت خطوات زواج ابنتك جنفييف من الملك ؟

مدام ارنولت : في يوم ٧ حزيران ، أو ٨ حزيران ١٩٥٧ ، حضر كل من سعيد قزاز وعبدالجبار فهمي في بيتي وتحدثا معي في ما يجب اتخاذه لزواج ابنتي من الملك فيصل ، وكانت زيارتهما هذه لي رسمية .

الادعاء : هل وقّعتِ أنتِ على عقد الزواج ؟

مدام ارنولت : نعم .. كشاهدة .

الادعاء : هل صادق البرلمان العراقي على وثيقة الزواج ؟

مدام ارنولت : نعم اثر انعقاد البرلمان الجديد في شهر تموز ١٩٥٧ .

الادعاء : هل تعرفين المستر البرت بندر ، ومتى تعرفت عليه ؟

مدام ارنولت : منذ سنة ١٩٥٠ أو ١٩٥١ .

الادعاء : هل نقلت اليه خبر زواج ابنتك من الملك ؟

مدام ارنولت : انه يعرف صداقتنا مع الملك فيصل الثاني ومع موظفي السفارة العراقية بنيويورك .

الادعاء : أرجو تحديد الجواب بنعم أو لا .

الدفاع : أرجو أن لا تقاطع الشاهدة .

الادعاء : أنا أهدف الاختصار لا غير . والآن اعيد السؤال : هل أخبرت المستر بندر ان ابنتك قد تزوجت من الملك فيصل ؟

مدام ارنولت : نعم .

الادعاء : متى .. وأين ؟

مدام ارنولت : في مناسبات كثيرة .

الادعاء : متى كان ذلك لأول مرة ؟

مدام ارنولت : لا أتذكر .

الادعاء : هل أعلنتِ زواج ابنتك من الملك فيصل ؟

الدفاع : اعترض على هذا السؤال .

مدام ارنولت : كان هذا خلاف التقاليد والبروتوكول طالما لم يعلن عن الزواج رسمياً في العراق ..

الادعاء : هل أخبرتِ أحداً من معارفك بهذا الزواج ؟
الدفاع : أعترض على هذا السؤال ..
الادعاء : اذن أنت لم تبعثي الى أحد من معارفك بما يفيد زواج ابنتك جنفييف من الملك فيصل .
الدفاع : أعترض على هذا السؤال .
الادعاء : اترك لمدام ارنولت أن تضع بنفسها صيغة لمعنى سؤالي .
الدفاع : هي لا تضع صيغة لهذا السؤال ، أنت يا مستر بيلي تتحمل مسؤولية تطوير السؤال .

الادعاء : اعيد السؤال : هل كان ثمة اعلان عن زواج ابنتك من الملك فيصل ؟
مدام ارنولت : سبق أن أجبت عـن هذا السؤال أو في الأقل على قسم منه ، وليس عندي أكثر من ذلك .
الادعاء : أجيبيني رجاءً : هل كان ثمة اعلان عن زواج ابنتك من الملك فيصل ؟
مدام ارنولت : أجبت بما يكفي ، ولا أريد أن أضيف شيئاً آخر .
الادعاء (يعيد السؤال) : هل أعلنت زواج ابنتك من الملك فيصل ؟
مدام ارنولت : يحتمل اني اعلنت ..
الادعاء : أعلنتِ أم لم تعلني ؟
مدام ارنولت : كنت أنتظر قرار الحكومة بالموافقة على زواجهما لأعلن الخبر بعد ذلك .
الادعاء : هل أعلن الملك فيصل زواجه من ابنتك جنفييف ؟
مدام ارنولت : جائز ، لا أعلم ..
الادعاء : سؤال آخر ، هل قدّمت حساباتك لدوائر الضريبة لسنة ١٩٥٧ ؟
الدفاع : اعترض على هذا السؤال .
الادعاء : أرجو الاجابة عـن هذا السؤال .
مدام ارنولت : ارفض الاجابة .
الادعاء : هل ذكرتِ في أي من حساباتك لضريبة الدخل اسم ابنتك جنفييف ؟
الدفاع : الحسابات سرية ، لا يعرفها إلا المكلف ودائرة الضريبة .
الادعاء : هل ذكرتِ اسم جنفييف في حساباتك، وباية صيغة ؟ مس جنفييف أو الملكة جنفييف ؟

الدفاع : اعترض على هذا السؤال .
الادعاء : هل كانت المسز ودمار غولمان حاضرة في حفل عقد الزواج ؟
مدام ارنولت : لم تحضر ، لان الحفل اسلامي .
الادعاء : هل أعلن أحد من ضيوف الحفل ان هذا الحفل بمناسبة زواج الملك فيصل من جنفييف ؟
مدام ارنولت : كلا ..
الادعاء : هل وصلت هدايا للعروس جنفييف ؟
مدام ارنولت : من الملك فقط .
الادعاء : ما هي تلك الهدية ؟
مدام ارنولت : هدية كبيرة من نوع خاص بمستوى جلالته .
الادعاء : وما هي ؟
مدام ارنولت : ابنتي لم تطلب هدية لنفسها خشية أن يقال انها استغلت الملك . فقد أهداها ارضاً مساحتها ١٦٥ إيكر ، وابنتي ، بدورها ، أهدتها الى جامعة الجزويت لتبني عليها جامعة تكون أول أثر علمي امريكاني في العراق ..
الادعاء : هل حضر أحد من جماعة الجزويت الى حفل قران الملك بابنتك جنفييف ؟
مدام ارنولت : لم يحضر أحد .
الادعاء : هل هناك هدية اخرى من الملك ؟
مدام ارنولت : كان الزواج عاجلًا ، كما كان الملك لا يريد أن يعرف خاله ، الأمير عبدالاله بتفاصيل زواجه من ابنتي .
الادعاء : لماذا لا يريد أن يعرف عبدالاله ذلك ؟
مدام ارنولت : لا أعلم ..

× × ×

اعلنت محكمة نيويورك التي نظرت في دعوى جنفييف ارنولت رقم (ايف ٥٨٥) لسنة ١٩٧٣ . قرارها باحقية جنفييف ارنولت بميراثها من زوجها المتوفى الملك فيصل الثاني مما له من الاملاك المنقولة وغير المنقولة ، وما في بنوك امريكا من النقد والمودوعات ، كما ان لها الحق بطبع بطاقات واوراق باسم « ملكة العراق سابقاً » ، باللغتين العربية والانكليزية . وقد قرأ الحاكم هذا القرار علناً أمام المدعية والشهود والمشاهدين .
ومما يثير الدهشة أن لا نجد في اضبارة هذه الدعوى ما يدل على ان المحكمة

استشهدت بمن هم أقرب الناس الى الملك فيصل الثاني في أيام الزواج الذي اعدّته جنفييف . وقد يكون مرافقه الاقدم (ع . ع) الشاهد الوحيد الذي يستطيع ، بثقة ، أن ينفي أو يؤكد حدوث هذا الزواج ، كما كان باستطاعة المحكمة أن تفيد من السادة علي حيدر سليمان وعبدالله بكر والمرحوم تحسين قدري ، وثلاثتهم كانوا بركاب الملك في امريكا أو انهم سمعوا بتفاصيل زيارته لتلك البلاد .

× × ×

ويبدو ان جنفييف قد أسكرها نجاح دعوتها في نيويورك فاقامت دعوى على غرارها في محكمة لندن برقم (H.H.554) وبتاريخ ٤ حزيران ١٩٧٥ ، للحصول على ما يملكه فيصل الثاني من الاموال المنقولة وغير المنقولة في المملكة المتحدة .

ويبدو ان المدعية جنفييف لم تذكر من شهود الاثبات إلا واحداً هو أمها مدام ارنولت . إلا ان المحكمة لم تعتمد على شاهد واحد في هذه الدعوى ، فاستعلمت من السفارة العراقية عن معارف فيصل المقربين اليه ، فذكرت لها السفارة اسماء اربعة من الشخصيات العراقية كان من بينهم رئيس مرافقي الملك (ع . ع) . وكان افادة جنفييف أمام الحاكم صورة طبق الأصل لافادتها في محكمة لندن ، وكذلك كانت المناقشة . وفيما يلي نص شهادة مرافق الملك المذكور .

أدلى السيد عبيد عبدالله المضايفي بشهادته مكتوبة بالانكليزية ، أترجمها فيما يلي كما وردت نصاً :

١ ـ ان علاقتي بالعائلة المالكة في العراق ورثتها عن أبي الذي رافق الملك فيصل الأول . وكنت على مقربة من الملك غازي ، وابنه الملك فيصل منذ صباي . وبحكم وظيفتي كقائد للحرس الملكي ورئيس المرافقين لجلالة الملك فيصل الثاني منذ سنة ١٩٤٢ ، كما كنت (A. D. C.) للأمير عبدالاله الوصي على العرش حتى وفاتهما سنة ١٩٥٨ .

٢ ـ ان ادعاء الآنسة جنفييف ارنولت ، وأمها مدام ارنولت ، بأن زواج جنفييف قد حدث يوم ٢٢ حزيران بعلم جميع العراقيين ، وانها قد عُرفت بينهم وكذلك بين وزراء العراق والموظفين الكبار في بغداد ، كل ذلك لا صحة له إطلاقاً .

٣ ـ لقد كنت يوم زواج الملك المزعوم في ٢٢ حزيران ١٩٥٧ في بغداد ، ولا يمكن ، بصورة قاطعة ، أن يعرف العراقيون ذلك الزواج المزعوم دون أن يكون لي علم به ، باعتباري رئيس مرافقي الملك اضافة الى علاقتي الشخصية به ، إذ لا افارقه إلا نادراً جداً . ان نبأ هذا الزواج ملفق ولا أساس له من الحقيقة .

٤ ـ وآخر ما عرفته عن الملك مما له أدنى صلة باسم جنفييف ارنولت انها في

أحد حفلات (نادي صيد ابن آوى) توسلت بي ان اقدّمها للملك فيصل الذي كان ضيف الشرف في ذلك الحفل ، مدعية انه يرغب برؤيتها . ولما نقلت رجاءها الى الملك قال لي بالحرف الواحد :

(انني لا أريد أن أراها ، وقد وصلتني اخبارها المشينة في بغداد ، ومحاولة استغلال معرفتي بها) . وقد نقلت جواب الملك اليها ، ولم تقابل الملك بالتاكيد .

٥ ـ أما الادعاء بأنها كانت تُخاطب في بهو الامانة ، أو في أي مكان آخر في بغداد ، أو من قبل رجال البلاد أو وزراء الدولة باسم صاحبة الجلالة جنفييف ، فادعاء لا صحة له ، مع العلم ان حفل (نادي صيد ابن آوى) المذكور في افادتها قد حدث بعد تاريخ زواجها المزعوم من الملك فيصل الثاني .

التوقيع

عبيد عبدالله

في يوم ٢٥ آذار صدر قرار محكمة لندن (برويكس هاوس) بما يلي :

نظرت المحكمة العليا في دعوى الآنسة جنفييف ارنولت التي تدّعي فيها انها ارملة الملك فيصل الثاني مستندة على قرار محكمة واشنطن سنة ١٩٧٣ التي اقرتها كونها ارملة الملك فيصل الثاني الذي تزوجته يوم ٢٢ حزيران ١٩٥٧ ، فحكمت لها المحكمة المذكورة بحقها بما يملكه فيصل الثاني في بنوك امريكا وقدره واحد وتسعون الف دولار . كما ادّعت جنفييف ان زواجها من الملك كان معترفاً به من الحكومة العراقية ، إلا انها عجزت عن أن تبرز أي دليل مكتوب أو شهود يؤكدون هذا الزواج . كما ان معلوماتنا الموثقة تفيد بأن الملك فيصل الثاني توفي غير متزوج ، وعليه ابلغت المدعية جنفييف ارنولت علنياً وكتابة انها ليست ارملة الملك فيصل وليس لها الحق فيما يملكه هذا الملك في المملكة المتحدة .

رئيس المحكمة

× × ×

سألت صديقي عبيد ، بعد أن قرأت ملف محكمتي لندن ونيويورك اللتين نظرتا في ادعاء جنفييف كونها أرملة فيصل الثاني ، سألته ألا يجوز ان الملك فيصل قد وعد جنفييف ، في وقت ما ، بالزواج وحنث بالوعد ، فاستغلت هذا الوعد لتدّعي انها زوجته ؟ فأجابني : الذي استطيع قوله هو ان الملك في سنه تلك لم يكن قد عرف جنفييف إلا في ساعات تناول الشاي معها بغرين وج في امريكا ، وهي مدة لاتكفي لأن يقع الملك في حب هذه الصبية . والملك فيصل ، على خلاف ما يظنه الكثيرون ممن لا يعرفونه عن كثب ، بعيد عن الأمور العاطفية ، وهذا ما كان يقلق أحياناً أمه

الملكة عالية وبقية افراد الاسرة . وعدت اسأل عبيد ، وماذا عن حفلة عقد القران في بيت أمها بالوزيرية في بغداد ؟ فأجابني بامتعاض : أي قران وأية حفلة ؟ ان كل ذلك من خيال جنفييف الملعونة المغامرة . ثم أضاف : ان خطتها في الدعوى التي أقامتها في نيويورك فيها ذكاء وحيطة لا متناهية ، فلم تذكر من شهود ذلك المهر المزعوم إلا الأموات ، واستبعدتني أنا بشكل خاص لأني أعرف حق المعرفة أي نوع من النساء هي وأمها مدام ارنولت وقد تمنيت لو ان محكمة نيويورك استكتبتني شاهداً في الدعوى التي اقامتها ، إذن لكشفت أمام القضاة زيف هاتين المرأتين . ثم ، هل يعقل أن تكون « النجمة » التي تراقص الشباب في حفلات ميثاق بغداد هي خطيبة أو زوجة لملك ؟ على كل حال قد انتهى الآن كل شيء .

جائزة من منظمة الطب الاسلامي في الكويت / ١٩٨٩

في يوم ١٠ / ٣ / ١٩٨٩ اخبرتني ابنتي نيران ان وزارة الصحة العامة في الكويت نشرت خبراً في الصحف الكويتية مفاده انني قد حصلت على جائزة منظمة الطب الاسلامي تقديراً لكتاباتي في الطب الاسلامي . ولما لم يصلني من المنظمة شيء بهذا المعنى لم أعط هذا الأمر اهتماماً كبيراً غير انه حرّك فيَّ التطلع الى مثل هذا التقدير من هذه المؤسسة أو من غيرها .. وفي يوم ١ / ١١ / ١٩٨٩ قال لي عميد كلية الطب ببغداد تلفونياً ان المنظمة الاسلامية للطب العربي بالكويت سألت العمادة بالتلكس عن كامل اسمي وعنواني البريدي والتلفوني . وفي يوم ٥ / ١١ من الشهر نفسه وصلتني برقية من المنظمة وأنا راقد في مستشفى ابن البيطار تطلب مني أن ارسل اليها ترجمة حياتي العلمية ، ودعوة على حسابها لحضور المؤتمر الاسلامي بالقاهرة . وفي اليوم نفسه وصلني مغلف كبير من جامعة الازهر وبداخله رسالة تطلب الجامعة مني الحضور الى مؤتمر الطب الاسلامي الذي يعقد في شهر كانون الأول في جامعة الأزهر . وقد سررت بالدعوتين خاصة واني لم اسافر الى خارج العراق منذ ثلاث سنوات . ولأنني لا استطيع السفر بغير مرافق يعينني اثناء التنقلات ، والموافقة من الحكومة على استصحاب مرافق لا تتيسر بسهولة ، لذلك عددت بحسرة الدعوتين لا تفيدانني بشيء للسفر الى خارج العراق . أما عن الجائزة من دولة الكويت فقررت أن أكتب الى ابنتي نيران لتتسلمها نيابة عني .. غير ان واحداً من اصدقائي زارني في مساء ذلك اليوم وحين عرف ترددي في تقديم طلب الى وزارة الداخلية للسماح لي باستصحاب زوجتي ، اقترح عليَّ أن أكلم السيد وزير الداخلية

سمير الشيخلي تلفونياً لاخذ رأيه في الموضوع .. وكنت تعرفت بالسيد وزير الداخلية بقدر لا أظنه يكفي لمساعدتي في هذا الموضوع ، إذ ان الامر لا بد أن يرفع الى السيد رئيس الجمهورية لاستحصال موافقته على اصطحاب مرافق للمسافر ، ولذلك ترددت في الاتصال بالسيد الوزير . غير ان ذلك الصديق الحُ عليَّ أن اتصل به علّه يستجيب لمساعدتي ، فقلت له :

ـ وكيف اتصل به ؟

فأجابني :

ـ على علمي انه الآن في الوزارة كعادته في كل يوم وحتى الساعة العاشرة .

ونهضت الى التلفون :

ـ وزارة الداخلية ؟

ـ نعم تفضلوا .

ـ اريد أكلم المكتب الخاص رجاءً .

ـ مَن يتكلم رجاءً ؟

ـ الدكتور كمال السامرائي .

وجاءني من سألني يقول :

ـ تفضلوا دكتور كمال .

ـ هل من الممكن الحصول على موعد لمقابلة السيد الوزير رجاءً ؟

ـ ممكن ، تلفونك رجاءً ؟

واعطيته رقم تلفوني .

وأغلقت التلفون وعدت الى مجلسي الى جانب ذلك الصديق وفي نحو أقل من دقيقة رنّ جرس التلفون القريب مني ..

ـ أين أنت يا أخي ؟

ـ مَن المتكلم ؟

ـ أنا أبو سمرة ، سمير الشيخلي .

وفوجئت .

ـ عفواً يا استاذ سمير أن أزعجك في هذا الوقت ؟

ـ لا أبداً ، لا بد ان الأمر مستعجل لتكلمني في هذه الساعة !

ـ عندي موضوع اريد أن أبحثه معك يا استاذ سمير .

ـ أنا بانتظارك .

ـ الآن ؟

ـ نعم الآن .
ـ الأمر غير مستعجل ، كما اني غير مهيأ قيافة لاجيئك .
ـ متى تريد ؟
ـ بُكرة إن أمكن .
ـ بُكرة ، أي ساعة ؟
ـ حسب وقتك .
ـ حسب وقتك أنت .
ـ تخجلني يا أبو سمرة .
ـ أبداً ، بُكرة ساعة عشرة يوافقك ؟
ـ في الساعة عشرة أكون في الوزارة .
ـ سأخبر الاستعلامات ليوصلوك اليَّ .
ـ شكراً جزيلًا .

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كنت في دائرة استعلامات الوزارة ، واذا موظف هذه الدائرة يقول لي :

ـ السيد الوزير في انتظارك .

ورفع هذا الموظف لوحاً من الخشب كان يحجزني عنه وخرج من بينه وقادني الى مصعد الوزارة . وتوجهت نحو مكتب الوزير ، واذا هو يقف على بعد خطوات من الباب متهيئاً لمقابلتي ، وصافحني بحرارة ، وقبّلني وقبّلته ، وقال :

ـ بقيت في قلق أن يكون هناك ما يزعجك لتخابرني ليلًا ، تفضل اشرح أولًا واشرب القهوة ، كيف صحتك ؟ سمعت انك دخلت مستشفى ابن البيطار ، ان شاء الله أنت الآن في صحة تامة .

ـ شكراً ، أنا الآن في أتم العافية .

وكانت اوراق الدعوة بيدي أقلب صفحاتها دون هدف .

ـ ما هذه الأوراق ، عريضة ؟

ـ هي أوراق دعوة وصلتني من الكويت لاحضر مؤتمراً طبياً فيها وأتسلم جائزة .

وفي خلال نصف ساعة كتب لي سكرتير السيد الوزير كتاباً الى دائرة السفر بالموافقة على سفري مع زوجتي الى الكويت ، وبعد يومين كنت في العاصمة الكويتية . وفي هذه المدينة لا في بغداد اطّلعت على الكتاب الذي صدر من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، وهذا هو البريد احياناً ، وفي ما يلي نص الكتاب :

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

التاريخ ٨ / ١١ / ١٩٨٨

الاشارة ش م / ٣٣٠٧ / ٨٨

السيد الدكتور / كمال السامرائي المحترم

تحية طيبة وبعد ..

بالاشارة الى توصية من مجلس الجوائز واستناداً الى رأي المحكمين بتقييم أعمالكم في مجال « الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق اصول فن التحقيق » .

وبعد مصادقة مجلس ادارة « مؤسسة الكويت للتقدم العلمي » فقد تقرر منحكم جائزة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية لعام ١٩٨٧ والتي تتكون من :

١ ـ جائزة نقدية بمبلغ -ر٥٣٤٦ دولار بما يعادل -ر١٥٠٠ دينار كويتي .

٢ ـ درع المؤسسة الذهبي .

٣ ـ شهادة تقديرية .

وذلك مناصفة مع السيد الدكتور / ابراهيم بن مراد .

مع تمنياتنا لكم بالتوفيق والنجاح .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

المدير العام

الدكتور علي عبدالله الشملان

وفي ما يلي صورة طبق الأصل للشهادة التقديرية داخل اطار مزخرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقديرية

بناء على قرار مجلس ادارة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٦ رمضان ١٤٠٨ الموافق ٢ مايس ١٩٨٨ تقرر منح الدكتور كمال السامرائي جائزة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية لعام ١٩٨٧ في مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق اصول فن التحقيق .

المدير العام

الدكتور علي عبدالله الشملان

حرر في الكويت

١٠ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ

الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨ م

في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

وتوجهت لاقابل السيد وزير التعليم العالي في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، وسكانها في بناية غاية في الجمال الهندسي والريازي .

وفي ديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بهذه البناية قابلت وزير هذا الديوان الدكتور علي الشملان ، وهو في الأصل استاذ موضوع الجيولوجيا في جامعة الكويت . وقد استدعى موظفي وزارته ليحضروا تقديم الجائزة التقديرية فاستلمتها من يده ، وهي رمز من الذهب لدولة الكويت كما قدّم لي مغلفاً وهو يقول :

- وهذه هدية متواضعة من الدولارات لتشتري بها ما تحتاجه من أسواق الكويت . وفي آخر هذا الاجتماع طلب من ملاحظ مكتبه الخاص أن يرافقني لمشاهدة مستشفيات الكويت ، وكان أبرزها في نظري مؤسسة (لولوة المرزوق) وهي مستشفى ومعهد لدراسة الاعشاب الطبية ومعالجة الأمراض بها . وقد علمت ممن صاحبني في هذه الزيارة ان هذه المؤسسة كلّف بناؤها ستة وعشرون مليون دولار ، وأكثر موظفيها من الباكستانيين وقليل منهم من الكويتيين .

كما أقامت لولوة المرزوق الى جوار هذا المستشفى مسجداً جامعاً يتناسق في هندسته ومادة بنائه مع ما في هذا المستشفى من التزويق والزخرفة .

التفـــرغ الجـــــامعي

في صباح يوم ٤ / ٨ / ١٩٨٨ وصلني الكتاب الآتي نصه :

الجمهورية العراقية — العدد : ٤ / ٢ / ٢٥ / ٢٧٦٢٢

ديوان الرئاسة — التاريخ : ٣ / ٨ / ١٩٨٨

(ســـري)

« أمـــــــر »

تقرر تشكيل لجنة من الذوات الأطباء المتقاعدين المبينة اسماؤهم أدناه

- الدكتور عبدالكريم الخطيب
- الدكتور كمال السامرائي
- الدكتور محمد علي خليل
- الدكتور مردان علي
- اللواء الطبيب ابراهيم طه
- الدكتور جيروم اوفي

ويكون الدكتور محمود حياوي حماش، عميد كلية صدام الطبية مقرراً للج... وذلك للقيام بدراسة موضوعية وعلمية للتفرغ الجامعي للتدريسيين الاطباء و... المقترحات والتوصيات بشأنها الى ديوان الرئاسة .

أحمد حسين

رئيس ديوان الرئاسة

نسخة منه الى :

- السيد عميد كلية صدام الطبية / لاتخاذ ما يلزم .. مع التقدير .

- السادة اعضاء اللجنة / مع التقدير .

وعقد أول اجتماع في دائرة التشريفات بالقصر الجمهوري في الساعة التاسعة من يوم ٤ / ٨ / ١٩٨٨ برئاسة المستشار بالقصر الجمهوري الدكتور أوميد مدحت مبارك نيابة عن السيد رئيس ديوان الرئاسة أحمد حسين ، ولم نعمل شيئاً في هذا الاجتماع سوى وضع ورقة عمل لتطبيقها عند دراسة الموضوع ، وفي يوم ٧ / ٨ أصبت بذات الجنب ودخلت مستشفى ابن البيطار للمعالجة ، وانقطعت عن الاجتماع المذكور ، فانقطعت عن مشاركة زملائي في دراسة الموضوع ، وفي يوم ٦ / ٩ / ١٩٨٨ غادرت المستشفى وطلبت من السيد عميد كلية صدام ما توصلت اليه اللجنة من قرارات ، فبعث اليَّ بالأوراق الآتية :

الجمهورية العراقية

ديوان الرئاسة

كلية صدام الطبية

التاريخ ٥ / ٩ / ١٩٨٨

« ســـــري »

الى / ديوان الرئاسة

م/ توصيات لجنة

عقدت اللجنة المشكلة بأمر رئاسة ديوان الرئاسة المرقم ع / ٢ / ٢٥ / ٢٧٦٢٢ في ٣ / ٨ / ١٩٨٨ ، عدة اجتماعات للفترة من ١٤ / ٨ - لغاية ١٧ / ٩ / ١٩٨٨ ودرست موضوع التفرغ الجامعي للتدريسيين الاطباء وأخذت بنظر الاعتبار التجارب السابقة غير الناجحة وتوصلت الى توصيات تتعلق بالمتطلبات الضرورية لنجاح تفرغ الاطباء في الجامعات العراقية .

وترى اللجنة ان الاقتصار على زيادة المخصصات أو المحفزات المادية بحد ذاته لا يعني ضمان نجاح التفرغ ما لم تتحقق المتطلبات الاخرى الضرورية المدرجة في أدناه :

أولاً : أهداف التفرغ الجامعي للاطباء التدريسيين :

ان من أهم أهداف التفرغ الجامعي للاطباء التدريسيين هي :

١ - رفع مستوى التعليم الطبي وتوفير مجال أوسع للاستاذ للمتابعة العلمية .

- وهذا يعتمد أيضاً على مدى توفر الامكانيات

والوسائل .

- رفع مستوى الخدمات الطبية في المستشفيات التعليمية .

ثانياً : اسلوب تطبيق التفرغ :

ترى اللجنة أن يكون التفرغ اختيارياً للأسباب التالية :

- ان توفر الرغبة والقناعة الشخصية عامل مهم في نجاح أي مشروع عملي .
- ان الالزامية في التفرغ قد تفقد كليات الطب كوادر تدريسية كفوءة وقد تضطر الكلية لملء شواغرها في ملاك التدريس بعناصر أقل كفاءة .

ثالثاً : متطلبات التفرغ :

١ - اختيار عضو الهيئة التدريسية : ترى اللجنة أن يتم اختيار عضو الهيئة التدريسية من قبل الاقسام العلمية في الكلية بعد تثبيت الملاك واعلان الشواغر على أن يتم التعيين بصورة تعاقدية في البداية خاضعة للتقييم للسنوات الثلاث الاولى .

٢ - اعادة النظر بالقرارات التي تحصر تعيين الاطباء الاختصاصيين بموافقة السيد وزير الصحة ، بهدف سد شواغر الكليات الطبية .

٣ - توفير مستلزمات البحث العلمي خاصة في مختبرات العلوم الاساسية من أجهزة ومواد .

٤ - تحسين وسائل البحث في الكليات الطبية والمستشفيات التعليمية بتطوير السجلات الطبية والاحصاء الطبي ليكون حديثاً وادخال استخدام الحاسوب الآلي ، كما متبع حالياً في المستشفيات المتقدمة في العالم .

٥ - المكتبة : هي ركن اساسي في التعليم الطبي والبحث العلمي وان تطوير وتحديث مكتبات كليات الطب وتقربها من المستوى العالمي شيء اساسي إذ ان الوضع الحاضر يقصر كثيراً عن الحد الأدنى المطلوب .

٦ - التصوير الطبي : وهو مهم جداً للأبحاث العلمية والتعليم الطبي ووجوده في الكليات الطبية لا يزال بشكل بدائي حتى في كلية طب جامعة بغداد وهي أقدم الكليات الطبية في القطر .

٧ - ضرورة تشجيع التدريسيين على حضور المؤتمرات الطبية العالمية بغيـ مواكبتهم للتطور العلمي .

٨ - المستشفيات التعليمية : ان المستشفيات التعليمية بحاجة الى التط لمسايرة التعليم الطبي والبحوث بالتوافق مع الكليات الطبية وتفا للازدواجية في الادارة في المؤسستين فان اللجنة تقترح الحلول التال

(أ) توحيد ادارتي الكليات الطبية والمستشفيات التعليمية بربط المستشفيات التعليمية بالكليات الطبية ووزارة التعليم العالي وهو الحل المتبع في الاقطار المتطورة ، ومنح الصلاحيات الضرورية لها .

(ب) أو ابقاء المستشفيات التعليمية مرتبطة بوزارة الصحة بشرط أن يطور اسلوب ادارتها بحيث تكون لها ادارة ذاتية من الناحيتين الادارية والحسابية تدار من قبل مجلس مشترك من الصحة والكلية الطبية ، له صلاحيات خاصة يصادق على قراراته وزير الصحة ويرتبط بمكتب وزير الصحة (تشريع خاص) .

(ج) أو تشكيل مجلس للتعليم الطبي يعنى بكافة امور التعليم الطبي في القطر ويضمنها الاشراف على الكليات والمستشفيات التعليمية ويتألف هذا المجلس من ممثلين عن التعليم العالي والصحة ويرتبط بديوان رئاسة الجمهورية أو رئاسة مجلس الوزراء .

وتقترح اللجنة عند قبول أحد الحلول أن يباشر به كمشروع تجريبي لمدة محدودة (سنتين) خاضع للتقييم خلالها وبعدها وعلى أن يطبق بصورة مبدئية في كلية من كليات طب بغداد وكلية اخرى خارج بغداد ، لغرض حل المشاكل التي قد تبرز عند التطبيق .

أما الامور الاخرى في المستشفيات التعليمية التي تحتاج الى تطوير فهي الاقسام والشعب التشخيصية والعلاجية بتحديث الاجهزة وادخال الوسائل الاخرى الحديثة لمواكبة التطور العالمي في التعليم الطبي والخدمات العلاجية .

رابعاً : تنظيم العيادة الاستشارية الخاصة للمتفرغين :

١ - تكون العيادة الاستشارية في المستشفى التعليمي نفسها في مبنى عيادتها الاستشارية على سبيل المثال وترتبط بها ادارياً .
يكون دوام التدريسيين من الاطباء الاختصاصيين مرتين بالاسبوع وتكون حصة الطبيب من الدخل كما هو معمول به حالياً (٢٥ ٪ للمستشفى أو العيادات الاستشارية و ٧٥ ٪ للطبيب) .

٢ - تشتمل العيادة الاستشارية على المختبر والاشعة وكادر تمريضي وفني واداري وغيرها من الملحقات وتحدد اجور العاملين فيها من قبل ادارة العيادة الاستشارية .

٣ - للتدريسي المتفرغ اجراء العمليات الجراحية الخصوصية (عمليتين) أو متابعة المرضى الذين تتطلب حالتهم دخول الغرف

الخاصة في المستشفى التعليمي أو المرافق التابعة لها وذلك لقاء اجور يدفعها المواطن وتخصص نسبة ٢٥ ٪ منها للعيادات الاستشارية و ٧٥ ٪ للطبيب المعالج .

خامساً : الامور المالية والمعاشية للمتفرغين :

- يمنح المتفرغ من التدريسيين الاطباء مخصصات تفرغ قدرها ٢٥٠ بالمائة من مجموع الراتب الكلي (بعد دمجه مع غلاء المعيشة) .
- فتح الحد الاعلى للراتب الذي يتقاضاه المتفرغ .
- يتقاضى المتفرغ من الاطباء عند احالته على التقاعد كامل راتبه الذي كان يتقاضاه قبل الاحالة (بما في ذلك مخصصات التفرغ) ، بشرط أن لا تقل مدة تفرغه عن خمسة عشر سنة عدا حالات الوفاة والعجز بسبب المرض فتستثنى من شرط المدة على أن لا يمارس المتقاعد العمل في العيادة الخاصة أما اذا رغب في ممارسة العمل في عيادة خاصة فيتقاضى راتبه التقاعدي الذي يتقاضاه أقرانه من غير المتفرغين .

يرجى تفضلكم بالاطلاع .. مع التقدير .

الدكتور عبدالكريم الخطيب　الدكتور كمال السامرائي　الدكتـور مردان علي
اللواء الطبيب ابراهيم طه　الدكتور محمد علي خليل　الدكتـور جيروم اوفي
الدكتور محمود حياوي حماش

اصبت بذات الجنب

في صباح يوم ١ / ٩ / ١٩٨٨ شعرت بوخز مفاجيء مؤلم تحت اضلاعي اليسرى لم يدم طويلًا حتى امتد صاعداً الى أعالي صدري ، ولم يخطر ببالي في حينه من الأمراض إلا (القلب) ، والذي (تعضه الحيّة يخاف من الحبل) ـ كما يقول المثل ـ ، فقد سبق أن اصبت بأزمة قلبية وقاسيت منها ما قاسيت ، فاتصلت تلفونياً بطبيبي الدكتور احسان البحراني ، وكان في بيته في منطقة العامرية البعيدة عن بيتي في منطقة الصليخ ، فلم استكثر ابطاءه ليصلني ، غير ان الوخز في صدري قد ازداد فاخافني ، والدكتور احسان له معلومات مفصلة عما أصاب قلبي في سنوات سابقة ، وحين تلمّس النبض في رسغي قال لي حالًا :

- أنت محموم يا استاذ كمال .

ودفع المحرار تحت لساني ، فاذا حرارة جسمي ٣٨ر٥ درجة مئوية ، بينما

حرارة جسمي طبيعياً ٣٦ درجة ، فاكد لي ان حالتي لا علاقة لها بقلبي .. وفحص قلبي وصدري للتاكد ، فعاد يقول لي انه التهاب في غلاف الرئة . وقد أراحني هذا التشخيص بالرغم من انني لم أمرّ بخبرة سابقة في هذا المرض مثلما كانت خبرتي بمرض القلب الذي أدركت خطورته التي هددت حياتي . وبعد مغادرة الدكتور احسان بيتي ارتفعت حرارة جسمي كما ازداد الالم في صدري ، وضاق عليَّ تنفسي ، فاتصلت بالدكتور احسان مرة أخرى متحملاً خشونتي في مضايقته ، فاقترح أن أُنقل الى قاعة الانعاش بمدينة الطب حيث يتوفر الاوكسجين لانعاشي وتسهيل تنفسي ، ونفذت مقترحه دون ابطاء فكنت بعد أقل من نصف ساعة بقاعة الانعاش بمدينة الطب وعلى أنفي كمامة الاوكسجين ، وقد عاملني الأطباء في هذه القاعة معاملة خاصة بوصفي ذا ارتباط بكلية الطب ، غير انني لم أجد في هذه القاعة ما وفر لي الراحة ، فقد كانت الممرضة المسؤولة في تلك الليلة ترتدي حذاء ذا كعب من الخشب فاذا خطت على بلاط القاعة صدرت منه أصوات تنقر في قلب المريض الوسنان التعب ، وسمعتها أكثر من مرة تنادي على مريض في آخر القاعة الطويلة كما لو انها على جانب نهر والمريض على الجانب الاخر ، هذا مثل واحد للازعاجات التي أقلقت راحتي في تلك الليلة بقاعة الانعاش بمدينة الطب ، وهي كثيرة ومتنوعة ، فلم تكن في هذه القاعة أي جانب من جوانب الراحة والانعاش من حالة مرضية تهدد المريض بالموت !

وكان قريباً من سريري صبي مريض في حضن أبيه وهو يتنفس بعسر ، وأبوه لا ينفك يطلب الرحمة لابنه من رب العالمين ، أما الرحمة من ممرضة القاعة فلم يكن لها وجود ولا أمل في التفكير بها ، وقبل الصبح توفي الصبي مختنقاً في حضن أبيه ، ورأيت الاب ينحني على ابنه الميت ويشم رقبته بحنان وألم ، والدمع ينحدر بصمت من عينيه ، ومنظر الرجل وهو يبكي يؤلمني أشد الالم ، فاستغفرت الله ، وقررت مغادرة القاعة الى بيتي وأنا أحمل همومي والحمى التي تشوي ضلوعي ، وعارضني الدكتور احسان على خروجي من المستشفى وأنا ما أزال محموماً ويضايقني التنفس ، ولما شرحت له عذري في ذلك وسوء الحال في قاعة الانعاش اقترح عليَّ أن أدخل (مستشفى الآلوسي) ، فداهمني شعور بالتردد في دخوله ، لانني أعرف مقدماً ان ادارة هذه المستشفى لن تاخذ مني تكاليف اقامتي فيه ، اسوة بما تاخذ من المرضى الاخرين الراقدين فيه ، وهذه مشكلة معروفة ، ولو ياخذ الطبيب المعالج أجر أتعابه من زميله المريض لزال ذلك الإشكال ، ولَمَا اضطر الزميل المريض أن يهدي طبيبه المعالج ما قيمته أضعاف أجر أتعابه ، ولكن السلوك المهني يرفض هذا الحل ..

فاضطررت الى دخول مستشفى الآلوسي .

وفي مستشفى الآلوسي بقيت حرارة جسمي مرتفعة وازداد ضيق تنفسي ، وصرت أطلب الهواء وكان ليس له وجود في غرفتي ، ولم يفدني (الاوكسجين) إلا قليلاً . وفي عصر اليوم التالي ساءت حالتي الصحية ، وفتحت عيني بعد اغفاءة أو اغماءة قصيرة ، فرأيت من بين أجفاني المطبقتين بتراخ حشداً من الناس حول سريري ، وربما لم يكن هؤلاء كثيرين عدداً ولكنني رأيتهم يملاون عيني . وفي تلك اللحظات دخل غرفتي شاب يرتدي (الخاكي) ، وقال لي انه الدكتور (أوميد) وانه جاء بطلب من رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية لينقلني الى مستشفى (ابن البيطار) ، وأخذت مكاني الى جانبه في سيارته الخاصة ، وأنا لم أدرك حتى تلك اللحظات ان حالتي الصحية سيئة جداً إلا حين تحركت بنا السيارة ، فقد أردت أن أعبّر عن امتناني للدكتور أوميد غير اني شعرت ان سكوتي يريحني أكثر مما لو كلمته ، فامسكت عن ذلك ، كما شعرت عيني تغمضان بالرغم من ارادتي ، وانني أتمايل ذات اليمين وذات الشمال لكل حركة تميل اليها السيارة ، ومرة ارتطم رأسي بزجاج نافذة السيارة التي الى جانبي ، فتشبثت بمكاني بمعاناة حتى وصلنا الى مستشفى ابن البيطار . وقيل لي بعد ذلك انني نقلت على نقالة الى صالة الانعاش في هذا المستشفى ، ولكنني لا أذكر ذلك . وهي صالة طويلة ذات قواطع من الستائر الثقيلة ، وفي كل حيز Cubical بين قاطعين سرير لمريض ، واسطوانة أوكسجين ، وأدوات اخرى لفحص المريض ، وعلاج المضاعفات التي تطرأ عليه . وحين احتواني الحيز الذي وضعت فيه أدركت ان المريض الذي يصل الى مثل حالتي الراهنة لا يكترث بماهية مرضه ودرجة خطورته بقدر ما يريحه أن يرى اهتمام الأطباء والممرضات الذين سيتولون أمر إسعافه . وهذا كان شعوري البكر حين دخلت هذه المستشفى . ولم يطف ببالي انني كنت في حالة خطرة ، كما قيل لي ، بعد ذلك ، ولا استذكرت تلك الخطورة في معلوماتي عن مرضي وأنا في عمري المتاخر .

ولحظة صرت في سريري دفعني حب الاستطلاع أن أعرف مكاني وما يدور حولي ، وكان أول ما رأيته من المسؤولين عني في هذا الحيز ممرضة أجنبية بادرت تخاطبني باسمي وتقول لي باللغة الانكليزية :

- كمال ، أنا ميشيل ، ممرضتك ، وسوف لا افارقك حتى الصباح ، فنم ما استطعت ، أما أنا فلن أنام ، بل سابقى يقظة على كرسي الى جانب رأسك .

ولم أسأل هذه الممرضة كيف عرفت اسمي ، ثم سالتني :

- هل أنت مرتاح الآن أم يضايقك شيء ؟

واكتفيت بقولي :
ـ الحمى تحرق بدني .
ـ بسيطة يا كمال ، وسترتاح بعد قليل .
وجال بخاطري قبل أن تعمل أي شيء لتريحني ، كم هو صميمي وعاطفي أن يخاطب الطبيب أو الممرضة مريضها باسمه دون لقب أو كنية ، وكنت أقول ذلك لطلابي ولكنني يومئذ لم أدرك حقيقة أهمية ذلك وراحته للمريض . وأردت أن أشكرها لوعدها باراحتي ولكنها اسكتتني باشارة من اصبعها وهي ترفعه متعامداً مع فمها ، ثم بسطت راحة يدها على جبهتي ، ولما سحبتها قالت لي :
ـ ساعدني يا كمال لنخلع عنك بجامتك ونلبسك اخرى معمولة من الورق .
وعرّتني من كل ما كنت ألبسه ، وألبستني البجامة المعمولة من الورق ، وقالت لي :
ـ والآن حاول أن تنام ، ولا تتعب نفسك بحركة ، فان تعبك يتعبني في خدمتك .
وكان ضياء القاعة خافتاً لا يكفيني لاتبين معالم وجه ميشيل أو اني رأيته ولكن ليس بوضوح ، ولم يكن يهمني ذلك بعد أن نفذ عطفها عليَّ الى كل جوارحي ، والتصرف الجميل صفة الخلقة الجميلة . ونمت بعد ذلك ولم أر وجه ميشيل . وعند الصباح استيقظت على حديث ممرضة تكلم مريضة صغيرة العمر قد ادخلت تواً الى جواري في صالة الانعاش ، وقد عرفت ان تلك المريضة لا بد أن تكون صغيرة العمر من نبرة كلامها .
ـ أنت اسمك (أزواء) « اضواء » ، وأنا اسمي (روث) وآني أهبّك « أحبك » وآرف « أعرف » أنت تهبيني .
وتوقفت على اسم أزواء ، فلم أسمع بهذا الاسم في بغداد ، وتحاول المريضة الصغيرة (أزواء) أن تسعل ، ولكن دون نتيجة ، وهكذا استمرت الممرضة روث تشجّع هذه المريضة لتسعل طوال ساعات ، غير انها أخفقت أن تبقيها على قيد الحياة فتوفيت ، وقد علمت بهذه النتيجة المحزنة حين توقفت الممرضة عن طلبها من المريضة أن تسعل ، وأزاحت طرف الستارة التي تفصلني عن هذه المريضة الصغيرة لكي لا أرى ما حدث . كانت هذه المريضة صغيرة كما خمّنت ، فلا يتجاوز عمرها عشر سنوات ، ذات وجه ليس بالمستدير ، وسحنة باهتة وشعر طويل أسود فكانت بهذه المعالم تشبه صغار بنات الهنود الرشيقات الجميلات ، وفي لحظة دخلت حيز هذه الصبية الميتة امرأة في عقدها الثالث ، وانكفات على الصبية ترفع صدرها الى صدرها بيد وباليد الاخرى تلصق وجهها الى فمها لتقبّله . كانت هذه المرأة أم

الصبية الميتة ، والصبية وحيدتها ، وقد أصيبت بفشل الكلية من در البول ، فاستطب الاطباء لها ابدال تلك الكلية باخرى صالحة لدر البول ، وهي عملية جراحية ليست سهلة ، كما تكلف كثيراً من الاجور ، وعائلة الصبية ليست موسرة ، والصبية يتيمة الأب منذ سنوات ، فرهنت أمها البيت الذي تملكه لتغطي تكاليف العملية ، وفرحت أمها حين ثبت في مختبرات ابن البيطار ان كليتها تصلح لجسم ابنتها ، فدخلت هي وابنتها الى هذا المستشفى لتُنقل كليتها الى ابنتها . وبعد نحو شهرين ظهرت على الابنة اعراض وعلامات تدل على ان جسمها يرفض الكلية الدخيلة عليه ، فأعادت الأم ادخال ابنتها الى مستشفى ابن البيطار في اليوم الذي دخلت أنا فيه المستشفى ، وما انبلج الصباح حتى لفظت أنفاسها الاخيرة وتركت أُمها مثقلة بالدين ، وبكلية واحدة فقط ، وتكلى بابنتها الوحيدة اضواء .

وبعد يومين من دخولي الى صالة الانعاش نقلت الى غرفة خاصة فيها كل اسباب الراحة بما في ذلك تلفون خاص وجهاز تلفزيون وحمام خاص بالغرفة ، وفي ذلك اليوم دخلت عليَّ في غرفتي ممرضة وهي تحمل تحت ابطها آلة قياس ضغط الدم ، وصحناً بيدها فيه مزرقة ومشد للذراع ، ووضعت ذلك على منضدة الى جانب رأسي ، ثم كشفت بلين ذراعي التي الى جانبها وهي تقول لي متلطفة :

ـ أنا متاكدة انك أخذت كثيراً من عينات الدم من مرضاك ، والدور الآن لي أن آخذ منك عينة من دمك .

وقد أثارت فيَّ هذه العبارة الخضوع لطلبها برضا . وصارت في هذه الزيارة القصيرة تخاطبني باسمي ، فسألتها عن اسمها . فعرفت ان اسمها سوزن . وكان في بنصرها حلقة من معدن أبيض ، فاندفعت الى فتح باب التحدث اليها ، فمددت اصبعي أشير الى تلك الحلقة وأنا اسألها :

ـ ما عندك من الاطفال يا سوزن ؟

فضحكت بهزء وغنج وقالت :

ـ أنا غير متزوجة ، وأن أضع هذه الحلقة باصبعي لادفع عني الشباب العراقي الجريء حين اريد ذلك ، وأخلعها خلسة وأخفيها في حقيبتي اليدوية حين أميل الى أحد منهم .

فقلت لها :

ـ ها أنت كشفت لي عن زيف هذه الحلقة وعرفت انك غير متزوجة

وكانت هذه الممرضة مؤدبة أو ذات تجربة في مثل هذه المواقف ، فلم تشـ
عمري الذي يتجاوز ضعفي عمرها حيث يفترض فيه أن لا اتحرّش بالـ

الطريات ، فقالت :

ـ أنا آمنة منك ، فأنت رجل مسالم .

كانت هذه العبارة لطمة منها على فمي ، فاغلقته مكتفياً بملاحقة ما تعمله لراحتي في سريري ، وعدت أشعر بالحمى تدب في أوصالي بعد أن فارقتني لحظات هانئة مع هذه الممرضة ، واندفعت أفكر حين غادرت غرفتي : ان سمرة وجهها لا تنسجم مع زرقة عينيها إلا اذا كانت من لفحات شمس بغداد .

وكان الطبيب الذي تولى علاجي في هذه الغرفة شاباً في نحو الاربعين من عمره ، دمثاً وليناً ، ويخاطبني باحترام ، غير انني لم ألمس فيه طابعاً علمياً رصيناً ، إذ كانت علاجاته ارضائية لا جذرية ، ولم يتحر بجدية اسباب الحمى ، فكان يبردها بالماء البارد وحبات الاسبرين ، ويتجنب اعطاء مضادات الحياة .. وفي صباح يوم دخل غرفتي هذا الطبيب ليودعني ، وسالته الى أين ؟ فاجابني يقول : انتهى عقدي مع شركة مستشفى ابن البيطار ، وسيخلفني استاذ من جامعة دبلن ، يصل اليوم مساءً ، اسمه (دويل) وهو طبيب معروف في دبلن وفي عموم مدن ايرلندا ، على ان اختصاصه الأول في الجهاز الهضمي بشكل خاص .

ودخل غرفتي في اليوم التالي الاستاذ دويل ومعه (شلة) من الأطباء الاحداث والممرضات ، عرفت من بينهم الدكتور (مورفي) وهو من اطباء المستشفى غير انه لم يزرني قبلًا . وفي حديث قصير مع الاستاذ دويل لمست منه شخصية علمية محترمة ، وكانت اسئلته معي موضوعية وهادفة ، وفي مساء ذلك اليوم أحسست فجاة بوخز شديد في أسفل صدري من جانبه الأيسر ، وفحصني الاستاذ دويل بدقة وركز اهتمامه على المنطقة التي تؤلمني ، وأمر ببعض التوصيات والادوية وغادرني ، ثم عاد بعد لحظات وقال لي انه يرى أن يدخل ابرة في المنطقة التي تؤلمني ليسحب منها ما يمكن سحبه من سوائل وغيرها . (واضاف) وهي خطوة مختبرية ، قد تكون مؤلمة غير اني أراها ضرورية .

كان كلام دويل هذا يصل الى أذني كما لو ان أحداً يلقنني بماذا اجيب ملك الموت .. فأنا أخشى غرز الأبر في جسمي خشيتي من الموت فكيف بأبرة غليظة تدفع عميقاً في جدار ظهر لتصل الى جوف جنبي !

اضجعتني الممرضة (سوزن) على جنبي الايمن وطوت جذعي على وسادة صلبة ، وبدأ الاستاذ دويل يتلمس المنطقة ويقرعها باصبعه الأوسط ، ثم غرز ابرة مزرقة وحقن المنطقة بمادة مخدرة ، ثم سحبها مباشرة ، وغرز ابرة أغلظ منها ودفعها [illegible] جوف الجنب ، وقد آلمتني هذه الحركة فصرت أعضّ الوسادة

باسناني لاكتم صيحة ألم كادت تفلت مني ، ثم سحب الابرة ، ودفع ما كان فيها الى انبوبة اختبار . وفي صباح اليوم الثاني دخل عليَّ الاستاذ دويل مبتسماً وهو يقول لي :

ـ لم يكن في المادة التي أخرجتها من جنبك حجيرات خبيثة . (واضاف) وزيادة في التاكيد أرى أن أعرضك على (الكات سكان) وهي اداة خاصة لا تملكها مستشفى ابن البيطار ، وموجودة في دائرة الاشعة المركزية بجانب الرصافة فحملت اليها بسيارة اسعاف المستشفى .

وصحبني الدكتور (مورفي) الى دائرة الاشعة وهو يلهيني على طول الطريق بحكايات لم أفهم أكثرها إذ كنت مشغول البال باحتمال اصابتي بمرض السرطان ، وإلا لما احالني الاستاذ دويل الى هذا المركز المتخصص بالامراض الخبيثة .

وحملت بنقالة الى صالة (سيتي سكان) بهذا المركز ، وجاءني أحد موظفي المركز يبدي أسفه على عطل الآلة ، فطلبت من هذا الموظف أن يستدعي لي مدير المركز لاكلمه ، وكان الغيظ يغلي في صدري . فكان الدكتور أمامي بعد دقائق وأنا ما زلت على النقالة ، فقلت له :

ـ أنا لا أكلمك كزميل ، إن لم أكن أنا استاذك في كلية الطب ، انما اعاتبك كمواطن مريض ، وأقول لك باختصار يا زميلي : انك لن تكون طبيباً رحيماً ما لم تشعر بما يشعره المريض ، فكان عليك أن تخبر الاستاذ دويل بعد أن أعطيته موعداً ، ان الآلة عاطلة فلا أتحمل اعباء المجيء الى دائرتك .

وأراد أن يتكلم فصرخت بمن يحملني في النقالة قائلًا : الى السيارة لاعد الى المستشفى .

وحملت في صباح اليوم التالي الى دائرة (الكات سكان) مرة اخرى ، وبعد دقائق طلب مني موظف هذه الاداة ، أن أنام كذا وأنقلب كذا وأتنفس عميقاً أو لا أتنفس قطعاً ، نهضت عن طاولة هذه الآلة . واعطاني ذلك الموظف التقرير عما تبين له بهذه الآلة . وبحب الاستطلاع أخذت التقرير من يده وقرأته قبل أن يطبع ، فاذا فيه أن (تفحص القصبات الهوائية بالناظور وتؤخذ عينة نسيجية منه لفحصها تحت المجهر) .

يا إلهي ، اذن تحقق ما ظنه الاستاذ دويل حين استطب غرز الابرة في جنبي ، ودمعت عيناي بحرقة ولم أفتح فمي مع الدكتور مورفي طوال الطريق عائداً الى مستشفى ابن البيطار ، وهمي الأول أن أرى الاستاذ دويل ، وحين صرت في غرفتي دخل عليَّ الاستاذ دويل ، وليس على وجهه شيء من مخاوف وظنون سيئة ، وقرأ

التقرير الذي كتبه موظف الكات سكان وأنا أتطلع الى ما يظهر على وجهه من دلائل ، فكلامه سيكون بالنسبة لي قاطعاً حدياً ، موت بعذاب أو حياة جديدة ، وسألته :

- ماذا في التقرير يا استاذ دويل ؟

فأجابني بلا اهتمام :

- لا شيء .

فقلت له :

- كيف لا شيء وقد قرأته بنفسي !

فقال لي :

- (انهم) لا يعرفون قراءة الكات سكان ، وتقريرهم يدعو الى الاستغراب والسخرية .

- متأكد يا استاذ دويل ؟

- جداً .

وبكيت من فرحي ، وشكرته بحرارة ، ومن فرط سروري قررت أن اغادر المستشفى ، فنهضت من فراشي وتوجهت نحو الحمام لأهيىء نفسي لمغادرة المستشفى . وفي الحمام انزلقت قدماي على ارضه الملساء ، فسقطت عليها بلا حراك ، وصرخت اطلب النجدة ، وقد اخبرتني زوجتي فيما بعد ذلك انها سمعتني أقول بجزع (لقد انتهيت) أما أنا فلا أذكر انني قلت ذلك . وفي اثناء ذلك دخلت الممرضة سوزن الحمام على عجل وهلع ، وربما كانت سمعت صرختي ، فانهضتني وتلمست رأسي من كل جانب ثم سألتني بجد :

- هل تراني واحدة يا كمال . أم تراني اثنتين ؟

فنفيت في سري أن تكوّن هذا العرض قد ينشأ بهذه السرعة في مثل هذه الحالة غير ان الكدمة التي نتئت على سطح رأسي قد تكوّنت بسرعة غير مألوفة ، وبعد يومين بقيت فيها تحت المراقبة ، غادرت المستشفى بتمام الصحة .

محاضرة في مستشفى الحلة / ١٩٨٨

وصلتني دعوة تحريرية من فرع نقابة الاطباء في الحلة لالقي محاضرة بعنوان (الطب من بابل نبوخذ نصر الى بغداد صدام حسين) يوم ٢ / ٣ / ١٩٨٨ ، وفي صباح اليوم الاول من شهر آذار جاءني نقيب الاطباء فرع الحلة الدكتور خضير المرشدي وأقلني بسيارته الى الحلة . كنت قد قطعت هذا الطريق مرات عديدة قبل

اربعة واربعين عاماً بسيارات فورد ابو (اللوكة) أي (الگير السفلي) يوم كنت ادرس الثانوية المتوسطة في الحلة ، وكان هذا الطريق يومئذ متربا لا يستقيم مسافة حتى يعود يتعرج ويتشعب بحسب رغبة سؤاق السيارات وراء الطريق السوي والقصير ، فاذا الطريق في هذا اليوم معبد بمسلكين واحد للذهاب والثاني للاياب . وكانت السيارة التي اقلّتني في هذه السفرة مريحة والدكتور المرشدي مرافق أنيس فلم أشعر بطول الطريق البالغ مائة وعشرين كيلومتراً ، حتى أشرفنا على أطراف بساتين الحلة الفيحاء بعد ساعة وربع الساعة . وعندما دخلت الى فندق بابل السياحي حيث حجزت لي النقابة غرفة لاستريح فيها كانت لوحة طويلة عريضة قد قابلتني مكتوب عليها (يلقي الاستاذ كمال السامرائي محاضرة بعنوان ـ الطب من بابل نبوخذ نصر الى بغداد صدام حسين ـ في الساعة التاسعة من مساء هذه الليلة) . وحين دخلت قاعة المحاضرة وجدتها ممتلئة بالمدعوين ، اطباء وغير اطباء للاستماع الى محاضرتي ، ثم دخل القاعة محافظ بابل السيد هاشم حسن المجيد يحف به بعض المسؤولين واعضاء نقابة الاطباء . وحين نهضت لأتكلم في موضوع محاضرتي قدّمني الدكتور المرشدي للحاضرين وخلع عليَّ القاباً مشرفة واثنى على شخصيتي علماً وأدباً . فشكرته وأنا أعتذر عن حمل هذه الألقاب . وسردت مسيرة الطب من بابل الى أثينا في اليونان ، ومن هذه المدينة الى الاسكندرية وسوريا وخوزستان ليصل الى بغداد في أيام أبي جعفر المنصور . ثم أردفت ما عمله كل من الرئيس أحمد حسن البكر والسيد الرئيس صدام حسين لتنشيط الحركة الطبية وتعضيد العاملين بها . وتلا هذه المحاضرة عشاء قدمت فيه أطيب المأكولات والفواكه . وفي ختام هذه الأمسية طلب مني الدكتور المرشدي أن أخاطب الاطباء في السلوك المهني بمستشفى الولادة والأطفال ، وهو مستشفى أنيق من عمل شركة اسبانية . وفي قاعة المحاضرة فيه تتوفر كل وسائل الايضاح وراحة المستمعين ، وفيما ركزت عليه في هذه المحاضرة ؛ ان الشكليات في استقبال المرضى وفحصهم ومعالجتهم أهمية لا تقل عن موضوعيات الممارسة ، وقلت غير ذلك أيضاً . وغادرت الحلة بعد هذه المحاضرة مباشرة بسيارة المرشدي المريحة ، وكان هو يقودها أيضاً . وقبل أن نصل الى بيتي قال لي : انه يعتذر عن عدم اكتمال صنع الهدية لتقدم لي بعد المحاضرة الاخيرة مباشرة ، وأضاف ان الهدية من صنع أهل الحلة ، وانه سيحملها اليَّ بنفسه بعد أيام ، ولم تصلني الهدية بعد أيام ولا بعد أشهر ، ولا بعد سنوات .

زيارة لدكان السيد حمدي عطار باشي في الشورجة / ١٩٨٨

تسلمت الكتاب الآتي من عمادة كلية الصيدلة وهذا نصه :

عمادة كلية الصيدلة / جامعة بغداد

الرقم ١٢٥٠ ، التاريخ ١٧ / ٣ / ١٩٨٨

أمر اداري

اعتزازاً بالتراث الصيدلاني العربي وبغية النظر اليه من منظار علمي دقيق للاستفادة منه في رفد مسيرتنا الحضارية وبغية توظيف ثرواتنا الطبيعية كمصدر من المصادر التي تؤمن توفير الدواء ، تقرر تشكيل لجنة استشارية من الذوات المدرجة اسماؤهم أدناه لتحقيق ما ورد أعلاه :

الاستاذ الدكتور رضوان محمد علي / رئيس فرع الصيدلانيات / رئيساً

الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ / كلية اللغات / عضواً استشارياً

الاستاذ الدكتور كمال السامرائي / عضواً استشارياً

المدرس الدكتور سليم عباس حمادي / عضواً

المدرس الدكتور مصطفى الهيتي / عضواً ومقرراً

وليد رؤوف أحمد سليمان

عميد كلية الصيدلة

نسخة منه الى /

رئاسة جامعة بغداد ـ مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالعلم عملاً بتوجيهكم في مجلس الكلية . مع التقدير .

مركز احياء التراث العلمي العربي ـ جامعة بغداد / للتفضل بالعلم رجاءً .

رئيس واعضاء اللجنة المحترمين .

وكان أول اجتماع عقدته هذه اللجنة قد أقيم في كلية الصيدلة وقد حضره عموم اعضائها ، ومهدوا فيه بمخطط لأعمال هذه اللجنة مستقبلاً . أما الجلسة الثانية التي أقرتها اللجنة فكانت ميدانية كلف بها بالاضافة الى شخصي كل من الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور مصطفى الهيتي (صيدلي) . وفي صباح اليوم التالي إجتمعنا نحن الثلاثة ووضعنا خطة عملية لاداء مهمتنا ، فاستعلمنا عن المحلات التي تبيع الاعشاب الطبية ، فاذا هي جميعاً في سوق الشورجة ، وان أشهر وأقدم تلك المحلات هو دكان السيد حمدي عطار باشي ودكانه في آخر هذا السوق من طرفه الشرقي الذي ينفذ الى شارع غازي . ومررنا ونحن في طريقنا اليه من الطرف الغربي

الذي ينتهي بشارع الرشيد بعدة دكاكين تتعاطى بيع الاعشاب الطبية . وكان معرفة هذه الدكاكين بهذا الاختصاص سهلًا ، إذ كان أصحابها يرصفون بضائعهم من الاعشاب بسلال مكشوفة من خوص النخيل أو في أوانٍ من الصفيح يضعونها عند مدخل دكاكينهم فيراها السابلة في هذا السوق إن جاءوا يقصدونها أو جاءوا الى السوق لغرض آخر . ووقفنا عند بعض هذه الدكاكين لنتحدث الى أصحابها فاذا تجارتهم رائجة ولها مشترون لا يحصى عددهم ، وان بعض أدويتهم عراقية المنبع ، وبعضها مستورد من الهند أو الاقطار الشرقية الاخرى . وسمعنا منهم للغرابة ما يدل على فهم طبيعة ما يبيعونه ، وعن الامراض التي تستعمل لها تلك الاعشاب . وأخيراً وصلنا الى دكان حمدي عطار باشي ، فرحب بنا وهو غارق بين أكياس بضائعه العشبية . وكان يوم زرناه في نحو منتصف العقد الخامس من العمر ، ممتلىء الجسم باش الوجه وكريم اليد . وفي مدة بقائنا معه التي دامت نحو ساعة زاره أكثر من عشرين شخصاً من مختلف الاعمار بين من يطلب عشباً ومن يستشيره في قضية طبية في الاعشاب التي يجب أن يتناولها لعلاج حالته المرضية . وأعجبني أن اساله عن مصدر معلوماته عن الاعشاب فاجابني بتفاخر :

- من آبائي وأجدادي فضلًا عن انني اقرأ الكتب التراثية التي تبحث في الاعشاب .

وسالته :

- مثل أي كتاب ، رجاءً ؟

- كتاب الجامع في الادوية والاغذية لابن البيطار ، وكتاب في معجم النباتات لأحمد عيسى وغيرها .

ولما تهيئنا لمغادرة هذا الشخص الكريم الذي عددناه زميلًا لنا فيما يعرفه عن الاعشاب الطبية دعانا بالحاح الى تناول طعام الغداء معه فاعتذرنا وشكرناه من الصميم ، وغادرنا دكانه لندخل أزقة تتفرع من سوق الشورجة ، واذا نحن نمر بعالم غريب من دكاكين البضائع وما يتكدس الى جوانب ابوابها من الاكياس والرزم حتى كدنا نتيه في هذه الامكنة . وفيما كنا نبحث عن مخرج الى الشارع العام رأينا مطعماً صغيراً مغلفة جدرانه بالقاشاني الابيض وفي مدخله قطع اللحم الطازجة وعلى مقربة منه موقد للشواء ، فلم نقاوم الشهية في تناول غدائنا على أحد موائده ، وتقدم منا أحد عمال المطعم وكان يرتدي قفطاناً أبيض نظيفاً ، فاودعنا الخيار له على أن يكون من لحم فخذ الضان المعلق عند باب المطعم ، ولم تمض أكثر من نصف ساعة حتى كانت على المائدة الصحون من والتكة والكبة والطرشي والخضر والخبز الابيض

الشيمي . ونهض الدكتور مصطفى ليدفع الحساب فقلت لصاحب المطعم وأنا أشير الى مصطفى : هذا ابني فهل يصح أن يدفع الحساب وأبوه موجود ؟ فرأى سؤالي وجيهاً فلم يلتفت الى الدكتور مصطفى ، وأخذ (الحساب) مني .

شكر وتقدير - ٧ / ٣ / ١٩٨٨

كنت اشارك بطلب من رئيس الجمعية الصيدلانية العراقية في الفعاليات التي تنهض بها هذه الجمعية في (نادي الصيادلة) بمنطقة المسبح وفي يوم ٧ / ٣ / ١٩٨٨ وصلني من رئيس الجمعية الكتاب الآتي :

الجمعية الصيدلانية العراقية

عدد ٦٣

تاريخ ٧ / ٣ / ١٩٨٨

الى / الاستاد الدكتور كمال السامرائي المحترم

الموضوع / شكر وتقدير

تتقدم الجمعية الصيدلانية العراقية بوافر شكرها وتقديرها للجهود العلمية المخلصة التي ابديتموها في دعم النشاط العلمي للجمعية ضمن دورتها الحالية ، وترجو تفضلكم بالحضور الى نادي الصيادلة في المسبح وفي تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم الخميس المصادف ١٠ / ٣ / ١٩٨٨ لتسلم هدية تكريمية ، آملين منكم استمرار العطاء في رفد كافة الانشطة العلمية للجمعية مستقبلاً .. مع التقدير .

د. وليد رؤوف أحمد سليمان

رئيس الجمعية الصيدلانية العراقية

جائزة درع اتحاد الاطباء العرب / ١٩٨٨

يوم ٢٤ من شباط ١٩٨٨ وصلتني رسالة من اتحاد الاطباء العرب تنبؤني اني حزت على جائزة درع اتحاد الاطباء العرب التي تمثل ثماني دول عربية هي فلسطين والاردن وليبيا والجزائر والعراق وتونس والبحرين وسوريا ، وكانت مصر يومئذ قد عزلت عن جامعة الدول العربية .. وفيما يلي نص الرسالة بكاملها :

الرقم ١ / ١٢

التاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٨٨

الاستاذ الدكتور كمال السامرائي المحترم

تحية طيبة وبعد ..

يطيب لي ابلاغكم ان المجلس الاعلى لاتحاد الاطباء العرب الذي انعقد في القاهرة في ١٧ ـ ١٩ كانون الثاني / يناير ١٩٨٨ ، وبناء على قرار الامانة العامة في منحكم جائزة اتحاد الاطباء العرب التقديرية ، وذلك تقديراً لما قدمتم من انجاز علمي مميز في المجال الطبي اهنئكم بهذا القرار ويسرني دعوتكم الى المؤتمر الطبي العربي الخامس والعشرين الذي سيعقد في بغداد في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢١ شباط فبراير ١٩٨٩ ليتسنى تقديم درع اتحاد الاطباء العرب لكم خلال الجلسة الختامية للمؤتمر .

وتفضلوا بقبول الاحترام ..

الدكتور حسن خريس

الامين العام لاتحاد الاطباء العرب

نسخة : للزميل نقيب اطباء العراق .

وعلمت من نقيب اطباء العراق ان هذه الجائزة ستمنح في المؤتمر الطبي لاتحاد الاطباء العرب يوم ٢ / ٢ / ١٩٨٩ فتأجل بذلك تمام فرحتي الى ذلك اليوم .

نشوء كلية الطب ببغداد / ١٩٨٩

طلبت مني مجلة آفاق عربية أن أكتب على صفحاتها موضوعاً عن تأسيس كلية الطب ببغداد ، فكتبت لها ما ياتي ونشرته في عددها العاشر / تشرين الاول ١٩٨٩ بعنوان (ما أسباب المعارضة الوطنية لتاسيس الكلية الطبية ببغداد) وهذا نص ما كتبته :

ما أسباب المعارضة « الوطنية »
لتاسيس الكلية الطبية في بغداد ؟

كلية الطب بجامعة بغداد هي سليلة المعهد المبارك الذي أمر الملك فيصل الاول بتاسيسه وأطلق عليه اسم « الكلية الطبية العراقية » واهتم بامره بشكل غير اعتيادي ، فنسب الى ذاته الملكية باسم « الكلية الطبية الملكية العراقية » ، واستمر يرعاه بنفسه حتى ثبت وجوده واستقام ، ثم سُمي هذا المعهد في العهد

الجمهوري « كلية الطب العراقية » ، وأخيراً استقر باسم « كلية طب بغداد » . وقد أنجب هذا المعهد كثيراً من الاطباء لا تخلو اليوم من أحدهم قرية أو مدينة في القطر ، كما أنجب ثماني كليات طبية أرضع أكثرها حتى الفطام ، ولا يزال يرفدها جميعاً باساتذة من خريجيه لهم الكفاءة العالية في ممارسة الطب وتعليمه ؛ فلا أقل بعد هذا من أن نسجل اعترافنا بمآثرها وأفضالها على هذا البلد ونستذكر يوم مولدها ، وأطوار نشاتها ، ومسارها المضني الطويل كاول كلية طبية متكاملة في تاريخ العراق الحديث .

بعد جهود مضنية ، ومعارضات شديدة ، وعراقيل مقصودة واتهامات باطلة ، افتتحت الكلية الطبية العراقية في اليوم الرابع من شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٧ وتخرج فيها من صعد الى أعلى المراتب الجامعية ، وأشغل آخرون أخطر المناصب الادارية في الشؤون الطبية ، كما نال قسم منهم الجوائز التقديرية والشهادات الفخرية من أرقى الجامعات في العالم تكريماً لاعمالهم في العلوم التي اختصوا بها . وقد دفعتني ذكريات هذه الكلية التي تخرجت في اختصاصها ، وتادبت على مبادئها ، وسلكت طريق أساتذتها الفضلاء أن أحاول كتابة تاريخها كما عرفته بالمشاهدة والرواية المحققة منذ كانت فكرة تاسيسها بارقة في الاذهان ، يوم ولادتها في مخاض عسير ، والمراحل التي مرت بها ، وآمالها وتجاريبها حتى أضحت تضاهي أشهر كليات الطب في العالم . وكتابة مثل هذا التاريخ الطويل المتشعب الذي أطمح الى تحريره لا يخلو من مشاق وعقبات لو اكتفيت بالاعتماد على الذاكرة والرواية وحدهما دون مراجع معتمدة وأخبار موثقة ، وقد هيا الله لي زميلًا من تلامذتي النجباء ، هو الدكتور ضياء الموسوي ، كانت تخامره الفكرة نفسها ، فجمعت بيننا الغاية لنضع خطة عمل مشترك كي ننجز العمل الذي ننشده . فاستكتبنا من أجل ذلك عدداً غير قليل من خريجي هذه الكلية في سنواتها العشر الاولى فوافونا بمعلومات ذات قيمة عالية غير التي وجدناها في المصادر الاخرى عن الكلية في تلك السنوات . كما أفادتنا جريدتا « الزمان » لابراهيم صالح شكر و « العراق » لصاحبها رزوق غنام اللتان واكبتا مسيرة كلية الطب في منتصف العقد الثاني من هذا القرن . كذلك وجدنا في محاضر المجلس النيابي فيما بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٢٩ معلومات ممتعة جداً لما واجهته فكرة تاسيس هذه الكلية من معارضة أو تاييد . ووجدنا أيضاً في الارادة الملكية التي نشرتها جريدة « الوقائع العراقية » بعددها ٥٨٢ سنة ١٩٢٧ توكيداً لتلك المقررات التي انتهت بالموافقة على تاسيس الكلية . أما مذكرات سندرسن (بترجمتها العربية) فهي مصدر مكمل لا أساسي في

تاريخ هذه الكلية ، ذلك لانها لم تتناول الجزئيات الجوهرية التي يهتم بها القارىء العراقي في تاريخ كلية الطب ، كما ان سندرسن لم يُعن بتواريخ الاحداث وخصوصاً في جزئيات السنين المعنية ، كما لم يضمن كتابه أي مستند مكتوب عن أوليات نشوء الكلية ، وما أكثر تلك المستندات الموجودة حتى هذا اليوم في دوائر الصحة والكليات الطبية ، فاعتمد سندرسن على ذاكرته وهو بعمر متاخر ، والذاكرة كثيراً ما لا تصدق . فكان من ذلك أخطاء كثيرة لم يفتنا الانتباه اليها . وأفادنا أيضاً كتاب الدكتور هاشم الوتري والدكتور معمر الشابندر في (نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية العراقية) وكتاب الدكتور صائب شوكت في (تاريخ المعاهد الصحية في العراق) وقد انتبهنا الى بعض التناقض في هذين الكتابين . كذلك أفادنا التقرير السنوي القيّم الذي أصدره مدير الصحة العام الدكتور حنا خياط سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ عن اعمال مديريته وعن الاطباء الاجانب الذين اشتغلوا في الوظائف الادارية والعلاجية فيها . وهكذا تجمّع لدينا ملف ضخم من الاوراق والقصاصات في ما نحن وراءه ، فضلًا عما كان لدينا من ذكريات ومعلومات قريبة من اليقين عن الكلية في سنوات الثلاثينات حين كنت على اتصال دائم ومباشر مع اساتذتها الاوائل . وقد نجحنا - أنا والدكتور ضياء - في ربط تلك المعلومات مع بعضها ، وكدنا نصل الى مرحلة تقديمها الى النشر بكتاب قدّرنا أن يكون مفيداً وممتعاً معاً لا للاطباء وحدهم بل لكل قارىء يهمه تاريخ المعاهد العلمية في العراق الحديث . وذات يوم حمل الدكتور ضياء مسوّدات هذا الكتاب من مكتبتي الى بيته لينضّدها ويتأكد من تسلسل أوراقها ، إلا ان القدر كان لنا بالمرصاد ، فقضى أن يتوفى الدكتور ضياء في صباح اليوم التالي متأثراً بالسم الذي دُسّ له غدراً . وفي اربعينه أبّنتُه بحزن عصر فؤادي وأبكاني . واستخبرت بعد ذلك من أهله عن الكتاب فلم يعثروا عليه في أي مكان يمكن أن يكون فيه ، فما كان مني إلا أن أعود الى المصادر التي اعتمدنا عليها أولًا ، والى الذكريات التي ما زالت تنبض في خاطري .

● أول من فكر بتأسيس كلية طب في بغداد

إثر دخول الانكليز الى العراق انشئت سنة ١٩١٩ دائرة باسم مصلحة الصحة المدنية في العراق بادارة الكولونيل لين وكالة . وحين أدرك هذا المسؤول حال الصحة المتردي في العراق فكر في تأسيس مدرسة لتعليم الطب . وبعد عام واحد رفع تقريره الى الجهات الحكومية المعنية بشؤون الصحة ، ومما ذكر فيه عن موضوع تعليم الطب قوله : « لا يمكن التحدث في تأسيس مدرسة طبية ما لم تتدخلّ السلطات العسكرية المحيدية » ، وبهذا يكون لين أول

من فكر بضرورة تأسيس كلية طب في العراق ، وتعد تقاريره عن الصحة في العراق في تلك الحقبة مصدراً يحظى بالثقة والصدق .

● الجمعية الطبية البغدادية

أسس أطباء بغداد سنة ١٩٢٠ جمعية طبية باسم « الجمعية الطبية البغدادية » ، وقد نسبوها الى بغداد لأن أعضاءها كانوا جميعاً من اطباء بغداد حصراً ، وهم خليط من العراقيين الذين درسوا الطب في استانبول أو في بيروت ، ومن الاطباء الاتراك الذين تخلفوا عن اللحاق بالجيش التركي الذي انسحب من العراق بعد موقعة الكوت الشهيرة سنة ١٩١٧ . كما كان بينهم تسعة من البريطانيين الذين عملوا في جيش الجنرال مود يوم دخل بغداد في تلك السنة ؛ ومنهم الدكتور دبليو دنلوب ، والدكتور جي سبنسر ، والدكتور بي هيكز ، والدكتور هاري سندرسن ، والدكتور أي نورمن ، والدكتور جي ودمن ، والدكتور ايل براهام ، والدكتور جي هالينان . كما كان من الاطباء العرب طبيب الملك فيصل الأول الدكتور أمين المعلوف ، والدكتور حنا خياط ، والدكتور صائب شوكة والدكتور فائق شاكر والدكتور سامي شوكة ، والدكتور افلاطون والدكتور اليهودي ساموئيل أداتو ، وسامي سليمان ، ومحمد كاني ، ومظفر بك . والاطباء الاربعة الأخيرون من الاتراك . وحين اجتمع الاطباء لانتخاب اللجنة الادارية واللجنة التنفيذية للجمعية الطبية البغدادية ، تم اختيار الدكتور حنا خياط رئيساً لها ، ومفتش الصحة العام الدكتورهالينان نائباً للرئيس ، والدكتور صائب شوكة سكرتيراً ، والدكتور سامي شوكة أميناً للصندوق ومستر كرايز أميناً لمكتبة الجمعية ، أما أعضاء اللجنة التنفيذية فكانوا الدكتور دنلوب والدكتوب هيكز والدكتور براهام والدكتور معلوف .

والدكتور خياط من قدامى اطباء العراق ، ذو ثقافة فرنسية ، وقد عمل زهاء عشرين سنة في الحكومة العثمانية قبل التحاقه بركب الأمير فيصل بن الحسين في حكومته المؤقتة بدمشق . وكان لكليهما يومئذ لحية كثة تغطي خديه ، فقرمطا شعرها في ساعة واحدة ولدى حلاق واحد قبل أن يُخرج الفرنسيون فيصلاً بالقوة من سوريا . وصحب الدكتور خياط الامير فيصلاً الى العراق حين استُدعي ليتوج ملكاً عليه ،

أما هالينان فقد دخل العراق مع الجيش البريطاني في سنة ١٩٢٠ ، وعين مفتشاً عاماً للشؤون الصحية في اليوم الأول من شهر نيسان سنة ١٩٢٢ . وهو من الاطباء الانكليز الذي يُذكرون بخير في العراق ، ويعد من بين الذين الحّوا على استحداث كلية طب في العراق .

أما الدكتور صائب شوكة « سكرتير الجمعية الطبية » فقد عاد من استانبول

الى بغداد سنة ١٩٢٠ وعمل جراحاً في المستشفى العمومي الجديد (NEW GENERAL HOSPITAL) الذي شيّده الانكليز خصيصاً لرعاياهم من الهنود ، ولاهالي بغداد أيضاً ، وكان بناؤه من اللبن والطين والقصب وجذوع النخل ، وموقعه على يمين مدخل الطريق المترب المؤدي الى الاعظمية . وكان يرأس هذه المستشفى الدكتور دنلوب ، ومن الذين عملوا فيه أيضاً (الملا خضر) وهو شخص بدين من سكان جانب الكرخ ، وقد انتقل مع الدكتور صائب الى المستشفى الملكي بعد غلق المستشفى العمومي الجديد وصار بعد ذلك من البارزين الذين عملوا في دائرة التشريح بكلية الطب .

● الجمعية الطبية البغدادية تقترح تاسيس كلية طب

كان من أعمال الجمعية الطبية البغدادية القاء محاضرات تثقيفية في الطب ومعالجة المشكلات الصحية في القطر ، على اطباء بغداد الذين لم يتجاوز عددهم أربعين طبيباً بما فيهم البريطانيون الذين يؤلفون الاكثرية . وفي عصر يوم من شهر أيلول سنة ١٩٢١ عقدت الجمعية اجتماعاً في احدى قاعات مستشفى العزل بالكرخ تلا فيه مفتش الصحة العام الدكتور هالينان تقريره عن تفشي الامراض بين العراقيين ، والنقص الخطير في عدد الاطباء العاملين في العراق الذي لمسه في جولته التفتيشية في ألوية القطر ، وكان عدد الأطباء العراقيين تسعة فقط ، ومن البريطانيين والهنود والايرانيين والاتراك والسوريين زهاء مائة وسبعين طبيباً . وفتح هالينان الباب لمناقشة علاج هذه الحالة المؤسفة ، وعرضت لذلك آراء ومقترحات كان أكثرها منصباً على استقدام اطباء من الاقطار المجاورة . فنهض الميجر هيكز ، المسؤول عن الأمراض السارية بمديرية الصحة العامة ، وتلا عرضاً وافياً عن حالة العراق الصحية وضرورة إحداث مدرسة لتعليم الطب في العراق لتزويده باطباء من أهل هذا البلد . واستحسن المستمعون رأيه وصفقوا له استحساناً لما جاء به من رأي وحسن نية . ونشرت الصحف ، وفي مقدمتها جريدة العراق ، محضر هذا الاجتماع والفكرة التي طرحها الدكتور هيكز ، بتفصيل صحفي منمق . وكان من المؤيدين بحماس للفكرة الدكتور سامي شوكة والدكتور أمين المعلوف الذي كان يومئذ مديراً لامور طبابة الجيش العراقي ، وكان مما قاله : « ان تاسيس مدرسة لتعليم الطب في القطر ضرب من الاستقلال الاقتصادي والمهني لا يقل أهمية عن الاقتصاد السياسي ، فمن يدرك هذه الحقيقة لا بد أن يؤيد تاسيس هذه المدرسة » .

وبعد نقاش ومداولات أيدت الاغلبية الفكرة وأقرت العمل على تحقيقها برفع مذكرة الى كل من سكرتير الملك وكورنواليس ورئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب .

وسرعان ما ذاع خبر ما دار في الجمعية البغدادية حول تاسيس مدرسة لتعليم الطب في بغداد ، فتندر بها البعض واستبعدوا احتمال تحقيقها بينما رأى آخرون انها فكرة تستحق الدراسة في الاقل .

● وزارة المعارف والبلاط الملكي يبحثان موضوع كلية الطب

كانت الشؤون الصحية في القطر حتى سنة ١٩٢٢ تابعة لوزارة المعارف ، ثم انعزلت عنها في وزارة عبدالرحمن النقيب الثانية فاستوزر لها الدكتور حنا خياط، إلا انه سرعان ما استقال من الوزارة في اليوم الأول من شهر نيسان ١٩٢٢ ، فأُلحقت الشؤون الصحية بوزارة الداخلية وعُين لها مدير عام هو الدكتور خياط نفسه المؤيد لتاسيس كلية الطب ، وهو أيضاً من أصحاب الملك ورفاقه في الماضي ، ومن المحتمل انه اتصل بالملك بطلب ملح من زملائه في الجمعية الطبية البغدادية ، وعرض له دوافع المذكرة التي رفعوها اليه حول تأسيس كلية طب في بغداد . كذلك ، فان المذكرة المرفوعة الى رئيس الوزراء لا بد انها رفعت الى الملك . ويبدو ان الملك استشار ساطعاً الحصري أو ان ساطعاً اشار على الملك أن تتريث الحكومة في تاسيس الكلية متذرعاً بالمستويات العلمية الواطئة في المدارس الثانوية ، وبتدريس الطب باللغة الانكليزية لا العربية . وبأمر عالٍ ، ربما من الملك نفسه ، تقرر أن يتقابل كل من سكرتير وزارة المعارف الكابتن فارل وساطع الحصري ليتبادلا الآراء في موضوع تأسيس الكلية. ولما كان ساطع الحصري يتوجس من البريطانيين ، ويعارض كثيراً من آرائهم السياسية وغير السياسية ، ويعدها بأي شكل وموضوع استعمارية مخربة لروح العرب القومية ، فقد كان من رأيه ان فتح كلية لتعليم الطب سابق لأوانه ، وان من الأفضل ارسال المتفوقين من خريجي المدارس الثانوية الى خارج العراق لدراسة الطب . وعلى الضد منه كان الكابتن فارل يرى ان تأسيسها ضروري في الظرف الصحي الراهن في العراق . وقد حاول ساطع الحصري أن يحرج فارل فسأله عن لغة التدريس في الكلية فاجابه فارل بتصميم انها ستكون بالانكليزية بداهة . لان المصطلحات العلمية ليس لها مرادفات بالعربية ، فقال له الحصري بثقة ظنها قاطعة : « ان المصطلحات العلمية غير مهمة ، فاللغة العربية غنية بالمصطلحات التي يحتاجها المتعلمون في الطب » . وانفضّ اجتماع المستشارين ، فارل والحصري ، دون أن يقتنع أحدهما برأي الاخر . ورفع الحصري ما دار بينه وبين فارل الى الملك ، فاقتنع الملك حينذاك بما اقترحه الحصري عليه ؛ وأمر رئيس ديوانه رستم حيدر أن يكتب بهذا المعنى الى الجهات ذات العلاقة في موضوع الكلية فما كتبه رستم حيدر : « ان جلالة الملك أمرني أن ابلغكم نتائج

بحثه ؛ وهي ان جلالته يشارك الجمعية الطبية البغدادية في ضرورة تأسيس الكلية وحاجة البلاد الماسة اليها ، إلا انه يعتقد ان التفكير في هذا الامر سابق لأوانه نظراً لان مستوى التعليم في البلد واطيء الى درجة لا يمكن اعداد الطلبة ذوي الكفاءة اللازمة للاشتراك في دراسة هذا الفرع الخطير ، وان جلالته يرغب الى حكومته أن لا تعمل بصورة فوق العادة على رفع مستوى التعليم الى حد يمكن من التفكير في تاسيس كلية خطيرة ككلية الطب قبل أن تفكر في هذا التأسيس » .

وواضح جداً ان ما في هذا الكتاب من التعابير والمضامين ما هو إلا نقل مطور لما رفعه الحصري الى الملك إثر اجتماعه بمستشار وزارة المالية الكابتن فارل ، وهكذا تأجل فتح كلية الطب ، كما يقول الحصري ، الى ما بعد خمس سنوات .

● بشائر على تاسيس كلية الطب

في وزارة السعدون الثانية سنة ١٩٢٥ اعادت الجمعية الطبية البغدادية محاولتها لتاسيس كلية طبية في بغداد ، وحصلت بينها وبين وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني مكاتبات ومقابلات انتهت باقتناع الوزير بدعم فكرة تاسيس الكلية . وحدث في السنة نفسها أن أخلى البريطانيون مرضاهم من مستشفى المجيدية ونقلوهم الى مستشفى في معسكر الهنيدي (الرشيد حالياً) وهي الحركة التي كان يتمناها كل من الكولونيل لين والميجر هيكز ليكون مستشفى المجيدية مستشفى تعليمياً لتدريب طلاب الكلية المزمع تاسيسها . كما بدأت وزارة المعارف بتطوير مناهجها في المدرسة الثانوية الاعدادية بما يلائم مناهج تعليم الطب ، وشرعت بتدريس الكيمياء باللغة الانكيزية كخطوة اولى وظهرت علائم اخرى تدل على تفكير الحكومة الجدي بتاسيس كلية طبية في الامد القريب ، فقد أوفدت وزارة المعارف في سنة ١٩٢٦ كلًا من الدكتور صائب شوكة والدكتور توفيق رشدي الى بريطانيا للاطلاع على اساليب التدريس في كلياتها الطبية ، وأوفدت بعد عام واحد الدكتور هاشم الوتري الى بريطانيا أيضاً للغرض نفسه .

وفي يوم ٢٧ / ٤ / ١٩٢٥ ، وجهت رئاسة الوزراء كتاباً الى كل من وزارة الداخلية ووزارة الاشغال لدراسة ما يتطلبه تاسيس كلية طب من أموال لتشييد بناياتها وشراء ما تحتاجه من آلات وأدوات .

● الملك فيصل الاول يامر بتاسيس الكلية الطبية

وفي يوم ٦ / ١١ / ١٩٢٦ أمر الملك رئيس ديوانه بأن يوجه كتاب الى رئاسة مجلس الوزراء لعمل ما يلزم لتاسيس كلية طبية ، وقد ورد فيه : « أمرني

حضرة صاحب الجلالة بأن اخاطب رئيس الوزراء في موضوع المدرسة الطبية ، ذلك المشروع الذي له التأثير الحيوي على مستقبل البلاد ، وأن أذكر له رغبته في لزوم مضاعفة العناية وتهيئة الأسباب العاجلة لاخراجه من حيز التفكير الى حيز العمل .
وان الاسباب الموجبة لانشاء المدرسة الطبية لا تخفى على فخامة الرئيس . ففي سوريا وحدها ثلاث مدارس طبية ، وليس من الانصاف ان نكون عالة على غيرنا . ولقد تيسرت الآن وبدأت المدارس تُخرّج بقدر الامكان التلاميذ الاكفاء من الوجهة العلمية ، فلا يرجى من وراء التريث سوى ضياع الوقت وبذل الأموال دون خير ، ولهذا ينتظر صاحب الجلالة من فخامة رئيس الوزراء أن يشير الى وزارة الداخلية بتخصيص المال اللازم في الميزانية الجديدة لتحقيق هذا الطلب في أقصر وقت » . فما كان من وزارة الداخلية بعد صدور أمر الملك إلّا أن تتضمن ميزانيتها لسنة ١٩٢٧ فصلاً برصد مبلغ أولي قدره (٧٢٢٣٠) روبية لمناقشته في المجلس النيابي بجلسته غير الاعتيادية الثانية في الرابع من شهر مايس سنة ١٩٢٧ .

● المجلس النيابي يناقش ميزانية الكلية

ومن طبيعة الأمر أن يتبادل أعضاء المجلس آراءهم في مفردات ورقة أعمال الجلسة قبل التآمه ، فينقسمون سلفاً الى جبهتين : جبهة مؤيدة لما يطرح في الجلسة وجبهة معارضة لها . كما يحتمل أن تكون المعارضة مدفوعة بدوافع حزبية ليس غير . وفتح وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني مناقشة الفصل المخصص لميزانية كلية الطب ، وعلى الرغم مما ورد في تلك المناقشات من مواقف النواب المتناقضة ولغة بعضهم الركيكة إلا اننا سندونها هنا دون تصحيح أو تحريف ، فتلك وثائق تاريخية يجب المحافظة على نصوصها كما وردت ، كما انها تعكس المستويات الفكرية المختلفة والاتجاهات السياسية فلا يصح تطويرها بمفهوم اليوم الراهن ولغته . وقد ركّز نائب بغداد وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني على الخطر الداهم من كثرة الأمراض في القطر وقلة الأطباء لمكافحتها ، فدعا بحماس الى تاسيس كلية لتعليم الطب والحصول منها على ما يسد الفراغ في الكادر الطبي وقال :

« ان دائرة الصحة قد قامت بخدمات جليلة للبلاد . ولا ننكر ان في البلاد امراضاً متفشية ، وقد قامت مديرية الصحة العامة بواجبها على قدر المستطاع . ولو نظرنا الى نفوس العراق ، وهي على الاقل ثلاثة ملايين نسمة ، لوجب أن نستخدم ثلاثمائة طبيب على الاقل ، هذا اذا اعتبرنا لكل عشرة آلاف نسمة طبيباً واحداً مع انه في البلاد الراقية لكل الف أو الف وخمسمائة نسمة طبيباً . وعلى هذا القياس نحتاج ثلاثمائة طبيب في حين لا يوجد أكثر من مائة وعشرون طبيباً أو مائة وخمسة

وعشرون . وهؤلاء بينهم الانكليزي والسوري والايراني وغيرهم من الأمم الاخرى ، ولهذا اضطررنا أن ندخل في هذه الميزانية مخصصات الى تأسيس مدرسة طبية لكي نتمكن من أن نحصل على عدد كاف من الاطباء لنخلّص البلاد من هذه الأمراض ، ولا سيما من وفيات الأطفال » .

وأنهى رشيد عالي كلامه قائلاً : « وأنا مقتنع بأن حضراتكم ستقدرون الفوائد التي سنحصل عليها من تأسيس هذه المدرسة ؛ من احضار العدد الكافي من الاطباء لكي يتمكنوا من اداء الخدمة التي تعود الى تزييد نفوس البلاد » .

وعقب نائب الموصل علي خيري الامام على كلمة رشيد عالي الكيلاني قائلاً : « أما تأسيس المدرسة الطبية فهذه حقيقة من الامور الضرورية لهذه البلاد التي أصبح القسم الاكبر منها خالياً من الطبيب والصيدلي » .

ويبدو ان ثمة كلاماً تردد في أروقة المجلس قبل انعقاد هذه الجلسة مفاده ان خريجي هذه الكلية لن يكونوا على مستوى يعتمد عليه ، فتابع الامام نائب الموصل كلامه قائلاً : « وقد يقال ان هذه المدرسة تأتي بأعمال ناقصة ، وتخرّج أطباء قد لا يكونوا كأطباء حصلوا في مدارس أجنبية . نعم ان هذه ملاحظة واردة ، وهذا لا يمنع خريجي هذه المدرسة أن يذهبوا الى الخارج ليتلقوا دراستهم ، إلا انني أرى ان مؤسسة كهذه ضرورية » .

وطلب الكلام نائب بغداد الشيخ أحمد الداود ، وهو شيخ معمم من عائلة دينية فقال مؤيداً ما ارتآه المتكلمان اللذان سبقاه ، واقترح في الوقت نفسه أن يستقدم اطباء من خارج القطر لمعالجة الحالة الآنية المتجسدة في قلة الأطباء ، وقال : « اني ارحب بما جاء في هذا الباب وفي هذه المصلحة من فتح مدرسة طبية عسانا نتلافى بواسطتها هذا النقص المعلوم المشهود ، ولكن على أن تخرّج الأطباء الذين يحسنون القيام بواجباتهم ، وعلينا أن لا ننسى جلب الأطباء العرب للقيام بهذه الوظائف الى أن (يتخرجوا) الرجال الاطباء لهذه البلاد المحتم عليهم خدمتها » .

وتكلم نائب البصرة الدكتور سليمان غزالة وضرب مثلاً على تفاؤله بتأسيس المدرسة الطبية ، فذكر مدرسة الصيدلة العراقية التي أثبتت وجودها الناجح والمفيد ، كما قال ان دروس مدرسة الصيدلة ـ كالكيمياء ـ هي من العلوم التي تدرس في كلية الطب ، وقال مخاطباً أعضاء المجلس : « اننا مستعدون لفتح مدرسة طبية فعندنا منذ سنتين مدرسة صيدلة وأكثر العلوم التي تدرس فيها هي علوم طب كالكيمياء وغيرها » . واضاف : « أما من جهة المعلمين فانني أقدر ان اؤكد لكم عندنا من المعلمين الوطنيين ، ولو لم يمكنني أن أقول انهم أحسن من الذين يأتون



البلاد الاخرى ، فانهم بدرجتهم » .

ونهض نائب كربلاء عبدالمحسن شلاش ، وهو كهل معمم وثقافته كتبية ومن البيوت العريقة في التجارة بالنجف الاشرف ، وكان في مداخلته ما ينم عن عدم موافقته على إحداث كلية لتعليم الطب في بغداد ، فقال : « اسأل معالي وزير الداخلية عن نقطة واحدة وهي المدرسة التي تنوي الحكومة احداثها ، فانى ارحب بكل مشروع من شأنه الرقي ، ولكني أود أن أفهم من هم المدرسون الذين يقومون بهذه المهمة ؛ هل هم من البريطانيين أو من العراقيين أو غيرهم ؟ وما هي قيمة الشهادة التي يمنحها اولئك المعلمون ، وما هي قيمة هذه الشهادة في لندن بالنظر الى الموظفين البريطانيين ؟ حيث ان الطلاب سيدرسون على ما أعلم بعد ذلك في الخارج ، ومن هذا اريد أن أفهم » . وواضح ان النائب شلاش قد تجاهل ما ذكره الدكتور غزالة عن وجود أطباء اكفاء في العراق لتعليم الطب ليعلن بشكل غير مباشر عدم موافقته على تأسيس مدرسة طبية في القطر .

وتكلم نائب بغداد يوسف غنيمة ، وهو من نصارى بغداد المثقفين ، ومن عائلة عريقة في ممارسة الأدب والتجارة ، فقال : « يبدو ان لجنة الامور المالية في المجلس ، حسب اقتناعنا ، غير مقتنعة في استحداث كلية لتعليم الطب ، فقد ترددت كثيراً في أمر قبول انشاء هذه المدرسة وذلك لأسباب قيمة جداً تنحصر أولًا في نقطة مهمة وهي الاطباء الذين يتخرجون من هذه المدرسة » .

ولسبب غير واضح طلب رئيس المجلس من المتكلم غنيمة أن يؤجل بحث هذا الموضوع الى حين يجيء بحث فصل ميزانية المدرسة ، فسكت يوسف غنيمة ، وحان بحث ذلك الفصل ولكنه لم يتكلم .

وفي الجلسة نفسها تلا رئيس المجلس الفصل ٤٩ أ المتضمن تخصيص مبلغ ٧٢٢٣٠ روبية لمدرسة الطب . فبادر نائب الدليم محمود صبحي الدفتري الى القول : « ان فكرة تأسيس مدرسة طبية ليست فكرة حديثة في هذه البلاد ، بل هي تدور على الألسن منذ زمن غير قريب ، ووردت بهذا الشأن اعتراضات كثيرة كان منها ان حالتنا الاجتماعية الحاضرة ، والتحصيل الابتدائي والتالي عندنا لا يساعدان على تكثير المدارس العالية ، حيث لا يوجد لدينا عدد كاف من التلاميذ ، ولم يهيأ لهم من الاساتذة ومن الآلات والأدوات الفنية ما يجعلنا أن نطمئن من حسن التبشير بها » . ثم أضاف : « ان الحالة لا تساعدنا علىَ أن نطمئن تمام الاطمئنان من ان التنائج تكون مفيدة تماماً ، وأرى ان الاعتراضات قوية تجعلني أتخوف من أن يتخرج من هذه المدرسة إن لم يكن قد حصل مثل الاطباء الذين حصلوا في مدارس الطب

الراقية فيمكن أن ياتينا ضرر . وأحب أن أسمع أيضاً عما اتخذ من التدابير لجعل هذه المدرسة مفيدة كالمدارس العالية في الممالك الراقية الاخرى . واني اذا اطمأننت الى ذلك فسوف اوافق واصادق على المخصصات التي أتت بها الحكومة لفتح هذه المدرسة » .

وبدا لنائب بغداد الشيخ أحمد الداود وهو ينصت للمتكلمين ان الاعتراض على تاسيس الكلية منصب بالدرجة الاولى على عدم قابلية الطلاب على استيعاب المادة العلمية في الطب ، وعدم توفر اساتذة لتعليم هذه الصناعة ، فقال : « نظراً الى الذكاء الفطري الذي منحه الله للعراقيين ، لا أجد صعوبة لتحصيل فن الطب على شباب العراق ، فهنا وطنيون حصلوا على الطب خارج البلاد ، وهم لا يقلّون قدرة عن الأطباء الأجانب » . ثم قال : « ان الطبيب صائب شوكة الجراح القدير بارى الجراحين الانكليز في صنعته . فبالنظر الى هذه الحالة أجد في فتح مدرسة الطب فائدة كبيرة بخلاف رفاقي المتشائمين منها » . واضاف قائلًا : « هنا نقطة واحدة يجب على الحكومة أن تهتم بها كل الاهتمام وهي جلب المعلمين القديرين ولو كلفنا ذلك رواتب ضخمة واسعة لأن الفائدة الموجودة من هذه المدرسة لا تحصل إلا بجلب اساتذة قديرين على تلقين هذا الفن العظيم . واذا ساعد الحظ لا نكتفي بفتح الكلية وحدها بل يجب أن نقوم بجانب المدرسة بارسال بعثات طبية الى البلاد الغربية ليستفيدوا منها فائدة وعلماً ، ويكونون بنفس الوقت اساتذة في مدرستنا الطبية ، ونخلص من المصايب التي يشتكي منها كل فرد » .

ويُعرف عن نائب الموصل ثابت عبدالنور انه كان معارضاً قوياً لفكرة تأسيس كلية طبية لأسباب عديدة هي : كلفة تأسيس هذه الكلية ، ومستويات المدارس الثانوية ، وخلو اللغة العربية من المصطلحات الفنية ، وقلة الاساتذة في تعليم الطب ، والخطورة من تعليمه باللغة الانكليزية ، وقال : « أنا لا ارحب بفتح مدرسة طبية بل أرحّب بكل اقتراح تأتي به الحكومة لتعليم أي فرد من ابناء البلاد في الطب وغيره » ثم تراجع عما تعنيه هذه الكلمة ، فقال : « ان فتح كلية طبية هو من الامور التي أتت قبل أوانها ، وان اليابان والصين وتركيا ومصر سارت سيرة اخرى بارسالها ابنائها في البعثات المنتظمة لتلقي العلوم الغربية والاستفادة من منابعها . وقد رأيت الجميع متفقين على ارسال البعثات العلمية ، فلماذا لا نداوم على تلك السيرة الى أن يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من فتح مدرسة طبية تخرّج لنا رجالًا مطلعين على اسرار العلوم ومتقدمين في تلك الصناعة الراقية ؟ » وقال أيضاً : « يتفاخر البعض برجالنا الذين اتيح لهم أن يحصلوا العلوم في المعاهد الغربية وأبرزوا مهارة في

صنعتهم (مشيراً الى الكلام الشيخ أحمد الداود) واني اشاركهم في هذا الفخر ولكن اقول لهم : من أين إستقى هؤلاء علومهم ؟ أمن الغرب أم من مدرسة الطب التي ستفتح في بغداد ؟ انهم استقوا علومهم سادتي من معاهد الغرب الغنية بهذه الصناعة . اننا نحتاج الى مدارس ثانوية منتظمة ، فاذا كنا في حاجة عظيمة الآن الى تنظيم ثانوياتنا فلنقم بها » . واستمر في كلامه فتناول موضوع لغة التدريس في الكلية ، فقال : « انني اعتقد ان في اللغة العربية مع سعتها وشرف مقامها ألا يعين المعلم أو المتعلم على تعلم الطب . ولا أظن ان المجلس العالي يوافق على أن يجعل مدرسة الطب ذات لسان أجنبي » . ثم احتج بالاعباء الملقاة على الأطباء في ميدان معالجة المرضى مما يجعلهم عاجزين عن القيام بالوظيفتين : التعليم والتطبيب .

وعاد نائب كربلاء عبدالمحسن شلاش الى تساؤله الذي وجهه فيما سبق الى وزير الداخلية بخصوص شهادة المتخرجين في الكلية وقبولهم في الاقطار الاخرى وسأل : « أود أن أكرر كلامي الى وزير الداخلية بخصوص المديرين ، ودرجة الشهادة التي سيحملها الطبيب العراقي » . فأجابه وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني باسهاب مقنع قائلًا : « اني اشكر النواب الذين برهنوا على وجوب تأسيس مدرسة طبية في هذه البلاد حتى تتمكن دائرة الصحة من أن تقوم بالخدمات المحتمة عليهم » . ثم قال بتفصيل : « تفضل بعض النواب واعترض مستنداً الى قولٍ واحد ، وهو ليس باستطاعة الحكومة تأسيس هذه المدرسة ، الى تأييد قوله ببعض الأدلة التي لا تنطبق على الواقع . فمسألة التلاميذ تشتغل فيها مديرية الصحة والمعارف منذ سنتين لاجل أن تتمكن المعارف من تخريج تلامذة مستعدين لتلقي العلوم الطبية . وقد عدّلت المعارف مناهجها ووعدت رسمياً ان لديها من التلاميذ ما يكفي لهذه المدرسة الطبية ، وهي مستعدة لتقديم المقدار الكافي لكل سنة ، فلماذا نبخس حق تلامذة المدارس ؟ » . واستطرد الكيلاني قائلًا : « لنأت الى قضية المدرسين » فكما اشار الزملاء ، ومن بينهم الدكتور سليمان غزالة ، وهو بالطبع له الصلاحية التامة في القول من انه يوجد لدينا (معلمين قديرين) لالقاء الدروس الطبية في المدرسة ، وفي الحقيقة ان قوله لمنطبق على الواقع » .

واستطرد وزير الداخلية يقول : « نأتي الى درجة الشهادة التي سأل عنها الزميل عبدالمحسن شلاش فاجيبه بكل صراحة ، وليسجلها عليَّ ، ان هذه الشهادة هي شهادة دكتور طبيب لا ممرض أو مضمد كما يتوهم البعض . وسأل عما تكون قيمة هذه الشهادة عند الدول ، فاننا لا يهمنا أن تعترف جميع الدول بشهادة مدرستنا أو بتاسيسها ، انما احتياجاتنا لهذه المدرسة لتخرّج لنا الأطباء الذين نحن بحاجة

اليهم لا الى اعتراف الاجانب بالشهادة » واستطرد وزير الداخلية يقول على هذا السياق : « وتعلمون ان اغلب الدول لا تعترف بشهادات الدول الاجنبية ، ولا تعطي الاذن للاطباء بالتطبيب إلا بعد أن يمارسوا الطب في بلادهم ، ومع هذا ان مديرية الصحة لا تزال تجتهد لتحمل اللجنة الطبية في لندن على الاعتراف بشهادة هؤلاء المتخرجين وتعتبرهم كاطباء لندن . ونحن مستعدون أن تحضر لجنة من اوربا لامتحان طلاب هذه المدرسة ، فلا أرى سبباً يدعو للتخوف من تأسيس هذه المدرسة لأن جميع الوسائل مستحضرة ». وواضح جداً ان وزير الداخلية كان مدركاً لأهمية المدرسة الطبية في العراق وضرورة تأسيسها ، وعدّ كلامه حاسماً لمن لا يهوى التطويل بكلام لا طائل تحته .

وحين تكرر الكلام عن الحالة الاقتصادية في القطر كسبب يدعو الى عدم تأسيس كلية الطب ، صار على وزير المالية ياسين الهاشمي ، وهو صاحب الحق والاختصاص المباشر في صرف التكاليف لتأسيس هذه الكلية ، فلا بد أن يقول كلمته الحاسمة التي تجيز أو لا تجيز تأسيسها ، فقال بعد مقدمة وجيزة في التفاضل بين فتح كلية طب أو تعويضها بايفاد طلبة من المدارس الثانوية الى خارج القطر لدراسة هذه الصناعة : « علينا أن نعالج ذلك من الوجهة الاقتصادية . وقد ورد في تقرير اللجنة المالية ان البلاد في حاجة الى ثلاثمائة طبيب ، وتعلمون ان البعثات العلمية التي يقتضي أن ترسل (ثلاثون) طالباً لكل سنة لكي تحصل على نتائج عشرين أو خمسة وعشرين طبيباً بعد المدة الدراسية التي تطول سنة لتعلم اللغة الانكليزية ، وست سنوات لتعليم الطب ، فاذا قدّرنا مصرف الطالب السنوي مائة وخمسون ليرة ، واعتبرنا ان الذين يذهبون سنوياً هم ثلاثون طالباً فيقتضي أن نخصص لهم ٤٥٠٠ ليرة سنوياً . وفي السنة الثانية نرسل أيضاً بعثة اخرى فيكون المصرف إذ ذاك ٩٠٠٠ ليرة سنوياً ، وفي السنة الثالثة سيكون المصرف عشرة آلاف ليرة وهلم جرا ، فالى أن يصل طلاب البعثة الاولى الى الصف الخامس يكون مصرفنا السنوي الدائم يقابل ثلاثة أو أربعة ألكاك روبية ، بينما اذا صرفنا ربع هذا المبلغ فيمكننا أن نجعل المدرسة مؤسسة في البلاد . فمن وجهة الاقتصاد أرى ان تاسيس هذه المدرسة أنفع بكثير . وتعلمون الفقر في بلادنا والحالة الاقتصادية لا تسمحان أن نرسل (طلاب) ، ولذلك رأت الحكومة ان تاسيس مدرسة الطب أحسن بكثير » .

وكان لوزارة المعارف جانب آخر يتعلق بفتح المؤسسات التعليمية التي منها مدرسة الطب ، فقال وزير المعارف السيد عبدالمهدي مؤيّداً ما قاله وزير الداخلية : « من صالح هذه البلاد ان كل مدرسة أو مؤسسة علمية يراد انشاؤها يقتضي أن

تُنشَط وتُشجَع ، وأن لا يشترط أو يجعل كشرط هل ان شهادة هذه المدرسة تقبل في لندن أم لا ، لان كثيراً من الاقطار العربية لا يُعترف بشهاداتها في اوربا » . ثم قال : « وسأل الزميل المحترم محمود صبحي الدفتري عن درجة التحصيل في المدارس الابتدائية ، واظنه يريد درجة التحصيل في المدارس الثانوية ، فاقول : ان اللجنة التي نظرت في انشاء مدرسة الطب درست منهاج المدارس الثانوية واعترفت انه منهاج قوي ، وان هذه المدارس كافية لان تكون مخرجاً لمدرسة الطب » .

وطلب الكلام نائب بغداد أمين الجرجفجي وأيد بحرارة فتح كلية طبية وخالف من يرى صعوبة في ايجاد معلمين لهذه الكلية ، وقال أخيراً ان فتحها قد حان .

وتلا الجرجفجي ، نائب الكوت سعيد الحاج خضير فأيّد مَنْ طلب تاسيس كلية لتعليم الطب . أما نائب ديالى حكمت سليمان فقال :

« أظن ان فتح مدرسة ، بالخاصة مدرسة عالية ، لا يكون إلا بموافقة دائرتها المختصة ، فهل ان الدائرة المختصة وافقت على فتحها ؟ وان المسؤول من الوجهة العمومية هو الأجنبي ، فهل هو موافق على ان حالتنا تساعد على فتح هذه المدرسة ؟ » .

وأعلن رئيس المجلس الاكتفاء بالمذاكرة تلبية لطلب كثير من النواب ، وقاطعه بعضهم محتجين ، فاذعن لهم وأعطى الكلام الى نائب الموصل سعيد الحاج ثابت ، فنهض هذا النائب وقال ما لم يفهم من كلامه موقفه النهائي ، فقد وافق على تأسيس الكلية بشروط ذكرها هو نفسه مقتنعاً بتوفرها كما انه لم يفهم كلام الهاشمي ، فادعى انه قال :

« ان هذه المدرسة ستخرج نصف أطباء » . والهاشمي لم يقل ذلك . كما قال : « اذا كانت الحكومة تعتمد على العراقيين فقط في التدريس فلا خير في هذه المدرسة ، فعلى الحكومة أن تجلب مدرسين من أي دولة كانت » . وعاد رئيس المجلس فاعلن الاكتفاء بالمذاكرة فوافق على ذلك أعضاء المجلس بالاكثرية ، إلا ان محمود صبحي الدفتري اعترض على الاكتفاء لعدم (نضوج الموضوع) كما ادعى ، فقاطعه رئيس المجلس قائلًا : « لا اوافقك على الكلام ، فقد اكتفى المجلس بما صار له من معلومات عن هذه المدرسة ، وان حق تقدير نضوج الموضوع وعدمه يعود الى الرئاسة ، والمجلس هو الحكم » . وسأل أعضاء المجلس ان (يرفع الموافقون على الاكتفاء ايديهم) فرفع أكثر الاعضاء ايديهم على الاكتفاء بالمذاكرة ، وأعلن الرئيس موافقة المجلس على تصديق ميزانية تأسيس الكلية . وصدرت الارادة الملكية بتأسيس الكلية باسم (الكلية الطبية العراقية) ونشرت الارادة في جريدة « الوقائع

العراقية » برقم ٥٨٢ سنة ١٩٢٧ . كما نشر في العدد نفسه تعيين الدكتور سندرسن عميداً لها .

● الدكتور سندرسن يُرشح للعمادة وهو في لندن

كان كل من الدكتور حنا خياط والدكتور هالينان، في اثناء مناقشة المجلس تاسيس كلية الطب ، يتابعان وبشغف ، وينتظران بقلق ، ما سيتم في المجلس النيابي حول تاسيس كلية الطب المرتقبة . ولما استبشرا بما قيل في جلسات المجلس النيابي وتوقعا بشكل يقرب من اليقين الموافقة على تاسيسها تناقشا بشان مَنْ يصلح لعمادة هذه الكلية ، فقرّ رأيهما على أن يكون طبيب الملك فيصل الاول الدكتور سندرسن هو الشخص الكفوء واللائق لها . وكان سندرسن يومئذ في لندن وقد نكر هو وزوجته (إلْزي) أن لا يعودا الى العراق ، فكتب كل من الدكتور خياط والدكتور هالينان الى الدكتور سندرسن بترشيحه لمنصب عمادة كلية الطب التي يؤمل استحداثها في وقت قريب . كل ذلك والمجلس النيابي لم ينته بعد من مناقشة ما خُصص لهذه الكلية في ميزانية وزارة الداخلية ، فاغتبط سندرسن بترشيحه لعمادة الكلية ونبذ تصميمه على عدم العودة الى العراق ، واندفع بحبور يستشير اساتذته الذين درس عليهم الطب بجامعة ادنبرة في ما يجب أن يخطط لاعماله في الكلية العراقية التي لم يتسلم عمادتها رسمياً إلا بعد عام من ذلك التاريخ . ومن الطبيعي جداً أن يتبع سندرسن نظام كلية طب ادنبرة ، فنقل نظامها بتحوير وتطوير حسبما تقتضيه الظروف الاجتماعية والقطرية في العراق . ومع ذلك حين طبق سندرسن النظام بشكله الجديد في بغداد لم يتقبله الطالب العراقي والعراقيون عامة إلا بامتعاض شديد .

● مَن هو الدكتور سندرسن ؟

والدكتور سندرسن بريطاني من نورث لندسي باسكتلندا ، ومن اسرة تتابع افرادها على امتهان الطب ، ودرسه مثلهم بجامعة ادنبرة ، وتخرج فيها سنة ١٩١٤ ، وكان من نجوم لعبة كرة القدم والكريكيت فيها . والتحق بطبابة البحرية البريطانية اثر اندلاع الحرب العالمية الاولى في تلك السنة ، وبقي يعمل على سفنها المقاتلة اربع سنوات قبل أن يدخل البصرة متجهاً الى بغداد في سنة ١٩١٨ ، وتنقل فيها بين وظائف الطب في الحكومة العراقية ، وكان آخرها مديرية طبابة سكك الحديد في بغداد . وفي سنة ١٩٢١ عين طبيباً غير متفرغ للملك فيصل الأول ، وظل في خدمة العائلة الملكية في العراق منذ ذلك اليوم وحتى مغادرته العراق نهائياً سنة

١٩٤٦ .

كان سندرسن صارماً في تطبيق نظام الكلية ، والتقيد بالسلوك الجامعي . كان من نظام الكلية مثلًا (من يرسب في الدروس الثلاثة في الصفين الأول والثالث ، يُرقن اسمه من الكلية نهائياً) وحدث ان رسب طالب في الصف الأول لهذا السبب ، والطالب ابن وزير ذي حظوة لدى الملك فيصل الأول ، فلما لم ينجح الوزير في اقناع سندرسن على منحه سنة دراسية اخرى للتجربة ، رفع شكواه الى الملك فلم يحصل منه على مساعدة . وفي حالة اخرى رسب طالب في الصف الثالث ، وهو ابن اخت أحد نواب الموصل ، وقد رأى في حسابه ان من يمض ثلاث سنوات في الكلية ثم يطرد ، خسارةً وغبناً . فرفع شكواه الى الملك ، فقال له الملك : ان للحالة سابقة ولا يحلها إلا عميد الكلية . ورجع النائب من الملك دون جدوى . وسافر الطالب الى سويسرا ليكمل تحصيلة هناك ، وعاد الى بغداد بعد أربع سنوات ليعمل وكيلًا لأحد معامل الساعات .

غير ان الصحف المعارضة للحكومة ، وبعض رواد المجالس الخاصة وهواة زيارة الدوائر الحكومية صاروا يروجون اشاعة بغلق الكلية وشيكاً لاحتمال فشلها مستقبلًا . وحين صدرت تعليمات وزارة المالية بعدم استقدام اساتذة من خارج العراق لمدة ستة أشهر ، حُسبت تلك التعليمات دليلًا على صدق الشائعات ، بينما كان ذلك الاجراء لأسباب اقتصادية مؤقتة لا غير .

● الكلية تفتح بابها لقبول الطلاب

احتاط الدكتور سندرسن لما قد يتبع ما ادّعاه اصحاب الشائعات المضادة للكلية فاسرع الى تحوير الردهتين العاشرة والحادية عشرة المخصصتين للولادة وأمراض النساء في المستشفى الملكي لتكونا قاعتين لتدريس علم التشريح والفيزياء وعلم الاحياء ، بعد نقل المريضات الى الردهة الثالثة في المستشفى الملكي نفسه ، ووضع في الوقت نفسه على مدخل الردهة العاشرة لافتة كبيرة سوداء كتب عليها بالدهان الأبيض (الكلية الطبية العراقية) باللغتين العربية والانكليزية . واستعمل الغرفة الصغيرة جداً الواقعة عند مدخل هذه الردهة من جانبها الأيسر مكتباً له ولسكرتير العمادة السيد حسيب كلو . وهذه الغرفة تكاد تضيق لصغرها بالمنضدة المخصصة للسكرتير ، فكان سندرسن يصرّف شؤون الكلية واقفاً أو جالساً على كرسي صغير بلا متكا جانبي أو خلفي .

وأعلن سندرسن عاجلًا ، بواسطة مديرية الصحة العامة ، عن افتتاح الكلية لقبول طلبات الدخول اليها ، كما ساعدته دائرتا الاشغال والاوقاف لاختيار ارض

وتفية لتشيد الكلية المرتقبة عليها بجوار المستشفى الملكي الذي أعد بهمة ليكون ميداناً لتعليم الطب السريري . كذلك شرع سندرسن بلا إبطاء بتخطيط عمارة هذه الكلية وحفر اسسها متفائلًا بان هذه الاجراءات العملية سترسخ كيان الكلية وتقف في وجه المعارضين المنادين بغلقها ، أو في الاقل تخفيف حدة الشائعات التي تطلق ضدها .

● طلاب السنة الاولى في الكلية

أعلنت مديرية الصحة العامة عن افتتاح الكلية الطبية كقسم مكمل لجامعة آل البيت العراقية ، فتقدم للانخراط في سلكها ثمانون طالباً ، فتألفت لجنة من اعضاء وزارة المعارف واساتذة كلية الطب ومديرية الصحة العامة للنظر في طلبات المتقدمين وانتخبوا منهم عشرين طالباً كان منهم ثمانية من المسلمين وثمانية من اليهود واربعة من النصارى . وقد ترك الدراسة منهم كثيرون اثناء سني الدراسة لاسباب مختلفة ، فلم يتخرج في الكلية سنة ١٩٣٢ إلا عشرة أطباء فقط . ولم يرتبط هؤلاء بعقد مع مديرية الصحة العامة ، أما في السنة الثانية بعد فتح الكلية فقد اشترط القبول في الكلية أن يخدموا في دوائر الدولة الصحية اربع سنوات بعد انتهاء دراسته في صفوف الكلية المحددة بخمس سنوات .

وفي السنة الثانية اراد سندرسن أن يكون لطلاب الكلية شعار يميزهم بانتمائهم الى هذه الكلية ، فصممت زوجته (درعاً) قوامه نهران يجريان ثم يلتقيان على شكل الحرف الانكليزي (Y) ، وهو يمثل نهري دجلة والفرات وشط العرب ، وعلى جانبي خط النهرين صورة للثور الآشوري ، وفيما بينهما صورة كتاب مفتوح ، وبين دفتيه صورة الأفعى الأزلية التي ترمز الى الطب وابراء المرضى بأدويتها . كما صممت زوجته (إلزي) رباطاً للطلاب بألوان العلم العراقي بزيادة كبيرة في اللون الأسود .

● المعارضة تعود لمهاجمة الكلية

بعد مرور عام على صدور الارادة الملكية بتأسيس الكلية الطبية العراقية وبدء العمل بمناهجها الدراسية ، عاد المعارضون يثيرون الاعتراضات مجدداً على تدريس الطب باللغة الانكليزية التي رأوا فيها سمة تعارض النعرة العربية التي تعتز بلغتها العربية . فاسرع سندرسن الى اصدار مجلة باسم (JOURNAL OF THE ROYAL IRAQI FACUTTY OF MEDICINE) احتوت نص الارادة الملكية بتأسيس الكلية ، ونظامها الداخلي ، وجدولًا بأوقات ساعات الدروس ؛ وفيها فضلًا على ما تقدم ، آخر مقررات مجلس العمادة المتضمنة مادة صريحة هي التي حفزت سندرسن الى

اصدارها بهذه السرعة . وجاء في تلك المادة : (ان تكون لغة التدريس في الكلية باللغة العربية ، إلا اذا رأى مجلس العمادة ، في أول اجتماعاته من كل سنة دراسية ، أن يكون التدريس بالانكليزية ...) . ومن الطبيعي أن يبقى المجلس يرتأي استمرار التدريس باللغة الانكليزية لعدم وجود من يعرف اللغة العربية من الاساتذة ليدرس الطب بهذه اللغة . وكان عدد اعضاء مجلس العمادة يومئذ سبعة اساتذة ليس بينهم إلا اثنان من العرب ، وهم ممن يحبذون تدريس الطب باللغة الانكليزية . واستمر مجلس العمادة يصدر ذلك القرار في بداية كل سنة دراسية حتى أواخر أيام عمادة سندرسن ، وعلى علمي لم يصدر قرار حتى هذا اليوم ينقض ذلك القرار بينما الدراسة في الكلية مستمرة باللغة الانكليزية .

وعلى الرغم من محاولات سندرسن ابعاد الكلية عن ألسن المعارضين لوجودها ، فقد استمر هؤلاء يلحّون في مواقفهم ضدها ، وفي تعداد السلبيات التي ادعوها في تكوينها ونظامها . ففي اليوم الاول من شهر حزيران سنة ١٩٢٨ (أي بعد نحو عام من افتتاحها) عرضت ميزانية وزارة الداخلية المسؤولة عن الصحة ، بما فيها كلية الطب ، فطلب الكلام عنها نائب ديالى حكمت سليمان فادعى بحماس ، وكانه واثق من فشل الكلية الطبية التي لم يمض على استحداثها إلا نحو عام ؛ انها أسست بعوامل سياسية لا بدوافع علمية ، وقال : « المصيبة العظمى هي اننا لما نبتديء في عمل أي شيء لا نحسب حساباً للنتائج التي نحصل عليها منه » . واستطرد يقول : « والآن نجلب اطباء من الخارج مأنونين من جامعاته ، وعلى كل حال أقول ان تلك المجتمعات أحسن وأرقى من مجتمعنا ، فهذه النتائج التي استحصلناها ، وبكرة نستحصل من مدرستنا نتائج أسوأ .

وتململ الشيخ أحمد الداود وبدا عليه ما يدل على امتعاضه مما إدعاه حكمت سليمان ، أو ما يدل على عدم فهمه لما قصده بقوله عن النتائج السيئة ، في حين لم يتخرج بعد من الكلية طبيب لتُعرف سيئاته ومستواه العلمي . فقال : « ليسمح لي الزميل حكمت بك سليمان ، ان مدرسة الطب العراقية ستكون أرقى من مدارس الطب في الخارج ، حيث ان اساتذتها من الاطباء المشهورين المعلومين ، وابناء العراق أذكياء فنحن ممنونون من هذه الكلية ونسأل الله أن تتوسع » .

وأعقب الشيخ أحمد الداود ، نائب الموصل خـير الدين العمري ففنّد ما ادعى به حكمت سليمان كلمة كلمة .

وكان من المتوقع جداً أن يدلي نائب بغداد محمد رضا الشبيبي دلوه في موضوع كلية الطب طالما تطرق النواب الى لغة التدريس باللغة الانكليزية التي افترض

بعضهم ضرورة تدريس الطب فيها . ومحمد رضا الشبيبي من علماء اللغة العربية البارزين في القطر ، فقال معارضاً : « ان كلية الطب ـ حسبما أعلم ـ غير مقيدة كسائر المدارس بمنهاج ، ولا هي مقيدة بمنهاج وزارة المعارف في دروسها وفي قبول الطلاب فيها وفي اشياء اخرى ، وهي لا تشترط في قبول التلميذ إلا أن يكون عارفاً باللغة الانكليزية ، ولا يشترط أن يكون عارفاً لغة بلاده ، ولهذا فانا لا اتفاءل بمستقبلها كما تفاءل بمستقبلها الاخوان » .

وكان في العادة أن يحضر مدير الصحة العام الدكتور حنا خياط اجتماعات مجلس النواب حين تعرض الامور التي تمس ادارة الصحة العامة ، فكان كلام النائب الشبيبي مناسبة بل تحريضاً لان يعقب على كلامه الدكتور خياط ، فقال بثقة : « ان الكلية الطبية لها منهج معين ، وتعليمات معينة وزارية ومصدّقة نشرت في الجريدة الرسمية ، فيها كيفية امتحان الطلاب ، وكيفية قبولهم ، وهذا كله معلوم ، كما ان منهج التدريس صودق ونشر احياناً عديدة في الصحف المحلية ، وفي نشرات خاصة ، وفيه يُشترط على الطالب معرفة اللغة الانكليزية لانها لغة التدريس . ويشترط عليه أن يكون مزوداً بشهادة المدارس الثانوية » فما كان من الشبيبي إلا أن يعتذر عن بعض ما إدعاه ، ثم استدرك يقول : « ... وان منهاج الكلية غير مطبق » ننفى الدكتور خياط بحزم وبادلة ثابتة ، فكان ذلك آخر نقاش عن الكلية على المستويات الحكومية ، وغدا لها منذ ذلك اليوم كيان معنوي ثابت لا يناله المعترضون على شؤونها باي حال . وشرعت الكلية تخطو بثبات وأمان ، كما استمر الملك يتفقد بانتظام دون ملل مراحل الانشاءات في بنايتها الجديدة ، ويستفسر عن كل كبيرة وصغيرة فيها ، ويحث المعماريين على انجازها على قدر المستطاع من السرعة ، فتم ذلك بوقت قياسي تقريباً بالرغم من العوائق المالية ، وبرزت في هندستها الوقور كل المعالم العلمية ، فالداخل اليها يصعد ست درجات واطئة بين عمودين سامقين رشيقين يحملان كرة زجاجية بلون الحليب لاضاءة المدخل في الظلمة ، وترتفع على ناصية بابها الوسيع لافتة معدنية سوداء كتب عليها باللغة العربية بحروف بارزة بيضاء عبارة (الكلية الطبية العراقية) . ويقابل من يدخلها من هذا الباب تمثالان من البرنز محمولين على قاعدتين من خشب الساج عاليتين على جانبي باب مكتب العمادة : الايمن منهما لابقراط والايسر لابن سينا ليرمزا الى الطب اليوناني والطب الاسلامي . وعلى يمين المدخل دهليز تنفذ اليه أبواب ثلاثة أحدها لقاعة محاضرات عليها لوحة برقم (٢) والثاني لقاعة التجارب الباثولوجية والبكتريولوجية ، وثالث لمكتبة الكلية ، وعلى يسار المدخل دهليز آخر تنفذ اليه

ابواب خمسة ، أولها لقاعة المحاضرات المتدرجة برقم (١) وثانيها لمختبر التجارب الكيماوية والفيزياوية ، وباب ثالث لقاعة الدروس النظرية ، أما الباب الخامس فهو لصالة كبيرة لدروس التشريح العملي ، وأراد سندرسن أن يبعث نشاطاً لمتابعة طلبة الكلية في دروسهم العلمية والمنافسة فيما بينهم على التفوق بها ، فاستحصل موافقة مجلس العمادة على الاتصال ببعض المؤسسات الكبيرة غير الحكومية ليخصصوا جائزة للطلبة المتميزين في دروسهم ، فحصل من شركات النفط والبنوك العاملة في العراق على ما أراد ، ورفع على جدران أروقة الكلية لوحات مصنوعة باتقان من خشب الساج كتبَ على اعلاها اسم المصدر المتبرع وعلى أسفلها اسم الطالب والموضوع العلمي الذي تميز به ، وبقيت هذه اللوحات تزين جدران اروقة الكلية حتى سنة ١٩٥٠ ثم اختفت بعد ذلك مثل ما اختفى التمثالان لابقراط وابن سينا .

وفي يوم من أيام نيسان لسنة ١٩٣٠ قصّ الملك شريط افتتاح الكلية بحفل وزاري اقيم في حدائق الكلية ، وقد بدا على الملك وهو باللباس العربي ما ينم عما في داخله من سرور ، ومفخرة لنفسه بتاسيس هذه الكلية ، فطاف بين أقسامها بحبور ظاهر وهو يشارك عميدها سندرسن في تعريف المحتفلين حوله بمعالم الكلية وما فيها ، من قاعات ومختبرات .

وعقيب افتتاح الكلية من قبل الملك صدرت ارادة ملكية بتسميتها (الكلية الطبية الملكية العراقية) فصار وجوباً حينذاك أن يضيفوا (الملكية) كتابة على اللافتة المرفوعة فوق مدخل الكلية ، كما وجب وضع شيء بهذا المعنى في (الدرع) الذي صممته زوجة سندرسن ، فرسمت فوقه (التاج الملكي) ليرمز الى تبعية الكلية الى الملك .

واستمر الملك يتفقد الكلية على الدوام ، ويستفسر من طبيبه سندرسن عن سير التعليم فيها ، ويزورها بين حين وحين . وغالباً ما تكون زياراته في ساعات دروس التشريح العملي ، فيما بين الثانية والرابعة بعد الظهر وقد تكون زيارة مفاجئة ، فلا يكون العميد سندرسن موجوداً في الكلية ، فاذا ظهر الملك عند باب قاعة تشريح تنحى عن الباب المسؤول عن جثث التشريح (الملا خضر) ، الذي يقف حين يكون الدكتور صائب شوكة في القاعة ، كالتمثال بلا حراك وحياة لولا انفاسه المتلاحقة فوق بطنه المندلقة التي تعلو حزامه العريض . فيبتسم الملك للملا خضر ، ويهرع استاذ التشريح الدكتور صائب شوكة لاستقباله فيبتسم الملك له ويخطوان معاً الى طاولات التشريح ، فيتحدث الملك الى العاملين من الطلاب على الجثث الممددة

عليها مرة بالانكليزية بلهجة عربية ، ومرة بالعربية بلهجة بدوية ، ويغادر الملك القاعة وعلى محياه ابتسامة الرضا .

● الكلية تخطو الى الكمال

سارت كلية الطب الهوينى ، ولكن برصانة وثبات ، عاماً بعد عام ، وصارت لها تقاليد تعد اولى بوادر النضوج والكمال . فقد قرر مجلس العمادة في نظامها المرقم ١٥ في سنة ١٩٣٢ أن لا يقبل في الكلية أكثر من مائة وعشرين طالباً . كما انفصلت الكلية في هذا النظام عن دائرة مديرية الصحة العامة ، واستقلت عنها في ادارة شؤونها في قبول الطلبة اليها ، وأمثال ذلك .

ويحضر اساتذة الكلية الى صفوفهم بدقة والتزام ، ويدخلون قاعات الدرس بقيافة لائقة محترمة ، وهم يرتدون فوق البستهم (الروب) الاسود المزركش الذي صممته وخاطته زوجة الدكتور سندرسن ، مما يضيف عليهم هيبة ووقاراً . وكان تقليداً أن تقيم هذه السيدة حفلة شاي في حدائق دارها ـ الذي أسمته (النخل) لما فيه من باسقات هذه الشجرة المباركة ـ لطلبة الصف الأول بالكلية ، وتجمعهم بحفلة واحدة مع طلاب الصف الثاني في السنة التالية ، ثم تجمع الصف الأول مع الصف الثالث .. وهكذا ، حتى صارت تجمع الصف الأول مع طلاب السنة النهائية في الكلية ، وتوزع ضيوفها من الطلاب على الطاولات الصغيرة المتناثرة في الحديقة وتحثهم على التحدث فيما بينهم عن دروس الكلية وشؤونها الداخلية . وتلح على زوجها الدكتور سندرسن ، أن يثير نقاشاً بينه وبين ضيوفها من طلاب الكلية .

وكان من تقليد الكلية أيضاً أن ينتخب الطلاب من كل صف واحداً من بينهم ، في مطلع كل سنة دراسية ، ليمثلهم لدى العميد اذا رفعوا اليه شكوى أو مقترحاً أو طلباً يخص شؤونهم الجامعية ـ كما نظمت زوجة العميد فريقاً متواضعاً للعبة التنس يمارسونه على ساحة ملحقة بالكلية ، وخصصت للفائز فيه كأساً من الفضة في حفل سنوي يحتفظ به سنة كاملة ، حتى يناله لاعب آخر من الطلاب .

وفي سنة ١٩٣٢ تخرجت أول دفعة في كلية الطب وعددهم تسعة بشهادة (أيم دي) وهم كرجي ربيع ، بيثون رسام ، رؤوف سميح ، جاك عبودي ، على البير ، يعقوب أزاجي ، عبدالمجيد شهربللي ، مير بصري ، فؤاد مراد الشيخ ، احسان القيماقجي .

● اعلام في تاريخ الكلية الطبية

ترأس عمادة الكلية الطبية حتى هذا اليوم ثلاثة عشر عميداً ، أما الذين شاركوا

في تأسيسها من هؤلاء فأربعة هم بحسب تسلسل تواريخ عمادتهم : الدكتور سندرسن والدكتور صائب شوكة ، والدكتور حنا خياط والدكتور هاشم الوتري . وتخرج في هذه الكلية منذ دورتها الاولى سنة ١٩٣٢ ما يزيد على ثمانية آلاف ومئتين وستين طبيباً هم من فضائل جهود اساتذة الكلية الأول الذين اقاموا كيانها الجامعي بسلوك مهني رفيع ، وهم بالاضافة الى العمداء الذين مرّ ذكرهم ، نخبة ممتازة لهم كل صفات المربي الجليل والمعلم القدير ، نذكر منهم : استاذ الصحة العامة والامراض السارية الدكتور هيكز ، واستاذ طب العيون الدكتور سپنسر ، واستاذ الجراحة الدكتور ودمن ، واستاذ الپاثولوجيا الدكتور ملز والدكتور شوكة الزهاوي ، واستاذ الأمراض النسائية والتوليد الدكتور كندي .

وثمة صنف آخر من الشخصيات التي تستحق الثناء والتقدير لما صنعوه لخير هذه الكلية ، نذكر منهم بشكل خاص زوجة الدكتور سندرسن التي ارادت أن تُخلّد تاريخ ومعاني الكلية بالدرع الذي صممته بنفسها غير ان ارادة الاهمال والنسيان كانت أقوى من ارادتها فلم يبق من ذلك (الدرع) إلا صور على أغلفة مجلة الكلية الطبية القديمة .

أما الشخص الآخر الذي يستحق الذكر الطيّب فهو الملا خضر الذي برع بالمران الطويل في تحنيط الجثث لحفظها من التفسّخ ، وتوفير عظام الموتى من القبور للدراسة ، أو مما يتبقى من أجسامهم في قاعة التشريح بغية تعلم الطلبة عنيها . وقد ذكر الملا خضر كل من الدكتور سندرسن ، والدكتور صائب شوكة ، في مذكراتهما لما قدّمه لطلبة الكلية من خدمات في قاعة التشريح ، فأحبوه وأحبهم ، فساعد ذلك على ازالة خوفهم من الموتى ، وتقطيع أوصالها كما تتطلبه الدقة في التشريح العلمي .

فلكل من شارك في تأسيس هذه الكلية ، المباركة ، ومن أدّب طلبتها على السلوك الجامعي ، والخلق الطبي ، ومن قادهم الى حب الكتاب والتعلّم والرفق بالمريض ، لهؤلاء جميعاً يُرفع الشكر والتقدير .

مقابلة السيد الرئيس القائد صدام حسين / ١٩٨٩

في صباح يوم ١٢ / ١ / ١٩٨٩ ، بينما كنت أتناول فطوري رنّ جرس تلفون بيتي ، وسمعت من يسألني :

- دكتور كمال السامرائي ؟
- نعم آنا كمال السامرائي .
- تفضلوا مع الرئيس القائد .

يا إلهي ، رئيس الجمهورية صدام حسين يريد أن يكلمني ! لا بد ان هناك من خطأ ، وسمعت حركة تحوّل فيها الصوت الى خط تلفون آخر .

- دكتور كمال السامرائي ؟

وكان هذا المتكلم غير المتكلم الاول .

- نعم أنا كمال السامرائي .
- تفضلوا وكلموا السيد الرئيس القائد .

وما هي إلا لحظات حتى وصلني صوته المميز ، وعباراته المتبسطة ، انه هو الرئيس القائد حفظه الله .

- دكتور كمال ؟

تلك لحظات لا أنساها ، فأجبته بارتباك :

- سيدي الغالي .

وأردت أن أستمر أقول له أكثر من هذا التبجيل ، غير انه قاطعني يقول :

- بلغني ان زملاءك الاطباء يؤسسون مستشفيات خصوصية ، فلماذا لا تعيد بناء مستشفاك الأول ؟

فاجبته وأنا مضطرب من فرط المفاجأة :

- أنا يا سيدي لا أستطيع أن أبني (كراج) سيارة فكيف ببناء مستشفى !

فردّ عليّ سيادته قائلًا :

- الدولة تبني لك المستشفى وتجهزه بالأثاث والأدوات .

(وتابع يقول) : أنت خدمت البلد سنوات طويلة . فنسق مع بعض زملائك من الاطباء ليساعدوك في المشروع ، واتصل بأمين بغداد لتختار الأرض التي يقام عليها المستشفى .

وفي صباح يوم ٥ / ١٢ / ١٩٨٩ اتصلت تلفونياً بالسيد الرئيس القائد :

- مرحباً دكتور كمال ، تفضل .

ولملمت شجاعتي وقلت له :

- يا سيدي كان السيد أمين بغداد متعاوناً معي ، وقد أطلعني على أراضٍ كثيرة صغيرة وكبيرة غير انها جميعاً لا تصلح أن يقام عليها مستشفى خصوصي ، هي على أطراف بغداد وبعيدة عن مركزها ، واتجرأ الآن لأطلب منك أن تمنحني بضع دقائق لزيارتكم لأشرح ما يتعلق بأمركم انشاء المستشفى الخاص لي .

فأجابني على الفور :

- اتصل بالسكرتير السيد حامد حمادي وهو الذي سيوصلك اليَّ .

واتصلت بالسكرتير السيد حامد فاذا هو في انتظاري ليأخذني الى السيد الرئيس القائد .

وسألت السيد حامد :

- ولكن كيف أصلك ؟

فأجابني :

- اذهب الى دائرة التشريفات واطلب مقابلتي .

ووصلت الى مكتب السكرتير الاستاذ حامد حمادي ، فاذا هو ألين منظراً مما أراه على شاشة التلفزيون ، وبادرني يقول :

- السيد الرئيس ينتظرك ، فهيا اليه .

وقعدت الى جانبه في المقعد الخلفي للسيارة ، وكان وراء مقودها سائق بملابس الجيش العراقي . ووصلنا الى مقر السيد الرئيس فاستقبلني واقفاً وهو يمد يده لمصافحتي

- يا مرحبا ، تفضل استريح .

كانت ثلاثة كراسي شاغرة حول طاولة مستديرة تتوسط الغرفة الصغيرة التي استقبلني فيها السيد الرئيس ، وانتظرت ليجلس على أحد الكراسي ، وجلست بعد ذلك على كرسي يقابله ، كما جلس السيد حامد حمادي على الكرسي الثالث القريب مني .

وكان على الطاولة كتاب بغلاف أزرق عرفته في الحال ، إذ هو كتاب (عطيل) لشكسبير ، ورأيت دون تفكير أن أقول له (يا سيدي أنت تحتاج الى روايات مسلية أكثر مما تحتاج الى كتب في الفكر) إلا اني سرعان ما عرفت ان ذلك مما لا يناسب المقام فكتمته وفتشت عن شيء آخر افتتح به ميدان الكلام ، فانقذني

السيد الرئيس بسؤال :

ـ قل لي يا دكتور ، هل وصلت الى قرار في اختيار الأرض لتشيد عليها المستشفى ؟

ولم أجبه على سؤاله ، بل فضلت أولًا أن أبدي اعتذاري من زيارته في وقت غير مناسب ، فقلت له :

ـ يا سيدي ، أنا لم أكن أعرف انكم الآن تستجمون للراحة ، ولو عرفت ذلك لما أزعجتكم بهذه المقابلة .

وأردت أن أستمر في الكلام لاقول له :

ـ ان ما عندي لأعرضه عليكم تافه بالنسبة لمشاغلكم الكثيرة .

غير انه سبقني يقول :

ـ لا أبداً ، أريد أن أسمع منك .

في هذه اللحظات تقدم شخص من الطاولة المستديرة ووضع عليها ثلاثة أكواب ظاهرها بلون سمائي ، وصار يسكب الشاي فيها . أما كوب السيد الرئيس فقد لاحظت فيه كيسين صغيرين من عشبة البيبون ، وسألني سيادته :

ـ خبرني عن مكان الأرض التي اخترتها لتشاد عليها المستشفى .

فاجبته :

ـ لم نجد أرضاً تصلح أن يقام عليها مستشفى أهلي ، أكثرها بعيدة عن مركز المدينة ، فلنهمل ان أمرتم موضوع اعادة تشييد مستشفى السامرائي .

قلت ذلك وفي صدري امنية أن يعاد تشييده على مكانه الأول ، فلما سمعته يقول :

ـ لا ، اريد أن يعاد تشييد مستشفى السامرائي فأنت تستحق المكافاة ، فاتفق مع بعض زملائك ونسّق معهم المشاركة فيما بينكم بهذا المستشفى ، واتصل بي ، وسوف يكون اسمك في قائمة اسماء من يخول لهم الاتصال بي مباشرة .

ـ شكراً يا سيدي الرئيس .

وسمعته يقول لي قبل أن ينهي حديثه معي :

ـ اتصل بأمين بغداد ليعاونك في اختيار موقع المستشفى .

قلت له :

ـ حبذا لو يشاد المستشفى في مكانه القديم .

وفاجاني يقول :

ـ اذن يعاد تشييده في مكانه الأول .

ثم قال يخاطب سكرتيره السيد حامد حمادي :

ـ يكتب الى وزارة الصناعة والتصنيع العسكري أن تضع الخرائط باطلاع الدكتور كمال وتعطى الاولوية لبنائها .

وكبّرت في سري على سرعة هذا القرار وتحقيق امنيتي .

وعاد يخاطبني :

ـ ما عليك الآن إلا أن تعد قوائم بما يحتاجه المستشفى من أثاث وأدوات ، ووزارة الصحة تتكفل باستيرادها من الشركات المتخصصة . وسكت برهة ليسألني :

ـ عندك شيء آخر تقوله .

فقلت له :

ـ نعم عندي شيء آخر اذا كان باستطاعتي أن أتكلم في غير موضوع المستشفى .

وقال لي سيادته :

ـ تكلم ، فانا بعد أن انتهيت من نزاع ايران مع العراق سألتفت إلى جزئيات متطلبات المواطنين ، وتعضيد العلماء بشكل خاص .

ورأيت المناسبة قد حبكت فقلت لسيادته :

ـ أرجو أن يشمل اهتمامكم شؤون الاطباء ، ورعايتكم لهم .

وبعد لحظات وهو ينظر اليَّ قال :

ـ هذا موضوع لم يأت أوانه بعد .

وسكت ولم أعقب على ما قاله .

واستغربت حين سألني :

ـ قبل قليل أردت أن تقول لي شيئاً لا علاقة له بالمستشفى ، فما هو ؟

فاجبته بتعجل :

ـ اطلب شفاعتك لاولاد أخي الموقوفين رهن التحقيق ، فان كانوا مذنبين فضاعفوا عليهم العقاب ، وعلى كل حال هم وجميعنا برعايتك الكريمة .

وسألني :

ـ ما بال اولاد أخيك ؟

ـ هم في التوقيف لسبب لا نعرفه .

فالتفت نحو السيد حامد حمادي يطلب منه أن يدرس موضوعهم حالاً .

وفي اليوم الثاني كان أولاد أخي في بيوتهم وبين ذويهم .

ثم قال سيادته للسكرتير :

ـ سيارة دكتور كمال قديمة ، يحتاج الى سيارة مارسيدس .

وكانت سيارتي المارسيدس قديمة فعلاً ، وقد حصلت عليها قبل خمسة عشر سنة من جملة من حصل على مثلها من ذوي الكفاءات وهي بهذا العمر كالعجوز التي لا تخفي الزينة ما فعلته بها السنون من التخريب .

وغادرت حضرة السيد الرئيس القائد وأنا أملك اعادة بناء مستشفى السامرائي ، والافراج عن اولاد أخي ، وسيارة مارسيدس من آخر موديلاتها .

× × ×

قابلت الرئيس القائد صدام حسين مرتين فقط ، وكاتبته ثلاث مرات ، وكانت جميعها كافية لتوحي بالثقة بنفسه وزرع الثقة في نفس من يقابله . وصرت بعد ذلك اتتبع احاديثه في التلفزيون واحاول تفسيرها ، فاذا أنا أؤمن بحكمته في الحياة وفلسفته في الحكم . كان يشعر بالراحة والفرح حين يدخل السرور في قلوب مواطنيه .

وفي يوم ١ / ٢ / ١٩٩٠ تسلمت صورة قرار مجلس قيادة الثورة وهذا نصه :

مجلس قيادة الثورة

استناداً الى أحكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور ، قرر مجلس قيادة الثورة ما يأتي :

أولاً : ينشأ مستشفى ويجهز بجميع الاجهزة الطبية من قبل الدولة على العقار تسلسل ١١٠٥ / ٣٧٢ بتاويين في مدينة بغداد ويخصص هذا المستشفى للدكتور كمال السامرائي طيلة حياته من دون بدل ايجار وتؤول ملكيته للدولة بعد ذلك .

ثانياً : يتولى الوزراء المختصون والجهات ذات العلاقة تنفيذ احكام هذا القرار .

التوقيع

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

وبعد أن تحققت امنيتي في اعادة تشييد مستشفى السامرائي (باسمي أيضاً) شغل بالي سؤال ملح ، وهو : ما الذي دعا السيد الرئيس القائد أن يذكرني بهذا الوقت وقد مضى على تهديم مستشفى السامرائي (الاول) أكثر من عشر سنوات ؟ وكان باستطاعته طبعاً أن يطلب من سكرتيره الخاص السيد حامد حمادي أن ينقل اليَّ رغبته وأوامره بخصوص اعادة بناء مستشفى السامرائي ، غير ان

سيادته كلمني بنفسه ، فأي داعٍ دفعه الى ذلك ؟ ولم أجد لذلك تفسيراً إلا انه أراد أن يلتفت الى تكريم من خدم العراق باختصاصه ، وأنا ولا فخر أقدم طبيب من الاحياء ، ولي أعمال أفتخر انني الوحيد من زملائي الاطباء النسويين الذي ينفرد بها ، وقد يكون ذلك قد وصل الى علمه فاراد أن يكافاني بهذه المكرمة .

وفي اليوم التالي اتصلت بي تلفونياً دائرة مؤسسة الادريسي بوزارة الاسكان والتعمير ، وكلمتني المهندسة هدى جمعة تقول :

ـ مركز الادريسي مكلف من قبل شركة الفاو بوضع خرائط لمستشفى السامرائي ، ولا بد من مشاركتكم في وضع هذه الخرائط ، لتعرف متطلباتكم الخاصة في هذا المشروع ، أما الجانب العمراني فهذا من اختصاص المركز .

وكنت في اليوم التالي في دائرة السيدة هدى جمعة ، وكان أكثر من رأيتهم في دائرتها من الجنس النسائي وجميعهن في عمر الشباب ، واجتمعنا حول منضدة نضدت على سطحها أدوات التخطيط ، وتم في جلسة واحدة وضع الهيكل العام والمرافق الطبية لمستشفى السامرائي ، ليكون الأساس لوضع التفصيلات الفنية لخمسين سرير . وفي مساء اليوم اتصلت تلفونياً ببعض الزملاء من الجراحين النسائيين للنظر في اشراكهم بهذا المستشفى عملًا بما طلبه مني السيد الرئيس القائد ، وحين علموا مني ان هذا المستشفى سيكون ملكي على مدى حياتي ثم تنتقل ملكيته للدولة ، ترددوا في قبول المشاركة على اعتبار ان لهم عيادات بأجر جد زهيد ، ولو أخلوها لاصحابها فلن يستطيعوا أن يحصلوا على عيادة باضعاف أجر عياداتهم حين تعود المستشفى الى الدولة ، ورأيت ان رفضهم لمشاركتي في المستشفى مقبول ولهم الحق فيه . وفوجئت بعد بضعة أيام بزميل جراح له ممارسة واسعة في اختصاصه يعرض عليَّ مشاركته في مستشفى السامرائي ، فقبلت عرضه دون تردد ووعدته أن أعمل له كل ما يريحه ويريح مرضاه في المستشفى . ولما أخبرته انني طلبت من دائرة الهندسة في القصر الجمهوري أن يقتصر بناء المستشفى على أربعة طوابق فقط وبسعة خمسين سريراً ، قال لي بحماس واستنكار :

ـ لا يا استاذ ، خمسون سريراً قليلة ، فحاول مع دائرة الهندسة المسؤولة عن المشروع لجعله بخمسة طوابق ، أي بسعة خمسة وسبعين سريراً .

وترددت في ازعاج السيد الرئيس بمقابلة اخرى . وأخيراً ، أقدمت بجرأة على طلب مقابلته ، وحصلت على أمر منه بتشييد الطابق الخامس ، غير ان ما حدث ان ذلك الزميل الجراح فاجاني يوماً انه عقد اتفاقاً مع مستشفى أهلي آخر ، ويعتذر عن

الانتظار سنين ليتم فيها انشاء مستشفى السامرائي ، ورأيت عذره مقبولًا وله الحق في هذه الحجة . ورأيت اني سأبقى وحدي لادارة هذا المستشفى ، فركبني الهمّ والخوف من هذه المهمة ، خاصة وان في بغداد قد شيّد الى هذا اليوم زهاء اربعون مستشفى ، وشارك في كل مستشفى منها عدد كبير من الاطباء ذوي الاختصاصات العالية .

وفي يوم ٣٠ / ٧ / ١٩٩٠ وضع الحجر الأساس لانشاء مستشفى السامرائي بحفل ترأسه مدير منشأة الفاو العميد عبدالفتاح العبوس ، وحضر عدد غفير من المدعوين وفي مقدمتهم وكيل وزارة الصحة ، وافتتح الحفل بآي من الذكر الحكيم تلاها أحد العاملين في انشاء المستشفى وهو فليبيني الجنسية ، ثم تلوته أنا بكلمة رحبت بها بالمدعوين ، وأبديت امتناني ودعائي للسيد الرئيس القائد على مكرمته في انشاء هذا المستشفى . وشرعت في اليوم التالي بتقديم قوائم الأدوات والآلات لاستيرادها من اليابان والمانيا . وشاءت الأقدار أن تسخر من مخططاتنا في تشييد هذا المستشفى فأصدر مجلس الأمن قراره في فرض الحصار الأثيم على العراق . واكتمـــل انشاء المستشفى في أواخر شهر تموز ١٩٩٣ فاذا هو أضخم عمارات الشارع وأروعها .

وقد علمت من بعض دوائر القصر الجمهوري ان الدولة خصصت لتأثيثه وتزويده بالأدوات مئات الآلاف من الدولارات لشراء أجهزة وأدوات متطورة من اليابان ومن المانيا ، غير ان ذلك لم يحصل بسبب بداية الحرب التي أعلنها الامريكيون ومن مشى وراء ركابهم ضد العراق . فاضطر ديوان رئاسة الجمهورية على استعمال الفائض من الأدوات الطبية في محافظات القطر ، فكان ذلك ونوعية ما استعمل في تشييد المستشفى ما لا يضاهي فخامة المستشفى وما قصده السيد الرئيس القائد لاقامته .

الجائزة التقديرية من اتحاد الاطباء العرب / شباط ١٩٨٩

أخبرني تلفونياً نقيب الأطباء الدكتور خلدون درويش لطفي ، وهو أحد الامناء المساعدين في اتحاد الاطباء العرب ، انني حزت على جائزة (درع) اتحاد الاطباء العرب ، وهي جائزة مستحدثة لم يسبقها نظيراً لها ، تمنح لمن قدّم أكبر خدمة في ميدان الطب ، ومما قاله لي على التلفون :

ـ هذا فخر ليس لك فقط بل لاطباء العراق عموماً . (واضاف) وكان المنافس الوحيد لك لنيل هذه الجائزة هو الدكتور (داود حنانيا) جراح القلب الاردني ، وهو جراح له سمعته الواسعة وأبرز أطباء (مستشفى الحسين) بعمان ، وفريق في الجيش الاردني ، فهو جدير بهذه الجائزة لولا ان لك بحوثاً ومؤلفات وتحقيقات في الطب الاسلامي .

وبتاريخ ٢ / ٢ / ١٩٨٩ وصلني كتاب من اتحاد الاطباء العرب بتوقيع رئيس الاتحاد الدكتور (حسن الخريس) وفيه أن أحضر المؤتمر الطبي العربي الخامس والعشرين الذي سيعقد في (فندق الرشيد) ببغداد فيما بين ٢١ ـ ٢٣ شباط ١٩٨٩ لاستلام الجائزة ، وقد نشرت جريدة العراق هذا الخبر وفيه صورة كتاب هذه الدعوة . وفي يوم ١٩ / ٢ / ١٩٨٩ أخبرني نقيب الأطباء الدكتور خلدون ضرورة حضوري في مساء اليوم الثالث من المؤتمر بفندق الرشيد لتسلم الجائزة .. وفي صباح يوم ٢٣ / ٢ / ١٩٨٩ أخبرني الدكتور وائل الشهابي ، وهو عضو في نقابة الاطباء بالعراق ان ساعة تسلمي درع الاتحاد ستكون تظاهرة تليق بالمناسبة ، وسيكون من حضورها الصحفيون ودائرة الاذاعة والتلفزيون ليغطّوا وقائع الحفل . وفي تمام الساعة السادسة كنت في قاعة الزاهر بفندق الرشيد حيث سيقام الاحتفال ، فاذا الذين حضروا لا يملأون ثلث كراسي القاعة ، وهذا متوقع أن لا يحضر الأطباء في هذا المساء ولهم وعود مع المرضى في عياداتهم الخاصة . كما لم يحضر الحفل الصحفيون ولا جهاز التلفزيون كما وعد نقيب الاطباء . وأكثر من كل ذلك ، كان الدرع الذي قدّم لي عبارة عن قطعة من البلاستك بصناعة رديئة لا توازيْ الاتصالات المتعددة التي كانت تصلني عنه بين وقت وآخر .

يوم بغداد / ١٩٨٩

في صباح يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٨٩ ، وصلني كتاب من وزارة الاعلام هذا نصّه :
الى السيد الدكتور كمال السامرائي المحترم ..

تعقد (هيئة كتابة التاريخ) ندوة عن بغداد ـ ماضيها وحاضرها ، والحياة الاجتماعية فيها ، احياءً لذكرى (يوم بغداد) وذلك في الاسبوع الأول من نيسان القادم . وقد وقع اختيار هيئة التاريخ عليكم متحدثاً رئيساً في المحور الثالث (الحركة الفكرية في بغداد) .

يرجى التفضل بالعلم واشعارنا بالموافقة . مع التقدير .

د. عزمي الصالحي

المقرر العام

ملاحظة :

ترسل الاجابة الى :

هيئة كتابة التاريخ ـ وزارة الثقافة والاعلام .

المكتب الخاص / هاتف ٥٣٧٨٨٠٢

وكلمت الدكتور الصالحي هاتفياً وأخبرته بموافقتي على المشاركة في هذه الندوة بعنوان (الحركة الطبية في بغداد العباسية) .

وفي صباح يوم ١ / ٤ / ١٩٨٩ كنت في القاعة الكبرى بوزارة الثقافة والاعلام بجانب الكرخ . وأول ما اجتذب نظري فيها الطاولة الانيقة التي تحتلها ، وكان طولها لا يقل عن عشرين متراً وكانها قد صبّت في قالب لا صنعت بجمع أجزائها قطعاً قطعاً ، وعلى هذه الطاولة مكروفونات بعدد الكراسي التي صفت على جانبها . وأخذ وزير الثقافة والاعلام مكانه على نهاية الجانب الأيسر من أولها ، كما جلس المقرر الى يساره . وكان أول المتكلمين رئيس المجمع العلمي العراقي الدكتور صالح أحمد العلي وموضوعه عن اعلام الفكر في بغداد العباسية ، وتكلم غيره عن جغرافية بغداد ، ومجالسها في ضروب المعرفة ،

وترأس الجلسة الثانية الدكتور صالح أحمد العلي ، فناداني باسم (كمال توفيق) لاتكلم في محور (الطب في بغداد العباسية) ، وعرفت انه يعنيني بهذا الاسم فقد ناداني أكثر من مرة بهذا الاسم في اجتماعات المجمع العلمي ، وفي يوم قرأت هذا الاسم في قائمة المكافآت لخبراء المجمع فانكرت أمام المحاسب انه اسمي ورفضت قبول المكافاة حتى يضيف اليه كلمة السامرائي .

وعاد الدكتور صالح في مجلس يوم بغداد يناديني باسم كمال توفيق ، فتجاهلت نداءه متعمداً . وكان مجلسي قريباً من مجلسه فقال لي :

ـ ألا تسمعني يا دكتور كمال ؟

فقلت له :
- سمعتك تنادي على كمال توفيق وأنا اسمي كمال السامرائي ، وأرجو أن تناديني بهذا الاسم .
فقال :
- تفضل دكتور كمال السامرائي .
وضحكنا على هذا السجال وشرعت أتكلم في المحور الذي كلفت به .

الدورة الربيعية الاولى
للجامعة الصيفية العربية الاوربية / ١٩٨٩

اسس هذه الدورة لفيف من المفكرين الاوربيين والعرب ، والغاية منها ربط الحضارات القديمة بالحضارة الراهنة ، ومتابعة مسيرة المعرفة وتطورها وتناقلها بين الشعوب حتى وصولها الى هذا القرن . وقد اقيمت اولى دوراتها في (قرطاج) بتونس سنة ١٩٨٦ ثم توالى انعقادها في مالطا ١٩٨٧ ، ومدينة بولونيا الايطالية ١٩٨٨ ، وفي مخططها أن تعقد بعد ندوتها في بغداد في هذا العام ١٩٨٩ في كل من فرنسا واليونان ومصر والاندلس ، على هذا التسلسل .
وافتتحت اولى جلسات هذه الندوة في بغداد يوم ٢٠ آذار في المدرسة المستنصرية (العباسية) ، وكان جو هذا اليوم منعشاً بهواء هذا الشهر ، والشمس تداعب الوجوه برقة ، والحاضرون على كراسيهم التي ملات ساحة المدرسة المرصوفة بالطابوق الفرشي الاصيل ، ومن شرفات هذه المدرسة العتيدة تنبعث الانغام الموسيقية الشجية من فرقة عسكرية مدرّبة . وحين آنت لحظة الافتتاح ، برزت اعناق الابواق العسكرية الطويلة من تلك الشرفات ينفخ فيها جنود من فرقة الجيش العراقي لتعلن بداية الحفل باستعراض خلّاب لعلماء اوربيين وعرب بقفاطينهم الجامعية وكان في مقدمة هذا العرض مدير الندوة الدكتور محمد عزيزة ومن بعده السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور منذر الشاوي ، يليه رئيس جامعة بغداد الدكتور طه النعيمي وكلاهما بالقفطان الجامعي أيضاً . وتبودلت كلمات خطابية بين

الطرف الاوربي والطرف البغدادي . والدكتور عزيزة من أهل تونس وثقافته باللغة الفرنسية ، وكانت كلمته تحية عطرة للعراق والعراقيين ، ومما قاله ان المدرسة المستنصرية التي يقف على ترابها (الآن) هي الأولى من نوعها من حيث اقامتها منفصلة عن الجوامع والمساجد ، ومع اهتمامها الخاص بالمذاهب الاربعة لم تهمل تدريس الطب واقامة مستشفى مرتبط بها . كما ذكر ان الهدف من ندوات (الجامعة العربية الاوربية) هو الحوار المفتوح بتساهل وبلا قيود تقليداً لما كان يفعله علماء العرب الاولون . كذلك كانت للسيدة (جوليو تورو) كلمة قيّمة في تاريخ مدارس بغداد الاسلامية . وهذه السيدة استاذة في جامعة باداوا بايطاليا .

وتلا يوم الافتتاح ثلاثة أيام للجلسات العلمية التي اقيمت في فندق الرشيد . وكانت كلمات أكثر الحاضرين باحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على انها كانت تترجم آنياً لتسمع من خلال سماعات صغيرة تلصق بالاذن . وكانت تفتح أبواب المناقشة بعد كل محاضرة ، فصار لي حظ للمناقشة بعد كل محاضرة . واختتمت الندوات بعد ثلاثة أيام بحفل اقيم في الجامعة المستنصرية (الجديدة) تكلم فيه الدكتور عزيزة مودعاً بغداد وعلماء بغداد . ثم نهض السيد وزير التعليم العالي ووزع الجوائز الرمزية على الحاضرين والمعقبين عليهم ، وكان نصيبي منها شهادة براءة لانتمائي الى الجامعة الاوربية العربية ، وعباءة من صنع النجف ، ومثل ذلك حصل المتكلمون الآخرون .

وعلى مائدة الغداء في ذا اليوم بفندق الرشيد طلب مني الدكتور عزيزة أن يختلي بي وبالدكتور حسين علي محفوظ في زاوية بعد الانتهاء من تناول الغداء ، وكان اجتماعنا علمياً في التاريخ والطب في العصر الوسيط . وقد نقل ما دار بيننا في دفتر صغير أخرجه من جيبه .

دعوة من الجامعة الاوربية العربية
وشهادة دكتوراه فخرية

في صباح يوم ٤ / ٣ / ١٩٨٩ وصلني كتاب من مدير الجامعة الصيفيه الاوربية العربية هذا نصه :

باريس ، في ٩ جوان ١٩٨٩
الاستاذ الدكتور كمال السامرائي المحترم
تحية فائقة وبعد ،

يسرني ويشرفني أن اوجه لكم ، باسم مجلس ادارة جامعتنا ، دعوة رسمية لحضور الدورة الصيفية الرابعة التي ستنعقد بمدينة مونبيليه بجنوب فرنسا في الفترة ما بين ١٤ الى ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩ .

نرجوا أن تقدموا لنا بحثاً في تاريخ تأسيس جامعة مونبيليه عن يد الاطباء العرب القادمين من الاندلس في سنة ١٢٨٩ م ومدى تأثير الطب العربي في اولى مدارس اوربا مثل سالرنو ومونبيليه وغيرهما .

سوف تلقون بحثكم يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٨٩ وتتعهد اللجنة التنظيمية الفرنسية بواجبات اقامتكم من ١٤ الى ١٧ سبتمبر ١٩٨٩ .

في انتظار جوابكم وفي أمل أن نحظى بحضوركم في هذه المناسبة .
تقبلوا أحر مشاعر التقدير والمودة .

الرئيس
أ. د. محمد عزيزة
27 , rue Frémicourt
75015 Paris
FRANCE

فاستحضرت موضوعاً عن (مدرسة سالرنو) وما كان بينها وبين العرب من علاقات علمية . وقدمت طلباً الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مزود بصورة من الدعوة التي وصلتني من رئاسة الجامعة الصيفية العربية الاوربية . واتفق ان شاع في تلك الايام بين موظفي الوزارة ان جامعة بلجيكا قررت منح كل من الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور كمال السامرائي شهادة دكتوراه فخرية تثميناً لجهودهما في تاريخ العلوم عند العرب ، وطلبت من الوزارة الموافقة على قبول التكريم . ولم تصلني هذه المكرمة ولا وصلت الى زميلي الدكتور حسين علي محفوظ ، كما لم أستطع أن أسافر استجابة لدعوة مدير الجامعة الصيفية العربية الاوربية . وهكذا خسرت هاتين المكرمتين .

الفوز بجائزة مجلس البحث العلمي

في صباح يوم ١٢ / ايار / ١٩٨٩ وصلني الكتاب الآتي من رئيس مجلس

البحث العلمي :

مجلس البحث العلمي

دائرة الشؤون العلمية

العدد : ٢٩١٥

التاريخ : ١٣ / شوال / ١٤٠٩ هـ

١٨ / ايار / ١٩٨٩ م

الى / الدكتور كمال السامرائي المحترم

م / فوز بجائزة

تهديكم رئاسة مجلس البحث العلمي اطيب تحياتها ، ونود أن نعلمكم بأن الأمانة العامة لاتحاد مجالس البحث العلمي العربية أعلمتنا بفوزكم بجائزة التعريب للعلوم الطبية مناصفة مع الاستاذ الدكتور علي كمال عن كتابكم الموسوم « مختصر تاريخ الطب العربي » ، ونظراً للوضع المالي الصعب الذي يمر به الاتحاد فان الامانة العامة للاتحاد تعتذر عن دفع قيمة الجائزة في الوقت الحاضر والبالغة ٢٫٥٠٠ دولار الى حين تحسن هذا الوضع ، وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نقدم أجمل التهاني متمنين بذل المزيد من العطاء خدمة لوطننا العزيز .

مع التقدير .

ناجح محمد خليل

رئيس مجلس البحث العلمي

٨ / شوال / ١٤٠٩ هـ

١٣ / ٥ / ١٩٨٩ م

هذا وقد استلمت هذه الجائزة بالدينار العراقي (نحو ٦٠٠ دينار) بعد سنتين من يوم وصول ذلك الكتاب .

مجلس الأمن بهيئة الامم المتحدة ينفذ قراره بضرب العراق / ١٩٩٠

استطاعت حكومة امريكا بالرشوة والتهديد وبوسائل اخرى خسيسة أن تحمل الى جانبها نحو ثلاثين دولة على ضرب العراق إثر مطالبته باسترجاع (الكويت) الى سابق تبعيتها الى العراق . وشرعت جيوش تلك الدول يوم ١٧ / ١٨ كانون الأول بضرب المنشآت العسكرية والمدنية والدينية والتعليمية ، وكان من بين الدول التي تحالفت ضد العراق المملكة السعودية ومصر ، وكانت طائرات هذا التحالف

البغيض تغير على العراق مئات المرات في اليوم الواحد ، حتى صار مجموع ما أنزلته من أطنان القنابل ما يقدر باكثر من اضعاف القنبلة الذرية التي اسقطت على هيروشيما وناكازاكي في اليابان . وحين تركز الضرب على المنشآت العسكرية التي كانت قبالة داري عبر النهر خفنا أن ندك تحت انقاض بيتنا عمداً أو خطأ ، فهربنا الى سامراء وعدنا الى بغداد يوم ٢٥ من الشهر ، لنعيش زهاء ثلاثة أشهر بلا كهرباء ولا ماء ولا تلفون . وكان في بيتي يومئذ نوع من الببغاوات اعتدنا أن نسميه (كاسكو) وهو الاسم الذي اطلقه هذا الطير على نفسه ، وقد تعلّم تلقائياً أن يقلد بعض ما نتكلم به فيما بيننا ، كما صار يتحرك وينتقل بين قفصه وأطراف بيتي بحرية واطمئنان ، وقد جاء بهذا الطير ابن عمتي أحمد حسين (أبو مسار) هدية لي من هافانا حين أوفد اليها لمقابلة رئيس كوبا (فيديل كاسترو) . وكان كاسكو اذا غبنا عن البيت ولو لبضع ساعات وعدنا اليه ، يستقبلنا بالصفير المنغم وهو يردد بنطق سليم (منو ؟ ، هلو ، آني كاسكو) فلما عدنا الى البيت من سامراء لم نسمع ما يدل على وجوده في قفصه ولا في أي مكان آخر في البيت ، فغامت الدنيا في عيني ، وعدمت البصر لبضع ثوان قبل أن أثوب الى رشدي ، كما لم نجد خادمنا (ناجي المصري) في البيت أيضاً مع اني قلت له حين سافرنا الى سامراء ؛ أن لا يهتم بما في داري إلا بالمحافظة على مكتبتي وعلى الكاسكو . وحين سافرنا الى سامراء أردنا أن ناخذ هذا الببغاء معنا فاعترض ناجي ورجانا بتوسل أن نبقيه معه في البيت وهو يقول لنا : كيف أبقى وحدي ولا أحد يؤنسني ويكلمني . وفي مساء وصولنا الى البيت حضر ناجي فاستشطت مجدداً وفقدت السيطرة على اعصابي ، فرأيت هذا الرجل وكأنه قد تعمدّ قتل طيري فحرمه من الاكل والشرب حتى أكل الورقة التي نضعها في قاع القفص ، فشتمته باقبح السباب ، أما هو فوقف أمامي جامداً ولم يقل إلا عبارة : (غصباً عني) يا بيك .

والمآسي نسبية ، فقد تكون تافهة لبعض الناس ، وقد تكون عامة فتخف وطأتها على صاحبها ، وفقدان كاسكو بالنسبة لي كانت مأساة آلمتني أشهراً عدة ، وما نسيتها قط .

غازي ابن الملك فيصل الثاني

في صباح يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٩٠ كنت مع لفيف من الاصحاب في دار الوجيه الكردي (عمر الخفاف) لخطبة ابنته الى عمر ابن الدكتور قاسم

عبدالحميد . وقبل البدء بمراسيم الخطبة نهض رجل من مجلسه وجلس الى جانبي ويادرني يقول :

- أنا القاضي محمد حسن كشكول . (ثم أردف يقول) قبل عشرة أعوام استكتبت خمسة أطباء في قضية شرعية طبية فلم يستجب لطلبي إلا واحد منهم وهو أنت يا دكتور كمال .

قال القاضي ذلك غير اني لا أذكر ما قاله عن الاستكتاب الذي ذكره ، فشكرته على حسن ظنه ، ثم قال لي :

- والآن لدي سؤال آخر أرجو أن أجد له جواباً منك . (واستطرد يقول) حوّلت اليّ عريضة رفعها مواطن عراقي الى القصر الجمهوري يدّعي فيها هذا المواطن انه ابن الملك فيصل الثاني ، والسؤال هو : هل باستطاعة الطب أن يثبت ذلك ، وأبو هذا المواطن متوفى ؟

فنفيت أن يكون للطب قدرة على ذلك حتى لو كان الاب حياً .

- عن طريق فصيلة الدم ؟

- ولا عن هذه الطريقة .

- في اوربا ؟ في امريكا ؟

- لا أعتقد ان ذلك ممكن في أي مكان في العالم .

وانتهى حديثي مع القاضي كشكول الى هذا الحد .

وبعد نحو شهر دخل بيتي شاب على غير موعد سابق مني . وجلس قريباً مني وهو يعتذر على زيارته . ويادرني يقول دون مقدمات :

- أنا غازي بن الملك فيصل الثاني ، أمي الأميرة التركية (فاضلة) .

فتذكرت استعلام القاضي مني عن طريقة اثبات البنوّة ، وقلت اسأله :

- هل أنت صاحب العريضة التي رفعتها الى القصر الجمهوري ؟

فاجابني دون تردد :

- نعم أنا هو ، كما ان ادعائي سياخذ طريقه الى دوائر دولية . (ثم أضاف يخاطبني) ولعلمي ان لك معلومات عن (أبي) المرحوم جلالة الملك فيصل الثاني وأمي الأميرة فاضلة فاني التجيء اليك لاعرف منك ما يفيدني في اثبات نسبي .

وطال سكوته قليلًا في انتظار جوابي اليه في حين كنت أنا أدرس معالم وجهه فلم أر فيه ما يشبه معالم الملك فيصل الثاني ، فقلت له وأنا حذر مما يبدر مني :

- أنا لا أعرف الأميرة فاضلة ، وكل ما أستطيع أن أقول عنها اني رأيتها ذات يوم مع خطيبها الملك فيصل الثاني . أما عن الملك فيصل الثاني فاعرف ان كلًا من

زوجة الامير زيد بن الحسين الاميرة فخر النساء ، واللواء عبيد المضايفي وغيرهما أفادا أمام محكمة نيويورك بأمريكا ان الملك فيصل الثاني لم يتزوج في حياته وانه خطب الاميرة فاضلة وليس أكثر من ذلك .

فقال لي ذلك الشاب :

ـ تزوج الملك فيصل الثاني بأمي الاميرة فاضلة ، ولاسباب لا أعرفها كتما خبر زواجهما ، وأنا ابنهما .

ـ ومن عنيّ بتربيتك وأين ؟

ـ أودعتني أمي الاميرة بعد مقتل ابي الملك فيصل لدى عائلة في محلة القراغول ، وفي أول شبابي سافرت الى فرنسا ودرست الحقوق هناك .

ـ وأين الاميرة فاضلة الآن ؟

ـ في كندا .

ـ اكتب اليها فاذا أنت ابنها فلا أظن انها ستنكر ذلك .

ـ لا أعرف عنوانها بدقة .

ـ اكتب لها عن طريق السفارة العراقية أو السفارة التركية أو السفارة المصرية ولا بد أن يكون لاحد هذه السفارات علم بعنوانها اذا كانت في كندا .

وورد الى بالي أن اسأله عن عمره ان كان ذلك يوافق سنة وفاة الملك فيصل .

ـ كم عمرك الآن يا أخي ؟

فأجابني :

ـ اثنتان وثلاثون سنة .

ثم سكت ليقول لي :

ـ ان الذي سيقف الى جانبي لاثبات نسبي الهاشمي فاني سوف لن أنسى جزاءه مني !!

وحين سمعت ذلك منه سئمت الحديث معه فقلت له :

ـ انك اذا فشلت في اثبات نسبك الى العائلة الهاشمية فسيكون ذلك إثباتاً لعدم معرفة ابيك ، وأنت تعرف معنى ذلك !

ولا أدري إن هو أدرك معنى ذلك . فنهض وغادر بيتي دون أن يشجعني لتوديعه باحترام .

ولم أر هذا الشاب بعد ذلك ولا سمعت عما آل اليه ادعاؤه .

مجودي أبو البواري ـ ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٠

اسمه مجيد ، وأكثر معارفيه يسمونه مجّودي أو مجودي أبو البواري نسبة الى صناعته في اصلاح انابيب ومواسير المياه في البيوت ، أما هو فيحب أن يُخاطَب باسم (أبي زينب) ، وزينب أكبر بناته الثلاث . وهو في منتصف الاربعينات ، ثقيل السمع ، ممتلىء الجسم ، بغدادي التصرف واللهجة وفي مبالغاته وتواضعه . وكانت بداية معرفتي به يوم طلبناه لاصلاح عطب أصاب مواسير الماء في بيتي ، فلمست منه البساطة والصدق وليونة الخلق فصرت أستضيفه في كثير من المناسبات ، وهو ليس بالثرثار الممقوت ، كما لا يخلو تحدثه من المتعة ، ومن العبر أيضاً ، ولا يدخل بين المتكلمين ما لم يطلب منه ذلك ، فهو بين المثقفين مستمع جيد ، كما هو متكلم بأدب وبحدود . وقد يبدر منه رأي يثير الانتباه على قلة ما فيه من الحقيقة . وقد زارني مجودي في هذا اليوم ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٠ وهو يوم بواكير ام المعارك مع دول التحالف الغاشم ضد العراق . وكان في مجلسي طيار متقاعد ، ومحام ناجح ، وتاجر جملة ، واستاذ جامعي ، وكانت أيام هذا الاسبوع كما يسميه العَسكريون ساخنة ، والاخبار عن تاهب القوات الامريكية لضرب العراق متضاربة ، وهي حديث الساعة في كل مكان . وكان العراقيون من شمال العراق الى جنوبه يستهجنون استدعاء فهد السعود للقوات الامريكية الى اراضيه ، كما كانت هذه العملية سبباً مهماً في غضب الشعب العراقي على الكويت التي كانت سبب هذه الحرب التي كان يتوقعها بين لحظة واخرى ، فقال المحامي : كان بالامكان حل هذه الازمة بين قادة العرب دون اللجوء الى تدخل هيئة الامم المتحدة وحكومة أمريكا ، ومبادرة الكويت الى هذه الحركة دليل على اتفاق مسبق لضرب العراق . وقال الطيار : التخطيط لضرب العراق من الامريكان ، ونفذه حسني مبارك وعاونه بذلك فهد ، واستهجن التاجر كثرة الشباب المدجج بالسلاح في شوارع بغداد . وقال الاستاذ الجامعي قد يكون هذا تحرزاً من انزال جوي تقوم به القوات المتحالفة ضد العراق . ونفى الطيار هذا الاحتمال ، واضاف قائلًا : قد يكون احتياطاً أمنياً .

وأردت أن أثير (مجودي) أن يشارك في هذا الحديث ليلطف جو المجلس لا أكثر من ذلك ، فقال :

ـ ان بوش لا يبدأ بالحرب عاجلًا ، واستطالة التهيؤ لها من صالحه ، واذا بدأها فلا تكون في الكويت أو حواليها بل ستكون في وسط العراق . (واضاف) ان تسلح الشباب في بغداد انما هو لاحتمال حركة مضادة داخلية ، وهذا ما يترقبه بوش بفارغ

الصبر وهو حلم لا يتحقق حدوثه ، مع ذلك رأت الحكومة أن يحمل الشباب السلاح ولكن دون عتاد .

فقال التاجر :

ـ سخافة ، ما الفائدة اذن من السلاح دون عتاد .

واستمر مجودي يتكلم وهو ثقيل السمع فلم يسمع اعتراض التاجر على رأيه :

ـ نعم ، سلاح الشباب بلا عتاد .

قال ذلك مجودي وكأنه متأكد من ذلك ، واضاف يقول :

ـ ان الاقمار الصناعية ترصد ليلًا ونهاراً ما في العراق من تحركات في شوارع المدن ، فيكتشفون الشباب المسلح على أهبة الاستعداد ضد الانزال ، وهم لا يعرفون ان ذلك السلاح بلا عتاد . وبوش لا يريد أن يخسر جندياً امريكياً واحداً بهذه الطريقة .

وهذه هي أفكار مجودي في مثل هذه المناسبات ، فابتسم ضيوفي ومجودي يتكلم دون تلكؤ ، ولو اسقطت من كلامه الاخطاء النحوية لكان من الممكن أن يعد خطيباً كبعض خطباء هذه الأيام الذين تركبهم العاطفة لا التقدير الصحيح .

ان مجودي لا ثقافة له إلا مما يسمعه من الناس أو ما يشاهده في التلفزيون ، فهو بهذا مثال لابن الشارع البغدادي الخالص النية في حب الوطن .

وحين نهض ضيوفي لمغادرة بيتي ، قال مجودي :

ـ سترون انني مصيب .

وكان مجودي آخر من انصرف عن بيتي في صباح ذلك اليوم .

السيد الرئيس القائد يستقبل الدكتور مشعل الساري / ١٩٩٠

في مساء يوم ١٩ / ١١ / ١٩٩٠ ظهر على شاشة تلفزيون العراق السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله وعلى جانبيه عدد من الاشخاص ، رجالًا ونساء ، ومن بينهم الدكتور مشعل حامد الساري ، وهو يتكلم عن اكتشافه علاجاً لابراء مرض السرطان . وفي هذا اللقاء شكا الدكتور الساري فيما بين كلامه من استهجان الاطباء لدعواه ووصفهم له بكونه دجالًا مشعوذاً . وكنت قبل ذلك قد سمعت عن الدكتور مشعل على لسان بعض العامة عن أعماله الخارقة في ابراء المرضى المصابين بالاورام الخبيثة ، كذلك قرأت ثناء محرري بعض الصحف عليه ،

وفي يوم ١٠ / ١١ / ١٩٩٠ قرأت له في جريدة العراق انه (يهزم داء السرطان في يومين) ، وان دواءه له قوة شفاء مرض (الايدز) كما يشفي حالات السرطان الميؤوس منها بنسبة مائة في المائة ، وان هذا الدواء الذي اخترعه نقطة تحول في الطب الى مرحلة جديدة في شفاء الامراض المستعصية وأضحت فيها العلاجات الطبية الراهنة قديمة لا جدوى منها .. وغير ذلك من الادعاءات المذهلة . وقد تمنيت صادقاً أن يكون الدكتور مشعل مبدعاً ومبتكراً لا مدّعياً على غير اساس علمي ، وعلى هذا كتبت اليه رسالة مفتوحة نشرتها جريدة الجمهورية يوم السبت المصادف ٨ / ١٢ / ١٩٩٠ بعددها ٧٧٣٣ ، وهذا نص الرسالة :

رسالة مفتوحة الى الدكتور مشعل مكتشف علاج مرض السرطان / ١٩٩٠

زميلي الدكتور مشعل المحترم ..

أنصت باهتمام بالغ وأنا أشاهد قبل بضعة أيام المقابلة التلفزيونية الكريمة التي حظيتم بها من لدن السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ، وقد عرضتم في تلك المقابلة اكتشافكم علاجاً لبعض الامراض المستعصية وفي مقدمتها داء السرطان ، ومقابلتكم لسيادته في هذه الأيام التي لكل دقيقة فيها ثمن وحساب ما هي إلا ضرب من اهتمامات سيادته بكل مبادرة يمكن أن يجيء منها نفع للعراقيين وللانسان أياً كان وأين يكون على وجه البسيطة . وكان سيادته كما بدا لي حذراً أو متردداً في مداخلاته وتعليقاته على ما كنتم تتحدثون عنه خشية (على ما أظن) أن يفسر المشاهدون ما يبدر منه بكونه اعترافاً قاطعاً بصواب افكاركم الطبية بهذا الموضوع . وقد قال سيادته في هذه المقابلة (انه ليس من زمرة الاطباء ليناقش تفصيلات وجزئيات هذا الموضوع وانما يعنيه منه أن يطّلع على الافكار والمبادرات العلمية والعملية التي يمكن أن تفيد الوطن والامة ليقدم لها الدعم والمساندة) ، وعلى علمي انكم قد حظيتم من سيادته بمقابلة سابقة وعلى كتاب عممه ديوان الرئاسة على دوائر وزارة الصحة ووزارة الاعلام العراقية لتشجيعكم على المضي في تحقيق فكرتكم وتعميم تطبيقها في علاج الأمراض المستعصية . والمقابلتان بتقديري أعلى درجات الدعم طالما جاءتكم من أعلى مسؤول في الدولة . وأرجو يا زميلي أن تعدّوا هذه الرسالة اليكم نوعاً من التقدير أو الدعم ولو انها بدرجات كثيرة أدنى ، إذ انني أبغي بها أن أثيركم على الاستمرار في تحقيق كامل افكارهم التي هي الآن (على حد قولكم) في مرحلتها الاولى وستعقبها مرحلة حاسمة أعظم وأخطر ، كما

أرجو يا زميلي أن تعلموا ان مثل هذه الرسالة في صدر كل طبيب سمع أو قرأ ادعاءكم في ابراء داء السرطان ، وإذ انني ارفعها اليكم فذلك بطلب ملح من كثير منهم على اعتباري أحد المعنيين المسؤولين ولو بصفة غير رسمية بما يقال ويحدث في الميدان الطبي وممارسته في القطر ، ومسؤوليتي بالطبع أدبية لا تتعدى القول بلساني والعون من الله القدير ، وقد يكون مفيداً أن أذكر لتوضيح الهدف من هذه الرسالة المبادىء الأولية المتفق عليها عالمياً ، ومفروغ من تدارسها في تشخيص داء السرطان وعلاجه منذ عرف هذا الداء قبل ما يزيد على العشرين قرناً ، وحتى هذا اليوم . ولا بد انكم تعرفون يا زميلي هذه المبادىء ولم تتجاهلوها أو تهملوا تطبيقها في بحث أو معالجة هذا المرض الخبيث ، (أولًا) لا يمكن تشخيص مرض السرطان بالسونار أو بمنظار الجوف البطني أو بالنظائر المشعة أو بالتحاليل المختبرية ، انما هذه فحوص جانبية أو تمهيدية لتحديد مكان الورم في جسم المريض دون تفريق حاسم بين كونه سليماً أم خبيثاً ، يستثنى من هذا التعميم احتمال تشخيص مرض سرطان الدم (لوكيميا) بفحص مسحة من دم مَن يشتبه به هذا الداء . (ثانياً) ان الطريقة الوحيدة ولا غيرها في تشخيص الاورام السرطانية ونوعها ودرجة خباثتها هو بفحص شريحة من الورم شفّافة نوعاً ما ، بالمجهر ، يستثنى من ذلك تشخيص بعض الاورام السرطانية في الرئة ، وخصوصاً اذا كانت هذه الاورام ثانوية لمرض خبيث في عضو آخر في الجسم . (ثالثاً) اذا كان داء السرطان قد انتشر الى اعضاء اخرى من البدن فلا فائدة البتة من العلاج الجراحي . (رابعاً) لم يهتد الباحثون الى علاج واف وشاف لمرضى السرطان سوى بعض العقاقير الكيمياوية لبعض أنواعه وبخاصة النوع الذي ينمو في ملحقات الحبل ، أما في الأمراض الاخرى فلا نفع منها في كثير من الحالات ، وشفاء داء السرطان بأي حال ليس قاطعاً في كثير من الحالات ، وظهوره مرة اخرى في مكانه نفسه أو في عضو آخر أمر ليس غير مألوف ، وعدمُ ظهوره بعد ما لا يقل عن خمس سنوات من العلاج يعد أعلى درجات الشفاء ، فهل يا زميلي أدخلت في حساباتك لعلاج مرضاك هذه الامور الاربعة ؟

ان الذي تقوله في معالجة الامراض السرطانية يا زميلي بالغ الأهمية والخطورة ، وتكمن خطورته فيما يصير اليه المرضى من عدم الاعتماد على الطب والاطباء العلميين واللجوء الى معالجاتك التي لا تزال غير مفهومة من الاطباء ، وتعود هذه الطبقة من المرضى الى المستشفيات المتخصصة لعلاج هذا المرض بعد فوات فرصة ثمينة في احتمال شفائهم بالادوية والوسائل العلمية المعروفة . وان

اصرارك على عدم افشاء سر علاجك للسرطان والادوية التي تستعمل فيه نهج غير علمي ، ومن مصلحتك ومصلحة القطر أن تكشف عن سره حتى لو انك لا تزال في أول الدرب الى تحقيقه كاملًا . وإلا فان زملاءك مصرّون ولهم الحق في عدم تصديق ما تدعيه ، ولاثبات دعواك واسكات معارضيك لها : (اولًا) أن تطلب من نقابة الاطباء أو من وزارة الصحة تنظيم لقاء بينك وبين ثلاثة أطباء من مختلف الاختصاصات لمناقشة افكارك في هذا الموضوع . (ثانياً) اذا لم يعجبك هذا اللقاء لكي لا تكشف سر اكتشافك السحري فاطلب استحضار مريض يثبت اصابته بالسرطان لتتولى أنت علاجه بطريقتك الخاصة . (ثالثاً) أن تقدم احصاءً يتضمن عدد المرضى الذين عالجتهم بطريقتك وكم منهم كسب الشفاء . ان مختبرات العالم في تسابق دائب لاكتشاف دواء ناجح في معالجة السرطان ، والسبق في مضمار هذا التسابق قد لا يقاس بالايام بل بالساعات ، فاسرع يا زميلي الى الاعلان عن اكتشافك وستنهال عليك الثروة والجاه كما لم تحلم بها في حياتك ، وسيصلك التكريم حتى لو كان في افكارك وأعمالك بصيص من الأمل في اكتشاف دواء شاف للسرطان ومرض الايدز الذي بدأ يجتاح المجموعات البشرية بشكل مذهل ومخيف . وأخيراً أقول لك بصدق اني أتمنى لو أكون ويكون زملائي ومن يشك في صدق ادعائك ، مخطئين وأنت على صواب لنجيئك رافعين أيدينا اعترافاً بجميلك الذي يرفع اسم العراق واسم العرب في خدمة الانسانية بهذا الميدان الحيوي .

كانت هذه الرسالة قد نشرت في جريدة الجمهورية يوم ٨ / ١٢ / ١٩٩٠ . واذا بجريدة القادسية بعددها يوم الخميس ٣٤٥٦ المصادف ١٣ / ١٢ / ١٩٩٠ تكتب في باب (صباح الخير) « ... لماذا يستنكر بعضنا على الآخرين انجازاتهم العظيمة ؟ ومتى نتخلص من عقدة التفوق الغربي ، اننا بكل أسف نحتفي بكل شيء يصل الينا معلباً بالسيلافين الاوربي أو الياباني ، ونصدق كثيراً بما فيها من انماط (الشعوذة) » . وفي عدد الجمهورية رقم ٧٧٣٨ علّق الاستاذ الكبير الدكتور حسين علي محفوظ (وهو ليس طبيباً) على اكتشاف الدكتور مشعل ووصفه بالعالم (الألمعي) اشارة الى اكتشافه العظيم ، ثم ذكر سلسلة من أسماء العلماء العرب الاولين الذين كان لهم باع طويل في الاكتشافات الطبية ، والمعنى من ذكر تلك الجمهرة الخالدة في تاريخ علماء العرب ان الدكتور مشعل هو من طبقة تلك الزمرة الخالدة !!

كما قرأت للدكتور مشعل بعد ذلك تصريحات صحفية غريبة لا تليق بمن يمارس مهنة الطب ، منها انه يدّعي انه يحمل شهادة البكالوريوس وشهادة الماجستير من

كلية طب بغداد ، وهذا ليس له اساس من الصحة وكل ما له علاقة بهذه الشهادة انه دخل امتحانها فاعطى ورقته بيضاء ليس فيها إلا عبارة موجهة الى الممتحن [سأراك في السنة القادمة] ولم يره الممتحن بعد ذلك ، وكان ذلك قبل ثلاث سنوات ، وقيل ان الدكتور مشعل اسس معملًا (لدكتات) مبردات الهواء فأغلقه بعد فصل واحد من السنة . وفي سنواته الأخيرة ادخل بعض المرضى في (مستشفى الخيال) ولما رأى الدكتور وليد الخيال ما قد يسيء الى سمعة مستشفاه باستقبال مرضى الدكتور مشعل اعتذر عن قبولهم . ثم قرأت بجريدة الجمهورية كلمة نقيب الاطباء وهو المسؤول عن تصرفات الاطباء بعد وزارة الصحة وجمعية مكافحة السرطان ، فأيد ببضعة أسطر ما نشرته أنا في جريدة الجمهورية . أما الوزارة وجمعية مكافحة السرطان فلم نسمع رأيها في الموضوع . وفي تلك الأيام اتصل بي تلفونياً الدكتور خليل الآلوسي :

- استاذي كمال ، أنا لم أقرأ في حياتي ما يسليني ويعصر من صدري الضحك قدر ما كنت أجده من قراءة رسالات مشعل في جريدة الجمهورية ، هذا يا استاذ كمال بهلوان . قرأت في أحد رسائله اليك ان له عبقرية لو وزعت على عشرة أطباء عراقيين لصار كل واحد منهم فريد زمانه في الاكتشافات والاختراعات الطبية ، ويا ليت هذا المجنون يستمر بالكتابة فاني أجد في ما يكتب تسلية لا نظير اليها .

من جهة اخرى مضادة لموقفي قرأت في جريدة القادسية كلمة نعتتني بها صاحبها بأني أقف حجر عثرة في طريق المبدعين من الشباب العراقي . كما هاجمتني بعد ذلك (جريدة) اخرى ولامتني على موقفي السلبي من الدكتور مشعل .. هذا ولم أسمع كلمة واحدة من جملة الاطباء غير ما ذكرتهم ، معارضين له أو مؤيدين . وسكوتهم ليس له تفسير إلا قلة اهتمامهم بمهنتهم وتعلقهم بها واحترامهم لمبادئها . وهكذا بقيت وحدي دون نصير صريح لحسم موضوع من أدق المواضيع الطبية بالنسبة لعامة الناس من الجهلة والبسطاء .

وبعد اسبوع واحد اتصل بي أحد الزملاء لاقرأ رد الدكتور الساري على رسالتي المفتوحة التي نشرتها جريدة الجمهورية ، فطلبت هذه الجريدة وقرأت رد الدكتور مشعل على رسالتي المفتوحة التي وجهتها اليه في جريدة

الجمهورية فاذا ما فيها ليس أكثر من نقد قبيح التعابير وسباب لا يليق بسلوك من يعمل بمهنة الطب .

الدكتور مشعل حامد الساري أيضاً

في يوم ٨ / ١٢ / ١٩٩١ قرأت في جريدة الجمهورية عدد ٧٧٦٠ تعليق الدكتور مشعل برسالة جوابية موجهة اليّ قدّم لها رئيس التحرير بعبارات قال فيها :

(اقتطع الدكتور مشعل حامد الساري جزءاً من وقته وراحته للرد على رسالة الدكتور كمال السامرائي المفتوحة التي نشرت في صفحة (شؤون الناس) يوم ٨ / ١٢ / ١٩٩١ بهذه الجريدة ، وارسل رسالة جوابية تقع بثمان واربعين صفحة . وعملًا بحرية النشر سنقوم بنشرها على حلقات ، وكان بامكاننا حذف ما يندرج تحت التجريح غير المبرر ، ولكن عملًا بحرية النشر ، ومع تحفظنا على بعض المفردات المستخدمة ، وحرصاً على عدم ظهور مثلها في هذه الجريدة ، فان المسؤول عن ورودها صاحب الرسالة نفسه . وسنحتفظ للاستاذ الدكتور كمال السامرائي بحق التعقيب اذا رغب في ذلك) .

هذا ما كتبه رئيس تحرير جريدة الجمهورية بالحرف الواحد . ثم تلاه برسالة الدكتور مشعل المفتوحة التي وجهها اليّ في الجريدة ، وواضح فيها ان السيد رئيس التحرير يتحيز الى جانب الدكتور مشعل أو انه يميل الى أن يكون الدكتور مشعل هو الرابح في هذه المناظرة ، ولو انه اكتفى بهذه المقدمة ، أو ان القارىء اكتفى بها لجزم مقدماً ودون تردد ان الدكتور مشعل هو صاحب الكفة الراجحة فيما حصل بيننا من خلاف علمي . وحين قرأت الحلقة الأولى من رسائل الدكتور مشعل التي وجهها اليّ وجدتها خالية من كل رد موضوعي على ما أوردته في رسالتي المفتوحة اليه ، وجلّ ما فيها كيل من الشتائم لي والخيالات بلا حدود في مدح شخصه وما أنجزه من اكتشافات (ستذهل العالم) . فكتبت باختصار شديد ليس أكثر من عشرين سطراً من أعمدة الجريدة جواباً على رسالته الجوابية اليّ وبعثتها مع زوجتي الى جريدة الجمهورية ، وبعد نحو ساعة اتصل بي تلفونياً صديق أعزه واحترمه هو الاستاذ حسين جميل ، يرجوني أن لا أرد على الدكتور مشعل ففي رسالته اسفاف لا يليق بالمناظرات العلمية ، فبعثت زوجتي لتسترد من الجريدة ما ارسلته اليها لتنشره تعقيباً على رسالة الدكتور مشعل بحجة ان في تعليقي فقرة سهوت عن نقلها في التبييض ، ولا بد من ادخالها فيه ليستقيم السياق ويكتمل المعنى . وجاءت زوجتي

بالرسالة فرميتها في سلة المهملات . وفي مساء ذلك اليوم نفسه زارني الزميل الدكتور حسين طالب وكان استاذ الامراض الخبيثة التي يعنى الدكتور مشعل بعلاجها بطريقته الخاصة على حد قوله . ولوّح لي الدكتور حسين بورقة زرقاء وهو يخطو لمقابلتي عند باب داري ويقول :

ـ كتبت هذه الرسالة فيما لو انني لا أجدك في بيتك .

فاخذتها من يده وأنا ارحب بزيارته وقرأتها بسرعة . وهذه نص بعض فقرات منها :

استاذي الجليل حفظك الله ورعاك

مساء الخير . اعذرني على ازعاجك في هذا المساء وهو وقت راحتك ولكنني جئت لأشكرك من صميم قلبي على رسالتك التي نشرتها جريدة الجمهورية هذا اليوم . والحقيقة يا أبا محمد ان الوقت قد حان لكي توضع النقاط في مواضعها في مثل هذه القضايا لكي ترفع الاساءة الى سمعة الطب في هذا البلد . أسأل الباري أن يحفظك من كل سوء .

تلميذك

حسين طالب

وبعد يومين كلمني تلفونياً عميد كلية الطب الدكتور فخري الحديثي :

ـ استاذ كمال ، قرأت ما كتبته تعليقاً على ادعاءات الدكتور مشعل الساري في مقابلته مع السيد الرئيس القائد ، كما قرأت رسالته التي وجهها اليك في جريدة الجمهورية تعليقاً على تلك المقابلة .

وفي اليوم الثاني رن جرس تلفوني وسمعت منه من يقول :

ـ هذه جريدة الجمهورية .

ـ تفضلوا أنا كمال السامرائي .

ـ استعدتم الكلمة التي بعثتموها الينا للنشر ولم تعيدوها الى الجريدة ، ألا تريدون أن تنشروها يا دكتور ؟

ـ أفضّل أن أكتب بدلًا عنها كلمة مختصرة .

ـ لا باس ، أبعثها وسننشرها في عدد الغد .

فقلت له :

ـ اكتب يا أخي ، هذه هي الكلمة ، حاضر ؟

ـ نعم تفضل .

قلت :

ـ قال نابليون : ربُ ابتلني بحكومة ظالمة ولا تبتلني بصحافة ظالمة .
فقال المتكلم عبر تلفون جريدة الجمهورية :
ـ ثم ؟
ـ هذا كل ما عندي لانشره في جريدتكم ، وشكراً .
ولم يتوقف الدكتور مشعل عن التهجم عليَّ بقبيح الكلام . ونشرت له جريدة الجمهورية خمس رسائل جميعها بمعنى واحد (انه مكتشف الدواء الذي عجز عن اكتشافه علماء العالم . وان (كمال السامرائي) وأمثاله يحاربونه لعبقريته) .
كما نشرت جرائد اخرى تعتب من ينقد الساري ، ولم يذكروا اسمي بالتخصيص غير ان المقصود به لم يكن إلا أنا .
ومرت عشرة أشهر ولم أسمع عن الدكتور الساري شيئاً إلا ما يتندر به الناس عن أعماله في الطب ، وانه لا يتنقل بين مكان ومكان إلا وحماية حكومية مسلحة تصحبه ، أو تتبع سيارته . وذات يوم ، عند غروب الشمس دق جرس باب بيتي ، واذا الدكتور مشعل الساري وزوجته يتقدمان مني وهما يمدان يديهما ليصافحاني .
كانت مفاجأة ليس أكثر منها مفاجأة بالنسبة لي على قدر علاقتي بالدكتور مشعل ، فقلت لهما :
ـ أهلًا ومرحباً بكما في بيتي .
ـ تقبلنا زائرين يا استاذ كمال ؟
وقطع كلامه معي .والتفت الى ورائه وهو ينادي على مَن في احدى السيارتين اللتين توقفتا عند مدخل حديقتي ، وصاح :
ـ حماية ! ابقوا في مكانكم فانا في بيت أمين !!
ورحبت بضيفي وكأن الدكتور مشعل لم يشبعني سباً ونقيصة .
ـ يا مرحباً بكما في بيتي ، فقد أدخلتما البركة اليه .
فقال الدكتور مشعل :
ـ كنت في حال متعبة بالنسبة لي ولا أتذكر ماذا كتبت دفاعاً عن نفسي في جريدة الجمهورية ، ومصدر تعبي واضطرابي اتهام الاطباء لي باني (مشعوذ) واني (دجّال) وما الى ذلك من مثل هذه الالقاب ، واستمر ضيفي الدكتور مشعل في هذا الخط ساعتين أو أكثر ، وأنا أنصت اليه باستغراب ولكن دون اعتراض ، وأخيراً طلب مني أن ارد له الزيارة في بيته ليريني أعماله المختبرية والسريرية ، وقبيل أن يغادر بيتي قال لي :
ـ أخاف أن تصدق السلطات التهم التي يوجهها اليَّ الاطباء فارجو أن استشهد

بك لتقول لهم الحقيقة .

فوعدته أن أقول لهم (الحقيقة) وغادر بيتي ، ولم أزره في بيته ولا قابلته في أي مكان آخر .

متتبع في لجنة صيانة الدور التراثية في بغداد - ٧ / ٢ / ١٩٨٧

في صباح يوم ٤ / ٣ / ١٩٨٧ اتصلت بي تلفونياً الآنسة وجدان نعمان ماهر واخبرتني ان ديوان رئاسة الجمهورية رشحني لأكون عضواً في لجنة صيانة الدور التراثية ، وان كتاباً من الرئاسة سيصلني بهذا المآل .. وسألتها عن مكان الاجتماع فاجابتي تقول : اتصل بالمهندس رشيد الدبيسي معاون مدير الانشاءات بأمانة العاصمة واستعلم منه ما تريده عن المكان وعن اختصاصات اللجنة .

والآنسة وجدان هي ابنة صديقي الشاعر نعمان ماهر الكنعاني ، وكنت أعرفها سماعاً ولم أرها قبلًا ، مع اني طبيب أمها ، كما أشرفت على ولادتها ، وأبوها من اصدقائي الحميمين الذين لم ينقطعوا عن زيارتي في أكثر المناسبات ، ولا انقطعت أنا عن زيارته .

وفي صباح اليوم الثاني بعد تلك المكالمة التلفونية وصلني الكتاب الآتي :

الرقم : ض / ٢٣ / ٥٥١٧

التاريخ : ٧ / ٢ / ١٩٨٧

امانة العاصمة

م / الدور التراثية

الحاقاً بكتابنا المرقم ض / ٩٨٥ في ١٠ / ١ / ١٩٨٧ وعطفاً على كتابكم المرقم س / ١ / ٢٢٣ في ٢٢ / ١ / ١٩٨٧ .

تشكل اللجنة الاستشارية المشار اليها في الفقرة (١) من كتابنا اعلاه من الذوات المدرجة اسماؤهم في ادناه وتباشر بعملها بالتنسيق مع دائرة قصور الضيافة في ديوان الرئاسة وفق التوجهات المؤشرة في الكتابين اعلاه .

١ - المهندس رشيد الدبيسي - معاون الانشاءات - امانة العاصمة .

٢ - د. مؤيد سعيد - رئيس المؤسسة العامة للآثار والتراث .

٣ - المهندس سعد الزبيدي - رئيس دائرة العمارة - المركز القومي .

٤ - د. احسان فتحي - قسم الهندسة المعمارية - جامعة بغداد .

٥ - السيد سيف الدين العباسي - رئيس قسم التراث - امانة العاصمة .
٦ - المهندس د. طارق الكاتب - انشائي استشاري مختص .
٧ - المهندس معاذ الالوسي - معماري استشاري مختص .
٨ - الفنان شاكر حسن آل سعيد - متتبع .
٩ - د. كمال السامرائي - متتبع .
راجين اتخاذ ما يلزم على ضوء ذلك .
مع التقدير .

احمد حسين
رئيس ديوان الرئاسة

وحين اطلعت على اسماء اعضاء هذه اللجنة ، وجميعهم مهندسون وذوو سمعة واسعة بهذه المهنة ، رأيت أنني ساضيع بينهم ، فكل ما عندي من المعلومات في اختصاص هذه اللجنة مبني على معرفة اعتمدها على الذوق العام لا على معلومات علمية هندسية مدروسة .

وتوالى انعقاد زهاء عشر جلسات في وحدة الامانة بجانب الكرخ ، وعمارة هذه الدائرة حديثة تتوفر فيها غرف لموظفي هذه الدائرة ، وقاعة للمحاضرات ، وقاعة اخرى لمراجعة المواطنين وجميعها مكيفة ومريحة . وكان من أبرز المتكلمين في تلك الاجتماعات الدكتور احسان فتحي والمهندس الدكتور طارق الكاتب . أما الدكتور مؤيد سعيد فلا أذكر انني رأيته يحضر الجلسات أكثر من مرة واحدة .

حفل ريفي في التلفزيون العراقي - ١٢ / ١١ / ١٩٩١

في ليلة مرعدة تنذر بالمطر ، قمت عن كرسي في المكتبة لاشاهد ما يثير الصخب من أهل بيتي وهم يتطلعون بنظراتهم على شاشة التلفزيون . كان ذلك يوم مهرجان الغناء الشعبي الذي نسق مع (بيعة) السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله . واسترعى انتباهي لحظة صرت أمام شاشة التلفزيون حلقة من الرجال يلبسون (الغتر) البيض والعقال الاسود وكانهم اتفقوا على هذه الهيئة متعمدين . وكانوا قد بدأوا تواً يغنون أو قبل ذلك بدقائق ، ولم تكن من أدوات الطرب بأيديهم سوى الطبلة الريفية والرباب ، أما المشاركون فكانوا قاعدين على بسط بألوان فلاحية تكثر فيها خضرة الزرع ووروده الزاهية وهي مفروشة أمام حجرة جدرانها من الطين ، وتخرج من سقفها عيدان مختلفة الطول وبغير انتظام ، والى يسار هذه الحجرة كوخ وطيء

من الحصر والقصب .

ولم أقف طويلًا أنظر الى شاشة التلفزيون حتى علا صوت من أحد الجالسين على أحد البسط بنغم (السويحلي) ، فتسمرت في مكاني لميلي الى سماع هذا اللون من الغناء الريفي . وكان هذا المغني يعتب على حبيبته التي طال غيابها عنه ، ودلالها عليه (... أنت قاتلتي أيتها الحبيبة ، واني لمتنازل عن دمي ، فاني منذور لافتديك به ، فانت قدري وأجلي ...) ما هذا النطق يا هو؟ انه ليس أقل رقة ووجدانية من الشعر القريض ، بل هو صنوه طالما هو من واحد لا يعرف الحرف ، والقراءة . وما كاد ينتهي هذا المغني حتى تلاه مغنٍ ثان جالس على الطرف البعيد من الحلقة ، بلغة تتعاطف مع روح المغني الأول ، يرجيه بالامل والفرج القريب ، ثم ختم غناءه باغنية على منوال (النايل) . وأثار الجالسون لغنائه ، وصاروا يتمايلون طرباً وأنساً ، ويطقطقون باصابعهم الطويلة النحيلة على ايقاع الطبلة والرباب ، وكانت هذه الحركات الثلاث غناء من نوع خاص . ولاحظت على الطرف الآخر من هذه الحلقة رجلًا من (الشلة) ركّزت عدسة التلفزيون عليه الاضواء ، ولها الحق فقد كانت حركات رقبته وجذعه ورجله اليمنى التي يمدها على الأرض المتربة بحد ذاتها غناء وموسيقى ورقص معاً ، وهو يناجي محبوبته التي تحجبها عنه القيود والمنازل والديار . يا إلٰهي كان هذا الرجل الولهان هو الحفل بأجمعه ، وأصدق من كل العشاق والشعراء ، فهو لم يدّع مثلهم بالمحبة بل هو كله محبة وغرام ، وهو لا بد أن يكون في شباك الحب ، مملوكاً لمحبوبته بالتأكيد .

وصدح مغنٍ آخر بنغم العتابة لتطلع عليه محبوبته من بين أعواد القصب ، ولم يكن هناك قريباً من الشلة ثمة قصب ولكني تخيلته موجوداً ، وينتظر ذلك المغني أن تطلع من بين أعواده ، غير ان محبوبته لم تطلع عليه ، واستمر يناجيها من فؤاده المكلوم ، حتى حنّ له رفاقه فصاروا يتمايلون ويتأوهون لرفيقهم المعذب . وعدت أنظر الى ذلك الرجل الذي على طرف الحلقة والذي اجتذبني اليه مثل قيد في رقبتي ، ولم أر في هذه المرة حاجة أن يسلط المخرج اضواء عدسته عليه ، فهو في شدة الضياء ، وفي شدة الخفاء ، في أعماق وجداني ان رأيته أو لم أره . فما سمعت منه لا يزال يملأ اذني وحواسي ، هو رجل العاطفة والحب والقلب والشعور واللاشعور ، ولا غيرها . واسمع في هذه اللحظة المغني الذي ينتظر بلهفة طلوع حبيبته من بين اعواد القصب ، وما كاد ييأس منها حتى صدح صوتها بالاعتذار ، وهي تمنيه بالوصول ، وتتحرك اضواء الكاميرا الى الطرف البعيد من الكوخ فاذا هي الحبيبة تتقدم من حبيبها وتقول له بشعر شعبي (انا لك يا ابن العم ، ولن تكون انت لغيري ، واحلى

ان نتلاقى والاهل من حولنا يزغردون ، فاصبر وتجلد كما أفعل أنا نفسي ذلك من أجل اليوم الموعود) .

وانتهى الحفل ولكنه بقي في عيني وذاكرتي وقلبي حتى الصباح .

پارك ومبلدون بلندن / ١٩٩١

خرجت ظهر يوم ٢٤ / ٩ / ١٩٩١ لاتريّض ماشياً في (پارك ومبلدون) بلندن القريب جداً من بيت ابني محمد ، ووقفت قليلًا قبل أن أنحدر اليه من خلال الدرجات الصخرية العشرين الى ساحته الواسعة ، وأطلت النظر الى جوانب هذا الپارك البهيج ، في الجانب الايمن ثلاث ساحات للعب التنس بدت لي واحدة لتدريب الفتيان الصغار ، وفي الجانب الايسر ثلاثة مسابح صغيرة ضحلة للاطفال يحيطها ملعب ثالث لكل الاعمار . والى يسار هذه الملاعب بحيرة مصطنعة واسعة تمخر فيها القوارب الشراعية يمنة ويسرة ، وفي كل الاتجاهات بحسب انتفاخ اشرعتها ذات الالوان الزاهية الجذابة ، بالنسائم التي تهب من شمال البحيرة ، وملّاحوا هذه القوارب لا يهمهم اتجاه الريح ، فهم يستطيعون توجيهها من أحد شراعي القارب الى الشراع الاكبر فيندفع القارب الى الاتجاه الذي يقصده اولئك الملّاحون .

ورأيت أن أنحدر الى الساحة التي تتوسط مرجاً واسعاً ، وأخذت مكاناً بين كثيرين من الرجال والنساء الذين يراقبون بحبور اولادهم وهم يمرحون على ساحة هذا الپارك . وكانت الى جانبي سيدة برشاء في نحو العقد الخامس من عمرها ، وهي تفغر فاهها وترقب حشد الاطفال وهم يتسابقون على المرج أو يسبحون في الاحواض . وفجاة صاحت هذه السيدة بأعلى صوتها وهي تعمل من كفيها ما يشبه البوق لتوصل صوتها الى مَن تناديه :

ـ ديڤد ! ديڤد !

وبعد لحظات انفرد ولد ملوّن بنحو الخامسة من عمره وتوجه اليها راكضاً وهو يضحك ، فقالت له :

ـ تعال يا عزيزي ، يكفيك هذا اليوم ، ولا بد أن نعود الى البيت لتعمل واجبك المدرسي .

وفي هذه اللحظات رأيت من بعيد حفيدي (وليد) متجهاً نحوي وهو يقول لي بخليط من العربية والانكليزية :

ـ جدو فتشت عنك في كل مكان في الپارك .

وانتبهت تلك المرأة الى وليد والى بعض كلامه في غير اللغة الانكليزية . ووليد ناصع البياض ، وذو عينين خضراوين ، ويبدو ان هويته حيرت تلك المرأة فاضطرت أن تسألني وهي تشير الى وليد :

- ابنك ؟

فاجبتها :

- لا ، انه حفيدي .

ورأيت سؤالها جوازاً لي لاسألها عن الصبي (ديفد) وتلطفت في سؤالي عنه ، فقلت لها دون أن اشير الى لون بشرته الداكنة السواد :

- ديفد صبي لطيف .

- شكراً .

- كم عمره يا مدام ؟

- خمس سنوات في كانون الاول .

وسألتها :

- هل عندك ولد آخر ؟

فاجابتني :

- أنا غير متزوجة ، ولم أعقب ، وديفد ربيب .

- ابن أحد اصدقائك ؟

- كلا ، وأنا لا أعرف أبويه ، وقد أخذته من أحد دور اللقطاء ، وانني لاشعر بعد هذه السنوات الخمس من عمره وكانه ولد من بطني ، ومن لحمي ودمي .

وكان سكوتي تعليقاً بليغاً عن تقديري لهذه المرأة الانسانة الكريمة . وغادرت البارك بهذا الحس وقد طغى على ما كان يشغل بالي في جمال البارك وما كان فيه من متع الحياة .

وفي اليوم التالي عدت الى بغداد عن طريق عمان .

مجودي ايضاً - ٤ / ٣ / ١٩٩١

لم يزرني مجودي منذ أشهر ، وهذه لم تكن عادته ، وجاءني في صباح هذا اليوم بهيئة من خرج تواً من حفر خندق ، تعباً ومترباً ، فقلت له :

- أين أنت يا أبا زينب ؟

- مشغول جداً ، وقد جئتك الى البيت مرتين ، وكان باب الحديقة مقفلاً ، فعدت

أبراجي .

- أنت تعرف ان الكهرباء كثيراً ما ينقطع فلا يعمل جرس الباب لنسمعك يا مجودي .

وتذكرت انني هربت الى سامراء أيام كانت طائرات التحالف العدواني تضرب المنشآت العسكرية التي تقابل بيتنا في الجانب الآخر من النهر ، فقلت له :

- يحتمل انك جئت حين كنت في سامراء .
- ان شاء الله لم يصب بيتكم بأذى ؟
- تكسّر جميع زجاج نوافذ الطابق الثاني .
- فدوه الكم ، هيّ ولا أنتم .
- صحيح ، ولكن اصلاحها متعب ويكلف .
- هَمْ ما يخالف .

وقلت له يا ليتني لم أذهب الى سامراء يا مجودي !

- خير ان شاء الله ؟

فقلت له وأنا التفت الى القفص الخالي من طيره (الكاسكو) :

- انظر الى القفص .

ولما رآه خالياً سألني بجزع وهو يعرف شده تولّعي بالطير الذي كان فيه :

- وأين الطير ؟ (ويقصد بالطير - كاسكو -) .

- عندي مستخدم مصري اسمه ناجي ، قلت له حين تهيأت لمغادرة البيت الى سامراء ؛ يا أخي ناجي لا أوصيك بما في بيتي من أثاث وفرش ، بل أوصيك بـ (كاسكو) بقدر ما اوصيك بمكتبتي . ومكثنا في سامراء ثمانية أيام وحين عدنا الى البيت لم نسمع كاسكو يهلل بمقدمنا كما اعتاد أن يفعل حين نغيب عن البيت ولو لبضع ساعات ، فاستغربنا من ذلك ولكن دون أن يساورنا الشك فيما يمكن أن يحدث له من الاذى أو الشر لهذا الطير الحبيب ، وتقدمت الى مكان قفصه لاستجلي سبب سكوته ، فاذا هو جثة هامدة في قاع القفص . فجمدت مشاعري وكدت أصرخ لوفاته . وناديت على (ناجي) في غرفته فلم اسمع منه جواباً . وبعد ظهر ذلك اليوم دخل ناجي البيت وأنا ما زلت ساهراً بحزن من اثر الصدمة لموت طيري العزيز ، فاستشطت غضباً على (ناجي) واردت أن اضربه لاخفف من غيظي عليه فشتمته باقبح النعوت ، ولم أسمع منه رداً انما ابتسم ببلادة وهو يقول :

ـ شو يعني ، هو طير ، وأنا هربت خوفاً من الضرب الذي صار يقترب من البيت .
فأثار غضبي من جديد ، كما تفعل الريح في قبس النار الخامدة ، وقلت له بحنق :

خذ الطير معك ، أطلقه من قفصه ليعيش خارجه ، أو يلتقطه بعض الناس ..

أنا لست عضواً في المجمع العلمي العراقي / ١٩٩١

قابلني الصحفي الصديق عبدالمجيد السامرائي في داري ودار بيننا حديث اجتماعي وفكري نشره في جريدة الجمهورية بتاريخ ٤ / ٩ / ١٩٩١ ، وهو يشير اليَّ بوصفي عضواً في المجمع العلمي العراقي فبعثت الى الجريدة المذكورة بما يأتي :

(نشر الصديق مجيد السامرائي في جريدة الجمهورية يوم الاثنين المصادف الثاني عشر من هذا الشهر ، المقابلة الصحفية التي تمت بيني وبينه عن بعض جوانب سيرتي ، وقد الصق باسمي في هذه المقابلة عضوية المجمع العلمي العراقي ، وأنا لأشكر حسن تقديره لشخصي غير ان الحقيقة هي انني لست عضواً في هذا المجمع ، بل خبير فيه ، وقد سبق أن نشرت أنا مثل هذا التصحيح قبل أربع سنوات في باب (من أنا) بجريدة الثورة الذي كان يحرره الاستاذ حميد المطبعي ، وقلت في ذلك التصحيح بالحرف الواحد (أنا لست عضواً في المجمع العلمي العراقي بل خبير فيه) ، واضفت للتأكيد (والخبير أدنى مرتبة من العضو) ومع ذلك استمر نشر الخطأ في كثير من الجرائد المحلية ، وفي مجلة آفاق عربية أيضاً ، ومرد هذا الاصرار على تكرار الخطأ على ما أعتقد ، هو ان المجمع العلمي العراقي رشحني رسمياً لعضويته فظن الناس ان ذلك الترشيح كان كافياً لاكتسابي عضوية المجمع ، غير ان ذلك الترشيح قد توقف في مرحلته العليا النهائية لسبب لا أعرفه ولا عرفته رئاسة المجمع ، فاستمر الناس والكتاب يعدونني عضواً في المجمع ، وقد

فضلت أن أصحح مجدداً ما ذكره صديقي مجيد السامرائي على نفس الصفحة التي نشرت فيها المقابلة الصحفية في هذه الجريدة ، وكان أيسر لي أن انبه شفهياً الى ذلك في إحدى مقابلاته ، وأنا فضلت أن أعلن عن هذا التصحيح ليطلع عليه من تضطره المناسبة الى ذكر اسمي لسبب من الاسباب ولهذا اقتضى مني هنا التنبيه .

عباس علي غالب ـ عبدالكريم قاسم ـ نوري السعيد ـ ١٦ / ٧ / ١٩٩١

توفي ظهر هذا اليوم صديقي اللواء الركن المتقاعد عباس علي غالب ، اثر اصابة حادة في امعائه لم تمهله إلا يومين حتى وافاه الأجل المحتوم بعمر يناهز السادسة والسبعين ، وهو من خريجي المدرسة العسكرية ، وكلية الأركان ببغداد ، كما درس العسكرية بلندن ، وكان من المتقدمين بين أترابه الانكليز ، وقد تدرج في المراتب العسكرية في العراق حتى وصل الى رتبة (لواء) فاوكلت اليه قيادة الفرقة الاولى في الديوانية . وكان ضابطاً نشطاً وله المام بتاريخ الحروب القديمة والحديثة ، كما ان له موهبة في الرسم واقتناء التحف القيّمة . وفي سنة ١٩٥٨ ولاه رئيس الوزراء نوري السعيد مديرية الشرطة العامة إعارة لمدة سنتين ، فكانت آخر أيامه في هذه الوظيفة قريبة جداً من ثورة تموز من السنة نفسها ، فأوقفه الانقلابيون من الضباط الاحرار رهن التحقيق مع من اوقف من رجال العهد البائد ، وافرج عنه بعد بضعة أشهر لعدم ثبوت ما يستوجب حبسه ، فانعزل في داره إلا في بعض الزيارات التي كان يبادلها مع خلّص اصدقائه .

وقد يكون قد آن الاوان إن لم يكن قد فات ، لاذكر ما رواه لي يوماً عندما أطلق سراحه من التوقيف ، قال لي في حوالي منتصف شهر مايس من سنة ١٩٥٨ :

ـ كلمني تلفونياً رئيس الاتحاد الهاشمي نوري السعيد ، وطلب مني أن أتحرى تحركات بعض ضباط الجيش ومنهم عبدالكريم قاسم ، فقد بلغه (على حد قوله) ان مجموعة من الضباط يخططون لانقلاب عسكري . (ثم اضاف نوري السعيد) واستغرب أن يكون منهم عبدالكريم قاسم الذي حظي باهتمامي أكثر مما حظى مني أي ضابط آخر . وختم كلامه وهو يقول لي بغضب :

ـ اريد أن أرى عبدالكريم قاسم باسرع وقت .

واتصلت (هذا كلام عباس علي غالب) بعبدالكريم قاسم في المقدادية ليحضر الى دائرتي ببغداد ، وجاءني في اليوم التالي الى مديرية الشرطة العامة ،

وبعد أن أدى التحية العسكرية طلبت منه أن يجلس قريباً مني ، فقلت له :

ـ الباشا نوري السعيد ساخط عليك لتورطك في تحركات سرية ضد الدولة ، فاحذر يا كريم أن تتورط في مثل هذه الامور .

فاجابني عبدالكريم قاسم :

ـ أنا يا سيدي لا يمكن أن أتآمر ضد الباشا ، وما سمعه عني محض افتراء ولا صحة له بأي قدر .

ـ على كل حال (الباشا) يريد مقابلتك .

وتناول عباس علي غالب التلفون وكلم نوري السعيد :

ـ باشا ، عبدالكريم قاسم ، في دائرتي .

وقاطعني نوري السعيد يقول :

ـ يجيئني الآن .

وأغلقت التلفون ، وتحولت نحو عبدالكريم قاسم وقلت له :

ـ الباشا ينتظرك . (ثم قلت له) وعد اليَّ بعد مقابلته لاعرف جلية الأمر ..

وبعد ساعة دخل عبدالكريم قاسم غرفتي بمديرية الشرطة العامة وهو يبتسم ، ويقول :

ـ الباشا واهم ، وغاضب عليَّ دون سبب ، فلا أنا ولا أحد فيْ لوائي له الافكار التي يتكلم عنها الباشا .

فقلت له :

ـ خبرني يا كريم بتفاصيل المقابلة :

فقال لي :

ـ ما كدت أدخل الى غرفة الباشا حتى سالني وهو ينهض عن كرسيه :

ـ كريم أنا مقصر وياك ؟، ألم أبعثك الى لندن مرتين دون مبرر؟، وهل رفضت لك طلباً ؟ وأردت أن أتكلم فاسكتني بحدّة قائلًا : اسمعني والله اذا قبضت عليكم فساعلقكم واحداً واحداً على طول شارع الرشيد ، واجعل أهلكم يلبسون السواد طوال أعمارهم .

فقلت له :

ـ باشا ، اسمح لي .

فقاطعني بقوله :

ـ ولا كلمة ، تنكر ؟

ـ نعم يا باشا أنفي كل ما سمعته عني .

ـ تقسم بالشرف العسكري ؟
ـ أقسم بالشرف العسكري ان لا صحة لما وصلك عني ، فأنا لا يمكن أن أخونك يا باشا .
حينذاك تبدلت أسارير وجهه، وهو يقول لي :
ـ إقتنعت ، في الأمان ، يا الله .
وغادرت غرفته بعد أن لمست رضاه عني .
وفي فجر يوم ١٤ تموز حدثت الثورة وكان عبدالكريم قاسم أحد القائمين بها .
وتوفي اللواء عباس علي غالب وهو لا يملك داراً ولا سيارة .

دردشة مع الآنسة هدى مالك المحررة في جريدة الجمهورية / ١٩٩١

اصابتني وعكة بسبب زكام أتعبني حتى لزمت الفراش أياماً زارتني عقبها الآنسة هدى مالك المحررة بجزيدة الجمهورية وكان ذلك في ظهر يوم الاثنين المصادف ٢ / ١١ / ١٩٩١ ودار حديث بيني وبينها قرأت فحواه في الجريدة نفسها يوم ٥ / ١١ / ١٩٩٢، وفيما يلي نصه كما نشرته الجريدة .

دكتور كمال السامرائي

بعد تماثله للشفاء اثر وعكة ألمّت به

■ كنت على حافة الهاوية .. لكن عبرتها والحمد لله !!

هكذا قال شيخ الاطباء الدكتور كمال السامرائي وهو يستقبلنا (أنا والزميلة هدى مالك شبيب) لدى الباب ونحن نقدم له التهاني على تماثله للشفاء بعد الوعكة التي ألمّت به .
قال وهو يتوكأ على عصا تحوي رأس فيل بخرطوم قال :
ـ لم أر حلاوة الدنيا وجمالها وورنقها وزخرفها وخيراتها ، إلا حينما كنت طريح الفراش !!

■ قلت له : نعمتان مجهولتان .. الصحة والأمان !

قال هو : قول سديد .. انني أتمنى أن يمرض كل طبيب ـ عدا الاختصاصي بالامراض النسوية ـ بمرض يتعلق باختصاصه الدقيق .
قلنا باندهاش : لماذا يا دكتور ؟!!
ـ حتى يعرف كيف يعالج مريضه علاجاً روحياً وسلوكياً مهنياً . حينما كنت مريضاً في مستشفى ابن البيطار ومدينة الطب ، رأيت كيف نهدر استعمال الادوية ،

ما ضر لو استبدلنا ذلك بالرقة واللطف مع المريض ؟!

■ هل يمكن دائماً اجتناب المرض ، بالوقاية ؟

- العلاج الوقائي خير الف مرة من العلاج الشفائي .. ذرة من وقاية خير من قنطار علاج ..

■ مع شيخ الاطباء ، هل ينفع هذا ؟

- أنا ضعيف الجسم ، لذا تمكن المرض من ايذائي ، تبدل الفصول يهلكني ، رغم اني اتحفظ من تبدلها ألبس الصوف - احياناً - في الصيف ، تجنباً لما يمكن أن يحدث في الرئة التي هي (مروُحة القلب) ! اذا سلمت من الفيروسات فالقلب يبقى سليماً ..

■ في البكتريا ما هو نافع وغير ذي نفع ، في الفيروسات .. أليس هناك فيروس مسالم ؟!

- قد يكون هناك « فايروس » نافع ، ولكنه لا يدرك بالعين المجردة ، وهناك ما يمكن اكتشافه ، أما المايكروب ، فيرى ، ونستطيع أن نحدد حجمه وطوله وعرضه بالمجاهر .

■ يداوينا الطبيب .. اذا مرضنا .. فكيف اذا مرض الطبيب ؟!

- عندها يكون طبيبه هو الله .. أما الطبيب البشري فلا يملك - بعد جهده - سوى الدعاء لمريضه بالشفاء من الله ..

خذوا مثلًا : ان (ابي رمثه التميمي) ، وهو متطبب مارس العلاج بالطب اليدوي ، أي الجراحي ، قيل انه رأى (خاتم النبوة) على كتف النبي (ﷺ) فظنه سلعة مؤلمة فقال لرسول الله (ﷺ) دعني اعالجه فاني رفيق الصنعة . فقال الرسول (ﷺ) أنت الرفيق والطبيب هو الله .

■ يصف بعض العوام ان في يد « فلان » الطبيب ، بركة !

- أنا مؤمن بان هناك يد « خضراء » ويد بركة ، لأن هيئة الطبيب لها تاثير كبير على المريض في طريقة الوصول - عبر الشكوى - الى العلاج .

■ البركة ، مضافاً اليها ماذا ؟

- هناك أدوية معروفة - تعد اكتشافاً هائلًا في عالم الطب . خذ مثلًا الاسبرين - المورفين - المضادات الحياتية - الفاليوم (المهدئات) هذه لا تعطى مجردة . قديماً قبل ان الدواء - كالصابون - ينظف الثوب ، لكنه يهريه .. فكانوا يستعينون بالعلاج على تدبير امر المريض في اختيار نوع الغذاء وأهميته .

في كتاب ابن البيطار (الجامع في الادوية المفردة والاغذية) يصف بعض الاغذية على انها ادوية،معروف انهم كانوا يصفون العلاج أولًا بالحمية أو بالصوم أو بنوع الاغذية وإن لم يعد ذلك فبالادوية . أما الجراحة فمتاخرة عن ذلك .

■ عودة ـ لموضوع البركة في العلاج ، هل أنت متفق مع من يؤيد العلاج باللمس و (الباراسايكولوجي) ؟!

ـ نعم الطب والسحر والدين ، ثلاثة ينفعن للاستشفاء قديماً . الآن ما يروج عن الشيخ البصير في التطبيب باللمس ممكن عن طريق الشحنات الكهربائية !

■ هناك من يتماثل للشفاء على يد طبيب بعينه .

قال الدكتور كمال : هذا ما يتفق فيه معك نابليون الذي قال : لا أعتقد بالطب ولكني أعتقد بالاطباء .

تناول نصف حبة اسبرين مع كاس من الماء : ثم اردف الاسبرين من مفاخر اكتشافات الانسان ، ومرده من هنا من ـ بابل !

اخذوه من الصفصاف أو اليوكالبتوس . انه خير علاج لمنع تخثر الدم في الاوعية التاجية .. أنا في الحقيقة بعد أزمتي القلبية .. عايش على الاسبرين !

■ في الصحف يا دكتور نقرأ ان فلاناً اصيب « بوعكة » ، دون أن نفصل نوع المرض وهذا تعميم خاطىء : في اللغة (ان الوعكة اذى الحمى ووجعها ، وألم وشدة التعب . والوعكة هي الوقعة الشديدة) .

ـ قال الدكتور السامرائي : الحمى عرض لا مرض ، وقد تكون عرضاً لعشرين مرضاً ، وهي ظاهرة من ظواهر الأمراض ، والتخصيص في نوع (الوعكة) أدق .

■ بعد هذه السنين ـ اطال الله عمرك ـ كيف رأيت الدنيا ؟

ـ ما أحلى الدنيا لو نظرناها ـ بنظارات بيض لا سود ـ ففيها روائع لا حصر لعددها الدنيا فيها مخلوقات وورد ونساء واشياء جميلة .

في شبابي كنت نزقاً ، وكنت أحلم أن أكون شيخاً واقف على المنصة بشعر اشيب وألقي دروسي في الطب على الطلاب ، وأحلم بذلك الموقف الذي سيعطينا علماً وهيبة ، ولكني الآن أشعر ان الكبر متعب تماماً .

■ وهل يمكن أن ننظر الى الدنيا على انها امرأة ؟!

ـ لا أفهم الدنيا ولا المرأة ، ولكني أقبل الاخيرة على علاتها !!

■ هل ترى منها لغزاً حقاً ؟!

ـ بل هي لغز مضاعف . لغز جميل ومسل إن لم يحل !

■ وأنت على سرير المريض هل كنت تفكر بشيء ؟!

ـ خشيت ألا أتمكن من اتمام كتابي عن سيرة حياتي كاملة .. أتمنى أن يمنحني الله العمر لاتمه ..

■ ونحن أيضاً ندعو الله أن يتم نعمته عليك وعلينا لاتمام ما نراه ناقصاً ليكتمل .

■ قبل الطبع تلقيت منه رسالة مفادها التالي :

١ ـ الانسان مدين في الطب ، للاسبرين والمخدر العام بالاستنشاق ومضادات الحياة والمهدئات .

٢ ـ الحياة بهيجة طالما فيها الطبيعة والمرأة ، وحلوة أكثر حين تخلو من الأمراض .

٣ ـ يستطيع الطبيب أن يستغني عن عطاء بعض الادوية اذا أحسن مقابلته مع مريضه .

الى الاردن ـ ١٤ / ٨ / ١٩٩١

داهمني تعب فكري شديد في أيام هذا الاسبوع ، فضلاً عن شدة الحر في هذا الشهر ، فعبّرت عن ذلك لصديقي (أبو عزيز) أحمد عبدالباقي واستغربت حين قاطعني وهو يقول لي بامتعاض :

ـ سافر ، الناس يسافرون أفواجاً الى عمان لطيب مناخها .

ولما قلت له :

ـ يتعبني طول الطريق اليها الذي يستغرق أحياناً ست عشرة ساعة أو أكثر بشاحنات غير مريحة . كما ان كل اثنا عشر ديناراً عراقياً بدينار واحد اردني ، وان كل عشرة دنانير بدولار واحد .

فاجابني بلهجة نافدة الصبر :

ـ وليكن ذلك ، فانت لست فقيراً ، وماذا تقول عني ، وبرقبتي تسعة أنفس .

كانت لهجة صديقي أبي عزيز غريبة معي في هذه المرة ، ولم أسمع مثلها من قبل ، فسكت ولم أحاجه ، إذ ان مظاهر حياتي الشخصية والعامة ، وما في بيتي من الكماليات ، وكثرة اسفاري الى خارج العراق ، يستدل منها الناس ومنهم ابو عزيز ، انني أملك ما لا يقل عن مليون دينار أو مليونين ، ومثل ذلك من الاملاك . وغادرت بيت صديقي أبو عزيز وأنا افكر بلهجته الجديدة معي أكثر مما افكر في نصيحته لي

بالسفر ، ومع ذلك قررت وأنا لم أصل بعد الى بيتي أن اسافر الى عمان ، فاشتريت في اليوم الثاني الف دولار بتسعة آلاف دينار عراقي . وفي اليوم الرابع عشر من شهر آب عصراً كنت أنا وزوجتي على ظهر حافلة اردنية باسم (جت) وفي طريقنا الى عمان كان القسم العراقي من الطريق اليها حسناً ومعبداً باتقان ، أما القسم الاردني ، فكان كثير المطبات على أرض ترابية قاسيت منها مر الارهاق والضجر . كما اتعبتنا اجراءات الكمارك وشرطة الحدود المتكررة . ووصلنا عمان في فجر يوم الخامس عشر ، وأقمنا في فندق متواضع بشارع بسمان اسمه (رم) انتركونتنال باجر يومي قدره ستة عشر ديناراً اردنياً غير كلفة وجبات الطعام اليومية التي صرنا نتناولها في مطعم شعبي بشارع طلال اسمه (مطعم القاهرة) وكان الطعام فيه منوعاً ولذيذاً ورخيصاً . وفي حديث لي مع مدير فندق رم علمت ان هذا الفندق أقدم الفنادق في عمان وقد اضطر صاحبه (بهجت التلهوتي) أن يطوّره ويدخل اليه اضافات حين ظهرت في عمان فنادق اخرى منافسة له . وجرّني الحديث مع مدير هذا الفندق الى الكلام عن الملك الحسين والعائلة الملكية في الاردن ، فتذكرت الأميرة مقبولة بنت الملك عبدالله ، فسالت مدير الفندق عنها فنفى انه يعرف إن كانت في الحياة أم توفيت . وكان الى جانب مدير الفندق رجل ينصت الينا دون اهتمام ، فقال :

- ان الاميرة مقبولة لا تزال حية ، وهي تعيش في كنف سيدنا الملك الحسين .

وسالني ذلك الرجل :

- تعرفها ؟

فاجبته :

- كانت أحد مريضاتي في بغداد قبل أكثر من أربعين سنة .

فسالته :

- كيف استطيع مكالمتها تلفونياً ؟

فقال لي :

- اطلب القصور الملكية .

فتدخّل مدير الفندق فيما بيننا وسالني :

- تريد أطلب القصور الملكية ؟

فاجبته :

- حبذا لو تفضلت .

وجاءني رد من القصور الملكية :

- اطلب نمرة ....

وجاءني صوت امرأة فسألتها :

ـ من المتكلم ؟

ـ أنا ساجدة وصيفة الاميرة مقبولة .

ـ أنا الدكتور كمال السامرائي من بغداد ، وأرجو ان أمكن أن اكلم سمو الاميرة مقبولة .

وبعد لحظات سمعت من يسأل :

ـ دكتور كمال ؟

وعرفت حالًا انه صوت الاميرة مقبولة .

ـ نعم يا ستي الاميرة أنا كمال .

ـ كيف حالك يا دكتور ؟

ـ بخير يا ستي الاميرة .

ـ ساكن فين الآن يا دكتور ؟

ـ في فندق رم بشارع بسمان .

فقالت لي دون إبطاء :

ـ استناني يا دكتور أنا ساجيئك حالًا .

يا سلام ! الاميرة مقبولة تاتي بنفسها لتقابلني في هذا الفندق المتواضع . فكيف استقبلها وكيف ستستقبلني ، ومن منا يسبق الآخر في حديثه ، وهل يجب أن أكتفي بمصافحتها أم أضيف الى ذلك تقبيل يدها أو رأسها ؟ واستذكرت أيام كنت أزورها في بيتها ببغداد يوم كانت مع زوجها الشريف حسين ، فقررت أن أقبّل يدها . وبينما كنت في غمرة هذه الافكار صارت الاميرة مقبولة أمامي في الفندق وجهاً لوجه .. ألا لعنة الله على العمر ، وفجاة اقتحم تقدير عمرها تفكيري فاذا هي في منتصف السبعينات . ان العمر يرفع من قيمة التحف الاثرية غير انه يحط بغير رحمة من هيئة الانسان . فكيف اختفى جمال هذه الاميرة الفاتن ، وسحر عينيها الناطقتين بالنشاط والشباب . وقبّلت يدها فكانت غير اليد الحريرية الدافئة ، فقد تغيّر في الاميرة كل شيء إلا صوتها الدافق بالحياة .

ـ يا ستي الاميرة، أنا أردت أن أسمعك وأرفع اليك احترامي لا أكثر من ذلك ، فلِمَ تكلفت بالمجيء اليّ .

فقالت :

ـ لا ، أنا أردت أن أراك ، وكيف انساك وأنت طبيبي ، والذي استقبل ابني الى الدنيا !

ولم يكن في هذا الفندق صالة لائقة باستقبال الأميرة ، إلا ما هو شبه بهو صغير يتوسط غرف الطابق الثالث حيث كانت تنفذ اليه حجرتي في هذا الفندق . فأخذت مجلسي قبالة الاميرة في هذا البهو وأنا خجل من وضاعة المكان ، وصرت لا ارادياً اقارن في سري بين ما كانت عليه الاميرة أيام شبابها يوم عرفتها ببغداد سنة ١٩٤٦ وبين ما هي عليه في هذه الساعة وهي تناهز منتصف السبعينات من العمر ، ألا لعنة الله على العمر الف مرة .

- كيف حالك يا دكتور؟

- أدعو لك بدوام العافية يا ستي الأميرة .

وكانت زوجتي تجلس الى جانبي ، وكلانا نجلس قبالة الأميرة . ولاحظت الأميرة تنظر الى زوجتي بتساؤل ، ولا بد انها نفت أن تكون هي زوجتي الأولى التي كانت تعرفها معرفة جيدة ، فقلت للأميرة أوضّح الامر :

- ستي الأميرة ، هذه زوجتي سمية الهاشمي بعد وفاة زوجتي الاولى .

فقالت :

- قدّرت ذلك .

والتفتت الى زوجتي تقول لها :

- عندي ولد واحد هو الشريف زيد ، والدكتور كمال هو الذي عنِي به اثناء الحمل به وفي ولادته . (واستمرت تقول) يالله كم توجعت اثناء الولادة ، فاقول للدكتور كمال : اعمل شيئاً فانا لا أحتمل هذه الالام ، والدكتور كمال يقول لي : لا بد من الالم ، وبدونه لا ولادة ولا بنين ، ويقول لي أيضاً : الولادة الاولى تكون في العادة موجعة بشدة ، فاقول له : بل هذه هي الولادة الأولى والاخيرة . وقد نفذت ما قلته فكانت الاولى والاخيرة ، فلم أحمل بعد ابني زيد .

وبعد نصف ساعة من الاحاديث المتقطعة ، رأيتها تتطلع بتفحص الى ما في البهو المتواضع ، فالتفتت نحوي وقالت وهي ترفع كفها اليمنى وتبسطها على صدرها :

- أنت من الآن في ضيافتي يا دكتور ، ونهضت لتغادر الفندق .

وكان في انتظارها بشارع بسمان عند باب الفندق سيارتان ، ورأيتها تستقل الاولى ، وحين تحركت هذه السيارة تبعتها السيارة الاخرى التي كان يقودها شخص بملابس الشرطة . وبعد ساعة تقريباً سمعتها تقول لي تلفونياً :

- يا دكتور كمال ، حجزت لك في فندق (عمرة) وسوف تاتيك سيارة بحدود الساعة الثانية لتحملك الى هذا الفندق .

وواضح ان فندق (رم) لم يرق للأميرة أن يكون مكان اقامتي في الاردن . وفندق عمرة أحد ثلاثة فنادق ضخمة في عمان ، واسمه ماخوذ من اسم قصر الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك ، واجرة غرفتي التي كانت في الطابق العاشر ستة وثلاثون ديناراً وهي غير وجبات الطعام الثلاث التي تكلف واحداً وعشرين ديناراً وغير المرطبات التي نتناولها في مقهى الفندق وصالته .

ومكثنا في الاردن زهاء شهر بضيافة الأميرة مقبولة ، كما تناولت طعام الغداء على مائدتها في بيتها ثلاث مرات . ويوماً دعتنا الى تناول العشاء في (مطعم الواحة) ، وهو عبارة عن خيمة واسعة مصنوعة من شعر الماعز الأسود ، تتناثر تحتها التخوت والافرشة الاردنية التقليدية بالوانها الزاهية . كما دعتنا الأميرة الى عشاء في مطعم الفردوس (بمرج الحمام) ، والى حفل راقص اقامه الشباب (الشركسي) في قاعة أنيقة ، يمثل هجرة هذه الملة من روسيا الى الاردن . والشركس مسلمون كانوا يقطنون هم والداغستانيون والچيچان أراضي القوقاس أثناء الحكم القيصري في روسيا ، وفي الثورة الشيوعية تفرق الشركس الى بلاد كثيرة كان منها الاردن وهم أكثرية النازحين من الشركس الى أية جهة اخرى . وقد أحسنوا الاقامة في الاردن منذ دخولها اليها لأول مرة في سنة ١٩١٧ ، كما خدموا الأمير عبدالله بن الحسين حين اتخذ منهم حرساً له ولإمارته ، وتوارثوا خدمة هذه العائلة حتى الوقت الراهن . ولهم ممثلون في المجلس النيابي الاردني ، وعيشهم مع الاردنيين على صفاء ووفاق . والشراكسة اشداء في القتال ومتدينون وذوو تقاليد يعتزون بالتمسك بها . وذات يوم كنت بصحبة الأميرة على مائدة أحد أعيان الشركس بعمان ، ودار الحديث في مجلسه فنوناً فقال مما قاله : ان الزواج بين اولاد وبنات الاعمام والاخوال عندهم مكروه ونادر ، ذلك لانهم يعدونه قريباً من زواج الاخ باخته المحرم في الشرع الاسلامي . وحان وقت صلاة العصر في ذلك اليوم فنهضت كل من الاميرة ربة البيت وكذلك رب البيت وأقاموا الصلاة في احدى حجرات البيت .

والأميرة مقبولة متدينة وملتزمة باداء الفرائض الدينية ، وتصلّي في اليوم خمس مرات بأوقاتها ، كما رأيتها يوماً تصلّي وهي جالسة . وذات يوم نادت على أحد خدمها وسالته :

ـ طاهر ، يا يوسف ؟

فاجابها يوسف :

ـ طاهر يا ستي ، والحمد لله .

ـ طيب ، ارفع هذا المصحف وضعه على تلك الطاولة البعيدة .

والتفتت نحوي وقالت :

ـ كنت أقرأ في سورة الكهف ، وبالمناسبة ان في عمان كهف فيه عظام موتى يقال انها من بقايا أهل الكهف ، والكهف في اطراف عمان لا بعيداً عنها .

وفي بيت الاميرة مقبولة عدد من الخدم والخادمات قد يصل الى العشرين بين رجل وامرأة ، وطباخ وسائق سيارة ، وأكثرهم ترعرعوا في كنفها أو ورثتهم عن اختيها المتوفاتين الأميرة (هيا) أو الاميرة منيرة ، وهي حريصة على راحتهم وصحتهم ، كما علمت ان سائقي سيارتها الثلاثة هم موظفون في أمن الدولة ، وهم يتناوبون على خدمتها اسبوعياً .

ويوماً سألتني الاميرة مقبولة :

ـ تريد تقابل سيدنا ؟ (وتقصد (بسيدنا) عاهل الاردن ابن اخيها الملك الحسين بن طلال) ، وهذه كنيته وما يدعوه به مَن رأيتهم في بيت الأميرة مقبولة من الخدم والتابعين لها . كما ان الأميرة مقبولة تسمي ابنها وحفيدها بلقب الشريف . وحين سألتني إن كنت أرغب في مقابلة الملك الحسين كنت قد حجزت على طائرة الخطوط الاردنية للسفر الى لندن ، وكان الملك قد قرر السفر بجولة في بعض عواصم اوربا . وفعلًا بدأها في اليوم التالي بزيارة فينا . وسألتني ذات مرة :

ـ ألا تريد أن ترى ابني الشريف زيد ؟

فقلت لها :

ـ هذا يشرفني يا ستي الأميرة .

وكان التلفون الى جانبها ، فأدارت قرصه وبدأت تتكلم :

ـ يا حبيبي زيد أنت تتكلم من السيارة ؟

ـ ....

فقالت :

ـ عرفت ذلك من الصخب واصوات (هورنات) سيارات الشارع ، تعال الآن وستجد في بيتي مفاجأة . وهنا شخص كان أول من رآك وأنت تجيء الى الدنيا ، وبعد قليل دخل البيت شاب في منتصف العقد الرابع من عمره ، معتدل الطول ، كث الشارب ، وردي البشرة ، يرتدي قميصاً بكم قصير على سروال بني اللون .

فبادرته قائلة :

ـ تعال يا حبيبي .

فتقدم منها ذلك الشاب وأخذ يمناها وقبّلها ، وقبّلته الأميرة ، وهي تقول له وتشير اليَّ :

ـ هذا هو الدكتور كمال السامرائي .

واستدار نحوي ورحب بي بتكرار :

ـ سمعت عنك من أمي سمو الأميرة فأهلًا بك في الاردن .

والأميرة كلمتني عنه قبل يومين وشكت من كثرة ما يدخن كما شكت من قلة زيارته لها . واضافت تبرر تصرفه هذا :

ـ هو في دور الخطبة ، والمثل يقول (يا ليت كل العمر خطبة) .

ولما قلت لها ان زواجه متأخر أجابتني :

ـ هذا هو الزواج الثاني .

وكتمت استغرابي . واردت أن أقول شيئاً لمجرد التحدث الى الشريف زيد ، فقلت له :

ـ يا سيدي الشريف أنت كبرت ، وكنت حين رأيتك لأول مرة لا تزيد على النصف متر وأنت الآن أطول من متر ونصف .

وضحك الشريف وهو يقول لي :

ـ ليتني لم أكبر يا دكتور .

وعلّقت على ذلك بالسكوت . ثم سمعته يسألني :

ـ كيف بغداد يا دكتور ؟

ـ كما تسمع عنها والحمد لله .

وسكت الشريف : فأردت أن لا ينقطع الحديث بيننا بعد أو لاحظته ينصت اليَ باهتمام ويرغب أن يسمع مني . فقلت :

ـ هذه هي الزيارة الثانية لعمان . وكانت الاولى في سنة ١٩٥١ . وهي الآن عالم جديد . لا في السعة والتطور الاجتماعي فقط بل حتى في الشوارع والفنادق والمؤسسات الطبية .

فقال الشريف زيد :

ـ هذا صحيح ، وعمان في السنوات العشر الاخيرة غيرها قبل هذا التاريخ .

(واضاف) ان أكثر دور منطقة (عبدون) التي هي أبرز معالم العاصمة ما هي إلا من عمل الفلسطينيين الذين عملوا في الخليج غير مبالين بكون الاردن دولة مواجهة مع اسرائيل . ومن الحكمة والحذر أن لا يشيدوا دورهم بهذه الضخامة . (ثم قال) وقد تكون فلسفتهم في ذلك ان (الدار خير من الدينار وأضمن) .

وفجاة سألني الشريف زيد :

- هل زرت مستشفى الحسين ؟

فاجبته :

- رتبت لي سمو الاميرة والدتكم زيارة لهذا المستشفى العظيم ، وفيه استقبلني الدكتور اللواء يوسف القسوس واطلعني على كل صغيرة وكبيرة في المستشفى .

وسألني الأمير :

- عندكم في بغداد مدينة الطب مثيلًا لمدينة الحسين الطبية بعمان .

فقلت له :

- الحقيقة ليس كذلك تماماً ، علماً ان نفوس بغداد وحدها تكاد تكون بقدر نفوس الاردن بكامله ، ومدينة الطب فيها أقدم من مستشفى الحسين ، والزمن عامل مهم في استحداث الافضل لتطوير مثل هذه المؤسسات .

وكانت الأميرة مقبولة تشكو من كثرة ما يدخن ابنها الشريف زيد من السكائر ، ولما طال بقاء الشريف زيد معي زهاء ساعتين في هذا اللقاء ، قلت للأميرة عند مغادرة ابنها الشريف :

- يا ستي الاميرة أنت تشكين من الشريف زيد لكثرة ما يدخن ، ولكنني لم أر سيكارة في يده طيلة الساعتين التي كان فيها معنا هذا الصباح .

فاجابتني :

- لم يدخن بحضورك احتراماً لك يا دكتور !

وفي يوم ١٠ / ٩ / ١٩٩٢ كلمني ابني محمد من لندن تلفونياً والحّ عليَّ في السفر اليه فلما اعتذرت وهو يعرف شدة اشتياقي لرؤيته ورؤية ولديه كمال ووليد ، لمس حاجتي الى مقدار من الدولارات لاصل اليه . فوصلني ما احتاجه مضاعفاً ، وهكذا غادرت أنا وزوجتي عمان الى لندن على الطائرة الاردنية .

على مائدة الاميرة مقبولة بعمان ثم بعدها على مائدة الاميرة مقبولة بلندن

في اليوم الرابع من شهر ايلول سنة ١٩٩٢ تناولت طعام الغداء على مائدة الاميرة مقبولة بعمان ، وتحدثنا اثناء ذلك في امور شتى ، قديمة وحديثة ، وكثير منها

عن العائلة الهاشمية . وفيما كنا نتحدث عن زواج الملك فيصل الثاني المزعوم من الفتاة الامريكية جنفييف ارنولت وشهادة الاميرة فخر النساء زوجة الأمير زيد أصغر أولاد الملك حسين في نفي ذلك الزواج ، سألت الاميرة مقبولة فيما اذا كانت الأميرة فخر النساء ما تزال حية فأجابتني بعد لحظات :

ـ نعم ما تزال حية ، وقد ترهلت بسمنة مفرطة تدعو العجب ، وصارت عاجزة عن الحركة .

وأخذنا هذا الحديث عن العائلة الهاشمية بالاردن ، فقالت :

ـ ان سيدنا (تقصد الملك الحسين) هو الوريث الشرعي في الاردن لوالدي الملك عبدالله ، أما الوريث الشرعي لعمي الملك فيصل الأول فهو الأمير رعد من عمي الأمير زيد ، وهو يسكن الآن في احد القصور الملكية بعمان ومنقطع الى قراءة الكتب والاستماع الى الموسيقى الكلاسيكية .

واستطردت الأميرة مقبولة تقول :

ـ وعمتي الأميرة صالحة هي الآن بعمر ربما تجاوز المائة سنة . وهي في حالة ذهنية مرتبكة لا تساعدها على استذكار الاسماء والأحداث .

وتوقفت الأميرة مقبولة عن التحدث عن عمتها الأميرة صالحة وعادت تتكلم عن الأميرة فخر النساء بشيء من الأسف والمرارة . فقالت :

ـ لم يكن بيني وبين فخر النساء زيارات بعد وفاة عمي الأمير زيد رحمه الله .

ونقرت الأميرة بأطراف اناملها على سطح المائدة ولم تقل شيئاً ، غير اني ادركت انها عنت بتلك الحركة أمراً خاصاً بالاميرة فخر النساء ترفعت عن ذكره .

كان ذلك بعض ما تحدثنا به على مائدة الأميرة مقبولة .

وبعد نحو اسبوع غادرت عمان الى لندن ، وفي اليوم التالي من وصولي اليها نعت اذاعة الاردن وفاة الأميرة فخر النساء ووصفت الاذاعة الاردنية تشييع جثمانها الى مثواه الاخير بتفصيل شارك فيه ولي العهد الأمير الحسن واعيان الاردن ورجال الدين تتقدمهم كتيبة من الجيش العربي بالبستهم التقليدية الزاهية .

وفي لندن زرت الأميرة بديعة زوجة الشريف حسين في دارها الانيقة القريبة جداً من (البرت هول) . والأميرة بديعة شقيقة الأمير عبدالاله بن الملك علي .. وزوجها الشريف حسين بن علي صديق لي حين كان في بغداد . وهو دمث الخلق وحسن العشرة ، وطبيعي أن يكون بعض ما تحدثنا به عن عمان التي كنت فيها قبل اسبوع ، ولما ذكرت وفاة الأميرة فخر النساء قال ببرود :

ـ عرفت بوفاتها .

وكنت في سنة ١٩٨٨ قد نشرت في مجلة آفاق عربية البغدادية (زواج الملك فيصل الثاني المزعوم) من الفتاة الامريكية ، ذكرت فيه الاميرة فخر النساء كأحد الشهود الذين نفوا زواج الملك فيصل الثاني من الامريكية أو من غيرها ، أمام محكمة واشنطن . فقال الشريف حسين :

ـ الحقيقة ان فخر النساء غيّرت شهادتها واعترفت أخيراً بزواج المرحوم فيصل الثاني مقابل ثلاثين الف دولار . (واضاف يقول) بهذا الثمن البخس ، كسبت الفتاة الامريكية الدعوى أمام الحاكم اليهودي جاكسون .

ولم أسمع تعليقاً من الأميرة بديعة على ما قاله زوجها الشريف إلا كلمة واحدة وهي قولها : تركية . وحينئذ أدركت معنى نقر الاميرة مقبولة بأصابعها على المائدة حين كنا نتناول عليها طعام الغداء بعمان !

وفي هذه اللحظات دخل شاب وسيم وحيّا الأميرة وزوجها بأدب . والتفت الشريف حسين نحوي وسألني :

ـ عرفته ؟

فقالت الأميرة :

ـ كيف يعرفه والدكتور لم يره إلا حين كان بطول شبرين ؟

وسبقها الشريف حسين وقال لي :

ـ هذا (علي) الذي حضرت ولادته في بغداد .

وقالت الأميرة :

ـ لاأنسى قط حين سمعت (حازم) زوج اختي المرحومة جليلة وهو يمد رأسه الى (علي) الصغير حين كان يكافح لاستنشاق الهواء ، ويقول بفزع :

ـ ميّت ؟

فقال الشريف حسين :

ـ حازم لم يكن طبيعياً ، وهو الذي سبب اللوثة العقلية التي اصابت الاميرة جليلة . والتفت نحوي واضاف : ان حازم اقنع الأميرة جليلة أن يُرفع رحمها ، فأخذها الى القاهرة وهناك أُجريت لها العملية بدعوى ان رحمها هو سبب الكآبة التي كانت مصابة بها . ثم أردف يقول : ولعلمك يا دكتور كمال ان حازم لم يكن طبيباً بل كان مضمداً ولما قدم بغداد انتحل لنفسه لقب (دكتور) والتحق في المستشفى الملكي بهذا اللقب . فاستغربت من ذلك أشد الاستغراب .

اضافة الى ندوة واقع التعليم العالي / ١٩٩٢

اجتمع السيد الرئيس القائد برؤساء جامعات القطر لمناقشة تقرير الدكتور همام عبدالخالق عن واقع التعليم العالي كان قد أعده بطلب من السيد الرئيس، فرأيت أن أكتب في هذا الموضوع، وقد نشرته جريدة الجمهورية في يوم الثلاثاء الموافق ١١ / ٨ / ١٩٩٢، وفي ما يلي نص ما نشرته الجريدة:

انصت بتركيز واهتمام بالغين الى ما دار من مناقشات في ندوة (واقع التعليم العالي) التي عرضها تلفزيون العراق في مساء يومي الثالث عشر والرابع عشر من الشهر الجاري برئاسة السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله، وكان اعضاؤها رؤساء جامعات القطر وبعض ممن كان لهم شأن رسمي أو تجربة أو دراية في التعليم العالي، وما كان أعظم السيد الرئيس وهو يدير الندوة حين خاطب اعضاءها باسمائهم أكثر من مرة بقوله (اسمحوا لي، أو اعذروني يا اخوان أن اتداخل في موضوع هو من اختصاصكم، فاني اريد أن أفهم هذه الملاحظة أو تلك لاتابع مناقشتكم) وهذا وأمثاله كثير يبقى خالداً في سجل مقابلات السيد الرئيس الكريمة حين يتدارس شؤون المواطنين والدولة. ويؤسفني انني لم احظ بمشاهدة الجلسة الاولى من الاجتماعات الثلاثة من هذه الندوة، على ان ما قرأت عنها في الصحف المحلية قد أفدت منه الكثير والقيّم.

وإذ أكتب الآن في موضوع التعليم الجامعي فاني أرجو أن لا يحسب ذلك تعليقاً على آراء السادة الفضلاء اعضاء الندوة، وانما هو اضافة تخص تعليم الطب ومناهجه بكلية طب بغداد كنموذج لنظيره في الكليات العراقية الاخرى، وكنت أزمع نشرها منذ زمان قبل أن يثير انتباهي عدم وجود عضو تدريسي بين اعضاء الندوة من يمثل احدى الاختصاصات الطبية. واني بتواضع قد مارست التعليم الطبي وشاركت في وضع مناهجه أربعين سنة متوالية، وفخري منها انني لم أشغل أية وظيفة ادارية فيها باستثناء رئاسة قسم الأمراض النسائية في كلية الطب والمستشفى التعليمي الملحق بها. وهي مرتبة علمية أكثر مما هي ادارية، ولهذا فانا لا أتبرأ من مسؤوليات الاخطاء والسلبيات في مناهج التعليم بتلك المرحلة، ولكنني أفخر لبعض المحاسن التي تحلت بها الكلية في تلك السنين. وكلتا الحالتين تجعلني أشعر دوماً بارتباطي الروحي بهذه الكلية. ولا ضرورة ان اؤكد هنا ان المهنة الطبية كانت منذ أقدم حضارات الانسان ومنها الحضارة الاسلامية ـ هي في مقدمة معالم تلك الحضارات.

كما ان كلية الطب (الملكية سابقاً) كانت أول مؤسسة علمية عراقية ولدت متكاملة من حيث الأنظمة الجامعية والمناهج والملاك التعليمي .

كما انها أرضعت حتى الفطام كليات الطب التي أسست بعدها في العراق ، واستمرت ترفدها بمزيد من التدريسيين الى وقت قريب جداً ، وكان ثمار من تخرج فيها (من الوجهة العلمية) ممن يعتز به المواطنون والدولة وعلى رأسها السيد الرئيس القائد ، وهذا ما يجعلها تستحق أن يناقش تكوينها ومناهجها عند نهوض المناسبات كما حصل في هذه الندوة التي نحن بصددها . والاستشهاد بأنظمة ومناهج التعليم في الجامعات الراقية باوربا أو امريكا ، للمقارنة بما في جامعات العراق لا ضير منه بل فيه فائدة ، وإلا فلا سبيل لنا الى معرفة المستويات العلمية والجامعية التي وصلت اليها مؤسساتنا العلمية وما فيها من سلبيات يتوجب اصلاحها . هذا مع الاعتراف ان واقعنا الراهن بسبب العدوان الامريكي ـ الصهيوني الغاشم على وطننا العزيز يبيح لنا تجاوز كل الشكليات وبعض الموضوعيات في مناهج التعليم العالي لدعم الثورة الصناعية التي أقبل عليها عراقنا الغالي . والتركيز على هذا الجانب كما حدث في الندوة لا يعارض تدارس التعليم العالي في الطب ، ولا العكس يعيق مسيرة الثورة الصناعية الظافرة ، وإذ ان من أهداف التعليم الجامعي هو التثقيف الروحي بالاضافة الى التثقيف العلمي ، فان الحياة الجامعية بما فيها الصرامة والتمسك بعناد في تطبيق الانظمة ، والاحترام والحب المتبادل بين الاستاذ وتلميذه ، والضبط الاخلاقي وما هو على هذا السياق ـ فهذه هي التي تحقق الهدفين المذكورين ، وهو أسمى ما كانت تتصف به الكلية الطبية في أعوام تأسيسها وحتى عقدين تاليين من عمرها ، وطموحنا أن تستعيد الكلية ذلك الواقع وتستمر تمارسه بذلك التميز المرموق .

والطب مهنة محلية ، وتختلف مناهج تعليمه من قطر الى قطر ، بل من كلية الى كلية اخرى في القطر الواحد تبعاً لاختلاف خصائصها الجغرافية والاجتماعية . كما ان اختلاف مناهج الكليات الطبية في القطر الواحد لا يخلو من فائدة التنافس لمعرفة الافضل بالقطر في مناهج التعليم . ومناهج التعليم الجامعي في العلوم الانسانية متقاربة أو بالأقل مترابطة ، بينما الطب وكذلك مناهجه ذو خصائص تنفرد بها هذه المهنة دون غيرها من العلوم والفنون ، وأبرز هذه الخصائص علاقتها المباشرة بالانسان فرداً والمجتمع مجموعاً ، ولاي من هذين الحقلين خصائص غيرها من خصائص الحقل الآخر . كما هناك ما يمكن أن يسمى بطب الاسرة وطب المعمل وطب الحقل ، وجميعها تختلف بالجزئيات والتفاصيل وتتلاقى في الهدف وهو حفظ الصحة

وابراء المرض . وقد برزت هذه الفروق بين مناهج تعليم الطب وبين نظيره في العلوم الانسانية البطيئة السير منذ مطلع هذا القرن . وفكرت كلية طب بغداد في الخمسينيات بوضع نظام خاص بالمدارس الطبية الملحقة بها لتضم كلية الطب، وكلية الصيدلة ، ومدرستي التمريض والقبالة ، ومدرسة الموظفين الصحيين ، وشرع في سنة ١٩٥٥ لهذه (المجموعة الطبية) قانون باسم (بيت الحكمة) تيمناً ببيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ببغداد . وكان التعليم في هذا البيت في العلوم التطبيقية حصراً وفي مقدمتها الطب ، غير ان بيت الحكمة الاخير لم يعش طويلًا بعد تأسيس (جامعة بغداد) سنة ١٩٥٦ ، ومع ذلك لم تنضم اليها كلية الطب ، واستمرت الولاية على هذه الكلية لوزارة الصحة حتى سنة ١٩٦٣ حين شرع قانون جامعة بغداد الذي شمل جميع كليات القطر .

وفي الميدان الجامعي طرفان مهمان هما الطالب والاستاذ ، وقبول الطالب الى كلية الطب بحسب معدل درجاته في الامتحانات الثانوية أمر يصلح للمناقشة . ومن العجب أن يحصل الطالب الثانوي على معدل تسعين في المئة أو أكثر ، فذلك غير ممكن إلا اذا كانت اسئلة الامتحان نمطية لا تختلف عن عناوين مادتها في الكتاب المدرسي ، وتكون الاجوبة عليها بالحفظ على الصدر لا بالفهم والادراك . والصحيح في التدريس الثانوي أن يدرب الطالب على فهم الموضوع لا على حفظه ، ولا غرابة أن يقول من يقول ان واضع اسئلة الامتحانات الثانوية بنفسه يحتمل أن لا يحصل على ما يحصل عليه الطالب من الدرجات العالية لو انه اخذ موقع الطالب ليجيب عن الاسئلة فهماً لا حفظاً ، وهكذا جاءت النتيجة بعدد من الطلاب في صفوف كلية الطب من الكثرة مما اثر سلبياً على مستوياتهم العلمية اثناء سنوات الدراسة الجامعية ، والرغبة الشديدة للانتماء الى كلية الطب لا يمكن ولا يجوز كبحها إلا بطرق مشروعة كان يمتحن فهم الطالب الثانوي ويقيم ما أدركه في سني دراسته الثانوية ، وقد فكر بعض المربين في القطر باستحداث ما يسمى في انكلترا (الجامعة المنفتحة) التي تقام محاضراتها على شاشة التلفزيون ، وقد يكون هذا حلًا لمشكلة استيعاب العدد الكبير من الطلاب الذين يتقدمون الى الكليات الانسانية ولكنه لا يصلح للتطبيق في العلوم الطبية لكون مواضيعه تطبيقية لها علاقة مباشرة بالانسان . وثمة ملحوظة اخرى استسيغ ذكرها وهي ان المفروض أن يكون التدريس بكلية الطب كمؤسسة جامعية ، بطريقة التعلم Learning لا التعليم Teaching . والطريقة الاولى اسلوب تدريسي لما بعد المرحلة الثانوية حيث يكون فيه التدريس باثارة مدارك الطالب الكامنة الى التقصي ومتابعة ما في الكتب المدرسية المقررة وغيرها من

الكتب .

ومناهج التعليم وكتبها المدرسية المقررة بكلية الطب ما تزال منذ تأسيسها تتبع (ولو بشكل غير منظور) النظام الانكليزي الذي وضعه مؤسسو كلية الطب سنة ١٩٢٧ وسيبقى هذا الارتباط العلمي بالشكل المذكور قائماً (وليس في ذلك معابة) ما دام تعليم الطب وكتبه المدرسية باللغة الانكليزية ، وهذه هي وجهة نظري في تقييم مستوياتنا في الطب بمقارنته بنظيره في جامعات انكلترا ، لنعرف كم بلغنا من التقدم في الحقل الطبي .

وشهادة التخرج في كليات الطب العراقية هي البكالوريوس في الطب والجراحة Mb.,Ch.b. وفي الدراسة لهذه الشهادة يلم المتخرج فيها بكل اطراف الطب وما يتعلق به من العلوم الاساسية بما يكفيه لممارسته في علاج المرضى ، ثم استحدثت درجة الدبلوم ، وبعد ذلك درجة الماجستير في العلوم الاساسية في الطب ، أما درجة الدكتوراه فلم تستحدث بعد في كلية الطب .. والماجستير في الجراحة M. S. والدكتوراه في الطب بانكلترا هما أعلى الدرجات الجامعية بهذين الاختصاصين وحلم الطبيب الانكليزي أن يحصل على احدى هاتين الدرجتين ، ولا يحصل على أي منهما إلا بعمل اصيل متميز أو بتأليف كتاب ذي قيمة عالية . كما لا تمنحها الجامعة إلا لمن تخرّج في احدى كلياتها الطبية . أي ان جامعة لندن لا تمنح هذه الشهادة لخريجي جامعة ادنبرة أو غيرها من جامعات بريطانيا ، ولهذا السبب ليس من الاطباء العراقيين من يحمل احدى هاتين الشهادتين ، ذلك لأن شهاداتهم الاولى من جامعة بغداد لا من احدى الجامعات البريطانية ، أما شهادة العضوية في الكلية الملكية بلندن في علوم الطب السريري فهي شهادة غير جامعية تمنحها مؤسسات في كثير من الاختصاصات الطبية . وكثير من الاطباء العراقيين يحملون هذه الشهادة في احد الاختصاصات الطبية الرئيسة أو الفرعية وتطور الحال فاتفقت كلية طب بغداد مع الكلية الملكية للجراحين والباطنيين بلندن على فتح دورات لشهادة العضوية على أن يكون امتحان القسم (الأول) من هذه الدورات ببغداد ومن قبل لجنة ممتحنة قوامها من الاساتذة البريطانيين ، ويكون امتحان القسم (الثاني) بلندن .. وسرعان ما اسس في بغداد (المجلس العربي) بادارة مجموعة من الدول العربية ، على غرار (البورد الامريكي) وآل هذا الامر الى أن تنفرد به الحكومة العراقية وحدها ، واساتذته من التدريسيين العراقيين بكلية طب بغداد وطب الجامعة المستنصرية ، وصار حامل شهادة المجلس العربي مؤهلًا للقبول الى الملاك التدريسي في كليات الطب العراقية . والسؤال الآن هل ان (المجلس العربي)

يعوض أو يغني عن دراسة مناهج (العضوية) من الكليات الملكية بانكلترا ؟ ان هذه الدراسة الاخيرة أعم من قراءة الكتب والنجاح لنيل شهادتها ، فثمة فوائد في الثقافة الجامعية الانكليزية لا يتوفر مثيلها في بغداد . وان البعثات الطبية لها ارتباط مباشر مع مصادر المعرفة الطبية المتطورة ، كما انها تعرف الكليات البريطانية بما في العراق من مضارعين لها في علوم الطب .

ومن شروط القبول الى الملاك التدريسي في كلية طب بغداد (والكليات العراقية الاخرى) أن يكون المتقدم اليها حاملًا شهادة الدكتوراه أو ما يعادلها ، وقد عودلت شهادة (العضوية من الكلية البريطانية) بشهادة الدكتوراه ، وهذا اجراء سليم . غير ان حامل شهادة الدكتوراه في الفسلجة على سبيل المثال أو في علم الاحياء أو في الكيمياء قد لا يكون طبيباً ، ومعلوماته واطروحته محدودة في جزء من اختصاصه ، فهو بهذه الحال لا يصلح الى التعليم في كلية طبية ، بينما من يحمل شهادة الماجستير له معلومات وافية وتفصيلية في اختصاص شهادته ، فالأفضل أن يكون التدريسي في كلية الطب حاملًا الشهادتين : الماجستير والدكتوراه . والتدريسي الذي يحمل الدكتوراه وحدها دون الماجستير كمن (كما ارى على الاعتبار المتقدم) قد قفز في دراسته من الصف الأول الى الصف الثالث دون مروره بمناهج الصف الثاني .

والترقية العلمية من مرتبة تدريسية الى اخرى أعلى منها أمر ذو أهمية كبيرة وخطيرة . والترقية الى مرتبة الاستاذ هي التي تهمنا في هذه الفقرة من شؤون الكلية ، فالاستاذ رمز الكلية التي يعمل فيها ، ولا يغالي من يشير الى الكلية باسم ابرز اساتذتها في الموضوع الذي يختص به ، وينطبق هذا على غير كليات الطب أيضاً ، فالاستاذية مرتبة مرموقة منذ عرف هذا التعبير في تاريخ المعرفة ، وقد ضرب الصاحب بن عباد (القرن الرابع الهجري) بها المثل : فقال بغداد في البلاد كالاستاذ بين العباد ، أي انه رفع شان بغداد ليجعلها بمنزلة الاستاذ العالية . وفي كليات الطب ذات القدم في التعليم ليس في الموضوع الواحد أكثر من استاذ واحد ، وابتدعوا لمن يستحق الترقية الى هذه المرتبة فلا يجد شاغراً له فيها ـ ابتدعوا له مرتبة reader ، كما ابتدعوا مصطلح recious لمن وصل الى هذه المرتبة بجدارة استثنائية ـ وفي أكثر الكليات الانكليزية ذات التقاليد المتميزة هي التي ترشح من تراه كفوءاً لهذا المنصب ، فالاستاذية في نظرهم مرتبة (تمنح لا تؤخذ) ، واذا وضعت لها شروط وضوابط فتكون صارمة ومحكاً حقيقياً للوقوف على من يستحقها ، وقد شغر منصب استاذ جراحة القلب بلندن ثماني سنوات متوالية قبل أن يحتله

جراح القلب المشهور يعقوب محيري . وعلى ما تقدم أرى أن تقيم بحوث الترقية الى مرتبة الاستاذية في خارج العراق ، لكي ـ كما ورد في ندوة واقع التعليم العالي ـ نتحاشى التأثيرات الشخصية الى جانب طالب الترقية ، وهذا تقليد جامعي عالمي ، فأوراق بحوث الترقية للتدريسيين في جامعة برمنگهام مثلًا ترسل بسرية شديدة الى اساتذة في جامعة لندن ، أو بالعكس . وكان هذا التقليد معمولًا به في كلية الطب الى قبل بضع سنوات من اليوم الراهن ، ثم ازيل وصارت تحال اوراق البحوث الى خبراء داخل بغداد .

أما عن البحث العلمي في كلية طب بغداد فهو واجب اضافي على الواجب التدريسي . وقد يكون العضو التدريسي معلماً ممتازاً ولكنه ليس كذلك في مجال البحث العلمي ، ويجوز العكس أيضاً فلا يميل الى التدريس بالفطرة ، ومن له القدرة على اداء الواجبين هو التدريسي المثالي .

وكثير من التدريسيين يعملون بنشاط في البحث العلمي من أجل الترقية العلمية الى مرتبة أعلى ، فاذا حصلوا عليها نبذوا الاستمرار في البحث كلياً ، ولا بد من ايجاد حل لهذه الحالة بأحد طرق الترغيب أو الترهيب بابعاده عن الملاك التعليمي أو بغير ذلك من الوسائل .

وفي نظام جامعة بغداد يحق للتدريسي بكلية الطب أن يتفرغ للتدريس (تفرغ جامعي) كما يحق له أن يتفرغ للبحث أو التأليف (تفرغ علمي) لمدة تعينها الجامعة ويكون ميدانه في داخل العراق أو خارجه . ولا أعتقد ان لهذا التفرغ الأخير في الوقت الحاضر ضوابط ومتابعة ، وحبذا لو ينظم له ما يجعله من الجوانب العلمية في الكلية ، ومن حق العضو التدريسي التمتع به .

وكلمتي الأخيرة هي ان الذي ذكرته آنفاً مبني على معلومات حتى اوائل سني الثمانينيات وعسى أن تكون قد شملتها اعادة التقييم والاصلاح بعد ذلك .

استشارة جراح في لندن / ١٩٩٢

اكتشف الزميل الكريم الدكتور شوكت محمود الاختصاصي بالاشعة . في شهر آذار سنة ١٩٨٢ ثلاث حصى في كيس مرارتي ، مع اني لم أكن أشكو ولا شكوت في يوم سابق من أي عرض يمكن أن أنسبه الى هذا العضو . وبعد نحو عام شكوت دون مقدمات عرضية من ألم ثقيل الوطاة في منطقة كيس المرارة ، فقصدت مستشفى ابن البيطار لاعرف ما يجب أن أعمله لهذه الشكوى ، فارتاى الطبيب الايرلندي

(الاستاذ دويل) أن يعيد فحص كيس المرارة بالأشعة مرة اخرى ، فاكتشف ما لا يقل عن ثلاث حصى بحجم كبير لا يمكن أن تنحشر احداها في مدخل القناة المرارية ، غير ان الحصى الثلاث تبقى تهددني بأوجاع يمكن احتمالها بالمسكنات ، ثم قال الاستاذ دويل وهذا علاج ارضائي لا جذري . واضاف ان العلاج القاطع هو باستئصال كيس المرارة وما في جوفه .

وفي يوم ٢١ من شهر ايلوُل سنة ١٩٩١ سافرت الى لندن ، ولم يكن في خاطري ان استشير طبيباً فيها غير ان ولدي محمد ، بعد أن عرف مرضي وما اشكو منه الحّ عليَّ ان استشير اختصاصياً بهذا المرض ، فأخذني بحسب موعد مسبق الى الجراح (اللورد كول) بمستشفى كايز ، ولم يكن هذا الجراح كبير العمر ولا بهيبة مؤثرة كلقبه الكبير . وازداد نفوري منه حين استجوبني عما أشكو منه ، وحين فحصني بطريقة لم أعتقد انه استفاد منها فكرة شاملة عن مرضي . أما تشخيص وجود الحصى في كيس المرارة فقد عرفه من الصورة الشعاعية التي كنت أحملها معي من بغداد . وسألته :

ـ ما رأيك يا استاذ كول ؟

فاجابني وكانه اكتشف الطريقة الافضل لعلاجي :

ـ كيس المرارة يجب أن يرفع .

قال ذلك بجزم ودون مقدمات .

فقلت له :

ـ أنا سمعت ان كيس المرارة يمكن رفعه بالناظور ، لا بالطريقة الجراحية التقليدية ، فهل ستستعمل هذه الطريقة ؟

فأجابني مستفهماً :

ـ تفضّل هذه الطريقة ؟ ساعملها لك إن أردت ذلك !

فاستغربت كثيراً أن يودع الامر لي لا كما يراه أكثر صلاحاً ، كما انه لم يذكر لي ايجابيات وسلبيات كل من الطريقتين ، فرأيت أن أنهي مقابلتي معه فسألته :

ـ استاذ كول ، أنا لست من هذا القطر ، فيجب أن أعرف مقدماً كم ستكلفني هذه العملية لأرى إن كنت أستطيع دفع الكلفة .

وكان جوابه على هذا السؤال برفع كفيه وتحريكهما دائرياً واحداً وراء الآخر كما لو انه يلف بهما خيطاً ليجعل منه ما يشبه الكرة :

ان عمل يدي بحدود ثلاثة آلاف پاون .

وقررت رأساً أن أنسحب من مراجعة هذا الطبيب ، ولكني أردت أن لا يعرف هذ

القرار وأنا لا أزال في مكتبه ، فسألته :

ـ وكم تكلف اجور المستشفى ؟

فاجابني بترفع :

ـ هذا شيء آخر ، لا علم لي به .

وغادرت مكتب الاستاذ كول وأنا أتعجل الانصراف من دائرته لولا سكرتيرته التي أدهشتني ببراعتها وهي تطبع على الآلة الكاتبة بينما تكلّم مريضاً آخر تلاني لمقابلة رئيسها الاستاذ كول .

وبعد يومين وصلتني قائمة اجور الفحص فاذا هي مائة باون ، ودفعت القائمة الى ابني محمد ليقرأها ، فقال لي باختصار :

ـ حرامية ، ويجب أن ندفع المبلغ ، فلا محاججة في مثل هذه الحالة . ودفعناه بحوالة بريدية .

وزارني أحد زملاء ولدي وكان يوماً أحد طلابي في كلية الطب ، وقصصت عليه ما حصل لي مع الاستاذ لورد كول فاستهجن تصرفه معي . ونصحني أن أستشير الاستاذ (ريجز) في جامعة (كارديف) ، وهذه المدينة لا تبعد كثيراً عن مدينة (سوان سي) حيث يشتغل ابني محمد (كونسالتنت) في مستشفاها التعليمي . واتصل محمد بالاستاذ (ريجز) تلفونياً لتحديد موعد لاستشارته ، وبعد أقل من ساعة في الطريق الى كارديف صرت في عيادة هذا الجراح ، فاستقبلني على باب عيادته بترحيب وثناء على شخصي وخاطبني بلقب استاذ مما جعلني أظن ان له معلومات سابقة عني ، وبدا لي عمره بحدود الخمسين سنة ، باسم الطلعة ، نشط الحركة ، حسن القيافة ، وبادرني يقول :

ـ سمعت عنك من بعض الطلاب العراقيين الذين يدرسون في كارديف .

فقلت له :

ـ يسرني أن أسمع ذلك .

فقال :

ـ وان أكثر العراقيين ذوو فطنة . (ثم قال) لنعد الى موضوعك يا استاذ سامرائي ..

فقلت له أكثر آلام كيس المرارة تنتابني في الليل ، وقد أكون غارقاً في نومي ، فاستيقظ لاخذ حبات (الانجسيد) فارتاح منها . كما ذكرت له اصابة قلبي ، وسألني فيما اذا ادخلت الى المستشفى بسببها ؟

ونهض عن كرسيه وسألني :

- تسمح لي أن أفحصك ، وقادني الى وراء ستارة وطلب مني أن أتعرى وهو يقول ، لا أتوقع أن أجد شيئاً فيك غير ما ذكرته ولكنني أفعل ذلك زيادة في الاهتمام والتوثيق ، والفحص الشعاعي هو سيد التشخيص ، أما العلاج فسيكون بعملية .

وسألته :

- بواسطة الناظور ؟

- طبعاً بواسطة الناظور .

فقلت له مستفهماً :

- باعتبار عمري واصابتي السابقة بالقلب والرئة ، كم في عملية الناظور خطورة ؟

- ليس في هذه العملية خطورة ، على ان فيها ثمة احتمال بنسبة (واحد بالمائة) الجأ فيه الى اكمال العملية بالطريقة التقليدية . على انني لا بد أن أقول : اذا كنت ترتاح بأخذ (بخّاخ) الانجيسيد لقلبك وهذا البخاخ يريحك من آلام المرارة فتحمل أوجاعها بهذا المسكّن :

وقد فسرت عبارته الأخيرة ، بكوني في عمر متاخر فمن الحكمة أن لا الجأ الى العلاج الجراحي مهما كان بسيطاً وسليماً ، إذ ان في التخدير العمومي في عملية الناظور ثمة خطورة قد تحصل دون توقعها من قبل المخدّر . هكذا كان تفسيره وهذا ما جعلني اقدّر هذا الطبيب بدرجة عالية من العلم والحكمة ، فشكرته وغادرت مكتبه الى غرفة سكرتيرته . وفيما كنت احاول اخراج نقودي من جيبي وأسألها عن أجر اتعاب الاستاذ ريجز ، فاسرعت تقول لي :

- الاستاذ ريجز لا يتقاضي أجوراً من زملائه الاطباء .

وحاولت اقناعها أن تأخذ أجراً مني فرفضت باصرار وغادرت عيادة الاستاذ ريجز وأنا أقول بيني وبين نفسي : هذا من الاطباء النادرين في انكلترا . وسأعتمد على (بخّاخ) الانجسيد ما بقيت هذه تفيدني لتخفيف ألم المرارة . وبعد اسبوعين عدت الى بغداد عن طريق عمان .

ذات الرئة مرة ثالثة / ١٩٩٢

أصبت بمرض ذات الرئة ثلاث مرات ، كانت الأولى في شتاء ١٩٨٠ ، والثانية في خريف ١٩٨٦ ، وقد ذكرت فيما تقدم الاصابتين بقدر من التفصيل . أما هذه الاصابة الاخيرة التي حدثت في شتاء ١٩٩٢ فقد كانت أشدها وطأةوأكثرها غرابة

من حيث بداية ظهورها وأعراضها التالية ، فقد باغتني دون مقدمات نوعيّة صباح يوم ٩ / ٢ / ١٩٩٢ وأنا اشارك في مؤتمر طبي في قاعة (ابن الهيثم) بمستشفى ابن الهيثم لأمراض العين ، ولما وصلت الى بيتي كانت الحمى تشوي ضلوعي والسعال الجاف يضعضع كل أجزاء بدني . مع ضيق وصعوبة في التنفس ، فطلبت نقلي الى المستشفى بمدينة صدام الطبية ، وحين عجزت عن الحركة بسهولة أدركت حينئذ ان حالتي الصحية في تدهور ، كما خطر ببالي ان الاصابة بذات الرئة في مثل عمري قد تنهي الحياة ، فاخافني هذا الخاطر ، فطلبت من أحد أقارب زوجتي الذي كان ساعتئذ في بيتي أن يذهب الى دائرة الاسعاف بمدينة صدام الطبية ، فاخبره المسؤول عن هذه الدائرة أن يستحصل أمراً من دائرة الاسعاف المركزية بمستشفى الكرخ ليجوز له أن يصحبه الى بيتي لنقلي الى المستشفى . فاستغرب قريب زوجتي من هذه الحالة ، فقال لذلك المسؤول :

ـ اسمعني يا رجل ، ان المريض الذي نطلب له سيارة الاسعاف هو الدكتور كمال السامرائي ، وهو الآن بحالة خطرة ، فان حدث له سوء فستكون أنت المسؤول عنه .

ولا أدري هل ان تهديده بهذه الطريقة هو الذي أثر فيه ليستجيب الى طلبه ، أم ان ذكر اسمي كأحد أطباء هذا المستشفى الى وقت قريب ، فقال له السائق :

ـ اصعد الى السيارة .

وفي الطريق الى بيتي فاجأ السائق قريب زوجتي يقول له :

ـ تذكرت يا أخي ، ليس في السيارة قنينة أوكسجين .

فأجابه الصديق ببساطة من لا يدرك حاجتي الحيوية الى الاوكسجين .

وليكن ، المهم أن ننقله الى المستشفى .

وصلت صالة الانعاش في المستشفى ، وكنت أتأمل أن يتدفق الاوكسجين من صنابيرها الى أنفي ، وخاب أملي ، فلم يكن ثمة من ذلك الغاز الحيوي في انابيبها ، فقاسيت ما قاسيت من صعوبة التنفس والسعال الجاف في تلك الليلة ، فاتصلت زوجتي بمكتب وزير الصحة لتخبره عن حالتي الصحية وحاجتي الى الاوكسجين ، وبعد وقت قصير فوجئت بوزير الصحة الدكتور عبدالسلام محمد سعيد يجلس الى جانبي وأنا ممدد باعياء في سريري ، ويقول لي سيصلك الاوكسجين بعد قليل ، وبعد وقت أقل من القليل انساب الاوكسجين الى القناع ، فوضعته على أنفي وتنفست بارتياح وانتعاش ، وقلت للسيد الوزير :

ـ الآن يا دكتور عادت اليّ الروح وليس قبل ذلك .

ولم يعلق على ذلك بل استعاض عن ذلك بقوله :
ـ الحمد لله على سلامتك .

وكان في هذه الصالة ستة أسرّة ، تفصل بعضها عن بعض ستائر ثقيلة ، وأعلى كل سرير آلة تعمل ذاتياً لقياس الحرارة والنبض وضربات القلب ، غير ان جميع هذه الآلات كانت عاطلة عن العمل . ولم يكن في هذه الردهة إلا ممرضتين وطبيب مقيم ومضمد واحد ، غير ان حركة هؤلاء وتخاطبهم وهم على بعد من بعضهم كان كفيلًا أن يوقظ النائمين ويطرد الوسن والراحة التي حرم منها المرضى طوال ليالٍ . أما المرافق الصحية ، فكثيراً ما تفيض منها المياه الوسخة فتنساب الى داخل الردهة فتفوح منها روائح متننة لا تُحتمل ، هذا فضلًا عن انين المرضى وسعالهم المتواصل ، فاية راحة يجدها مريض هذه الردهة وهو بين الحياة والموت ؟

وفي صباح اليوم الثاني زارني السيد وزير الصحة الجديد (الدكتور أوميد مدحت مبارك) ، وسبق أن عرفته حين كنت راقداً في مستشفى ابن البيطار ، وهو ذو أدب جم ، وعرض عليَّ أن أتصل به اذا ما احتجت الى شيء يستطيع عمله .

واشتدت اعراض المرض عليَّ ، وتواصل السعال الجاف ، فاتقلب في فراشي لاجد ما يريحني منها ، لاغفو ولو بضع دقائق . وأتعبني السهر بهذا الحال ، كما أخطأت ممرضة الصباح فحقنت دواء خرج الى ظاهر الاوردة فسبب لي ورماً مؤلماً ، ضاعف بليتي بهذا المرض ، غير ان كثرة الزائرين من الزملاء والاصدقاء كان له وقع مريح عليَّ . أما الطبيب المسؤول عني فامره يستدعي العجب مما أكد لي ما كنت أسمعه عن معاملة هذا الطبيب مع مرضى الردهة الخامسة التي يتولى أمرها . فكان لا يصل الى سريري إلا بعد مروره على جميع مرضى هذه الردهة ، ولا نقد لي على ذلك غير ان حالتي الصحية تستدعي أن يقلق عليَّ فياتي ليعرف عنها ما يريحني ، واذا وصلني كان على وجهه كل هموم العالمين فيتبرم بهمي كثقل جديد على همومه ، ويتناول إضبارتي الطبية التي يقدمها اليه الطبيب المقيم ، ويبدأ يقرأ ما فيها من الاوراق المختبرية ، فاراه يجمع ما بين حاجبيه بجد واهتمام وكانه ينظر اليَّ وأنا في حفرة يصعب عليه الوصول الى قاعها ، ثم يلتفت اليَّ ليسالني ما أشعر به الان ، ويفكر قليلًا ليعطي تعليماته لطبيبه المقيم . وكدت ذات يوم أجيبه انني لا أشكو من شيء إلا من زيارتك لي ، وقد أكون أفضل لو انك انقطعت عني ، ولكنني لم أقل ذلك ، واكتفيت أقول لنفسي ان بشاشة الطبيب المعالج أفضل من كل دواء لابراء مريضه .

وفي أول شهر تموز سافرت الى لندن بطلب من ابني محمد ، وفي بيته أمضيت أيام النقاهة في حبور وسعادة .

الى جانب اوجاع كيس المرارة صارت تنتابني في بداية سنة ١٩٩٢ أوجاع في بطني بأوقات تكاد تكون بساعة معينة من الليل وتاتي عادة حين أكون أغط في نوم عميق فيما بين الساعة الثانية والثالثة صباحاً ، هذه الاعراض لا تتضمنها أعراض مرض معروف ، فكنت أصفه لزملائي الاطباء كقرص من الخبز أو اللحم يملأ سطح بطني فيما تحت السرة ، وكأن ذلك القرص يطهى على لهب نار ، فلا تخففه المسكنات وأدوية قتل الالم ، ويستمر هذا الحال ساعتين أو أكثر ثم يخف تدريجياً حتى ينقطع كلياً ، وكأن شيئاً لم يحدث قبل ذلك . ويعود هذا العرض في كل ليلة دون استثناء إلا ما ندر ، حتى صارت نوباته تطغى على آلام الحصاة في كيس مرارتي ، كما ان آلامهما قد تثور معاً في ساعات الليل التي ذكرتها ، ومن أجل ذلك قررت السفر الى انكلترا مرة اخرى لاستئصال كيس المرارة وما يحتويه من حصى ، بحسبان انها سبب آلام البطن التي ذكرتها .. وحجزت كرسيين في سيارات رجال الاعمال لنسافر أنا وزوجتي الى الاردن في طريقنا الى لندن . وقبل يوم واحد من سفرنا اتصلت تلفونياً بالصديق الكريم عبداللطيف بنية ليبعث لي مقداراً من التمر لآخذه معي هدية لاصدقائي في عمان ، فاذا هو يقول لي ان سيارة أخيه سعدون ستسافر الى عمان يوم غد صباحاً ، وهي أفضل من باصات (الجت) أو شاحنات رجال الاعمال التي تعمل بين بغداد وعمان . وفي اليوم الثاني سافرت أنا وزوجتي بسيارة سعدون البنية الفخمة التي قطعت الطريق الى طريبيل وكأنها سفينة تمخر البحر .

وكان الجو بين كيلو ١١٠ وطريبيل رديئاً بسبب عاصفة ترابية حتى انعدمت الرؤيا كلياً فلا نرى أبعد من صدر السيارة إلا الخط الأسود الذي يمثل الطريق المعبّد بالقار والاسفلت ، وفي اثناء ذلك ثارت آلام مرارتي بقسوة شديدة ، وفي طريبيل أشار عليَّ سائق السيارة (أبو محمد) أن أرجو من مامور الكمرك أن لا يضطرنا لتفتيش الحقائب اختصاراً للوقت فاصل الى عمان حيث أجد من يساعدني على تخفيف آلام مرارتي . ودخلت غرفة مامور الكمارك الفخمة ، وفيها رأيت المامور وراء منضدته الوسيعة وهو يكلم شخصاً يحتل كرسياً قبالته ، وانتظرت أن يكمل حديثه مع ذلك الشخص ، وفي اثناء ذلك دخل السائق (ابو محمد) يسالني اذا وافق مامور الكمارك على استمرار مسيرتنا دون تفتيش حقائب السيارة . والى هذا الوقت لم يلتفت اليَّ موظف الكمارك بل التفت الى سائق السيارة وقال له بجزم : لا بد من تفتيش الحقائب ! فانسحب السائق خارجاً من دائرة موظف الكمارك . وفجاة نهض

الرجل الثاني الذي كان يكلم موظف الكمارك ودار حول المنضدة الواسعة وأسرّ شيئاً في اذن الموظف ، فاعتقدت انه قد كلمه بما يخصني كطبيب معروف في بغداد ، وكبير العمر ويستحسن مساعدتي ، غير ان ما أسرّ به للموظف كان على عكس ذلك ، فقد نهض الموظف متعجلاً عن كرسيه وأسرع الخطى الى باب غرفته ونادى بأعلى صوته على (سائق بيت بنية) ، وكان هذا السائق ذو بطن منتفخة كبطون الحبالى ، فمد الموظف يديه تحت قميص السائق ليتلمس ما بينه وبين جسمه ، وأدرك السائق ما يهدف اليه ذلك الموظف ففتح قميصه عن آخره ، فاذا ليس تحت القميص شيء إلا بطنه المنتفخة ، وكان المنظر مضحكاً غير ان موظف الكمارك لم يبتسم له . وعرفت حينذاك ان الرجل الثاني أسرّ في اذن الموظف عن احتمال شيء ما تحت قميص السائق ، وأصرّ على تفتيش الحقائب وتاخيرنا زهاء ساعة .

وتحركت السيارة بنا الى قرية (إرويشد) ، وهي أول موقف في داخل الاراضي الاردنية ، وعبرناها دون تاخير يذكر لا من بوليس الحدود ولا من دائرة الكمارك . ويعلم الله كم كان ألمي ممضاً وأنا اقارن بين معاملة موظفي هذه المحطة وما لاقيناه من موظفي دوائر طريبيل ، ووصلنا عمان .

ولم أنم في تلك الليلة بارتياح ، فقد غلبت آلام كيس مرارتي على الاعياء الذي تولاني من طول الطريق . وفي الصباح اتصلت بالاميرة مقبولة فاقترحت عليَّ أن أعرض نفسي على أطباء (مستشفى الملكة علياء العسكري) وحملتني سيارتها الى هذا المستشفى الواقع على أرض مرتفعة على حدود عمان . وصرت بعد زهاء نصف ساعة أمام الطبيب الجراح في هذا المستشفى (الدكتور خلف الركّاد) ورأيت هذا الطبيب يطيل النظر الى وجهي ثم ابتسم وقال :

ـ أهلاً باستاذي الدكتور كمال .

واعتقدت انه خاطبني بهذه الصيغة لما تقتضيه المجاملة في المقابلة الاولى ، غير انه أردف يقول :

ـ أنا من تلامذتك في كلية طب البصرة ، وكنت تاتي الينا لتلقي علينا محاضرات في الامراض النسائية والتوليد .

وكرر يقول : أهلاً باستاذي كمال ، وأنا الآن بخدمتك .

وفتحت الحديث معه عن شكواي وعن تاريخ حياتي المرضية .

فقال لي :

ـ أنا أرفع كيس المرارة بطريقة الناظور لا الطريقة التقليدية بشق البطن بطول فتر أو أطول .

وارتبت إن كان يجيد هذه العملية فسألته كما يسأل رجل الشارع الجاهل :

ـ هل هذه العملية ناجحة بيدك يا دكتور خلف ؟ وكم عملية أنجزتها في هذا الاختصاص ؟

فلم يجبني بل نادى على ممرضة تحمل على كتفيها التاج الملكي كرتبة عسكرية ، وسألها :

ـ كم عملية لرفع كيس المرار أنجزنا في هذا الشهر؟

فاجابته :

ـ خمسة عمليات .

فارتحت لهذا الجواب ، وابتسمت له . وقال لي الدكتور خلف قبل أن يسمع مني موافقتي على الخضوع للعملية :

ـ أنت أصبت بأزمة قلبية وبذات الرئة مرتين فلا بد أن أحيلك الى مؤسسة (فرح) بمستشفى الحسين لمعرفة ما اذا كانت حالتك الصحية تتحمل استنشاق المخدّر .

وحملتني سيارة مستشفى الملكة علياء الى (مؤسسة فرح) حيث اجتمع لفحصي طبيبان ، وبعد فحوص متكررة ومتنوعة ، قال لي كبير الطبيبين :

ـ يا سيدي الزميل أنت الآن في بداية المرحلة الخطرة لتحمّل أدوية التخدير ، وهذا ما يجب أن تعرفه .

وكنت في الليلة الماضية لم أنم إلا قليلًا من شدة آلام مرارتي ، فاجبته حالًا :

ـ موافق على اجراء العملية ، وأنا أتحمل عواقبها .

وعدت الى مستشفى الملكة علياء فوجدت الدكتور خلف قد هيأ لي بناءً على مخابرة تلفونية وصلته من طبيب مؤسسة (فرح) غرفة تتوفر فيها جميع مستلزمات الراحة بما في ذلك الحمام والتلفون وسرير اضافي لزوجتي . وفي اليوم الثاني وصل ابني محمد من لندن وابنتي نيران من اسبانيا . وقد تحسست كثيراً لحضورهما في هذا اليوم العصيب . وتحسست أكثر من ذلك بزيارة الدكتور عبدالعزيز الدوري وبصحبته ابنته الدكتورة بشرى وهي تحمل باقة من الورد الطري . كذلك زارني في المستشفى كثير من الاصدقاء العراقيين النازحين الى الاردن ، وكانت سمو الاميرة مقبولة تستعلم عني تلفونياً في صباح كل يوم .

واجريت لي العملية صباح يوم ٢٨ / ١٢ ونقهت منها بصحة وسلام وفي اليوم الثالث بعد العملية تناولت مع ابنتي نيران طعام الغداء من (الكاري) والتمن في فندق پلازيا ، ثم بدأت برد الزيارة لكل من زارني في المستشفى . وفي زيارتي للدكتور الدوري في بيته استطعت أن أتفحصه عن قرب فاذا هو (كما بدا لي) أكثر حيوية

مما كنت أتوقع ، كما لم يبدو لي انه قد كبر سوى ان ما بقي من شعر رأسه قد ابيض بكامله بفعل العمر . وقبل أن يسافر محمد عائداً الى لندن وجد لي غرفة في (موتيل السفير) وهو يشبه الفندق من مستوى عال سوى انه لا يقدم وجبات الطعام ، وهو قريب جداً من فندق البلازا ومجمع بنك الاسكان ، وكلاهما من أضخم المؤسسات في عمان ، وقد اشتركت في تشييدهما كل من الاردن والكويت (وأمريكا على ما علمت) . وتدير الموتيل شركة ، ومن أحد موظفيها سيدة لم تصل بعد الى عمر الثلاثين ، مشرقة الوجه بابتسامة عذبة ، وصار لي شرف التعرف عليها بعد أن استشارتني في قضية طبية تخص تاخر حبلها بعد زواج دام أكثر من ثلاث سنوات .

مع الكتب في عمان - ١٠ / ١ / ١٩٩٢

زرت (مكتبة البشير) بعمان ، وهي واسعة الارجاء لجميع ما ألفّ بالعربية قديماً وحديثاً ، وليس لها مثيل في بغداد من حيث كثرة الكتب فيها وتنويعها ، وقد سررت حين رأيت أحد مؤلفاتي (مختصر تاريخ الطب العربي / طبعة بيروت) على رفوف هذه المكتبة ، وهي الطبعة التي لم تصل بغداد بعد .

وعندما وقفت أمام أمين صندوق المكتبة لادفع ثمن ما اشتريته وهو الجزأين من كتاب قاموس الاطباء لمدين القوصوني (من مصورات فؤاد سزكين) وكان هذا الكتاب بجزأين وبطبعة نظيفة وأنيقة ، وقرأت سعره على صفحته الاخيرة فاذا هو (ثلاثون ديناراً اردنياً) ولم أكن أملك يومئذ هذا المبلغ فاعدت الكتاب الى مكانه وغادرت المكتبة باسف وحزن .

عن الدكتور جورج حيقاري في جريدة الثورة / ١٩٩٢

في صباح يوم الخميس ١٥ / ٧ / ١٩٩٢ زارني في بيتي محرر جريدة الثورة الاستاذ ستار الحسيني وسجل لي حديثاً معه عن بعض جوانب حياتي الطبية وعلاقتي بالمرحومة الملكة عالية زوجة المرحوم الملك غازي ، وكان الحديث

مستفيضاً ورد فيه مما ورد قولي (.... أما أول طبيب عراقي في الأمراض النسائية والتوليد فلا أعتقد ان غيري قد سبقني الى هذا الاختصاص) .

وفي صباح يوم ٣ / ٨ / ١٩٩٢ قرأت في جريدة الثورة رسالة مختصرة وجهها اليّ الاستاذ يوسف العاني ، هذه نصها :

الى العلامة الدكتور كمال السامرائي .. مع التحيات

هناك شخصيات عراقية ، أدبية وفنية وعلمية .. لا أستطيع إلا أن أقف أمامها باحترام وتقدير كبيرين .

من بين هذه الشخصيات العلامة الدكتور كمال السامرائي .. فما قرأت له إلا وأحسست بعمق وغزارة هذا العالم الفذ وما التقيت به في مناسبات عائلية سريعة إلا وتمنيت أن أبقى معه طويلًا .. استمع اليه واستزيد مما في ذهن وتاريخ هذا الطبيب الرائد .

مرة كتبت في حقل « اساطير من الواقع » الذي كنت أنشره في مجلة « الف باء » كتبت عن « وفي » .. وهو اسم كلب كان يمتلكه الدكتور المرحوم جورج حيقاري ، ذاك الكلب الذي مات كمداً بعد وفاة المرحوم حيقاري .

حين قرأ الدكتور كمال ذاك الموضوع كتب كلمة قيّمة وثمينة تحدث فيها عن وفاء الكلاب .. ثم راح يؤكد صحة ما ورد في كلمتي عن الكلب وفي .. حيث كانت تربطه مع الدكتور جورج حيقاري رابطة صداقة وزمالة متينة وحين قرأت اللقاء القيّم الذي جرى مع الدكتور كمال ونشر في الصفحة الاخيرة من جريدة الثورة الغراء في ٢٠ تموز أحسست كعادتي باستمتاع واعتزاز بما ورد في ذلك اللقاء .

إلا ان أمراً لفت نظري ودفعني الى التساؤل .. ذلك ان الذي أعرفه ان الدكتور جورج حيقاري الذي تخرج في الكلية الطبية الفرنسية في بيروت عام ١٩١٧ ثم التحق في الجامعة الفرنسية في باريس .. وكان من المسهمين في تاسيس الكلية الطبية العراقية عام ١٩٢٣ .. وانه كان أول محاضر عراقي في الأمراض النسائية والتوليد من عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٣٩ .. أي ان الدكتور جورج حيقاري قد مارس هذا الفرع من الطب .. أي الطب النسائي .

بيد ان الدكتور السامرائي لم يشر الى تلك المدة التي اعتقد انها سبقت عام ١٩٣٩ .

ساكون في غاية السرور لو ان الدكتور السامرائي أوضح هذه الحقيقة .. ففي ذلك تثبيت لحقيقة تاريخية في مسار تاريخ واعلام الطب العراقي .. الذين نعتز بهم

ونفخر ..

مع بالغ التقدير .. وللحديث صلة .

يوسف العاني

وإذ انني أكن للاستاذ يوسف حباً واحتراماً ، كما ان في رسالته حقيقة فات عليّ ذكرها ، وهو على حق فيها ، وجهت اليه في جريدة الثورة يوم ٣٠ / ٨ / ١٩٩٢ الرسالة الآتية :

الى الاستاذ يوسف العاني مع التحية والتقدير ـ ٢٥ / ٧ / ١٩٩٢

اطّلعت بغبطة وامتنان على كلمتكم القيمة في جريدة « الثورة » يوم ٣ من آب الجاري التي استذكرت فيها ما فاتني ذكره في هذه الجريدة عن المرحوم الدكتور جورج حيقاري كأحد الأطباء الاوائل الذين مارسوا طب الأمراض النسائية والولادية ، واني اسر حين اقرأ لكم أو اشاهد اعمالكم على شاشة تلفاز بغداد وفي جميع ذلك لمسات فنية ممتعة ومفيدة .

كما أعتز كثيراً بتعابير الثناء التي خلعتموها على شخصي في مقدمة استذكاركم المذكور وسواء كنت استحق هذا الثناء أم لا أستحقه فهو من صلب أدب التعليق والمناظرة بين ذوي المعرفة ، وأنت ولا مداهنة من معدن نظيف وكريم . وبعد هذا فقد عدت الى جريدة « الثورة » في ٢٠ تموز الماضي لاقرأ ما ورد فيها على لساني وكان استغرابي منه بلا حدود حيث لم أجد فيه ذكراً لاستاذي جورج حيقاري كواحد من الاطباء الاوائل الذين مارسوا طب الولادة ورسموا قواعده في بغداد واغفالي لذكره غير مقصود ولا شك ومع ذلك أعده خطيئة أعترف بها بخجل ولا أغفرها لنفسي ، وعسى أن يغفرها لي الدكتور حيقاري يوم الدين . الدكتور حيقاري سيبقى درساً في ضميري وفي افكاري . وما مارست يوماً عملاً في اختصاصي إلا وذكرت انني اخذت اصوله من دروسه لي .. أما أخطائي في العلاج فهي من صنع يدي وهو بريء منها فكيف نسيت أن أذكره من المولدين الاوائل في العراق ؟! ورحم الله صاحب المقولة العربية (من كثرة الضياء الخفاء) وصاحب المقولة الاخرى (من شدة القرب حجاب) وعسى أن أحصل بعض الشفاعة من هاتين المقولتين . واستجابة لطلبكم يا استاذ يوسف عن معلومات أكثر في هذا الموضوع .. أذكر لكم ان ثلاثة اطباء كانوا قد سبقوا الدكتور حيقاري الى ممارسة

الاختصاص في طب الولادة وهم الطبيب الانكليزي لوينا بريهام والطبيب اليهودي صاموئيل اداتو في المستشفى نفسه والطبيب الارمني بهزاد وكان الطبيبان الاخيران في خدمة الجيش التركي فلما تقهقر هذا الجيش أمام الجيش الانكليزي في موقعة الكوت (١٩١٧) اثر هذان الطبيبان أن يستقرا في بغداد ويمارسا الطب فيها . ويبدو انهما تعلما الطب النسوي في بغداد لا قبل ذلك على أن الدكتور حيقاري الذي اعقبهم في بغداد كان أعلاهم كعباً في الطب وفي الطب النسوي بشكل خاص .

وافتتحت كلية الطب في بغداد في شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٧ لا في سنة ١٩٢٣ ولم يكن الدكتور حيقاري قد التحق بعد بالمستشفى الملكي (الجمهوري في ما بعد) الملحق بكلية الطب وفي سنة ١٩٣١ استقدم الدكتور هولمس الاسكتلندي ليدرس الطب الولادي والأمراض النسائية في الكلية وهو على هذا أول من درس هذا الاختصاص في بغداد وفي سنة ١٩٣٣ التحق الدكتور حيقاري بملاك المستشفى الملكي لا بالملاك (التعليمي) بكلية الطب ولكل من هذين الملاكين نظامه ومنتسبوه ، وهذه حقيقة في تاريخ الطب في العراق في الثلاثينات من هذا القرن لا يصح تطويرها على ان ذلك لا يثلم قط مستوى الدكتور حيقاري في ممارسة الطب الولادي كجزء من الطب النسوي بل كان في تقديري أرفع في علمه وابداعاته بالاختصاص الأول (التوليد) من استاذ تعليم الطب النسوي الدكتور كندي بكلية الطب . ولو ان ثقافة الدكتور حيقاري باللغة الانكليزية لا بالفرنسية لبزّ من دون شك أكثر من شارك في التعليم بكلية الطب التي كان التعليم فيها ولا يزال باللغة الانكليزية .

ولدي خزين ضخم من المعلومات عن الدكتور حيقاري ومزامنه الاستاذ كندي فيه من المقارنة بينهما ما يكفي لأجعله استاذاً في موضوع أمراض الولادة والتوليد من دون منازع . ومرة اخرى اشكركم يا اخي الاستاذ يوسف على التفاتتكم القيّمة الى ما فاتني ذكره عن استاذي المرحوم الدكتور جورج حيقاري .. جزاكم الله خير الجزاء ..

الدكتور كمال السامرائي

غير ان ما حدث هو ان الجريدة نشرت رسالتي الى الاستاذ العاني بهذه الصورة (دكتور كمال السامرائي يرد ويتذكر .. الى استاذي يوسف العاني مع التحية والتقدير) . ولم ارتح لهذه العبارة ولا أظن أيضاً ان الاستاذ العاني قد ارتاح اليها ، كما استهجنها كثيرون من الاصدقاء الذين قرأوها . واتصل بي تلفونياً في صباح اليوم التالي السيد ستار الحسيني وهو من محرري جريدة الثورة وهو الذي حمل رسالتي

الى الجريدة لنشرها جواباً على سؤال الاستاذ العاني ، سألني السيد الحسيني فيما اذا كنت قرأت ردي الى الاستاذ العاني في جريدة الثورة ، فاجبته وفي صدري غيظ حارق : (يا ليتني لم اقرأه ، بل يا ليتني لم أكتبه) ، وأوضحت له السبب بلهجة لا بد انه لمس منها سخطي عليه ، وما الفائدة !

التحري عن يوم اعدام سعيد قزاز والجاسوسان دكسن وورودني / ١٩٩٢

وقع بيدي ظهر هذا اليوم ٣ / ٢ / ١٩٩٢ كتاب صدر عام ١٩٩٠ بعنوان (محكمة المهداوي ـ أغرب المحاكم السياسية في العراق الحديث) لكاتبه محمد حمدي الجعفري . وكنت حين كتبت عن اعدام سعيد قزاز لم أوثق يوم اعدامه فيما كتبته في مذاكراتي التي احررها في هذه الأيام ، فتصفحت كتاب الجعفري فاذا هو خلو من تاريخ يوم اعدامه أيضاً . وتذكرت وأنا أتصفح هذا الكتاب صديقي عبدالرحمن حمود السامرائي الذي كان يومئذ الساعد الأيمن لوزير الداخلية في سنة ١٩٥٥ في مكافحة انتشار الجاسوسية والشيوعية ، وقد حكمت محكمة المهداوي عليه بالحبس لمدة اربع سنين ، وعلى سعيد قزاز بالاعدام ، فاتصلت بصديقي عبدالرحمن حمود وجاءني متفضلاً الى بيتي فاذا هو يفيدني باخبار أيامه في (الموقف) مع سعيد قزاز وأيام محاكمتهما معاً والشهر الذي اعدم فيه القزاز (ايلول) دون أن يضبط اليوم من هذا الشهر ، وكان في ثنايا حديثه يشيد بسعيد قزاز كرجل ووزير ويكيل له الثناء دون حدود . وتشعب الحديث فيما بيني وبين عبدالرحمن حين كلف بواجب حكومي في لواء ديالى ، قال :

ـ كان عليّ أن أتنقل بين أقضية ديالى ، وقد استرعى انتباهي مشاهدة رجل ذي سحنة وردية ، وشعر كستنائي ويغطي عينيه بعوينات داكنة تخفي كثيراً من وجهه الاعلى ، فاراه يوماً في خانقين ويوماً في مندلي على ظهر دراجة بخارية ، (فلعب الفار في عبي) واشتبهت به أن يكون غير عراقي أو بالاقل غير عربي ، فعرضت شكوكي على مدير شرطة (اللواء) فافادني انه مسلم وان اسمه (الحاج محمد أمين) ، ومكانه الذي يعد بيته هو في أحد الجوامع . وسألت آخرين من أهل بعقوبة فاذا أكثرهم يؤيدون افادة مدير الشرطة ، غير اني لم أقتنع بما سمعت منهم . (واستمر عبدالرحمن يقول) واستعنت بقريبي حاج كاظم الذي كان يسكن بعقوبة

فاذا في ظنونه اشارات ضعيفة تتفق مع شكوكي ، سوى ان حاج كاظم قال لي : ان الحاج محمد أمين متزوج من امرأة مسلمة من أهل بعقوبة ، فقيرة الحال وقد أنجبت له طفلة ، هي الآن بعمر يتجاوز ثلاثة سنين . (قال عبدالرحمن) ان ذلك دعاني الى التعجب ، غير انه لم ينف احتمال كونه ذا واجب سري إن لم يكن لدولة اوربية فلايران ، وتوصلت الى مكان بيته الصغير في محلة (المنجرة) ببعقوبة ، فانتهزت فرصة غيابه في الهويدر ، فجازفت وكبست داره بحضور مختار المحلة ، وأدهشني الرمل المنثور على جميع درجات السلّم الذي يصل الى الغرفة الوحيدة في الطابق الاعلى من بيته ، وسألت زوجته عن هذا الرمل فنفــت انها تعرف سبب نثره على درجات السلّم ، غير انها قالت لي ان الحاج يطلب منها بتكرار أن لا ترتقي هذا السلّم الى غرفته الخاصة التي في آخر السلّم . وأن لا تكنس درجات السلّم بأي حال . (قال عبدالرحمن) وعرفت في الحال ان هذا الرمل واسطة يعرف منها آثار أقدام من يصعد الى غرفته سواء كانت زوجته أو غيرها . ففتحت باب غرفته الخاصة التي كانت موصدة بقفلين ثقيلين واذا في الغرفة أضابير من الأوراق باللغة الانكليزية وبعضها برسوم والغاز ، كما كان في الغرفة جهاز متكامل للبث والاستقبال ، وهذا ما كنت أتوقعه . واراد كل من المختار وزوجته ان يغادرا الدار فمنعتهما ولم يقاوماني . وطال انتظارنا ساعات ، وفجأة طرق سمعنا صوت دراجة الحاج أمين البخارية تقف عند باب الدار ، فاستحضرت نفسي للأخطار ، واندفع باب الدار بدولاب الدرجة الامامي والى جانبه الحاج محمد أمين ، فادرك انه في داخل مصيدة . وقدته الى مركز الشرطة ، وهنا نفى أن يكون ممن يتجسسون على الدولة . ولم يطل جدله معي حتى اعترف انه بريطاني وان اسمه الحقيقي دكسن . فاتصلت بوزير الداخلية رأساً (وكان سعيد قزاز يخولني ذلك) فامر بنقله الى بغداد . ومن بعض افاداته في بغداد توصلت الى معرفة الجاسوس البريطاني الآخر (رودني) الذي حوكم في محكمة المهداوي .

تابين الفقيد الراحل كوركيس عواد / ١٩٩٢

اتصل بي يوم ٢٢ / ٨ / ١٩٩٢ السيد سهيل نجل المرحوم كوركيس عواد وانباني ان حفلًا تابينياً سيقام بمناسبة فوات اربعين يوماً على وفاة أبيه ، وسيكون هذا الاحتفال في يوم ٢٥ / ٨ / ١٩٩٢ بقاعة ابن النديم في المكتبة الوطنية

المقابلة لوزارة الدفاع ، وفي الساعة العاشرة صباحاً . وأنا ادخل قاعة ابن النديم وزعت على من في القاعة أوراق صغيرة ، قرأت في الورقة الاولى منها اسماء الذين سيتكلمون في هذا الحفل وهم :

كلمة الدكتور نوري حمودي القيسي

كلمة الدكتور كمال السامرائي

كلمة الاستاذ عبدالرزاق الحسني

كلمة الاستاذ جورج البنا

قصيدة علي الحيدري

كلمة الدكتور يوسف حبي

كلمة الدكتور حسين على محفوظ

قصيدة للشاعر حارث طه الراوي

وفي الورقة الثانية ترجمة بسطور للفقيد الراحل كوركيس عواد وفي الورقة الثالثة آثار الفقيد من الكتب والابحاث ، واختتم الحفل بكلمة من الاستاذ ميخائيل عواد وهو أخو الفقيد .

ومما قلت في كلمتي المرتجلة (انني سرت حين بلغني ان حفلًا سيقام للفقيد الراحل كوركيس عواد ، وتضاعف سروري حين علمت ان الحفل سيقام في قاعة ابن النديم ليتلاقى الروحان ابن النديم في القرن الرابع الهجري وابن النديم في القرن الرابع عشر الهجري وهو فقيدنا الراحل كوركيس عواد ، وكلاهما من بغداد ، وكلاهما فارساها في الفهرسة والوراقة . وكنت في سنة ١٩٨٥ قرضت كتابه (مصادر النباتات الطبية) في جريدة العراق فسميته ابن نديم القرن العشرين ، ومن هنا جاءت المضاهاة بينه وبين ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الشهير .

ثم أتيت بعد ذلك على فضله في فهرسة الكتب وفي بحوثه الكثيرة بهذا الميدان .

وختم الاحتفال أخوه الاستاذ ميخائيل عواد بكلمة رثاء عاطفية دمعت فيها عيناه ، ثم نهض ابن الفقيد سهيل كوركيس عواد وشكر الحاضرين على حضورهم الحفل ، كما شكر بشكل خاص من تكلم في هذا الحفل .

مستشفى كمال السامرائي الجديد - ١٠ / ٨ / ١٩٩٣

في هذا اليوم ذهبت لأرى اللمسات الأخيرة في مستشفى السامرائي ، وكنت قبلًا اراقبه وهو يعلو طابقاً فوق طابق ، فاذا هو الآن شامخ لا يعلوه بناء آخر في شارعه ، ولا يفضله اناقة وحسن هندسة ومظهر ، وخصوصاً في واجهته التي يتصدرها عمودان سامقان متناسقان يصلان الى الطابق الأعلى . ولأول مرة أرى النافورة التي يطل عليها بهو المستشفى والماء يتدفق منها على شكل مظلة متماسكة الاجنحة فلا قطرة من مائها منفصلة عن الأخرى .

وحملني المصعد الى طوابق المستشفى الواحد بعد الآخر فاذا هي نموذج لهندسة المستشفيات الحديثة . وعلمت من المهندس الأول في هذا المشروع انه كلف حتى اليوم أكثر من تسعة واربعين مليون دينار عراقي دفعت كلها بالعملة العراقية ، وكان جميع العاملين في انشائه من العراقيين أيضاً ولا يد ولا رأي لأي شخص اجنبي في تصميمه وتشييده .

وكنت طلبت أن يرفع على جانب مدخل المستشفى صورة (رمزية) من السيراميك للطبيب العربي أبي القاسم الزهراوي بعنوان جراح العرب ، فكانت الصورة جميلة التركيب والالوان . وفوجئت حين قرأت تحت هذه الصورة عبارة طبيب العرب بينما طلبت أنا أن تكون العبارة جراح العرب بوصف هذا الطبيب أول من بادر الى توليد المواخض باستعمال الملقط الولادي وهذا ما يوافق اختصاص هذا المستشفى بالأمراض النسائية والولادية ، فلم أرتح لعبارة (طبيب العرب) غير اني سرعان ما ارتحت حين عددت الزهراوي طبيب العرب في عموم الطب الباطني والجراحي أولًا وآخراً ، ودون منازع له على هذا اللقب .

نعم وجدت مستشفى السامرائي من حيث نظافة بنائه وهندسته رائعاً وفخراً لليد العراقية ، غير انه لا يزال بانتظار ادواته الجراحية وأثاثه ، وليس ثمة اشارة للحصول عليها من خارج العراق بوقت قريب بسبب الحصار الغاشم على العراق وعلى مرضاه بشكل خاص . والحكومة جادة للحصول عليها أو على بدائلها من الصناعات العراقية . وفي هذا اليوم اطلعني رئيس مهندسي مشروع المستشفى على كتاب رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية الموجه الى وزارة الصحة للحصول على الآلات

والادوات الطبية الفائضة على الحاجة في مستشفيات العاصمة ومراكز المحافظات .. وفيما يأتي نص كتاب ديوان رئاسة الجمهورية :

جمهورية العراق

ديوان الرئاسة

العدد : ص / ٢٢ / ٢١٣٠٢

التاريخ : ١٦ / صفر / ١٤١٤ هـ

١٤ / آب / ١٩٩٣ م

وزارة الصحة ـ مكتب الوزير

م / تجهيز اثاث واجهزة طبية الى مستشفى كمال السامرائي

تقرر تجهيز المستشفى اعلاه بالحد الادنى من المعدات والاثاث الطبي من خلال المناورة مع المراكز والمستشفيات الاخرى وبما يضمن تشغيله أو بعض اجزائه ولحين استكمال الاجراءات الخاصة بتوريد المعدات الطبية الاخرى المطلوبة .

لاتخاذ ما يلزم بصدد الموضوع ، واعلامنا .. مع التقدير .

حاتم حمدان العزاوي

رئيس ديوان الرئاسة

١٤ / ٨ / ١٩٩٣

نسخة منه الى /

وزارة النقل والمواصلات ـ مكتب الوزير / الحاقاً بكتابنا المرقم / ١٣٩٥٩ في ٢٤ / ٥ / ١٩٩٣ ، تنسب متابعة موضوع تمويل المواد والاجهزة للمستشفى اعلاه مع شركة (Fe 7) والاستشاري البريطاني لمشروع مترو بغداد على وفق الالية المطروحة عليهم من قبل اللجنة المشكلة بكتابنا اعلاه ، واعلامنا .. مع التقدير .

البنك المركزي العراقي ـ مكتب المحافظ / الحاقاً بكتابنا في اعلاه ، للعلم ... مع التقدير .

منشاة الفاو العامة / الحاقاً بكتابنا في اعلاه ، لاتخاذ ما يلزم بصدد متابعة موضوع تمويل توريد الاجهزة المطلوبة وبالتنسيق مع وزارة النقل والمواصلات .. مع التقدير .

دائرة الشؤون الهندسية / اشارة الى مذكرتكم المرقمة / ١٣٢٧ في ٩ / ٦ / ١٩٩٣ .. لاتخاذ ما يلزم بصدد الموضوع .. مع التقدير .

كما ان ثمة شركتين قدمتا لاحقاً عروضاً لتجهيز المستشفى للادوات الطبية ، وقد اطلعت على قوائم هذه الادوات لاستيرادها من خارج العراق ، وقد لا تصل قبل

سنة ، ومع ذلك فتلك نعمة ، فحمدت الله عليها .

وفي يوم ١٤ / ٨ / ١٩٩٣ زارني المهندس المنفذ لمستشفى السامرائي الاستاذ عامر ، وابلغني انه بلّغ من قبل القصر الجمهوري أن يقام في أحد اركان المستشفى تمثال لي ، وظننت لاول وهلة انه يهزل غير انه أكد لي ان هذا الامر جاد ، فقلت له :

ـ اذا كان الامر من القصر الجمهوري فهذا يشرفني غير انني أرى انه أكبر مما استحق .

ـ هذا أمر .

فقلت له :

ـ يجب أن يكون للسيد الرئيس القائد صورة أو تمثال في مستشفى السامرائي ، وفي هذه الحال لا أريد أن يشاركه أحد ، شخصي أو غيري ، بصورة أو تمثال له في هذا المستشفى .

فقال لي بحسم :

ـ هذا أمر القصر ، فكيف تريد التمثال ، من مرمر أم من نحاس لنبلغ النحات في استحضار احدى المادتين .

ولم أجبه على ذلك ، وعمل التمثال فلم يكن يشبهني باي حال .

افتتاح مستشفى السامرائي

في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٨ / ١ / ١٩٩٤ افتتح مستشفى السامرائي باحتفال مهيب بحضور وزير الصحة الدكتور أوميد مدحت مبارك .

تكلم فيه رئيس الدائرة الهندسية بالقصر الجمهوري ثم تلوته أنا بكلمة اشرت فيها الى مكرمة السيد الرئيس القائد في انشاء هذا المستشفى ، ثم طلبت من السيد الوزير أن يقود المدعويين لرؤية داخل المستشفى وما فيه من صالات للعمليات الجراحية والعمليات الولادية ، وغرف المرضى والمختبرات والمرافق الاخرى . كان المستشفى في الحقيقة نموذجاً مثالياً من حيث الهندسة وتوظيف الفضاءات فيه ، غير اني قدّرت مقدماً ان ذلك لا يكفي لوضعه في المكان اللائق بين المستشفيات الأهلية الاخرى فقد صار في بغداد يوم افتتح مستشفى السامرائي ستة واربعون مستشفى ، وفي كل مستشفى مشاركون من الاختصاصيين ما يكفي لاملاء أسرّته دون انقطاع . أما مستشفى السامرائي فليس معي مشارك فيه ، وأنا بسبب صحتي

لا أستطيع أن أجري العمليات الجراحية ، وهي الحالات التي ترفد المستشفى بالمرضى الذين يعيلون تكاليفه الباهظة . ومضى اسبوع دون أن يدخله مريض واحد وخشيت من هذه البداية . ومضت هذه السنة بطيئة ثقيلة خلتها دهراً ليس له نهاية . وانقذني الدكتور (س .....) وهو جراح ذو خبرة طويلة في اختصاصه فصار يملا نصف اسرّة المستشفى بمرضائه وكان اندفاعه لمساعدتي أكثر من أن تكون بسبب الزمالة التي تربط فيما بيننا ، وقد يكون من تلامذتي فيكون هذا سبب أقوى من رابطة الزمالة ، غير ان هذا الزميل الوفي عاد الى مستشفاه الأول بعدما صفا الحال فيما بينه وبين مشاركيه في المستشفى . فعاد العمل في مستشفى السامرائي فاتراً ومخيفاً ثم استقام العمل به شيئاً فشيئاً ولكن لم يصل الى درجة يقارب لها المستشفيات الاهلية الاخرى للأسباب التي ذكرتها آنفاً .

ولم تمض إلا سنة واحدة في العمل في المستشفى حتى صرت دون ارادة مني اقارن بين العمل في هذا المستشفى والعمل بما يناظره في مستشفى السامرائي القديم الذي اغلق سنة ١٩٨٢ مع اعتبار الفرق بين الزمنين فان السلوك المهني يجب أن يكون هو نفسه في أي وقت وزمان . وأول ما أدهشني في هذا المستشفى كان في اجور الاطباء الجراحين العالية . وأمرّ من ذلك ان الطبيب الجراح أو الطبيبة لا يأخذ اجوره من مريضه مباشرة بل يكلف محاسب المستشفى أن يأخذها له وهذا يجعل المريض يعتقد ان المستشفى يشارك في اجور الطبيب المعالج ، بينما المستشفى لا يربح أكثر من ربع ما يدفعه المريض ، وهو بالكاد تكفي نفقات ادامة العمل في المستشفى ، بينما اجور الطبيب هي له بكاملها . فالمستشفى بهذا القياس ليس هو الرابح ، انما الطبيب الجراح هو الرابح . وثمة امور اخرى لم أرها تتفق والسلوك المهني في ممارسة الطب ، وأمور اخرى يمكن تذليلها لو تعاونت المستشفيات الاهلية على ذلك . وقد نشرت في جريدة الجمهورية يوم ١٣ / ٨ / ١٩٩٤ بعض ما يتعلق بهذا الموضوع ، وفيما يلي نصه :

(رأي للمناقشة)

رابطة المستشفيات الاهلية في بغداد

حتى سنة ١٩٥٠ لم يكن في بغداد سوى ثلاثة مستشفيات أهلية وفي سني الثمانينيات حدث انفجار هائل في تاسيس المستشفيات الاهلية . فضار منها حتى هذا اليوم (٤٣) مستشفى أهلي ومستشفيات في طور الانشاء . ولا يفيض هذا العدد على حاجات بغداد من مثل هذه المستشفيات التي أصبح عدد نفوسها زهاء خمسة ملايين نسمة . والمستشفيات الاهلية ظهير قوي للمستشفيات الحكومية

وحافز مؤثر للمنافسة العلمية مع المستشفيات الحكومية .. وفي عمان ونفوسها لا تزيد على المليون نسمة (٣١) مستشفى اهلياً وجميعها متطورة وأبرز ما فيها الدقة في العمل والحس الانساني .

وما حدث في مستشفيات بغداد التي ظهرت مبكرة ان اصحاب كل منها جملة من الاختصاصيين . وأفضل (الكوادر) الطبية والتمريضية . كما ان وزارة الصحة (على ما روي لي) في سنة ١٩٩٠ فتحت ابواب مخازنها للمستشفيات الأهلية فأخذت هذه منها من الالات والادوات ما لم تنضب الى الوقت الراهن . أما المستشفيات التي افتتحت متأخرة فقد حرمت من تلك الفرص الثمينة وصارت تتخبط على غير هدى لردم الهوة العميقة في تكوينها ومستلزماتها . ووزارة الصحة ما تزال تعمل ما تستطيع عمله لمساعدة المستشفيات الأهلية وتوجيهها . غير ان هذه المستشفيات لم تعمل لنفسها بمستوى ما عملته لها الوزارة .. فصارت مبعث شكاوى من وزارة الصحة ومن المواطنين المرضى على السواء . كذلك تشكو المستشفيات الأهلية من (الكوادر) التمريضية والخدمية . وصار هؤلاء يعملون بمزاج ، فتترك الممرضة أو القابلة العمل في مقر مستشفاها متى شاءت ودون انذار مسبق ، أو تستجيب لمستشفى أهلي آخر لوّح لها بزيادة راتبها بما يغريها . وفي هذا ما يسبب الخلل الخطير في أعمال المستشفى الذي هجرته وبالتالي في حياة المرضى . ان السلوك الطبي القويم هو الذي يحكم بعدم شرعية هذا الاسلوب من اجتذاب (الكوادر) التمريضية من مستشفى الى مستشفى .

واستحدثت في المستشفيات الأهلية الحديثة (بدعة) ليس لها مثيل في مستشفيات العالم ، وهي ان ممرضة صالة العمليات تطلب من الجراح الذي ساعدته في العملية أن يكتب لها مبلغاً على طبلة المريض لا يقل عن ٣٠٠ دينار وقد يكون الف دينار على ذمة المريض لحسابها الخاص وفي نظرنا ان مبالغ هذه البدعة سرقة وسحت طالما لم يستأذن المريض بأخذه منه عند تصفية حسابه من المستشفى . وبدعة ثانية لم تعرف قبلاً وهي ما تسمى (بالمحفزات) وهي مبالغ تعطى لمن يعمل في المستشفى لتحريضهم على الجديّة في خدمتهم للمرضى . وهذه المبالغ ثابتة بينما لا تحفزهم على العمل طالما هي مضمونة وتدفعها ادارة المستشفى دون تأخير ودون تمييز بين الجيد والسيء من مستخدميها . هذه بعض سلبيات اعمال المستشفيات الاهلية. ونعتقد ان الخلل الذي ذكرته في الاعمال المذكورة يمكن تقويمه باستحداث رابطة تشرف وترشد الى ما يصلح اعمال المستشفى من الوجهة السلوكية والمالية . وتكون من صلاحيات الرابطة : (١) تحديد الحد الادنى

لمستخدمي المستشفيات الاهلية . (٢) التعاون بين المستشفيات لسد الشواغر من (الكوادر) الخدمية والتمريضية . (٣) عدم استخدام ممرضة أو قابلة ما لم تحمل ورقة ابراء ذمة من المستشفى الذي كانت تعمل فيه . وورقة اخرى من نفس المستشفى فيها ما ليس ثمة مانع من عملها في مستشفى آخر مع ذكر المبررات ، في حالة الاعتراض على استخدامها . (٤) تحصل الرابطة على اسناد من وزارة الصحة ونقابة الاطباء لتطبيق بنود الرابطة بما يتفق والخلق الاجتماعي والسلوك المهني . (٥) تتدارس الرابطة تخفيف ما يثقل كاهل المرضى من اجور المستشفيات الاهلية واجور الجراحين مع النظر الى الظروف المعاشية الراهنة التي يعاني منها الطرفان .

ان مقترح استحداث الرابطة التي اتحدث عنها يستحق النقاش العاجل وإلا فستبقى المستشفيات الاهلية عرضة للنقود المريرة التي لا يرفضها السلوك المهني .

د. كمال السامرائي

واتصل بي السيد وزير الصحة الدكتور أوميد مدحت مبارك متفضلاً ، وأيّد فكرتي غير انه كما قال لي ان ما ورد في ما نشرته بجريدة الجمهورية يخص نقابة الاطباء لا وزارة الصحة ، وانتظرت رداً من نقابة الاطباء فلم أسمع منها ما يؤيد أو يعارض فكرتي وكان الامر لا يعنيها لا من قريب ولا من بعيد .

رئيس ملتقى الرواد

في تمام الساعة العاشرة من صباح أحد الايام اتصل بي تلفونياً السيد محيي الدين اسماعيل وبادرني يقول :

ـ اكلمك من ديوان وزارة الثقافة والاعلام ، وقد حصل الاتفاق على أن تكون أنت رئيساً لهيئة ملتقى الرواد .

فقاطعته وأنا في غمرة المفاجاة والاستغراب ، وقلت له :

ـ لا بد انكم أخطاتم في من تريدون مكالمته . فقال لي :

ـ بل أنا ومن معي نقصدك بالذات .

فقلت له :

ـ يا أخي محيي ، ان هذه المهمة ليست في خطّي الثقافي ، فانا أعنى بالعلوم الطبية وبتاريخ العلم فقط .

وتكرر اعتذاري من قبول هذه المهمة وتكرر طلبه مني على قبولها . وأخيراً قال في ختام حديثه معي :

- فكّر وساكلمك بعد اسبوع .

فقلت له معتذراً :

- ان قراري نهائي ، مع الاسف .

وبعد اسبوع اتصل بي السيد محيي الدين اسماعيل نفسه وأعاد عليَّ طلبه .

فقلت له :

- أعتذر ، وأرجو قبول اعتذاري .

وانقطع الحديث بيني وبينه على هذا الموقف ، واعتقدت ان هذا الموضوع قد انتهى أمره ولن يتكرر مثل هذا الطلب مني .

وفي مساء يوم قابلني صديقي سالم الآلوسي ، في فاتحة المرحوم عبداللطيف بنية وسالني :

- هل اتصل بك الاخ محيي الدين اسماعيل ؟

وعرفت ماذا يهدف بهذا السؤال .

فاجبته :

- اتصل بي تلفونياً واعتذرت عن قبول مهمة رئاسة ملتقى الرواد .

فقال لي :

- أرجوك تقبل هذا التكليف .

وكان الدكتور حسين أمين يومئذ رئيساً لهيئة ملتقى الرواد . فقلت له :

- الدكتور حسين أمين صديقي ولا أريد أن أخلفه على هذه الوظيفة .

- بل ان الدكتور حسين أمين من الذين رشحوك الى هذه المهمة .

وطال الحديث في هذا المحور وانتهى بعدم الحصول على موافقة مني على قبول المهمة . واعتقدت ان هذا الامر قد انتهى وسيبقى الدكتور حسين أمين رئيساً لهيئة ملتقى الرواد . غير ان مفاجاة كبرى اعقبت مقابلتي مع صديقي سالم ، فقد وجدت مساء يوم مغلفاً على منضدتي في مستشفى السامرائي مرسوم على زاويته اليسرى اسم وزارة الثقافة والاعلام . فتوجست حالًا أن يكون مضمون ما في داخل هذا المغلف يخص تكليفي برئاسة هيئة ملتقى الرواد ، وفتحت المغلف فكان فيه ما ياتي :

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والاعلام

بسم الله الرحمن الرحيم
أمر وزاري

تقرر ما يلي :
١ ـ الدكتور كمال السامرائي رئيساً لهيئة ملتقى الرواد .
٢ ـ الدكتور خالص الاشعب نائباً لرئيس هيئة ملتقى الرواد .
٣ ـ محيي الدين اسماعيل سكرتيراً لهيئة ملتقى الرواد .

كان هذا الأمر مفاجأة مفجعة بالنسبة لي . وفي الساعة العاشرة من يوم السبت كنت في مكتب السيد وزير الثقافة والاعلام وأنا أعرفه منذ كنت اراجع موضوع مستشفى السامرائي ، وكان شخصاً ارتاح التحدث اليه ، واستقبلني باسماً وهو يقول :

ـ عرفت انك ستقابلني للتخلص من تنفيذ أمر الوزارة في تعيينك رئيساً لهيئة ملتقى الرواد .

ـ نعم يا أبا رند أنا قصدتك لهذه الغاية .

فقال لي :

ـ عرفت انك اعتذرت عن قبول رئاسة هيئة الملتقى واعتذارك مرفوض يا استاذ كمال .

قال هذا وهو يبتسم بتحبب .

وطال الحديث بيني وبينه زهاء ساعة فاذا هو يلحّ على تنفيذ أمر الوزارة .

قلت له :

ـ فلان أصلح مني لهذا الواجب .

ـ فلان وفلان وفلان ليسوا اصلح منك . (وأتم كلامه وهو يبتسم قائلاً) : صدر الامر وهو نهائي .

وهكذا اصبحت رئيساً لهيئة ملتقى الرواد ، دون أن تكون لي ارادة بذلك .

تكريم من لدن الاتحاد العام للكتاب والمؤلفين / ١٩٩٤

في صباح يوم ١٠ / ١١ / ١٩٩٤ نقل اليّ رئيس الاتحاد العام للكتاب والمؤلفين الدكتور عماد عبدالسلام قرار هيئة هذا الاتحاد على تكريمي بمناسبة صدور الجزء الاول من كتابي (حديث الثمانين) . والدكتور عماد صديقي غير اننا

لا نتقابل إلا في المناسبات العلمية وأكثرها اثناء جلسات اللجنة التراثية التي تعقد صباح كل يوم ثلاثاء ، وهو مؤرخ فقه وخصوصاً في تاريخ العراق اثناء الحكم العثماني فيه ، كما له في حقول المعارف الاخرى منشورات ومؤلفات نفيسة وذات اصالة معتمدة . وحين عرض الدكتور عماد قرار هيئة الاتحاد الذي يترأسه فوجئت بهذا القرار وحرت آنياً في ماذا يجب أن اجيبه ، وحرت بين الاكتفاء بشكري له ولاعضاء هيئة الاتحاد وبين الرفض بتعزز لقبول هذا التكريم . غير ان التصميم الذي لمسته من الدكتور عماد أسكتني ، فارتحت الى هذه النهاية . وعاد يقول لي ان التكريم سيكون في قاعة المكتبة الوطنية . وفي صباح يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٩٥ صارت قاعة المكتبة الوطنية الوسيعة تضيق شيئاً فشيئاً بمن حضر هذا الحفل فاضيفت كراسي اخرى الى ما يحف بالطاولة . وكان من الذين حضروا ابنتي نيران وزوجها نبيل الدهان وابنتهما سالي .

كان أول المتكلمين هو الدكتور عماد بوصفه صاحب الدعوة الى حضور هذا الحفل وهو في الأصل صاحب الفكرة لتكريمي أيضاً . وفي كلامه عرض الأسباب التي دعت الاتحاد العام للكتاب والمؤلفين لتكريمي ، ثم تلاه الدكتور صالح العلي وأثنى على مؤلفاتي وعلى الكتب التراثية التي حققتها . ثم تكلم كل من الدكتور قيس كبة والدكتورة لميعة البدري واستعرضا ما عملناه سوية في قسم النسائيات بالمستشفى الملكي وفي مدينة الطب بعد ذلك . وجاء دوري الى الرد على ما سمعته ممن تحدث عني فشكرتهم واحداً واحداً . ثم نهض الدكتور عماد وتقدم مني وسلمني شهادة التقدير موقعة بقلمه .

لقد كان الحفل بهيجاً واستمر يفرحني طوال ذلك اليوم ، ولا تزال ذكراه تلتمع في خواطري الى هذا اليوم .

كتاب حديث الثمانين ـ سيرة وذكريات / ١٩٩٤

نشرت سيرة حياتي بكتاب سميته (حديث الثمانين) ، أي تاريخ حياتي منذ كنت تلميذاً في المدرسة الابتدائية بسامراء ، ثم تلميذاً في المدرسة المتوسطة في الحلة ، ثم تلميذاً في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد ، ثم طالباً في الكلية الطبية ببغداد ، وأخيراً تدريسياً وممارساً في الأمراض الولادية والنسائية . وقد أخذت هذه المراحل نحو ثمانين سنة من عمري فكانت عنوان كتابي المذكور . وخصصت الصفحة الاولى من الكتاب بعبارة خططتها بقلمي ونقلت مرسومة على منتصف

الصفحة الاولى والعبارة هي : (كتبت هذه المذكرات لنفسي ولاولادي ولمن بقي من أهلي ومن رحل) وقد حصل هذا الكتاب على تقدير عالٍ من أكثرية قرائه ، وأفضل من قرّضه هو الدكتور خالد القصاب ، وهو جراح له باع طويل في هذا الاختصاص الطبي ، كما انه من الرسامين العراقيين الذين يجيدون تاطير ما يرسمون ويحسنون توزيع الضوء عليها . قال لي الدكتور خالد : (أنا لم أقرأ كتابك حديث الثمانين بل اني استمتعت بالنظر اليك وأنت ترسم تاريخ حياتك صفحة بعد صفحة) ومن لا يغويه هذا الاطراء فقد سرني وادخل الفرح والطمأنينة الى نفسي ، غير انه بنفس الوقت جعلني أتمنى أن لا يقع هذا الكتاب بيد من لا يدرك حقيقة مشاعري وافكاري التي تضمّنها هذا الكتاب ، وعزائي ان هذه الطبقة من القراء لا ينتبهون الى الاخطاء الطباعية الكثيرة في تضاعيف صفحاته ، فيعتبرونه مريحاً لهم كتابة ومعنى .

مكتبتي تنقل الى المكتبة الوطنية ـ ٤ / ٤ / ١٩٩٦

في يوم ٤ / ٤ / ١٩٩٦ يكون قد مضى على افتتاح مستشفى السامرائي سنتان ، وكنت قد أقمت في يوم ٤ / ٤ / ١٩٩٥ احتفالاً متواضعاً بمناسبة مرور سنة على افتتاح هذا المستشفى فتقرر أن نقيم احتفالاً بهذه المناسبة في يوم ٤ / ٤ / ١٩٩٦ ، أي بعد مرور سنتين على افتتاح المستشفى ، وأعددت من أجل ذلك ما يستلزم لاستضافة الاطباء الذين يعملون في هذا المستشفى والطبيبات المقيمات والكوادر التمريضية والخدمية ، فكان حضور هذا المجموع وعلى مدى ساعتين وأنا اراقب ما يدور بين افراده من أحاديث وحركات ما ادخل السرور الى قلبي وتتبعت خيوط هذه المناسبة فاذا أنا اركز على مكرمة السيد الرئيس القائد صدام حسين التي لولاها لما سعدت بهذا التجمع التذكاري ، وفجاة خطر ببالي أن أتبرع بمكتبتي الضخمة الى سيادته ليحيلها الى المكان الذي يناسبها ، وفي مساء هذا اليوم رفعت الى ديوان الرئاسة الكتاب الاتي :

العدد : ٣١١

التاريخ : ٦ / ٣ / ١٩٩٦

السيد رئيس ديوان الرئاسة / الاستاذ أحمد حسين المحترم ..

تحية مباركة وبعد ..

فقد أنعم عليَّ السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله باعادة تشييد

مستشفى السامرائي وهذه المكرمة الضخمة أكثر ما كنت أحلم به طوال حياتي الطبية ، وليس عندي ما اقابل هذا التكريم العظيم إلا الدعاء الى الله العزيز القدير أن يمد عمره متمتعاً بالعافية والنصر المؤزر بالايمان ، ثم ان في حوزتي مكتبة ضخمة ونفيسة بما فيها من نوادر الكتب في العلوم العربية ، وأطمح أن أرفعها الى الديوان الموقر هدية متواضعة أو تحيلها الى المكتبة الوطنية ليستفيد منها رواد هذه المكتبة، على أن تبقى في حوزتي « وهذا هو التقليد » حتى اليوم الموعود ، والاعمار بيد الله . فاذا وافقتم على قبول هذه الهدية المتواضعة ، ارجو أمركم بابلاغ المكتبة الوطنية لجرد محتويات مكتبتي وتحضير الخزانات الضرورية لها .

وتقبلوا رجاءً مني أطيب التمنيات .

الدكتور كمال السامرائي

مدير مستشفى السامرائي

وفي يوم ٢١ / ٣ / ١٩٩٦ تسلمت الكتاب الآتي :

جمهورية العراق

ديوان الرئاسة

العدد : ٥٩٢٧

التاريخ : ١ / ذو القعدة / ١٤١٦ هـ

٢٠ / ٣ / ١٩٩٦م

سري

وزارة الثقافة والاعلام ـ مكتب الوزير

م / مكتبة الدكتور كمال السامرائي

تنسب تشكيل لجنة برئاسة ممثل عن الدائرة التربوية والعلمية في ديوان الرئاسة وعضوية ممثلين عن وزارتكم ووزارتي التعليم العالي والبحث العلمي والصحة تتولى جرد محتويات مكتبة الدكتور كمال السامرائي واعداد تقرير بها واقتراح المكان المناسب لها في المكتبة الوطنية عندما يتقرر نقلها الى المكتبة المذكورة والتنسيق مع الدكتور كمال السامرائي بهذا الشأن .

لاتخاذ ما يقتضي وتسمية ممثلكم في اللجنة المذكورة واعلامنا .. مع التقدير .

احمد حسين خضير

رئيس ديوان الرئاسة

١٩ / ٣ / ١٩٩٦

نسخة منه الى :

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ مكتب الوزير
وزارة الصحة ـ مكتب الوزير
لاتخاذ ما يقتضي وتسمية ممثليكم في اللجنة اعلاه وأن
يكون ممثل وزارة الصحة من الاطباء واعلامنا .. مع التقدير .
الدكتور كمال السامرائي / يرجى التفضل بالاطلاع ونشير الى رسالتكم الخطية المؤرخة في ٦ / ٣ / ١٩٩٦ .. مع التقدير .

وفي يوم ٧ / ٤ / ١٩٩٦ حضر الى بيتي الكادر الذي كلفته رئاسة ديوان الرئاسة لجرد كتب مكتبتي برئاسة ممثلها واستمر العمل فيها تسعة أيام فاذا في مكتبتي اثني عشر الف كتاباً وهو رقم لم أكن قد قدّرته قبلًا .

وفي يوم ١٠ / ٤ / ١٩٩٦ زارني في بيتي بعض اصدقائي وكانوا قد عرفوا بتبرعي بالمكتبة الى ديوان الرئاسة ، فقال :

ـ هذا عمل تشكر عليه يا أبا محمد .

وقال آخر :

ـ أكرمك السيد الرئيس القائد باعادة تشييد مستشفى السامرائي ، وهذه مقابل تلك .

وقال ثالث :

ـ ان كرمك أعظم يا أبا محمد طالما في المكتبة منفعة دائمة ومستشفى السامرائي له عمر محدد معك ثم يعود الى الدولة .

فقلت له :

ـ ان البادي بالكرم هو صاحب الفضل الأول .

فعاد ذلك الصديق يسأل :

ـ هل جردت جميع كتب المكتبة ؟

ـ جردت جميعها .

فقال :

ـ ولكنها لم تنقل بعد الى المكتبة الوطنية ، أليس كذلك ؟

ـ هذا صحيح انها لم تنقل جميعها بعد .

فقال :

ـ اريد كتاباً واحداً منها إن أمكن ، لنفسي .

فقلت له :

ـ انها جردت وانتهى أمرها معي .

كلمة في ما يشبه خاتمة الكتاب - ١٤ / ٨ / ١٩٩٣

ليست هذه الكلمة في خاتمة ترجمة حياتي ، انما هي نهاية كتابة مذكراتي حتى هذا اليوم . وقد كتبت هذه المذكرات ، كما قلت آنفاً ، لنفسي في المقام الاول ، لانس بقراءتها حين يطبق على صدري ضيق النفس ففي بعضها ما أعتز باستذكاره . كما كتبت هذه المذكرات لمن بقي من أهلي ليعرفوا الطريق الذي مشيته في حياتي بما فيه من متاعب ومكاسب ، ومثالب ومثاوب . كذلك كتبتها لارواح من رحل من أهلي الى دار البقاء ، إذ انني بعد أن وصلت الى عمر الثمانين صرت اؤمن بما يشبه اليقين ان التواصل الذي كان بيني وبين الراحلين من أهلي واحبائي حري أن لا ينقطع ، وان استذكارهم وتقديم القرابين والخيرات لارواحهم هو ضرب من الوفاء ورد الجميل لمن صحبوني واعانوني على السنوات الطوال .. كما اعتقدت ان ارواحهم تشعر بهذه الخلجات وتفرح لها وتفخر .

لقد تجاوزت عمر الثمانين أو كدت أتجاوزه ، وعلم ذلك عند الله ، وكان قد دبّ الشيب في رأسي وأنا بعمر مبكر ، وهذا من سمات عائلتي رجالًا ونساء ، وأضحى شعر رأسي أخيراً جمة بيضاء كالقطن المنفوش ، ولكنني أشعر به أثقل من الجلمود الصلد على رأسي ، وخصوصاً حين أسمع من الناس احترامهم لهذا الشيب ، وهي التفاتة منهم المفروض أن أتقبلها بسرور واعتزاز ، غير انني أكرهها ، لدلالتها على قرب أجلي بينما أنا أحب الحياة أن تطول بي ، وبخاصة حين تواتيني الفرص لاقوم بما عليَّ من ردود والتزامات .. كما أني أشعر اني بالرغم من تقدم عمري ان ثمة دوراً ينتظرني في الحياة يجب أن لا تفوتني الشراكة فيه . وخصوصاً وأنا أشعر أحياناً ان لي من القدرة في الذاكرة والحيوية ما استطيع بهما أن أتجاوز الصعوبات والعثرات التي تعترض مساري في نفق حياتي الآنيّة أو الآتية . أما خاتمة مسيرتي فامره بيد الله سبحانه ، فقد تكون قريبة أو بعيدة ، غير اني حين أدرك انني بقلب معطوب وتَعِب ، ورئتين هشتين متخلخلتين واني كثيراً ما استيقظ حين أكون في عز النوم ليلًا وأعمده فاتلمس بيدي في الظلمة لاعثر على أدويتي التي هي دوماً قريبة من سريري حينذاك استسلم برضا لكل قدر في تلك اللحظات لتكون في آخر ليلة في عمري . وقد صرت بهذا الحال أكثر من تناول الادوية في هذه الايام حتى صارت عدد وجبات تناولها تضاهي أو تزيد على وجبات طعامي الذي اضحيت أعافه وأتحاشاه على قدر استطاعتي ، فهزل جسمي واضطربت خطوات مشيّي حتى لم تعد العصا تساعدني بسيطرة على ضبط مواقعها وتوازنها . وينتابني أحياناً خوف من الموت المفاجيء .

ولما أنته بعد من اداء ما عليّ من واجبات ، وهي محصورة فيما له علاقة بالكتاب والكتابة ، فقد شغفت بهما الى درجة ستبقى اذا فارقت الحياة الدنيا في قلبي غصة على فراق أي منهما . ولا أعلم لحسن حظي ، هل من الكفر لو تمنيت أن يلحد معي بعض كتبي التي أدبتني بالمعرفة وحب الخير أو الانسانية . ولا أظن ان هناك من قدّر حبي للكتاب ، وان كان من اولئك أحد فلا يعديه ما أخذ الكتاب من حالي ومالي .

وخلقني الله سبحانه أهوى امتلاك الكماليات ، وكثرة الاسفار ، والميل الى البيع لا الشراء ، فبعت بيتي بأبخس الاثمان في وقت لم أكن فيه احتاج الى نقد ، وبعت بيتاً آخر دون سبب وبسعر التراب ، ولم افكر قط بضرورة وجود مورد لي ثابت إلا في عمر متأخر ، ولولا مكرمة الدولة لذوي الكفاءات في سنة ١٩٧٥ لما استطعت أن اشتري سيارة حين ارتفعت اسعارها في الاسواق التجارية ، وبقيت استعمل هذه السيارة وحدها خمس عشرة سنة .

كذلك كان من المستحيل أن اشتري سيارة في سنة ١٩٩٠ حين وصلت اثمان هذه خيالية فانقذني السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه بسيارة فخمة اكسبني فخراً بهذه المكرمة السامية ، وبالرغم من سوء تصرفي في اموري المالية فانني لم آسف لحد الحزن على ما صنعته يداي في المجالات التي ذكرتها سوى احتمال حاجتي الى تمريض خاص أو الى عملية لا تتم إلا خارج العراق ، حين ذاك أوكل أمري الى اولادي بعد الله تعالى وهو أرحم الراحمين ، واولادي من البررة ولله الحمد .

وبسبب عمري أيضاً وقصر ما تبقى منه فقد صرت لا أفكر قط في اضافة شيء جديد الى ما في بيتي والى ما أملك ، باستثناء شراء الكتب والعصي ، وهاتان الهوايتان قديمتان عندي ، وربما كان يومئذ في داخلي شعور انني يوماً ما ساحتاج الى عصا ، مثلما خلق الله الاذنين قريبتين من العينين لاحتمال أن يحتاج الانسان الى عوينات في قابل أيامه ، فوضع الله الاذنين قريبتين من العينين لتحملا ذراعي العوينات التي يحملها الانف . فصرت منذ وقت مبكر أقتني العصي حتى صار لي منها ما يزيد على الثمانين واحدة في وقت لم أكن أحتاج في المشي لاي واحدة منها ، وحان أوان استعمالها فكانت لي في شيخوختي رجلًا ثالثة ، والعون من الله أولًا وآخراً .

وحدث لي في يوم ١٢ / ٣ / ١٩٩٦ أن سقط قلم الكتابة من يدي وأنا جالس وراء منضدة الكتابة ، وتدحرج حتى اختفى تحتها فانحنيت لالتقطه ، وكان انحنائي شديداً فاحسست ان كسراً حدث في فقرات ظهري ، وطلبت الدكتور ابراهيم النائب

لفحصي فاقترح فحص الفقرات بالاشعة فظهر تخلخل شديد في مادة عظام الفقرات مع كسر في الفقرة الظهرية الخامسة ، هذا اضافة الى ما بي من امراض سابقة ، واوصاني بتناول المسكنات والراحة التامة في سريري ، وفجعت حين قال لي ان اندمال كسر الفقرة قد يطول الى أكثر من ستة أسابيع ، وليس له علاج إلا الراحة في الفراش وتناول المسكنات . وأنا بطبيعتي أكره الفراش فكنت أخالف توصيات الدكتور ابراهيم فانهض وأجلس وراء منضدتي لاقرأ أو لاكتب وهذا مما جعل الالم يصل الى اسفل صدري ، وتحملته على مضض لئلا يفوتني الوقت فلا أتم ما اريد تحقيقه في القراءة والكتابة ، ورغم ان لي خمسة كتب تراثية حققتها فيما بين سنة ١٩٨٢ و ١٩٩٢ ، وكتابين من تاليفي في الطب الاسلامي ، كما لي زهاء ١٤ بحثاً في الطب ، غير ان ذلك لا يجعلني أشعر بالرضا بالنفس حين أعتقد انني مقصّر في ميدان النشر فيما لديّ من معرفة في الطب السريري وفي ما لديّ من معلومات في العلوم ذات العلاقة بالطب .

وكنت فيما مضى مولعاً بممارسة التعليم بكلية الطب فلما احلت الى التقاعد حرمت من هذه المتعة ، وكنت أهوى ممارسة الطب وبخاصة في العمليات النسائية والولادية ، فلما تجاوزت الثمانين ادركت انني لا أستطيع أن أحقق الاستمرار بهذه الهواية فتوقفت عنها نهائياً . وكنت على مدى حياتي اعنى باقتناء الكتب وقراءتها ، وها ان مكتبتي الضخمة تنقل بمجموعها الى المكتبة الوطنية ، واني لاشعر الآن ان تسماً مني قد أخذ معها .. ومجرد التفكير بانني سأحرم عن قراءة أي كتاب في أيام قادمة فذلك يزيد في همّي وحسّي بالعجز التام ، والعون من الله والاعمار بيده سبحانه وأنا لمنتظر يومي برضا وايمان .



انتهى الجزء الرابع
وبه انتهى الكتاب

١ و٩٢٦
س ٢٨٤ السامرائي ، كمال
حديث الثمانين : سيرة وذكريات
/ كمال السامرائي . ـ بغداد :
دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٧
ج ٤ (٣٧٣) ص ٢٤ ؛ سم .
١ ـ السامرائي ، كمال (الطبيب)
أ . العنوان
م . و
١٤١ /١٩٩٧

المكتبة الوطنية « الفهرسة اثناء النشر »

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (١٤١) لسنة ١٩٩٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : ابراهيم عبد الرزاق

السعر : ([illegible]) دينار

بغداد - ١٩٩٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

فهرس موجز للجزء الرابع